

خالد رحال محمد الصلاح

العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها



دارالعلوم العربية

بسميرت - لبنان

خالد رحال محمد الصلاح

العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى

وموقف الاسلام منها



دار العلوم العربية
للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له، أهل الحمد والثناء الحسن، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وأصحابه، ومن سار على دربه، واقتفى أثره، وترسم خطاه، ونهج منهجه إلى يوم الدين. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مَعَاذَ إِلَهِكُمْ أَفَإِنَّكُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا وَكُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. قال الطوسي: "ذكر محمد بن جعفر بن الزبير: أنهم نصارى نجران. وقال قتادة: إنهم يهود المدينة. ووجه هذا القول أنهم أطاعوا الأحرار طاعة الأرباب، فسلكوا بهم طريق الضلال"^١. وبعد ،

فهذا الكتاب بعنوان : العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الاسلام منها^٢. وهو يتناول الجوامع العقدية بين اليهود والنصارى، من خلال نظرهم للذات الإلهية، والأصول العقائدية كالإيمان بيوم البعث والجزاء والحساب والثواب والعقاب، ومفهوم الدعوة والتبشير من المنظور العقدي، والكشف عن نظرهم للإسلام والرسول محمد (ﷺ)، ثم الرد الإسلامي على عقائدهم وأطروحاتهم من خلال مراجعهم المثبتة لديهم، وتصريحاتهم الدالة على أفكارهم، لاسيما بعض طقوسهم الدينية وأعيادهم ومظاهر عباداتهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^٣. زعم اليهود والنصارى أن الله — سبحانه وتعالى — أبوة — وهم بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه يعني هذا: أن عدل الله لا يجري مجراه،

^١ - سورة آل عمران، الآية ٦٤.

^٢ - محمد بن الحسن الطوسي "٣٨٥ - ٤٦٠هـ": التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا.ت، مج ٢، ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

^٣ - وهو في الأصل رسالة جامعية بعنوان : الجوامع العقدية بين اليهود والنصارى وموقف الاسلام منها حاز فيها المؤلف على درجة الماجستير في الدراسات الاسلامية بتقدير جيد جداً من كلية الامام الاوزاعي للدراسات الاسلامية في بيروت.

^٤ - سورة المائدة، الآية ١٨.

وأنه سبحانه يُحايي فريقاً من عباده. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. قال مقاتل: "هم يهود المدينة ونصارى نجران، انهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان معنى قولهم ﴿مَنْ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي منّا ابن الله، وفي قوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إبطال لدعواهم لأن الأب لا يعذب ولده، والحيب لا يعذب حبيبه، بل أنتم كسائر بني آدم تُجَازَوْنَ بالإحسان والإساءة. قال عطاء: يغفر لمن يشاء، وهم الموحّدون، ويعذب من يشاء، وهم المشركون".^١

وتشير الكاتبة ألفت عزيز إلى التزمّت الديني عند المسيحيين المعاصرين فتقول: "فالمسيحي يتربّى ليؤمن بأن دينه وحده هو الدين الحقيقي، مع الإيمان باليهودية كمقدمة للمسيحية، وأن كل الديانات الأخرى خطأ..... المسلم من ناحية أخرى، يؤمن بأن الله هو مصدر كل الديانات العظيمة في العالم، المسلم يجب عليه أن يؤمن بأنبياء جميع الأديان العظيمة، فهو قد يتأذى حين يرى كيف نبذ وغير اليهود والمسيحيون جزئياً التعاليم الصحيحة لموسى وعيسى عليهما السلام".^٢ بينما الدين في الأصل واحد وهو الإسلام والإذعان والدعوة إلى وحدانية الله تعالى، بالرغم من تعدد الشرائع التي تضمنت حكمة الاختبار في الطاعة أو المعصية، لذا ستلفت هذه الرسالة — إن شاء الله تعالى — النظر إلى عدل الله سبحانه وتعالى، الذي لا يُحايي أحداً.

يلاحظ القارئ المتتبع لتاريخ يهود شيئاً ملفتاً للنظر، وهو كثرة أنبيائهم المذكورين في القرآن الكريم، وهذا دليل مؤكّد على عظيم صعوبة علاجهم وإصلاحهم، فاحتاج الأمر إلى أن يكون الأنبياء هم الذين يتولّون هذه المهمة. وكذلك نظر بعض المسيحيين إلى السيد المسيح على أنه "ابن الله الأزلي"، وهو كالأب أزلي أيضاً، فليس بينه وبين الله فرق في الزمن".^٣ لهذه الأسباب والمسميات من أهل الكتاب، كان لزاماً الردّ على عقائدهم، وتبيان فرقه وعباداتهم، ومحاورة مواقفهم من الإسلام بوضوح وجلاء. قال الله تعالى:

^١ - عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي "٥٠٨-٥٩٦هـ": زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ج٢، ص٣١٨-٣١٩

^٢ - ألفت عزيز؛ محمد والمسيح دراسة مقارنة، ترجمة بسام مرتضى، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٣-١٤.

^٣ - أحمد شلي: مقارنة الأديان "المسيحية"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٧٨م، ص٩٥.

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَاتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^١.

ومن الأهداف المتوخاة لهذا الكتاب ، الكشف عن فوائد عبادة الله وحده عبادة لا لبس فيها، ولا غموض، وأن تكون مباشرة دون وساطة أو زُلفى، وهذا بدوره كفيل في تحرير الفكر البشري من الخضوع أو الخنوع لغير الله سبحانه وتعالى؛ لأن العبودية والدينونة لله وحده شرف ورفعة، بينما العبودية للعبيد أو الأشياء الأخرى ذلة ومهانة، وشتان شتان بين الأمرين. قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَلَمْ يَأْتِ بِكَ مِثْرَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^٢.

إضافة الى ذلك يسعى الكتاب الى التعرف على عقيدة أهل الكتاب يهود ونصارى مع الإشارة إلى بعض العبادات لديهم كالصلاة والصيام وإظهار أجزاء هامة من طقوسهم الدينية، وأحوالهم الشخصية لا سيما الزواج والطلاق والإرث، لأنها في الأصل عبادة لله تعالى، وصحتها دلالة على صحة العقيدة كما أن فسادها دلالة على فساد العقيدة، ثم بسط الموقف الإسلامي من هذه القضايا؛ لتكون المقارنة منصفة وعادلة، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والاستئارة ببعض القضايا الفقهية من كتب الفقه والسيرة النبوية الشريفة، ثم تدوين بعض النصوص من أسفارهم وكتبهم المعتمدة لديهم.

أما عن منهج البحث المعتمد، في معالجة هذا الموضوع فهو اتباع المنهج القرآني، الذي يجمع بين قيامه على أساس منهج علمي معتمد، من المناهج العلمية الصحيحة، وبين كونه المصدر الإلهي الموثق والمرجع السماوي الصحيح قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنْزُ نَزَائِكَ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^٣.

وتتجلى ملامح منهج هذا البحث في النقاط التالية:

أولاً : توظيف المنهج التاريخي الوصفي في عرض عقيدة اليهود والنصارى، وذلك عن طريق نقل أحوالهما ووصف عقائدهما، وطقوس عبادتهما من خلال أسفار العهد القديم، وأسفار التلمود والعهد الجديد، ثم

^١ - سورة البقرة، الآية ١١١.

^٢ - سورة يوسف، الآية ٣٩.

^٣ - سورة الحجر، الآية ٩.

أعمال الرسل والرسائل؛ لأن تاريخ اليهود والمسيحيين جزء من ديانتهم، لا سيما أن يهود يعتبرون تاريخهم مقدساً.

ثانياً: عرض بعض النصوص من الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد، وخاصة في كشف الانحرافات الخطيرة عن التوحيد في الربوبية والألوهية، وجنوحهم إلى الوثنية، والهدف من وراء ذلك هو إدانتهم، وبيان الخلل في عقائدهم وعبادتهم وبعض طقوسهم، معتمداً مصادرهم ومراجعهم التي يركنون إليها، هذا وقد نقلت نصوصهم مع تعليق توضيحي بسيط؛ وذلك لما تقتضيه أمانة البحث العلمي المجرد.

ثالثاً: استخدام منهج النقد المقارن إلى جانب استخدام المنهج التاريخي الوصفي، حيث يتناول الكتاب اليهود والنصارى والإسلام واصفاً التوحيد بنوعيه والدعوة والتبشير، ومواقف الرسالات السماوية من بعضها البعض، مع التنويه بوجود الحوار البناء الهادف المجرد من الأهواء الشخصية والترعات الإقليمية.

ولقد تألف الكتاب من المقدمة والتمهيد ثم ستة فصول وخاتمة، وسي كما يلي:

المقدمة: نوّهت المقدمة عن إشكاليات البحث ومنهجيته.

التمهيد: وتضمن معرفة الله تعالى بمراتبها: البديهية، المكتسبة، والموهبة ثم طرق اكتسابها. مع التعريف بالمصطلحات الهامة التالية: أهل الكتاب — المشركون — الملحدون — الفاسقون — الكافرون وأصنافهم؛ بغية اتخاذها قنطرة عبور إلى عقيدة أهل الكتاب "اليهود والنصارى".

الفصل الأول: اليهودية: النشأة والتكوين وفيه ثلاثة مباحث. ابتدأ بالتعريف بمعنى اليهودية وتحديد من هو اليهودي، ومن ثم توضيح الفرق بين عبراني وإسرائيلي، واتصال اليهودية بالوثنية وأصل التحريف الذي لحق مصادر الفكر الديني "العهد القديم، التلمود، والأسفار". كما وتناول هذا الفصل عموم طوائف جمهور اليهود وفرقهم القديمة والحديثة؛ من أجل التعرف على نشأتهم وبمقدار ما يُنبئ عن مكنون التدين لديهم.

الفصل الثاني: أضواء على معتقدات يهودية وفيه أربعة مباحث. تتبّع هذا الفصل بعض المطالب في الإيمان اليهودي قبل التحريف وبعده، لا سيما تعدد الآلهة والتجسيد والتشبيه والهيكل ومكوناته، ثم الكهنة والقرايين

ومكانتهم المقدسة في العقيدة اليهودية، كما تناول أيضاً اليهودية التبشيرية من خلال الكتاب المقدس "العهد القديم". ويّين مظاهر العقيدة اليهودية من خلال نماذج من أعيادهم خاصة الدينية منها والقومية، كما وأبرز العلاقة بين اليهودية والصهيونية والتزاوج العقدي بينهما، فهما تمثلان عملة واحدة ذات وجهين.

الفصل الثالث: النصرانية: النشأة والتكوين وفيه ثلاثة مباحث. ويشير إلى تعريف النصرانية لغةً واصطلاحاً ومفهوم التنصير، ومن ثم أصل وتطور التحريف الذي لحق بالنصرانية، بالإضافة إلى الاتصال المباشر بين المسيحية والوثنية. وبسط القول في العهد الجديد بأسفاره التاريخية والتعليمية؛ لأنها تعكس الفكر المسيحي. وعرّج بعد ذلك على بعض الفرق والطوائف المسيحية القديمة المعاصرة، حيث لعبت دوراً هاماً في الكشف عن نشأة النصرانية ومن ثمّ المسيحية، وأبرزت مظاهر الخلافات حول تأليه عيسى عليه السلام، وما نجم عن ذلك من انحرافات عقدية خطيرة، أدت إلى التعصب والتقليد الوراثي.

الفصل الرابع: أضواء على معتقدات النصارى وفيه أربعة مباحث. إذ تناول الإيمان المسيحي أو النصراني وبعض القضايا العقائدية عندهم مثل: الألوهية والتثليث، الصلب وتقديس الصليب، التعميد، العشاء الرباني، والاستحالة. ثم عرض بعض الطقوس الدينية المتمثلة بالأعياد المسيحية، و الجذور الفكرية التبشيرية مع توضيح موجز لوسائلها وإمكاناتها. ويشير أيضاً إلى رسالة النصرانية الحديثة "السيندوس" كما ويبرز المقصود من وراء طرحها، مع التركيز على الحوار الإسلامي المسيحي.

الفصل الخامس: المشترك من العقائد بين اليهود والنصارى. وتضمّن مفهوم الإيمان والتوحيد عند أهل الكتاب "اليهود والنصارى"، وموقفهم من البعث والجزاء ونظرهم للآخرة، مع شيء من التوضيح للأحوال الشخصية: كالزواج، الطلاق، والإرث، ومن ثمّ التعرّيج على بعض العبادات ومفهوم رجال الدين لديهم، خاصة بما يتعلق بالجانب الإيماني العقدي، للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينهم.

الفصل السادس: موقف الإسلام من اليهودية والمسيحية. لقد بين هذا الفصل مجال العقيدة الإسلامية مع الشرح التوضيحي لمعاني التوحيد بنوعيه، ومن ثمّ التعرض لمظاهر الإيمان بالله تعالى، كما وبحث في مظاهر الإيمان باليوم الآخر والثواب والعقاب، مع لفت الأنظار إلى مجال مفهوم علماء الدين في

الإسلام وعبادتي الصلاة والصوم، ثم تناول المعاني الإسلامية في الأحوال الشخصية الخاصة بالزواج والطلاق والميراث باختصار شديد؛ لتكون معالم لدراسة مقارنة بين العقيدة الإسلامية من جهة وبين معتقدات أهل الكتاب من جهة أخرى. وكانت خاتمة المطاف في هذا الفصل هي إبراز المفاهيم العامة للحوار الديني المعاصر.

أما الخاتمة فقد كانت عرضاً موجزاً لأهم الأفكار التي استنتجها المؤلف من هذا الكتاب. مع شيء من التوضيح المباشر لمجموعة من الفهارس والتي جاءت مرتبة حسب الحروف الهجائية.

وفي مسك الختام لهذه المقدمة لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى أولاً، الذي خلق فسوّى، وقدرّ فهدى. ثم يطيب لي ثانياً: أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للأستاذ الدكتور / علي دحروج أستاذ علوم القرآن الكريم في كلية الإمام الأوزاعي، حيث تكرّم بالإشراف على هذه الرسالة، ثم أرشدني بحكم خبرته الواسعة ودرايته العميقة إلى أمور وقضايا هامة، فكان له أطيب الأثر على رسالتي هذه من أجل إظهار الحق والحقيقة، لاسيما ونحن في زمان تكاد تغيب فيه شمس الحقيقة. كما وأتقدم بالشكر والثناء لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / كامل موسى أستاذ الفقه الإسلامي في كلية الإمام الأوزاعي، على توجيهاته القيمة وآرائه النيرة في اختياري لهذا الموضوع الشيق. هذا ويسعدني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور / أسعد السحمراني أستاذ العقيدة في كلية الإمام الأوزاعي الإسلامية، وأستاذ الفلسفة في جامعة بيروت العربية، على إرشاداته الدقيقة وتوجيهاته العميقة. مما أضفى على رسالتي هذه روح البحث العلمي، وشمولية التقصي المعرفي. ولا يفوتني أن أشكر الأساتذة والعلماء الأجلاء والعاملين جميعاً في كلية الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأدعوه تعالى أن يجزل لهم المثوبة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والله ولي التوفيق.

خالد رحال محمد الصلاح

التمهيد

معرفة الله تعالى وطرق اكتسابها

تعريف بالمصطلحات التالية :

— أهل الكتاب

— المشركون

— الملحدون

— الفاسقون

— الكافرون وأصنافهم :

١— الكافرون الضالون .

٢— الكافرون الجاحدون .

٣— الكافرون المعاندون .

٤— الكافرون المنافقون .

التمهيد معرفة الله تعالى وطرق اكتسابها

كان الإنسان البدائي يواصل التفكير في الخالق، ويتصوره مصدراً رئيساً للقوة والخلق. يهيمن على كل شيء وسيطر على أركان الكون الشاسع. ثم تباينت صورة هذا الخالق في أذهان البشر حتى آمن البعض في فكرة الربّ الواحد. وعلى العموم فإنّ الأفكار البدائية التي ابتدعتها الإنسان البدائي خلال مراحل تفكيره في الخلق والخالق، تهدف كلها لمحاولة الوصول إلى معرفة الله تعالى الخالق العظيم.

علماً بأنّ الاتساق البادي في الكون يدلّ دلالة باهرة على الله. وكلما اتسع نطاق العلم الحقيقي، ازدادت البراهين الدامغة القويّة على وجود الخالق الأزلي الذي لا حدّ لقدرته. لذا فقد ظهرت عقائد إنسانيّة كثيرة، أخذت مكانها في أفكار شعوب عديدة، تحاول أحياناً بجِدٍّ ونشاط للبحث عن الله ومعرفة. لكنّ الغالبية العظمى من الناس ضلّت الطريق فتأهت، وبقيت في حيرة من أمرها. تعيش في خواء روحيّ وشبه ضياع. فكان من فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أن أرسل إليهم الرُّسل؛ لكي يعرفوهم طرق الخير، ويحذروهم دروب الشرّ. فجبروا قصور العقل البشري فيما يتّصل بوجود الله تعالى وأسمائه وصفاته، ووحدانيته وصور عبادته وشرائعه التي تحقق صلاح الفرد والجماعة، فبلّغوا رسالات الله إلى العباد. ويشير القرآن الكريم إلى هذه المعاني، فيقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^١.

وفي مجال معرفة الله تعالى وتوحيده، يقول الخوارزمي: "إن أول ما يجب على المكلف: هو القصد إلى النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه خالق الأعيان وموجد الخلائق... فالتوحيد أن يعتقد العبد أن كل ما يُتقدّر في الوهم

^١ - سورة النساء، الآية ١٦٥.

ويُتصور في الخاطر، فالله بخلاف ذلك وخالق ذلك. وأن الله تعالى غير مُشَبَّه بالذوات، وذاته غير معطلة عن الصفات"^١. وعلى ضوء ذلك فإن من يزعم أن معرفة الله مستحيلة و غير معقولة، فقلوه الحاد؛ لأنه يخالف فطرة الله تعالى ورسالات الرسل. قال تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ يَمَّا أَتَاهُ إِلَهُهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ لَّا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^٢.

فإن الرسول محمد (ﷺ) صدّق بكل ما جاء به الوحي من عند ربه. والمؤمنون أيضاً يصدّقون بما أنزل إليهم من الله تعالى. ومن ضمن ذلك الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، فلا يكفرون بأحد منهم بل لا يفرقون بينهم كما فرقت اليهود والنصارى. وتناول الحديث الشريف توحيد الله تعالى وإفراده بالطاعة والعبادة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)^٣.

ويقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَثَوَاكُكُمْ﴾.

قال القرطبي: "وإن كان الرسول عالماً [فإن هذا العلم يحتمل] ثلاثة أوجه: الأول: يعني فاذا ذكر أن لا إله إلا الله [على سبيل الذكر فحسب]. الثاني: ما علمته استدلالاً، فاعلمه خبر يقين.

^١ - محمد بن أبي بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، مراجعة وتحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٢٠-٢٢.

^٢ - سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

^٣ - عبدالعظيم عبد القوي المنذري: مختصر صحيح مسلم، تحقيق مصطفى ديب البغا، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، باب في آيات النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به، رقم الحديث "٢٠"، ط ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ١٩.

^٤ - سورة محمد، الآية ١٩.

الثالث: يعني فاذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه^١. ويقول تعالى: ﴿وَكَلِّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَكِّرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لله وحده" الصفات العليا [مثل] العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك، فاقرؤوا بها [واتركوا] الذين يجحدون بأسمائه وصفاته، ويقال [أيضاً]: يلحدون في أسمائه: أي يُشبِّهون بأسمائه اللات والعُزَّى ومناة، لذا سيجزون في الآخرة بما كانوا يقولون في الدنيا من الشر"^٣.

وخلاصة الأمر إن معرفة الله تعالى وتوحيده تقع في ثلاث مراتب هي:

١— بديهية.

٢— مكتسبة.

٣— موهبية.

١— المرتبة البديهية: وتعني معرفة وجود الله سبحانه وتعالى على سبيل الإجمال، وبها يخرج الإنسان عن كونه جاحداً.

٢— المرتبة المكتسبة: "وتقع في أربعة أوجه هي:

الأول: معرفة ذات الله تعالى ومن هو. وبها يخرج الإنسان من كونه مُعطلاً.

الثاني: معرفة وحدانيته، وبها يخرج الإنسان من كونه مشركاً.

الثالث: معرفة أوصافه المترّمة ومباينته لكل ما عداه، وبها يخرج الإنسان من كونه مشبهاً.

^١ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي "توفي سنة ٦٧١هـ وقيل ٨٦٨هـ": الجامع لأحكام القرآن، راجعه محمد صدقي جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. مج ٨، ج ١٥، ص ٢٢١.

^٢ - سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

^٣ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي "المتوفى سنة ٨١٧هـ": تنوير المقياس في تفسير ابن عباس، دار الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٧٤.

الرابع: معرفة أوصافه الممجّدة، وبها يخرج الإنسان عن كونه ملحدًا^١ فالتوحيد ينبغي أن يكون أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الحياة الدنيا. ودليل ذلك ما ورد في الحديث الشريف. عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله (ﷺ): (لَقَنُوا موتاكم لا إله إلا الله) وروى ابن أبي الدنيا عن حذيفة بلفظ (لَقَنُوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنها تقدم ما قبلها من الخطايا)^٢. ويشترط أن يكون خالصاً بها قلب قائلها، وعاملاً أصلاً بمقتضاها من التوحيد، ويشير الله تعالى إلى هذه المفاهيم والمعاني، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا كَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَمُوا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾^٣. قال الماوردي في تفسيره: "نسوا يعني تركوا، والذي ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر"^٤.

ويستنبط من صريح الآيتين الكريمتين، أن الله تعالى وعد بنجاة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأما الظالمون الذين تركوا هذا الواجب. فيهددهم الله تعالى بالعذاب المقترن بالبؤس والمسوخ جزاءً وفاقاً؛ لأنهم عصوا أمر ربهم وتمردوا على نهيهِ، واقتروا المعصية الخاصة بهم وهي صيد الحوت في يوم السبت وقد نُهوا عن ذلك.

٣- مرتبة الموهبية: ويقصد بالموهبة معرفة الله عزّ وجلّ عن طريق الهداية المشار إليها في قوله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله محمداً (ﷺ):

١ - حسين بن محمد بن المفضل "أبو القاسم" المشهور بالراغب الأصفهاني "المتوفى ٥٠٢هـ": الاعتقادات، تحقيق شمران العجلي، دار الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٧٤.

٢ - محمد بن اسماعيل الصنعاني "المتوفى سنة ١١٨٢هـ": سبل السلام، تحقيق عصام الصبّاغي، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٦٥.

٣ - سورة الأعراف، الآيتان ١٦٥-١٦٦.

٤ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي "٣٦٤-٤٥٠هـ": التكتّ والعيون "تفسير الماوردي"، راجعه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مج ٢، ج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۚ وَلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ ﴾

ومن الناس الذين حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب وصاروا من أهل النار ما نوّه إليه التفسير الواضح، فهم: " قوم يستمعون بآذانهم حتى إذا خرجوا من عندك. قالوا للذين أوتوا العلم والفهم الصحيح: ماذا قال آنفًا؟ ماذا قال في تلك الساعة القريبة؟ لم يقل شيئاً يُعْتَدُّ به. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل. ويقابل هؤلاء: الذين اهتدوا إلى طريق الحق وزادهم الله عزّ وجلّ هدىً بالتوفيق والإلهام والعمل الصالح وآتاهم تقواهم، بأن خلق فيهم قدرةً على التقوى وفعل الطاعة وجزاهم على ذلك [لأنّ الجزاء من جنس العمل]"^٢.

وبما أن موضوع البحث يدور حول عقيدة أهل الكتاب "اليهود والنصارى" وموقف الإسلام منها، فلا بأس من توضيح بعض المصطلحات القرآنية ذات العلاقة الوطيدة بمراتب معرفة الله تعالى وتوحيده.

مصطلحات قرآنية:

١- أهل الكتاب. ٣- الملحدون.

٢- المشركون. ٤- الفاسقون.

٥- الكافرون وأصنافهم:

أ- الكافرون الضالون .

ب- الكافرون الجاحدون .

ج- الكافرون المعاندون .

د- الكافرون المنافقون .

^١ - سورة محمد، الآيات ١٦-١٧.

^٢ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، الرقازيق، لا. ت. ، مج ٣، ج ١، ص ٢٨.

١- أهل الكتاب: "المراد [بهم] اليهود والنصارى أو هم علماءهم وأحبارهم، وقيل المراد في ذلك أهل العلم بأخبار الماضين".^١ وجاء وصفهم بالقرآن الكريم بأنهم أهل غلو^٢ وتنطع، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلَوْا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^٣. إن الغلو الذي وقع فيه أهل الكتاب، يتمثل في نظرهم إلى عيسى عليه السلام، إذ أنهم تجاوزوا الحد في الإفراط، فاعتبروه تارة ابن الله وتارة أخرى ثالث ثلاثة، وأخرجوه عن بشريته. وينتقد الإمام البيضاوي الغلو، سواء بالتفريط أو الإفراط الذي وقع به اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام وأمه أيضاً. فيقول: "أما غلو اليهود: [فإنه يظهر في اتهامهم له ولأمه] حتى نسبوه إلى غير رُشدة. وأما غلو النصارى: [فقد تجاوزوا الحد في حقه حيث] جعلوه إلههم، وكلا الغلوين مذموم. ويستمر السياق القرآني مخاطباً أهل الكتاب ألا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا قبل مبعث محمد (ﷺ) في شريعتهم، وأضلوا من شائعهم على بدعهم وضلالهم، وضلوا عن قصد السبيل وهو الإسلام بعد مبعثه (ﷺ) لما كذبوه وبغوا عليه. وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل. والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع، لذا لعنهم الله في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى، وذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم على ما حرم الله عليهم".^٤ ومن الأمثلة على ضلال يهود هو اتهامهم للرب بأنه يقع في الخطأ ويندم. كما ورد في نص كتابهم المقدس "العهد القديم" إذ يقول: "وَبَسَطَ الْمَلَأُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُدْمَرَهَا. فَندِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلَأِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: كَفَى، فَكُفَّ

١ - عبد الرحمن تاج وآخرون: المعجم الكبير، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٥٨٣.

٢ - سورة المائدة، الآيات ٧٧-٧٨.

٣ - عبد الله بن عمر البيضاوي وآخرون: كتاب مجموعة من التفاسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا.ت، مج ٢، ص ٣٢٦-٣٢٧.

الآن يَدَك"¹. هذا المفهوم الخاطئ لدى يهود عن الرب، يوحى بعمق الضلال الذي تسلل إلى أعماق قلوبهم، فهم يتصورون الله بأنه يندم على فعل الشر وكأنه واحد منهم. وهو في واقع الأمر ليس كمثله شيء وهو السميع لعباده البصير بهم.

٢- المشركون: الشُّركُ لغةً: بمعنى الكفر فقد أشرك بالله فهو مشرك، وتجمع أيضاً على أشراك، وتأتي من "شَرَكَ شَرَاكَ وَتَشَارَكَا: وقعت بينهما شَرَكَةٌ، وَأَشْرَكَهُ في أمره: جعله شريكاً له فيه، وبالله: جعله له شريكاً فهو مُشْرِكٌ ومُشْرِكِيٌّ والجمع شركاء وأشراك، ويُقالُ الله لا شريك له: أي لا يُشَارِكُ في مُلكه، ولا في ذاته ولا في صفاته"². فالشرك بالله يعد من أكبر الكبائر ويَبين ذلك الإمام الذهبي قائلاً: "فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان: أحدهما: أن يجعل [المراء] لله ندّاً. فيعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو ملك أو غير ذلك"³. فهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صُلًكًا بَعِيدًا﴾. قال ابن جرير: "هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي الحجة لأهل السنة. وذلك أن مذهب أهل السنة بأن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم. وأن الكافر إذا تاب من كفره: غُفِرَ له بإجماع. وأما إن مات على كفره لم يغفر له وخُلِدَ في النار بإجماع"⁴. ويستنتج من هذا أن لفظة المشركين مصطلح قرآني أطلق على العرب قبل

¹ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، دار المشرق، بيروت، ط ١٩٩٧، م ٤، ص ٦١٨، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٢٤: ١٦.

² - انظر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر، القاهرة، دار الكتب المصرية، لا. ت، ص ٣٣٦. وانظر، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ١٩٧٣، م ٢١، ص ٣٨٤.

³ - شمس الدين الذهبي: كتاب الكبائر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

⁴ - سورة النساء، الآية ١١٦.

⁵ - محمد بن أحمد بن جرير الكلي: التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ج ١، ١٤٤ - ١٤٥.

الإسلام؛ لأنهم اعترفوا بوجود الله تعالى ولكنهم أشركوا به آلهة أخرى من الأصنام والأوثان. ويعلمون عبادتهم للأصنام والأوثان بأنها تقرهم إلى الله زُلفى. وبيَّنتُ الله تعالى تعليلهم الفاسد، بقوله سبحانه ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُرْقًا إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^١.

فالآية الكريمة تلفت الأنظار إلى أن الدين الخالص الذي لا تشوبه شائبة من الشرك، هو ما ينبغي أن يُعبَدَ الله تعالى فيه.

ويصوّر الإمام البغوي موقف المشركين الخاطئ من التوحيد، فيقول: "وذلك أنهم إذا قيل لهم: من ربكم؟ ومن خلقكم؟ ومن خلق السموات والأرض؟ قالوا الله. فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي قُربى، وهو اسم أُقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله"^٢. لقد كذب الذين يزعمون أن الآلهة المتعددة تشفع لأتباعها يوم القيامة. ويؤكد بطلان هذا الزعم ما ورد في الحديث القدسي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)^٣.

فكل عمل فيه شرك بالله تعالى. باطل يَأْثُمُ فاعله.

٣ — الملحدون: مفردها مُلْحِدٌ وتعني لغةً "ألحد في دين الله: أي حاد عنه وعدل. والإلحاد هو رفض جميع الحجج التي يستند إليها المفكرون في التدليل على وجود الله"^٤. فهو إذاً مصطلح يدل على من أنكر وجود الله

١ - سورة الزمر، الآية ٣.

٢ - حسين بن مسعود البغوي "المتوفى سنة ٥١٦هـ": معالم التنزيل، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط ٣، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، مج ٧، ص ١٠٧-١٠٨.

٣ - عبد العظيم عبد القوي المنذري: مختصر صحيح مسلم، م.س، ص ٦٢٧.

٤ - محمد الجوهرى: الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد نديم وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١٩٧٥م، ص ١٠٤١.

أصلاً، ثم نسب الخلق والتقدير إلى الطبيعة والدهر. ويبيّن الله سبحانه وتعالى حالهم، فيقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَحَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَمَا يَلْهِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^١.

وأما ابن كثير فيذكر ما ذهب إليه الملحدون في ضوء الآية السابقة، فيقول: "هذا [الزعم الكاذب] يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقولهُ الفلاسفة الإلهيون منهم. وهم ينكرون البداءة والرجعة^٢. وتقولهُ [أيضاً] الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع. المعتقدون أن كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا العقول وكذبوا المنقول"^٣. فهذه الطائفة [الدهرية] جمعت بين إنكارها لله سبحانه وتعالى وبين جحودها البعث والقيامة. وليس لهم مستند من عقل أو نقل وبدون حجة ولا بينة. فهم قوم يتوهمون ويتخيلون ويتكلمون بالظن من غير يقين، فيهددهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ بَاتِيَ آمَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٤. ويذكر محمد أحمد كنعان أن ابن عباس يعرف الإلحاد، فيقول: "الإلحاد هو وضع الكلام على غير موضعه. وقال قتادة وغيره: الإلحاد هو الكفر والعناد. وأما قوله عز وجل: ﴿لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ فيه تهديد شديد ووعد أكيد؛ لأن الله تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزى على ذلك بالعقوبة والنكال"^٥. أما الإلحاد: فهو ضربان. أحدهما: إلحاد في مقتضى الفطرة وما ترمي إليه: وهو

^١ - سورة الجاثية، الآية ٢٤.

^٢ - البداءة والرجعة: البدء هو أول كل شيء، والرجعة هي الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت. وهو مصطلح يدل على من أنكر وجود الله تعالى ثم نسب لخلق والتقدير إلى الطبيعة والدهر. أنظر. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، م.س، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

^٣ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي "المتوفى سنة ٧٧٤ هـ": تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط ١٤١٠، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م، مج ٤، ص ١٥٩.

^٤ - سورة فصلت، الآية ٤٠.

^٥ - محمد أحمد كنعان: فتح القدير "تهذيب تفسير ابن كثير"، دار لبنان، بيروت، ط ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م، ج ٥، ص ٣٤٤.

الانحراف عن فطرة الله تعالى، وجحود الربوبية وإنكار صنائعه وذلك أعظم الكفر. ومن أدلة ذلك ما وقع به بنو إسرائيل من سلوك تجاه الرب، حيث قاموا بانتقاء آلهة مُدعاة، وزعموا أنهم يعملون سرّاً ضد الرب إلههم، مما أدى إلى خراب مملكة إسرائيل وحسبما جاء في العهد القديم :

"وَكَانَ ذَلِكَ لَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ خَطَّوْا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهم الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَسَارُوا بِحَسَبِ مُعَارَسَاتِ الْأُمَمِ الَّتِي طَرَدَهَا الرَّبُّ مِنْ وَجْهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَا صَنَعَهُ مُلُوكُ إِسْرَائِيلَ. وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْخَفَاءِ أُمُوراً غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ فِي حَقِّ الرَّبِّ إِلَهُهم"^١.

فالإلحاد يجري في عروق بني إسرائيل بدلالة تعددهم للآلهة، وتنكّرهم للرب الذي خلّصهم من الذل الذي مارسه فرعون مصر عليهم آنذاك، وأنهم طمسوا فطرة التوحيد التي فطرهم الله تعالى عليها، واستبدلوها بعبادة أوثان الأمم المعاصرة لهم حينذاك.

الثاني : إلحاد في أسماء الله وصفاته، وصرف معانيه إلى غير وجهها مما يقتضي تشبيهاً وأمراً منكراً . ويقول الراغب الأصفهاني: "[هذا النوع من الإلحاد الذي] إياه قصد الله تعالى "^٢. بقوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٣.

ويوضّح الخازن سبب نزول الآية الكريمة السابقة. بأنها ليست كما يتوهم بعض مشركي مكة، فيقول: "إن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن. فقال بعض مشركي مكة: إنَّ محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون ربّاً واحداً. فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية. والحسن تأنيث الحسن. وأن أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٧٠٥ — ٧٠٦، سفر الملوك الثاني، الإصحاح

١٧ : ٧، ٨، ٩.

^٢ - الراغب الأصفهاني: الاعتقادات، م.س، ص ٣٠٧.

^٣ - سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

بحسن. والمعنى أن الأسماء الحسنى ليس إلا لله؛ لأن هذا اللفظ يفيد الحصر، فادعوا الله بأسمائه التي سَمَّى بها نفسه أو سَمَّاهُ بها رسوله. وهذا فيه دليل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية^١.

قال المحققون: الإلحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجوه منها: إطلاق أسماء الله عز وجل على غيره أو تسميته بما لم يُسمَّ به نفسه، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة. وهذا ما وقع فيه أهل الكتاب. إذ يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ أَلَمْ يَكُنْ أَنْبِيَاؤُكُمْ كَذِبًا أُولَئِكَ يُشْرِكُونَ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وسبب نزول الآيتين الكريميتين هو ما تفوّقه به زعماء يهود من ألفاظ الشرك، حيث ورد في تفسير الإمام الطبري عن ابن عباس قال: "أتى رسول الله (ﷺ)، سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله. فأنزل الله في ذلك من قولهم... الآية"^٢.

٤- الفاسقون: مفردها فاسق ومعناها في اللغة: "فسقَ الرجلُ يَفْسُقُ وَيَفْسُقُ، يقال فسق عن أمر ربه، أي خرج"^٣. وهم من يرتكبون المعاصي، ويتهكّون محارم الدين مع الإقرار بوجوب ترك المعاصي. ولذلك قيل: "الفاسق من كان رأيه في شريعته التي يتدين بها رأي الفضلاء، وأفعاله أفعال الجهال"^٤. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا أَرْؤُسَهُمْ

^١ - علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن "المتوفى سنة ٧٢٥هـ": تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٦.

^٢ - سورة التوبة، الآية ٣٠-٣١.

^٣ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٠، ١٩٨٠م، مج ٦، ص ٧٨.

^٤ - محمد الجوهري: المعجم الوسيط، م. س، ص ٨٦٠.

^٥ - الراغب الأصفهاني: الاعتقادات، م. س، ص ٣٠٩.

وَمَا أَنَّهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^١.

روى الزمخشري في تفسيره مبيناً أن الفسق حالة أخرى من النفاق. فيقول: "فلما بان كذب عبد الله [عبد الله بن أبي بن سلول] زعيم المنافقين، قيل له: قد نزلت فيك آي شداذ، فاذهب إلى رسول الله (ﷺ) يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتوموني أن أومن فأمنت، وأمرتوموني أن أركي فركيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد. فترت الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات"^٢. ثم بين الله تعالى عدم فائدة الاستغفار لمثل هذا الصنف من الناس؛ لأنهم مردوا على النفاق بسبب فسقهم وخروجهم على طاعة الله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

من الملاحظ أن بني إسرائيل قد مارسوا التمرد والفسق، بل وافتروا على الله تعالى بأن جعلوا من موسى عليه السلام إلهاً. فورد في سفر الخروج ما يثبت ذلك: "فقال الرب لموسى أنظر! قد جعلتك إلهاً لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك. أنت تتكلم بكل ما أمرك به. وهارون أخوك يخاطب فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه... ففعل موسى وهارون كما أمرهما الرب"^٣.

٥ — الكافرون وأصنافهم: الكفر ضد الإيمان، وهو جحود النعمة وضد الشكر أيضاً، والكفر: "بالفتح تعني التغطية والقرية، والكافر: الليل المظلم وتعني الزارع. {والمقصود بالكافر في هذا الموضع هو}: كَفَرَ الرجلُ كُفْرًا وكُفْرَانًا: فقد إيمانه، ويُقال: كفر بالله، وكَفَرَ عن يمينه: أَدَّى الكفارة، والكافر

^١ - سورة المنافقون ، الآيتان ٥ - ٦ .

^٢ - محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي "٤٦٧ - ٥٣٨هـ": الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا، ت، ج ٤، ص ١١٠.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم" ، م، ص، ١٦٢ - ١٦٣، سفر الخروج، الإصحاح ٧: ١ ، ٦، ٢.

هو من لا يؤمن بالله، ويقال كَفَرَ نعمة الله، وكفر بنعمة الله، والجمع كُفَّارٌ وَكَفَرَةٌ^١.

ويقول الله تعالى في وصفه لحال كُفَّار النعمة: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَبِكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢.

فالكفر إذاً ضد الإيمان، "وكَفَرَ نعمة الله وبها: أي جحدتها وسترها، وكافره حقاً بمعنى جحدته، وكافرٌ: جاحدٌ لأنعم الله"^٣. وأما ابن جزيّ فيقول: "الكافر له معنيان:

١- الكفر والجحود.

٢- الزَّارِع: ومنه أعجب الكُفَّار نباته، أي الزارعون، وتكفير الذنوب: غفرائها"^٤. والكفر في كتاب الله تعالى يشتمل على معنيين: "أحدهما: كفر جحود وإنكار وتعطيل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَمَحْيَا وَمَا إِلَهُكُمُ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ، وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَشْيَاءُ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٥. فهو لاء الدهريون المعطلون الذين ذهبت بهم مبالغتهم في التزيه لذات الله عن الصفات، إلى حد تجريدتها مما هو ضروري كي تكون فاعلة ومؤثرة وموجودة. وهذا ضرب من عدم فهم معنى التوحيد الصحيح.

الثاني: كفر النعمة: ومن الأمثلة على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^٦.

ويقول الحسن البصري: "فالكافر في الأصل هو كل من ارتكب معاصي الله وخالف أمره وضادَّ حكمه، فهو كافر لأنعم الله ومعاند لله، وتجب البراءة

١ - محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، م، س، ص ٥٧٣ - ٥٧٤. وانظر، إبراهيم مذكور: المعجم الوجيز، المطابع الأميرية، القاهرة، ط ١، لا، ت، ص ٥٢٦.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٠١.

٣ - أحمد قيس: المعجم الفصيل، مطابع الجهاد، دمشق، ط ١، ١٩٨٥ م. ص ٢٥٦.

٤ - محمد بن أحمد بن جزيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، م، س، ص ٢٦.

٥ - سورة الجاثية، الآية ٢٤ - ٢٥.

٦ - سورة إبراهيم، الآية ٧.

منه والمعاداة له"^١. وبالرغم من ذلك فإن الإسلام لا يُكرهُ أحداً على اعتناقه أو الدخول فيه. ولقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٢.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير لهذه الآية الكريمة: "يقول تعالى: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام. فإنه بين واضح، جليّ دلائله وبراهينه. لا يحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه"^٣.

وتنقسم أصول المكفرات إلى ثلاثة أقسام:

الأصل الأول: المكفرات الاعتقادية.

الأصل الثاني: المكفرات القولية.

الأصل الثالث: المكفرات العملية.

أ - المكفرات الاعتقادية: هي كل عقيدة تخل بركن من أركان الإيمان. أو تخالف أي معتقد من المعتقدات الإسلامية القاطعة الثابتة بيقين. وهي على أقسام:

١- أمور تتصل بالرّب الخالق عزّ وجلّ: مثل إنكار الخالق سبحانه، أو إنكار صفات الكمال فيه، أو وصفه بما هو متزّه عنه سبحانه: كوصفه بأنه ثالث ثلاثة، أو أنه جسد من الأجساد أو يحل فيها، أو أنه غير عادل في أحكامه، أو في قضائه وقدره. ويعدّد عبد الرحمن حسن حبنكة أصنافاً من كفّار الاعتقاد، فيقول: "ويدخل في المنكرين للحقائق التي تتصل بهذه الأمور، أصناف من الناس وفَرَقَ كثيرة منهم: الملحدون، الزنادقة، الوثنيون، وأصحاب الملل التي تعدد الله أو تجسّدُهُ، أو تجعل مع الله شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته"^٤.

^١ - الحسن البصري وآخرون: رسائل العدل والتوحيد، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار الشرق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨/١٩٨٨م، ج٢، ص٩٣.

^٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

^٣ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م.س، ص٢٩٩.

^٤ - عبدالرحمن حسن حبنكة: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٦٠٧.

ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^١.

إن من النصارى من يقولون إن الله ثالث ثلاثة افتراء عليه سبحانه وتعالى. لذا يقول الإمام الخازن فإنهم يريدون بهذه المقالة: "أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، وأن كل واحد منهم إله، فقوله ثالث ثلاثة: فيه إضمار تقديره إن الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة. ويقولون: إنه جوهر واحد في ثلاثة أقانيم^٢: أب، ابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد"^٣. وأما النصارى الذين يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة فقولهم باطل أصلاً؛ لأمر عقلي بسيط وهو إن الثلاثة لا يمكن أن تكون واحداً كما أنه يستحيل أن يكون الواحد ثلاثة، لذا فقد بين الله تعالى أمرهم صراحة بالكفر البواح، بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

٢- أمور تتصل بالنبوات: مثل إنكار الأنبياء والرسل عليهم السلام أو تكذيبهم فيما ينقلون عن الله تعالى، أو إنكار أي نبي منهم ممن ثبتت نبوته بدليل قاطع، أو إنكار عموم رسالة سيدنا محمد (ﷺ)، أو إنكار أنه خاتم النبيين والمرسلين وأنه لا نبي بعده. ويدخل في المنكرين للحقائق الاعتقادية التي تتصل بأمر النبوات: اليهود الذين ينكرون نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى الذين ينكرون نبوة محمد (ﷺ) أو عموم رسالته للناس جميعاً.

^١ - سورة المائدة، الآية ٧٣.

^٢ - أقانيم: مفردا أقنوم وفي "اللاهوت المسيحي" أحد الأقانيم الثلاثة: وهي الآب والابن والروح القدس. وعند أفلاطون هو أحد مبادئ العالم الثلاثة الأولى وهي الواحد، العقل، والنفس الكلية. انظر. اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة، بمعنى والعلوم، م.س، ص ٢٨-٢٩. والأقنوم بمعنى الشخص أو العنصر أو الجوهر أو الجزء.

^٣ - علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، م.س، ج ٢، ص ٦٦.

٣- أمور تتصل بالسمعيات المتعلقة بالأخبار عن بعض أمور الغيب الثابتة بدليل قاطع : مثل إنكار الملائكة أو الجن، وإنكار الكتب السماوية إجمالاً، أو إنكار القرآن ولو آية من آياته الكريمة، أو إنكار يوم القيامة والدار الآخرة، والبعث والجنة، والنار والحساب، وما إلى ذلك مما ثبت بدليل قاطع. ويدخل في المنكرين لبعض السمعيات الغيبية: بعض الفلاسفة وغيرهم ممن هم على شاكلتهم. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنَّهُ هُوَ أَتَى هَؤُلَاءَ فَنُفِثَ فِيهِمْ أَنفُسَهُمْ وَخُذِرُوا فَرَقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ فَظَاهَرُوا عَلَيْهِم بِآلِهِمُ وَالْعُدُوَّانَ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ فَتَأْذَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِيخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٠١ ﴾ [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ] سؤال استنكاري : إذ ينكر الله تعالى على اليهود إيمانهم بالتوراة وكفرهم بالإنجيل والقرآن، بالرغم من أنها جميعاً من مشكاة واحدة وتدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة. ويستعرض أبو حيان الأندلسي قوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾ في تفسيره، فيقول: "[تضمنت الآية] استفهام توبيخ، [أي تؤمنون] ببعض الكتاب الإلهي من التوراة وما أنزل على أنبيائكم وتكفرون ببعض من الكتاب الإلهي كالإنجيل والقرآن، وذلك كله حق متزل من عند الله تعالى ، فالتفريق بينها كفر وضلال".^١

٤- أمور تتصل بالأحكام الشرعية الثابتة بدليل قاطع، والمعلومة من الدين بالضرورة: مثل إنكار أركان الإسلام الخمسة كلها أو بعضها، أو إنكار تحريم الربا أو الزنا، أو عقوق الوالدين، أو أكل أموال الناس بالباطل أو القتل بغير الحق، ويدخل في المنكرين لبعض الأمور التي تتصل بالأحكام الشرعية: الإباحيون وأصحاب الأهواء، والشهوانيون الذين يبررون لأنفسهم فعل المحرمات، ويرشدنا الله تعالى إلى بعض صفات هؤلاء المستهزئين المارقين ، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ فَبِمَا مَنَعَهُمُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَسَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

^١ - سورة البقرة، الآية ٨٥.

^٢ - محمد بن يوسف بن علي المعروف بأبي حيان الأندلسي "٦٥٤ - ٧٤٥": تفسير النهر

الماد في البحر المحيط، تقديم وضبط بوران وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت، ط ١،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٠٣.

سَامِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ مَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُبَيِّعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُرَاقِبُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِذَا تَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝ ۱

فمن أبرز صفات هؤلاء المخالفين لعقيدة الإيمان والتوحيد، بأنهم إذا سمعوا النداء للصلاة — وهي من أهم شعائر الإسلام بعد التوحيد — قابلو ذلك بالسخرية والاستهزاء. وقد نهى الله تعالى عن موالاتهم أو الركون إليهم طالما أنهم أعداء للإسلام وأهله، ويقول ابن كثير: " ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى الذين هم أعداء للإسلام، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم هدد وتوعد من يتعاطى ذلك، أما الذين في قلوبهم شكٌ وريبٌ ونفاقٌ فيبادرون ويسرعون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ويتأولون ذلك بأنهم يخشون أن يقع أمرٌ من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي ليس اليهود بأوليائكم. بل ولا يتكلم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين، ثم ينفر الله تعالى من موالاته أعداء الإسلام وأهله من الكنايين والمشركين الذين يتخذون شرائع الإسلام هُزُوءًا ولعبةً" ۲. ويستفاد من أسلوب إنَّما المعنى اللغوي الراقي والذي يُفيد حصر المولاته وقصرها على الله تعالى وحده توحيداً وعبادةً، واتباعاً لسنة الرسول محمد (ﷺ) قولاً وعملاً ومنهاج حياة، ولزوم جماعة المؤمنين سلماً وحرباً.

١ - سورة المائدة، الآيات ٥٢ - ٥٨.

٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م. س، ج ٢ ص ٦٧ - ٧٠.

ويقول الإمام القشيري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أُولِيَاءَ﴾. ينبههم [ويقصد ينبه الله تعالى المؤمنين] على وجوب التحيز عنهم [يعني عن المستهزئين بالدين من أهل الكتاب والكفار] والتَّمَيُّز منهم، فإن المخالف بالعقيدة لا يكون موافقاً في الحقيقة^١. كما ويحذر الرسول (ﷺ) في الحديث الشريف أهل الشرك والكبائر من الذنوب والمعاصي؛ لأنهم يتجاوزون حدود محارم الله، فيكونون بذلك سبباً في هلاك أنفسهم، والأمر الذي يجمع بين أولئك المستهزئين وبين هؤلاء الهالكين هو فساد العقيدة والجزاء من جنس العمل.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) قال: (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)^٢. متفق عليه.

ب - المكفرات القولية: وهي كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفرة أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، أو فيه استهزاء بالدين من عقائده أو أحكامه ومن ذلك: السباب للخالق سبحانه أو السباب للرسول أو لأي واحد منهم، أو للكتب السماوية أو لواحد منها، أو للدين الرباني الحق ونحو ذلك. ومنها أيضاً: الاعتراض على عدل الله في قضائه وقدره واتهامه بالجور سبحانه وتعالى. أما الذي لا يؤخذ على أقواله - كغائب العقل والمكره - فلا يكفر بذلك والدليل الذي يستند إليه في هذا، قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٣.

^١ - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري "توفي سنة ٤٦٥هـ": لطائف الإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م، مج ١، ص ٤٣٤، بتصرف بسيط.

^٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني "٧٧٣-٨٥٢": فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، دمشق، كتاب الوصايا، باب "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً"، رقم الحديث "٢٧٦٦"، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٣١٠-٣١١.

^٣ - سورة النحل، الآية ١٠٦.

وسبب نزول هذه الآية الكريمة: أن قوماً دخلوا الإسلام ثم ارتدوا عنه، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر، ولكنه يعتقد الإيمان في قلبه، ومن بين هؤلاء عمار بن ياسر، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فعذرهم الله تعالى وهذا الحكم فيمن أكره في النطق بالكفر.

ويسقط ابن جزّي الكلي القول في حكم المكره على عمل الكفر أو فعله، فيقول: "وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف فيه، هل تجوز الإجابة فيه أم لا؟ فأجازه الجمهور ومنعه قوم. وكذلك قال الإمام مالك: لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله" ١.

ج — المكفّرات العملية: هي كل عمل من الأعمال التي لها دلالة واضحة وصريحة على عقيدة مكفّرة: مثل رمي القرآن الكريم أو تمزيقه وتقطيعه مع قرينة الإساءة إليه وإهانتة أو إلقائه في القاذورات مع العلم بحرمة ذلك. وأيضاً مثل السجود لصنم من الأصنام أو وثن من الأوثان، سواء أكان شجراً أو حجراً أو مالاً أو طاغوتاً من طواغيت الإنس أو الجن مع قرينة الاحترام أو التعظيم، ومثل تعليق الصليب على الصدر، ووضع كل ما هو من شارات الكفر الخاصة مع قرينة التكريم والاستحباب، ما لم يكن الأمر ناتجاً عن إكراه كما ورد آنفاً. بعد بسط القول في تعريف بعض المصطلحات وتبيان المكفّرات الاعتقادية والقولية والعملية. فإن البحث سيتناول بعد ذلك أصناف الكفار.

أصناف الكفار.

أ — الصنف الأول: الكافرون الضالون.

هم الذين ينكرون الله تعالى بألسنتهم لأنهم لا يعلمون وجوده في قلوبهم، ولا يعرفون ما يذكر لهم من التوحيد وأصول الدين، وأشار إليهم القرآن الكريم بوصف العمى، إما عمى القلب وإما أنهم يبصرون ولكنهم لم يروا الحق وهو الإسلام فيتبعوه؛ لذا يبقى هذا الكافر الضال حائراً في ظلمات

١ - محمد بن أحمد بن جزّي الكلي: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، م.س، ج ٢، ص ١٦٢ —

الجهل وغياب الضلال. وبذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَفَنِعْلَمُ أَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَنْهُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَدَّكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^١.
ويبين الإمام القرطبي مقارنة بين المؤمن الذي يستجيب لأوامر الله تعالى وتوحيده وبين الكافر الضال. فيقول: "يعقد الله تعالى مقارنة بين الذي يستجيب للقرآن وهو الحق الذي لا حق وراءه، وبين أعمى القلب الذي لا يشاهده ولا يقدر قدره، فيبقى حائراً في ظلمات الجهل وغياب الضلال، فأراد الله تعالى زيادة تقييح حال ذلك المتمرد فعبر عنه بالأعمى"^٢.

ب - الصنف الثاني : الكافرون الجاحدون.

هم الذين ينكرون الله بألستهم مع أنهم يعلمون وجوده في قلوبهم مثل :
كفر بعض كفار قريش ومنهم أمية بن أبي الصلت، وكفر اليهود الذين عرفوا النبي محمداً (ﷺ) كما وردت صفاته لديهم في التوراة، إلا أنهم أنكروا رسالته وصدوا الناس عن دعوته، بل ونصبوا له العدا ونسجوا المؤامرات في سبيله، وبذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَأُتُوا مِنْ قَبْلُ سَفَنَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^٣.

قال ابن عباس في سبب نزول هذه الآية: "كانت يهود خيبر تُقاتل غطفان، فلما التقوا هُرمت يهود، فعادوا بهذا الدعاء فقالوا: إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا تَنْصَرْنَا عَلَيْهِمْ. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بُعث النَّبِيُّ (ﷺ) كفروا، فأنزل الله قوله: ﴿ وَكَأُتُوا مِنْ قَبْلُ سَفَنَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا آيَةً ﴾"^٤.
إن سبب نزول هذه الآية يكشف بوضوح عقيدة اليهود المبنية على المصلحة الذاتية والمنفعة الآنية. والذي يمعن النظر في سيرة اليهود من خلال كتبهم

^١ - سورة الرعد ، الآية ١٩ .

^٢ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي "توفي سنة ٦٧١هـ": الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٧

^٣ - سورة البقرة ، الآية ٨٩ .

^٤ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، ج ١، ص ٢٧

المقدسة سرعان ما يجد تمكن الوثنية من نفوسهم وانغماسهم بالماديات،
ويلمس أيضاً اتهامهم الخطيرة لأنبياء الله. ومن الأمثلة في هذا المضمار اتهامهم
لسيدنا نوح عليه السلام، بأنه كان يعاقر الخمرة ويتعري، فيقول العهد القديم
: " وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. ... فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَبَارَكَ اللَّهُ نُوحًا
وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: اُنْمُوا وَاكْثُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ. وَابْتَدَأَ نُوحٌ حَارثُ الْأَرْضِ
يَغْرِسُ الْكَرْمَ. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكَرَ وَتَكَشَّفَ فِي دَاخِلِ خِيَمَتِهِ ١. وحاشا
لله أن يصطفي نبياً — من أولي العزم، بل ويعتبر الأب الأول للبشرية بعد
الطوفان — أن تكون صفاته كما وردت في التوراة بأنه يتعري ويشرب
الخمرة. ثم إن هذا الاتهام لا ينطلي على من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان
حقيقي وعقيدة مستقيمة.

ج — الصنف الثالث : الكافرون المعاندون.

وهم الذين يعرفون الله في قلوبهم ويعترفون به بألسنتهم، ومع ذلك فهم
يعاندون في الإيمان برسله واتباع شريعته ويستكبرون عن عبادته لأسباب
كثيرة: منها الحسد والبغي والكبر، ومنها الطمع والرغبة في اتباع الشهوات.
وهذا الوصف يبينه الله تعالى بقوله: ﴿ وَكَمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الْكَافِرِينَ ٢.﴾

يقول ابن كثير في تفسيره: "إن اليهود عند ما بلغهم أمر القرآن الذي
أنزل على محمد (ﷺ)، حيث جاء مصدقاً لما عندهم من التوراة، وكانوا قبل
مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين
إذا قاتلوهم يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم،
فلما بعث الله رسوله من قريش كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه. وقال
ابن عباس: كانوا يستنصرون بخروج محمد (ﷺ) على مشركي العرب،
يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نبهده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٨٠—٨٢، سفر التكوين، الإصحاح ٨: ٢٠، ٢١.

وا لإصحاح ٩: ١، ٢١، ٢٠.

٢ - سورة البقرة، الآية ٨٩.

ونقتلهم، فلما بعث الله محمداً (ﷺ) ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه"¹
فهذا هو ديدن اليهود يعادون كل حقيقة ويتمردون على هدي السماء؛ وذلك
لرسوخ الوثنية في عقولهم فهم أصحاب أهواء.

د — الصنف الرابع : الكافرون المنافقون.

وهم الذين يتظاهرون بإعلان الإيمان والإسلام بألسنتهم، ويخفون
الكفر في قلوبهم عقيدةً ومبدأً، والمنافقون مذنبون مترددون، ويقول ابن
الجوزي في وصفه للمنافقين: "المنافقون مذنبون، وأصل التذبذب: التحرك
والاضطراب وهذه صفة المنافق؛ لأنه مُحَيَّرٌ في دينه لا يرجع إلى اعتقاد
صحيح"².

قال قتادة: ليسوا بالمشرِكين المُصْرِحِينَ بالشرك ولا بالمؤمنين
المخلصين، لذا فقد هددهم القرآن الكريم بأنهم في الدرك الأسفل من النار
وهم خالدون في جهنم، فالجزء من جنس العمل. ويقول الله تعالى مبيناً حال
المنافقين ومآلهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً
يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾³

ويقول تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ لَهُمْ نَصِيرًا﴾⁴
ويفسر ابن الخطيب الآيتين الكريمتين، فيقول: "المنافقون مترددون بين
الإيمان والكفر، ولم يُراعوا الميثاق الذي واثقهم به ربهم وهم في عالم الغيب
[يعني ميثاق الفطرة] وأضاعوا الأمانة التي ائتمنهم عليها، وأساءوا إلى آدميتهم
وأهدروا عقولهم، ونزلوا من مصاف الإنسانية إلى درك الحيوانية، وأصبحوا لا
إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين، والتردد أسوأ ما يوصف به مخلوق، وهو إن دلَّ
على شيءٍ فإنما يدلُّ على انعدام الشخصية وفساد العقل"⁵. فالمنافقون استمرأ

¹ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م، س، ج ١، ص ١٢٣.

² - عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي "٥٠٨ - ٥٩٦هـ" تفسير ابن الجوزي، المكتب
الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٢٣ - ٢٣٣.

³ - سورة النساء، الآية ١٤٥.

⁴ - سورة النساء، الآية ١٤٣.

⁵ - محمد محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، المنصورة،
لا.ت، ص ١١٨.

عليهم الشيطان فاستوجبوا الخذلان والحرمان، ولذلك يتخلّى عن حفظهم الرحمن فلم يجدوا سبيل الرشd والهداية. ونظراً لخطورة المنافقين على الصّف الإسلامي — كوفهم يعيشون بين المسلمين — فإنّ الله تعالى يتوعّدهم بالدرك الأسفل من التّار، جزاءً وفاقاً.

وفي ختام هذا التمهيد فإن التوحيد بأنواعه الثلاث: توحيد الرّبوبيّة، وتوحيد الألوهيّة، وتوحيد الأسماء والصفات. لهي أجلّ ما أمر الله تعالى به عباده. ونقيض التوحيد: الشرك وهو أعظم أمر نهى الله تعالى عنه ومن أمثلة ذلك: كأن يدعو المرء مع الله إلهاً آخر أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذ رّباً وإلهاً وأشرك مع الله غيره. فالتوحيد ينبغي أن يكون أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الحياة الدنيا. ومن هنا تتضح أهمية معرفة الله تعالى وطرق اكتسابها. وعلى ضوء ذلك كان لزاماً أن يكشف البحث عن المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفاهيم التالية: أهل الكتاب، المشركون، الملحدون، الفاسقون، الكافرون وأصنافهم:

١— الكافرون الضالون

٢— الكافرون الجاحدون.

٣— الكافرون المعاندون.

٤— الكافرون المنافقون.

والهدف من ذلك لكي يتخذ الباحث هذه المصطلحات جسراً عبوراً. ينفذ من خلالها إلى عقيدة أهل الكتاب "اليهود والنصارى" ومظاهر عباداتهم وطقوسهم الدينية وموقف الإسلام منها. وسيدأ الفصل الأول باليهودية من حيث النشأة والتكوين والتعريف بها. من خلال كتبها المقدسة وبعض فرقها التي من شأنها أن تسلط الضوء على العقيدة اليهودية ومظاهر طقوسهم التعبدية.

الفصل الأول

اليهودية: النشأة والتكوين

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التعريف باليهودية.

المبحث الثاني: مصادر الفكر الديني لليهود.

المبحث الثالث: بعض الفرق اليهودية

الفصل الأول اليهودية: النشأة والتكوين

المبحث الأول: التعريف باليهودية وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: من هو اليهودي؟

هذا هو التساؤل الشائع بين زعماء الأصولية اليهودية في العصر القديم والحديث على السواء. ويقول ديفيد لاندو في مجال التعريف باليهودي: "إن الحاخام نورمان لأم رئيس جامعة ياشيفيا في الولايات المتحدة الأمريكية، يشير إلى الصراع حول تحديد مفهوم اليهودية، بقوله: إن الانقسام العقائدي [اليهودي] الآن أقوى من ذي قبل... فلو كان المذهب الأصولي الحديث أقوى من المذهب القديم لما وصل هذا الانشقاق إلى هذه الدرجة، وقد يكون هناك الحوار والوثام بين الأصولية اليهودية والإصلاح إلا إن جميع المحاولات باءت بالفشل بسبب تعصب من يدينون بالمذهب القديم؛ وإنما يدور الصراع الآن حول مفهرم الانتساب إلى الذين اليهودي في العصر الحديث".^١

ولكنه بادئ ذي بدء ينبغي أن يتبين المرء المعنى اللغوي لكلمة اليهود فهي تعني: التّوابون. يقال هاد الرجل: أي تاب وعاد إلى رشده. ويقول الشهرستاني في الملل والنحل: "وإنما ألزمهم هذا الاسم، إنا هُدُنَا إِلَيْكَ: أي رجعنا وتضرعنا".^٢ وأما محمد رضا فيعرف لفظة اليهود في معجمه متن اللغة، فيقول: "الهُودُ تعني التوبة والرجوع إلى الحق. والهُودُ: تعني اليهود، واحدهم يهودي جمع يهود ويهدان".^٣

١ - ديفيد لاندو: الأصولية اليهودية، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٥٥.

٢ - محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار صعب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ١، ص ٢١٠.

٣ - محمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، مج ٥، ص ٦٧٧-٦٧٦.

ويعود البحث ثانيةً إلى إلقاء الضوء على تحديد من هو اليهودي حسب العقيدة اليهودية، فيكشف عن اختلاف اليهود في تحديد الهوية اليهودية وتعريف من هو اليهودي، وإنه من أعقد المشاكل المستعصية التي واجهتها اليهودية في العصر الحديث، وتعاني من وطأها إسرائيل اليوم. ويؤكد عرفان عبد الحميد فتاح أن حركة الإصلاح اليهودية باعتقاداتها العلمانية سببت الخلاف في تحديد من هو اليهودي، فيقول: "لم تكن هذه المشكلة مثار خلاف وشقاق قبل نشأة حركة الإصلاح اليهودية، بزعامة من موسى مندلزوهن [اليهودي العلماني]^١، والتي صار أتباعها يعتبرون اليهود طائفة دينية مجردة، من غير خصائص قومية، وكان ذلك نتيجة نزعتهم العلمانية الصارمة، واعتقادهم بأن اليهودية القديمة بتقاليدها المتوارثة لم تعد تنسجم مع مطالب الحياة الحديثة"^٢. ولقد كان الإجماع اليهودي منعقدًا قبل نشأة الحركة الإصلاحية، على حصر الهوية اليهودية في المولود تقييداً من أم يهودية.

وتما يزيد في تعقيد المسألة هذه أن المؤرخين اليهود في العصر الحديث، يختلفون أيما اختلاف بينهم حول هذه المسألة، تبعاً لانتماؤهم المذهبية والعقدية، وتفرقهم إلى يهودية إصلاحية ومحافظة وأرثوذكسية جديدة، ومواقفهم المتعارضة من التقاليد الشرعية المتوارثة وأحكام الشريعة الموسوية. فالترعة السائدة بين اليهود الأرثوذكس هي اعتبار المولود من أم يهودية حصراً يهودياً. ورفض الإصلاحيون اليهود عامةً ذلك، وأقرّوا في مجلس الرّبانيين الإصلاحيّ وفي عام ١٨٩٢م اعتبار الطفل المولود من أب يهودي وأم غير يهودية أيضاً يهودياً. ومن الملاحظ أن الحدّ الفاصل في تحديد هوية اليهودي باقٍ على ما كان عليه، وهو القول بالنسب والانتماؤ العرقي فحسب عاملاً في تحديد الهوية اليهودية، وأنّ صحاحات الإصلاحيين ذهبت سُدًى، ثمّ عمدت

^١ - موسى مندلزوهن: زعيم حركة الإصلاح اليهودية العلمانية، والتي يعتقد أتباعها بأن اليهود عبارة عن طائفة يهودية مجردة. ونشأت ما بين عامي ١٧٢٩ - ١٧٨٦م في الأراضي الألمانية.

^٢ - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١٢٣.

إسرائيل أخيراً وتحت ضغط الأحزاب الدينيّة المتطرفة إلى حصر المواطنة الكاملة في المولود من أمّ يهوديّة بإطلاق.

اليهود إذاً وكما ورد في قاموس المذاهب والأديان هم الذين هادوا: "أي مالوا عن دين موسى عليه السلام، وقيل من الهوادة: أي المودة. وقيل لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب... وعمل اليهود على نشر تعاليم التوراة في جنوب الجزيرة العربية، فتهوّد بعض القبائل العربية اليمنية، ولما جاء الإسلام أخرجهم من شبه الجزيرة العربية؛ لأنهم ناصبوه العداة".^١

إن السؤال الذي شاع وذاع هو: من هو اليهودي؟... سؤال قديم جديد أجاب عنه اليهود دوماً بطمسه؛ وذلك لأن اليهود لا يستطيعون التخلي عن الشعارات اليهودية العرقية، التي تجعل منهم وكما يزعمون شعب الله المختار، والذي ينبغي أن تدين لهم الشعوب الأخرى كما يزعمون. ويذكر أحمد شلبي أن اليهود يحاولون اليوم أن يجعلوا من الدين ومظاهر العبادات والطقوس لديهم، مقررات لأوامر إلهية بحيث تجعلهم يتميزون عن سائر الناس، فيقول متسائلاً: "أولم يتساءل وزير المعارف والثقافة الإسرائيلي أمنون روبنشتاين تساؤلاً إنكارياً في كتاب له تحت عنوان مراجعة الحلم الصهيوني؟. هل يعتبر وضع إسرائيل بين الأمم مقررراً بأمر إلهي يجعلها متميزة من سائر أمم الأرض؟. فالتناقضات كبيرة جداً في قواعد الشريعة اليهودية وكما وردت في العهد القديم والتلمود، ومن أبرزها تلك المتصلة بالإعفاءات الشرعية مثل: تقاضي الربا، والحلب يوم السبت، والتخلي عن القبة الإلزامية، وعن الفصل بين الجنسين في الجوقة الدينية، واستخدام الغرباء يوم السبت، وتعاطي المواد المخمرة، وقد عُرفَ هذا النظام، باسم نظام الإعفاءات الشرعية "هيتريم". وتناول هذا النظام معظم الأحكام الشرعية لدى يهود، لذا فقد عرفت الديانة اليهودية كثيراً من شتات المذاهب وغرائب المعتقدات والتي رافقت نشأتها وتطورها عبر مسيرتها، وما نرغب أن ننتهي إليه ههنا أن الديانة اليهودية،

^١ - حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، بيروت، ط ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٢٧-٢٢٨.

خضعت لتحويرات وتفسيرات متناقضة منذ القدم، وأنّ هذا التناقض ظلّ يُعشّش ويُفرّخ في حياة اليهود عبر العصور^١.

ولعلّ السمة البارزة للديانة اليهودية هي أنّها ديانة قوميّة بالرغم من تعدد أعراقهم وقومياتهم، ولكي يعتبر الشخص يهودياً فإنه يجب أن يكون مولوداً لأمّ يهوديّة، أي أن اعتناق من لا تكون أمة يهودية لا يجعله واحداً من اليهود. وجوهر سؤال من هو اليهودي؟ أجاب عنه عبد الله عبد الدائم إجابة شافية ويؤكد فيها على العرقية البغيضة المتأصلة في نفوس دعاة اليهودية، فيقول متسائلاً: "هل اليهوديّة دين أم هي عرق، أم هي كلاهما؟ إنّ اليهوديّة تُحاول دوماً أن تنتسب إلى شعب مُعيّن، له هويّة مُشتركة وإرث ثقافيّ مشترك ومستقبل مشترك ودين مشترك بوجه خاص، غير أنّ من حقنا أن نتساءل: كيف يمكن في مثل هذه الحال أن يكون المرء يهودياً وإنسانياً يعيش مع أبناء عصره في آن واحد [لا سيما وأنه يعتقد بعدم وجود أية سيادة أخرى خلاف السيادة اليهوديّة]؟ بل أين الدين المشترك والثقافة المشتركة بعد كلّ ما ذكّر وما لم يُذكر من اصطراع المذاهب الدينية اليهودية واتجاهاتها المتباعدة؟ وقد غدا السؤال الذي لا يستطيع اليهودي اجتنابه. هو: هل من واجبه أن يستمسك بالقانون الموسوي في جميع تفصيلاته أم لا؟. بل ما هي حقيقة هذا الدين أصلاً؟ وهل الديانة اليهودية تختلف عن سواها من الديانات؟ وهل أن اليهود عرق مختلف في عصر لا يعترف بالأعراق؟"^٢.

إنّ الإجابة على هذه التساؤلات، تقتضي أن يتعرف القارئ على الهوية اليهودية المعاصرة، ومن خلال الممارسات التي يقوم بها الكيان الصهيوني في فلسطين. حيث تعمّدت إسرائيل أن تطلق على نفسها في مستهلّ عام ١٩٤٨م دولة الشعب اليهودي، وأصدرت قانون العودة الذي يمنح الجنسية الإسرائيلية تلقائياً لأيّ يهودي يصل إلى [فلسطين المحتلة]، ولم تستطع إسرائيل الهروب

^١ - أحمد شليبي: مقارنة الأديان "اليهودية" ص ٦٨.

^٢ - عبد الله عبد الدائم: إسرائيل وهويتها الممزقة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٨.

من الضرورة الخرقاء المشحونة بالتعقيدات الدينية والفلسفية والعنصرية، في تقرير من هو اليهودي في إطار المنظومة التشريعية. وهل لدى اليهود اليوم معيار تشريعي حقيقي؟ طبعاً كلا، وبدلالة تعديل قانون العودة المزعوم وذلك عندما تولّت جولدا مائير رئيسة لوزراء الكيان الإسرائيلي، وعرّف اليهودي وقتئذ بأنه الإنسان المولود عن أمّ يهوديّة أو الذي تحوّل إلى اليهودية بشرط أن لا يكون عضواً في نظام ديني آخر. ومن الجدير بالذكر أن هناك طوائف يهودية لم تعترف بالكيان الصهيوني من الناحية العقائدية، ومن أمثلة ذلك ما يرويهِ روت بلاو، إذ يقول: "عندما قامت إسرائيل سنة ١٩٤٨م، رفض جماعة ناطوري كارتا الاعتراف بها وبسلطانها، كما أنهم يعارضون السيطرة الإسرائيلية على القدس، ولا يزال معظمهم يرفض الاعتراف بإسرائيل، ويعبّر عن رفضه هذا بعدم استلام بطاقة الهوية الشخصية الإسرائيلية، وعدم الاشتراك في الانتخابات للكنيست أو للسلطات المحليّة، وكذلك بعدم اللجوء إلى المحاكم الإسرائيلية. أما السلطات الإسرائيلية بدورها فإنها لا تتعامل معهم من خلال تجاهلهم".^١

إن الكيان الصهيوني إذن يتخذ من الديانة اليهودية ستاراً لسياسته العدوانية. ومن الأدلة الدامغة في ذلك ما يرويهِ كتاب حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل في شأن الهوية اليهودية ومظاهر التدين المزعوم، فيقول: "إن مجتمع الكيان الصهيوني يحتوي على كثير من الناس غير المتدينين، بل ومن الملحدّين أيضاً، فهم يهود بالتسمية وصهيانية بالانتماء، وهم لا يحملون من طقوس الديانة اليهودية ومعتقداتها ما يؤهلهم لأن يُعترفَ بهم كيهود من قِبَل حاخاماتهم، فهذا هو ذا هرتزل مثلاً نبي الصهيانة يقول في مذكراته: إنّ قفاه أقدس من التوراة. فماذا يقول الآخرون عن التوراة؟"^٢. وستأتي أجوبة أخرى

^١ - روت بلاو: يهود لا صهيانية، ترجمة حسن نسيبة، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط ١ ١٩٨١ م، ص ٦.

^٢ - فوزي محمد حميد: حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، منشورات دار الصفدي، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٠-٢١.

لهذه الأسئلة المطروحة وغيرها، إن شاء الله تعالى عندما يتناول البحث العقيدة اليهودية ومظاهرها.

المطلب الثاني: تحديد التسميات التالية: عبراني — إسرائيلي.

عبراني: إن علماء الأنساب لا يتفقون على معنى كلمة عبراني أو عبري وإن اتفقوا جميعاً على مدلولها. "وكلمة عبري لغة مشتقة من الفعل الثلاثي عَبَرَ: وهي بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عَبْرِهِ إلى عَبْرِهِ، أو عبر السبيل: شَقَّهَا". ويرى أحمد شلبي رأياً يؤكد هذا المعنى اللغوي، فيقول: "إن كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية التي لا تستقر في مكان واحد، بل ترحل وتعبّر من منطقة إلى أخرى؛ بحثاً عن الماء والمرعى. ومن الثابت أن العبرانيين قد عرفوا مصر وكانوا يجيئونها لاجئين، يطلبون الرزق في أرضها تارةً ويجيئونها أسارى تارةً أخرى في ركاب فرعون كلما عاد من حروبه في أقاليم الشرق ظافراً منصوراً، فيترهم حول دور العبادة يخدمون في أعمال البناء، ويعبدون أربابهم أحراراً لم يكرههم أحد على قبول مذهب أو اعتناق دين. ويلاحظ على بني إسرائيل بمصر ما لاحظناه على أجدادهم بأرض كنعان، وهو الانعزالية التامة وعدم التعاون مع من يحيط بهم".^١ والذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو فساد العقيدة عند بني إسرائيل، والدليل على ذلك ما ورد في الكتاب المقدس العهد القديم، بعنوان الوصايا العشر، إذ يقول: "ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعِبَادَةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ

١ - عبر النهر : دخل، والعبري بوزن المصري "العبراني" وهو لغة اليهود. وحلّ عابرُ سبيل : أي مارُ الطريق. انظر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، القاهرة، لا، ت، ص ٤٠٨ — ٤٠٩.

٢ - أحمد شلبي: مقارنة الأديان "اليهودية"، م، ص ٥٥ — ٦٨.

تَمْنَالاً مَنَحُوتاً وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ... وَمَا فِي الْأَرْضِ... لَا تَسْجُدْ
لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ".^١

فهذه إشارة على تمكن عبادة الأصنام والوثنية في نفوس يهود، بل وتعدد
الآلهة والشرك في أعمالهم وطقوسهم الدينية.

إسرائيلي: تطلق لفظة بني إسرائيل على ذرية سيدنا يعقوب بن إسحاق
بن إبراهيم عليهم السلام، وهذه اللفظة هي الاسم الثاني لسيدنا يعقوب الذي
سمّاه به ملك الرب حسب ما جاء في التوراة. "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ
إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرْبَ حَقٍّ فَخَذَهُ...
وَقَالَ أَطْلُقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ مَا
اسْمُكَ. فَقَالَ يَعْقُوبُ. فَقَالَ لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ.
لَأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ.
فَقَالَ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْ اسْمِي. وَبَارَكَهُ هُنَاكَ".^٢ فأى عاقل يصدّق أن الملائكة
تتصارع مع الأنبياء، ثم كيف أن يعقوب يجاهد الله والناس ويقدر عليهم،
وبعد ذلك يعطيه ملك الرب جائزةً ويباركه بتغيير اسمه، فهذا يدل على
تركيبات ودسائس يهوديّة مغرضة ومعتقدات باطلة ليس إلا.

أما لفظة إسرائيل لغةً: فتتألف من مقطعين "إسرا". بمعنى عبد أو زاهد
أو حبيب أو محارب، و"إيل"^٣ بمعنى الإله، فيصبح معنى كلمة إسرائيل "عبد
الإله" أو الزاهد في سبيل الله.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١١٩، سفر الخروج، الإصحاح ٢٠ :
١٤، ٢٣، ٤، ٥.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥٤، سفر التكوين، الإصحاح ٣٢ :
٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤.

^٣ - إيل: اسم من أسماء الله تعالى، عبراني أو سرياني، انظر، نديم مرعشلي: الصحاح في اللغة
والعلوم" معجم وسيط"، دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص ٤٧. وإيل: كلمة
عبرانية وهي اسم الله تعالى وتعني: القوي القدير، انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ط ٢٩،
ص ٢٢.

هذا وقد أنجب سيدنا إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ولدين هما: عيسو ويعقوب المسمى إسرائيل، وإليه ينسب بنو إسرائيل والذي التحق بدوره وأبناؤه الأسباط، بولده يوسف عليه السلام في مصر. ويشير سفر التكوين إلى هذا النسب، فيقول: "وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لَأَجْلِ امْرَأَتِهِ لَأَنَّهَا كَانَتْ عَاقَرًا. فَاسْتَجَابَ الرَّبُّ فَحَبَلَتْ رَفَقَةُ امْرَأَتَهُ. فَلَمَّا كَمَلَتْ أَيَّامُهَا لَتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوَّامَانِ. فَخَرَجَ الْأَوَّلُ أَحْمَرَ. فَدَعَوْا اسْمَهُ عَيْسُو. وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعِقْبِ عَيْسُو فَدَعَوْا اسْمَهُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا"^١.

لقد ادعى يهود بأن نسبهم وأصلهم يعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا ادعاء باطل؛ لأنه لم يكن لهم وجود في زمانه وهم يُحاجُّون فيه، علماً أن كتبهم ورسالتهم أنزلت بعده بزمان بعيد، وكتبت توراهم بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وذلك بأن سيدنا موسى عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة جاء بعد زمن إبراهيم عليه السلام بسنوات كثيرة، ويقول فوزي محمد حميد: "إن إبراهيم الخليل لم يرتبط بأية صلة باليهود لا من حيث العنصر ولا من حيث المبدأ ولا العقيدة، ولا من حيث اللغة ولا القومية. فزعم اليهود بانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام باطل من أساسه فهو لم يكن فلسطينياً بل نزل عند أهلها ضيفاً كريماً وتقرُّ توراهم بذلك"^٢. وإليك ما جاء في سفر التكوين: "وَعَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلًا فِي بئرِ سَبْعَ وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ السَّرْمَدِيِّ. وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّاماً كَثِيرَةً"^٣. فهذا إقرار واعتراف صريحان من العهد القديم بأن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان موحداً ويدعو الناس إلى عبادة الإله الواحد السرمدي. ويبين الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م، س، ص ٣٩، سفر التكوين، الإصحاح ٢٥: ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

٢ - فوزي محمد حميد: حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، م، س، ص ٢٠-٢١.

٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م، س، ص ٣٢، سفر التكوين، الإصحاح ٢١: ٣٣، ٣٤.

بَعْدَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبُكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ شَاهِدُونَ بِمَا أَهْلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ١ ۝

وأما تسميتهم بالإسرائيليين فجاءت من اسم يعقوب حفيد إبراهيم الذي سماه ربُّه إسرائيل. وأما اليهود فتنسب إلى يهوذا أحد الأسباط ورابع أبناء يعقوب كما يدعون. ويقول أبو جعفر الطبري في تفسيره مُبَكِّتًا ادِّعَاءَ اليهود والنصارى بأنهم ينتسبون إلى دين إبراهيم الخليل عليه السلام: "يعني تعالى ذِكْرُهُ بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تُجَادِلُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتُخَاصِمُونَ فِيهِ، وَكَانَ حَاجِبُهُمْ هُوَ ادِّعَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكُتَابَيْنِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ وَأَنَّهُ كَانَ يَدِينُ دِينَ أَهْلِ نَحْوَتِهِ، فَعَابَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِادِّعَائِهِمْ ذَلِكَ، وَدَلَّ عَلَى مَنَاقِضَتِهِمْ وَدَعْوَاهُمْ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَدْعُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ؟ وَدِينَكُمْ إِمَّا يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً، وَالْيَهُودِيُّ مِنْكُمْ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ التَّوْرَةِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهَا. وَالنَّصْرَانِيُّ فَيَكُمُ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ الْإِنْجِيلِ وَمَا فِي. وَهَذَانِ كِتَابَانِ لَمْ يَتَرَلَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ مِنْ مَهْلِكِ إِبْرَاهِيمَ وَوَفَاتِهِ. أَفَلَا تَتَفَقَّهُونَ خَطَأً قِيلَ لَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَبَرَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ وَالْحَقُّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَنِيفِيَّةِ. هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ خَاصِمْتُمْ وَجَادَلْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ الَّذِي وَجَدْتُمُوهُ فِي كُتُبِكُمْ، وَأَتَيْتُمْ بِهِ رِسْلُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِهِ وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ وَثَبَتْ عِنْدَكُمْ صِحَّتُهُ. فَلِمَ تُجَادِلُونَ وَتُخَاصِمُونَ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ وَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كُتُبِ اللَّهِ وَلَا أَتَيْتُمْ بِهِ أَنْبِيَائَكُمْ وَلَا شَاهِدْتُمُوهُ فَعَلِمْتُمُوهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا — تَكْذِيبٌ مِنَ اللَّهِ — لِدَعْوَى الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ مِنَ الْيَهُودِ

١ - سورة آل عمران ، الآية ٦٥ - ٧١ .

والنصارى؛ لأنهم لدينه مُخَالِفُونَ. وقضاءً منه تعالى لأهل الإسلام ولأمة محمد (ﷺ)، أنهم هم أهل دينه وعلى منهاجه وشرائعه دون الملل والأديان غيرهم؛ لأن إبراهيم كان مُتَّبِعاً لأمر الله وطاعته مُسْتَقِيماً على مَحَجَّةِ الْهُدَى الَّتِي أَمَرَ بِلزومها، خاشعاً لله بقلبه مُذْعِناً لما فَرَضَ عليه. وَإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ وَأَوْلَاهُمْ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ سَلَكَوا طَرِيقَهُ وَمَنَاجِيهَ فَوَحَّدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْإِنْسَانِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا النبي يعني (ﷺ) وَالَّذِينَ صَدَّقُوا مُحَمَّدًا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [هُمْ أَوْلَى بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام] وَاللَّهُ نَاصِرٌ الْمُؤْمِنِينَ — بمحمد عليه الصلاة والسلام المصدقين له في نبوته وفيما جاءهم به من عند ربِّه — على من خالفهم من أهل الملل والأديان".^١

ويعلق السيد قطب على اليهود الذين يدعون بنسبهم إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويكتفون بمجرد النسب فقط، ولا يتبعون عقيدة التوحيد التي أُرسل بها. فيقول: "فالذين اتبعوا إبراهيم عليه السلام — في حياته — وساروا على منهجه التوحيدي، واحتكموا إلى سنته هم أولياؤه. ثُمَّ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (ﷺ) يَلْتَقِي مَعَهُ فِي الْإِسْلَامِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْدَقُ الشَّاهِدِينَ ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهَذَا النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَلْتَقُونَ مَعَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَهِجِ وَالطَّرِيقِ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَهُمْ حَزْبُهُ الَّذِينَ يَتِمُّونَ إِلَيْهِ وَلَا يَتَوَلَّوْنَ أَحَدًا غَيْرَهُ، وَهُمْ أُسْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَأُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ وَرَاءِ الْأَجْيَالِ وَالْقُرُونِ وَالْمَكَانِ وَالْأَوْطَانِ، وَمِنْ وَرَاءِ الْقَوْمِيَّاتِ وَالْأَجْنَاسِ. فَالْفَتْحُ الْإِسْلَامِيُّ وَعَلَى ضَوْءِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ كَانَ إِنْقَازًا لِلشُّعُوبِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ"^٢

^١ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م، س، مج ٣، ص ٢١٥ - ٢١، بتصرف بسيط..

^٢ - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مج ٢ ص ٩٣.

أما يهود في كتابهم المقدس "العهد القديم" فهم ينادون بالقضاء على الشعوب الأخرى وإحلال اليهود محلهم، فيعتقدون بما يلي: "أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلًا: مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمْ اعْبُرْ هَذَا الْأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيَّ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ. كُلُّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ يُطَوَّنُ أَقْدَامُكُمْ لَكُمْ أُعْطِيَتْهُ كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. وَاتَّخَذَ الرَّبُّ مَكَانَهُ عَلَى رَأْسِ الْقَوَى الْمُحَارَبَةِ لَمْ يَكُنْ مُمْتَطِيًا صَهْوَةً جَوَادٍ وَلَكِنْ كَانَ قَابِعًا فِي صُنْدُوقٍ"^١. فأَيُّ إِلَهٍ هَذَا الَّذِي تَتَكَلَّمُ عَنْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ؟! فهم ينظرون للإله وكأنه واحد منهم، ثم إن الأمر الذي يلفت الأنظار عقيدة التجسيد والاتحاد^٢ للرب التي شاعت عند يهود وإلا كيف يكون قابعاً في صندوق كما يزعمون؟ بل ويتمادون في غيهم فيتهمون الله بأنه أعطاهم كل الأرض التي تصلها أقدامهم، وحاشا لله أن يكون هذا قضاؤه؛ لأنه قضاء ظالم.

المطلب الثالث: بداية إطلاق لقب يهودي

لقد بين البحث بأن يهود أطلقوا على أنفسهم اليوم اسمين هما: بنو إسرائيل ويهود؛ بغية إضافة الصبغة الدينية على كيانهم الصهيوني المزعوم، بالرغم من أن البون شاسع بين التسميتين وهو كما يلي: الأول: بنو إسرائيل حيث إنهم ينتسبون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، والذي يدعى باسم إسرائيل.

الثاني: اليهود وهو الاسم الذي عرفوا به فيما بعد والذي انتشر بين الأمم. هذا وقد اختلف اللغويون في معنى يهود، هل هو أعجمي أم مشتق؟ وإن كان مشتقاً فما هي مادة اشتقاقه؟ وما معناه على كلا الأمرين؟ قال

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م، س، ص ٣٣٧، سفر يشوع، الإصحاح ١: ٢، ١٤، ٣.

^٢ - التجسيد والاتحاد: الجسد: هو البدن، تقول: منه تجسّد. انظر، محمد بن أبي بكر الخوارزمي: مختار الصحاح، م، س، ص ١٠٣. وهذا ما شاع في عقيدة يهود الباطلة وهو أن الإله يتجسد وكأنه واحد منهم ويتحدون معه.

بعضهم: إنها كلمة عربية مشتقة من اليهود. واليهود: هو التوبة والرجوع إلى الله. وقال ابن منظور في لسان العرب عن اشتقاق هذه الكلمة: "اليهود: التوبة. هَادَ يَهُودُ هُوداً. وَتَهَوَّدَ: تَابَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ فَهُوَ هَائِدٌ. وَقَوْمٌ هُودٌ. وَالتَّهَوُّدُ: التُّوبَةُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هَادَ: إِذَا رَجَعَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى شَرٍّ. وَيَهُودٌ: اسْمٌ لِلْقَبِيلَةِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا اسْمُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ "يَهُودَا" فَعَرَّبَ بِقَلْبِ الذَّالِ دَالاً. وَقَالُوا: الْيَهُودُ فَأَدْخَلُوا الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِيهَا عَلَى إِرَادَةِ النَّسَبِ، يَرِيدُونَ الْيَهُودِيِّينَ. وَسَمِيَ الْيَهُودُ اسْتِثْقَاقاً مِنْ هَادُوا: أَي تَابُوا. وَهُوَ الرَّجُلُ: أَي حَوَّلَهُ إِلَى مِلَّةٍ يَهُودٍ. وَالتَّهَوُّدُ: أَنْ يَصِيرَ الْإِنْسَانُ يَهُودِيًّا، وَهَادَ وَتَهَوَّدَ: إِذَا صَارَ يَهُودِيًّا"^١. وقال آخرون: "وَالْهُودُ: مَعْنَاهَا الْيَهُودُ وَهُوَ اسْمُ أَعْجَمِي مُعَرَّبٌ وَلَيْسَتْ مُشْتَقَّةً مِنْ مَادَّةِ هُودَ الْعَرَبِيَّةِ"^٢. وَلَعَلَّ هَذَا الرَّأْيَ الْأَخِيرُ هُوَ الْأَرْجَحُ. فَكَلِمَةُ يَهُودٍ تَعْرِيبٌ لِكَلِمَةِ يَهُودَا بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ وَهُوَ أَحَدُ الْأَسْبَاطِ الْإِثْنِي عَشَرَ أَبْنَاءَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَنَّاكَ مِنْ يَرْجَحُ أَنَّ بَدَايَةَ إِطْلَاقِ لِقَبِّ يَهُودِيٍّ، كَانَ فِي أَيَّامِ سَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "، وَقِيلَ فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا كَانَتِ الْغَلْبَةُ عَلَى الْإِسْرَائِيلِيِّينَ لِسَبْطِهِمَا يَهُودَا. وَهَنَّاكَ مِنْ يَذْكُرُ أَنَّ الْفَرَسَ هُمُ الَّذِينَ أَطْلَقُوا هَذِهِ التَّسْمِيَةَ أَوْ اللَّقَبَ عَلَى شَعْبِ مَمْلَكَةِ يَهُودَا"^٣. وَيَرَى الْمُؤَرِّخُونَ الْمَدْقُقُونَ أَنَّ كَلِمَةَ يَهُودِيٍّ تَشِيرُ إِلَى الْعَصْرِ الْمَتَأَخِّرِ لِهَذَا الشَّعْبِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الْأَسْرِ الْبَابِلِيِّ لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَبْطُ يَهُودَا مِنْ بَيْنِ الْأَسْبَاطِ جَمِيعاً، مُحْتَفِظاً بِشَيْءٍ مِنْ كِيَانِهِمْ. وَبِذَلِكَ فَإِنَّ تَسْمِيَةَ يَهُودٍ صَارَتْ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ حَتَّى يَوْمَنَا هَذَا. وَوَرَدَ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ أَنَّ لَفْظَةَ يَهُودٍ أَعَمُّ مِنْ عِبْرَانِيِّينَ؛

١ - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٤، ٣٠١ هـ/ ١٩٩٤م، مج ٣، ص ٤٣٩، باختصار.

٢ - موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر "٤٦٥-٥٤٠ هـ": "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٥٠.

٣ - فتحي محمد الزغبي: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشر للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ط ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٠.

لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء^١. ونظراً لهذه الاختلافات الكثيرة في بداية تاريخ يهود، فقد وقعت اضطرابات كبيرة جداً فيما يعتقدون من الكتب المقدسة لديهم اليوم. ويؤكد ذلك حسن ظاظا فيقول: "من الصعب التحقيق في بدايات التاريخ اليهودي، حيث إن يهود يكادون أن يكونوا هم الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها، ووضعت في إطاره الإنساني حسب هواها، بل وضعته في إطار من المقدسات والغيبيات، وجعلته كله حياً من السماء نازلاً بإرادة الله وبألفاظ فمه، بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش"^٢. وهذا ادعاء ماكر وافتراء على الله تعالى.

المطلب الرابع: اتصال اليهودية بالاديان الوثنية.

كان يهود — على مدار تاريخهم القديم — يلقون الضربات المستمرة من الأمم الأخرى؛ وذلك بسبب آثامهم واعتدائهم على أنبيائهم. والعهد القديم يذكر في آياته كيف اختلط اليهود بالوثنيين مصاهرةً ونسباً، فهم بذلك قد أفسدوا عقيدتهم وابتعدوا عن أصول التوحيد الذي جاء به سيدنا موسى عليه السلام، وهذا العهد القديم يشير إلى ذلك في سفر عزرا، فيقول: "تَقَدَّمَ إِلَيَّ الرُّؤَسَاءُ قَائِلِينَ لَمْ يَنْفَصِلْ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةُ وَاللَّوِيُّونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ حَسَبَ رَجَاسَاتِهِمْ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْعَمُوثِيِّينَ وَالْمُؤَابِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ. لَأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ وَلِبَنِيهِمْ وَاخْتَلَطَ الزَّرْعُ الْمُقَدَّسُ بِشُعُوبِ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ يَدُ الرُّؤَسَاءِ وَالْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَوَّلًا... وَقُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْجَلُ وَأَخْزَى مِنْ أَنْ أَرْفَعَ يَا إِلَهِي وَجْهِي نَحْوَكَ لَأَنْ ذُنُوبَنَا قَدْ كَثُرَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَثَامُنَا تَعَاطَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ. مُنْذُ أَيَّامِ آبَائِنَا نَحْنُ فِي إِثْمٍ عَظِيمٍ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَلَأَجْلِ

^١ - الدخلاء: هم الذين دخلوا الديانة اليهودية من بين الوثنيين، وقد دخل عدد غير غفير، ممن لم يكونوا يهوداً أصلاً، إلى الديانة اليهودية" قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٦٩. "٠ والدخلاء مفرداً دخيل وهو الذي يداخل نفسه في أمور غيره ويختص به، انظر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ٢٠١، ص ٢٠١.

^٢ - حسن ظاظا: الساميون ولغاقهم، دار القلم، دمشق، ط ١٤٠٧، ٢/١٩٨٧، ص ٦٧.

ذُنُوبَنَا قَدْ دَفَعْنَا نَحْنُ وَمَلُوكُنَا وَكَهَنَتُنَا لِيَدِ مُلُوكِ الْأَرْضِ لِلسَّيْفِ وَالسَّبْيِ
وَالنَّهْبِ وَخِزْيِ الْوُجُوهِ^١.

فعاث اليهود إذا أغلب حياتهم في القهر والاضطهاد، وقد أدى ذلك
إلى زلزلة كيان اليهودي وانهاره داخلياً وانهمازه نفسياً؛ مما ساعد على تقبله
الأفكار الوثنية واستغراقه الكامل في عقائدها، وعكوفه الدائم على طقوسها
وعباداتها. ففي مصر اتصل الإسرائيليون بالمصريين القدامى واختلطوا بهم،
فأصبح الابن لأب مصريٍّ وأمٍّ إسرائيليةٍ أو لأمٍ مصريةٍ وأبٍ إسرائيليٍّ
واضطبعوا بصبغتهم، وكانت النتيجة أن أخذ الإسرائيليون يتكلمون لغة
المصريين القدامى ويتصاهرون معهم. ويستطيع المرء أن يدرك بسهولة ما يجره
عليهم مثل هذا التقارب من الأخطار الوثنية. وكان زواج الإسرائيلييين
بالوثنيات من أخطر الوسائل وأشدّها أثراً على عقائد اليهود وعبادتهم، وحتى
القضاة أنفسهم الذين يزعم عزراً أن الربَّ قد أقامهم كانوا يصاهرون
الوثنيين، ما عدا الآباء الثلاثة الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب الذين اتخذوا
زوجات آراميات من جنسهم، ونجد أسفار العهد القديم زاخرةً بأخبار زواج
اليهود من نساء وثنيات. وأما يهوذا بن يعقوب فقد تزوج من امرأة كنعانية،
ومما يذكر أيضاً أن سيدنا يوسف عليه السلام قد تزوج مصريةً بنت كاهن
مصريٍّ وأنجب منها ولدين هما: منسي وفرام^٢ وكما ورد في سفر التكوين:
وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يَوْسُفَ... وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي... فَخَرَجَ يَوْسُفُ
مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَاجْتَاَزَ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ^٣.

ومن المعلوم أن يوسف عليه السلام نبي معصوم، فلا يستبعد أن تكون
هذه الزوجة قد أسلمت^٣ وحسُن إسلامها. لكن الإسرائيلييين بعد أن طال
عليهم الأمد، تزوجوا بمصريّات وثنيات وعبدوا معبوداتهم واعتنقوا عقائدهم.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٧٥١، سفر عزرا، الإصحاح ٩: ١٢، ٥، ٦، ٧.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٧١، سفر التكوين، الإصحاح ٤١: ٤٥، ٤٦.

^٣ - أسلمت وحسن إسلامها: المقصود هنا إسلام الوجه لله تعالى، بمعنى التوحيد الذي جاء به
الأنبياء والمرسلون. قال تعالى: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً"
سورة آل عمران، الآية ٦٧.

المطلب الخامس: أصل التحريف وتطوره.

والواقع أن هذه مسألة قد انتهى الجدل فيها بين الثقات من العلماء والباحثين المسلمين وغير المسلمين، ولم يعد بينهم خلاف في أن اليهود قد حَرَفُوا كتبهم المقدسة، والتفاوت بينهم إنما هو من حيث الكم والكيف. وما يُكتب هنا من أدلة ليس إلا إضافة أو تذكيراً بما أقاموه، وهي كما يلي:

١- **تضخم التوراة بفعل اليهود:** وسيركز البحث هنا — إن شاء الله تعالى — على التوراة نفسها. فالتوراة التي بين أيدينا الآن لا يمكن أن تكون كلماتها بنفس الكم الذي نزلت به، فأسفارها الخمسة: تملأ ثلاثمائة وتسعاً وسبعين صفحةً بالحروف الصغيرة، بينما التوراة نفسها تحدد الصورة التي نزلت بها بشكل لا وجه فيه للمقارنة، بين حجمها الحالي وحجمها الذي نزلت به، حيث يذكر سفر الخروج أن موسى تلقى التوراة على لوحين من حجر، "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ وَكُنْ هُنَاكَ. فَأَعْطَيْكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ... وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً"^١. ثم يستأنف الكتاب المقدس القول بأن موسى عليه السلام، نزل من الجبل وبيده لوحي الشهادة، وهما صناعة الله: "فَانصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ. لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنَعَةُ اللَّهِ وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللَّهِ مَنقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ"^٢.

ومرة أخرى فإن التوراة نفسها تحدد للقارئ الزمن الذي يستغرقه كتابتها وقراءتها بحيث لا يبقى أدنى شك في تقدير حجمها، وأنها لا تزيد عن كلمات لا تملأ أكثر من بضع ورقات، وبذلك يقول سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام، بأنه يطلب من قومه أن يحفظوا جميع الوصايا في يوم

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١٢٥-١٢٦، سفر الخروج، الإصحاح ٢٤: ١٢، ١٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١٤٠-١٤١، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ١٥، ١٦.

واحد: "جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُؤْضِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْلَمُوهَا لِكَيْ تَحْيُوا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ".^١

ويؤكد حمدي عبد العال أن التوراة لم تزد عن الوصايا العشر. فيقول: "كلُّ هذا [يعني ما ورد في العهد القديم أو التوراة] يُرَجَّحُ إنَّ لم يؤكد أنَّ التوراة التي كتبها موسى عليه السلام في اللوحين لا تعدو أن تكون الوصايا العشر، وهذا ما يتفق مع العقل ومع النصوص التي وردت في التوراة نفسها. خصوصاً إذا علمنا أنَّ كلمة سفر تعني في اللغة العبرية: ورقة أو صحيفة. أما هذا الحشد أو التضخم الذي عليه التوراة الآن، إنما هو من فعل بشري".^٢

٢- فقد التوراة أو انقطاع السند: والدليل على فقدان التوراة أنه لم يرد عنها ذكرٌ حتى أعلن الكاهن حلفيا في عهد الملك يوشيان بن أمون الذي ملك دولة "يهودا" من عام ٦٢٩ — ٥٩٨ قبل الميلاد. في الفترة التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، بسبب ما كانت فيه من إلحاد وزندقة فإنه وجد التوراة، وهذا الإعلان من حلفيا: معناه أنها كانت مفقودة. "والباحثون يشكُّون في صدق حلفيا؛ لأنه لا يعقل أن تكون التوراة موجودة في أورشليم كل هذا الوقت دون أن يعثر عليها أحد قبله، ولهذا فهم يرون أنَّ هذه التوراة من وضع حلفيا نفسه، اعتمد في كتابتها على الأساطير والقصص التي كان يرددتها الإسرائيليون وشيوخهم. أما التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام: فإنه لم يبق منها إلا الوصايا العشر، والذي ساعد على بقاء تلك الوصايا، سهولة حفظها وتناقلها شفاهاً بين الأجيال".^٣

٣- العهد القديم من اختيار الأحبار: إنَّ الأسفار التي يحتويها العهد القديم بصورتها الراهنة، فقد اختارها الأحبار بعد الأسر البابلي من بين عدد هائل من الكتب المتعارضة، والتي كانت كلها تُنسَبُ إلى موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل فقد حدث بعد بطش وتدمير نبختنصر لدولة يهود، أن

^١ - المرجع السابق، ص ٢٩٢، سفر التثنية، الإصحاح ٨: ١.

^٢ - حمدي عبد العال : الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية ، الإسلام، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٦٣.

^٣ - أحمد شلي: مقارنة الأديان "اليهودية"، م.س، ص ١١٢.

خشى أحبارهم وزعمائهم من ضياع الإسرائيليين وذوبانهم في الشعوب التي لجئوا إليها، ف عقدوا مجعاً لهم في الإسكندرية سنة ١٣٠ قبل الميلاد. وقام بجمع ما توفر له من التراث الديني، وقننوه دون تمحيص ثم ترجموه إلى اللغة اليونانية، ثم عقد بجمع آخر في فلسطين سنة ٩٥ بعد الميلاد تقريباً، لمراجعة التراث الذي جمعه بجمع الإسكندرية وتقنيته، ولكن البجمع انشق على نفسه ورفض الفريسيون أي نص باللغة اليونانية، ولم يعتبروا مقدساً سوى الأسفار المكتوبة باللغة العبرية.

وبهذا أوجد اليهود نسختين مختلفتين من الكتاب المقدس، فضلاً عن أن كثيراً من يهود لم يعترفوا إلا بأسفار موسى الخمسة، وبهذا يكون الببحث الأول قد كشف عن اليهودية من حيث النشأة والتكوين، وساق أدلة واضحة — لا لبس فيها ولا غموض — على ما أصاب كتب يهود المقدسة من التحريف والوثنية وفساد في العقيدة، وأخيراً فإن كثيراً من المؤرخين اليهود والمسيحيين والمسلمين متأكدون، أن التوراة التي بين أيدينا الآن ليست توراة موسى عليه السلام، وإنما هي من وضع يهود أنفسهم، بعد موت موسى عليه السلام بقرون عديدة.

المبحث الثاني: مصادر الفكر الديني لليهود وفيه مطلبان.

المطلب الأول: التوراة

هي المصدر الأول للديانة اليهودية والتي سيتناولها هذا الببحث في الدلالة على الفكر الديني اليهودي؛ لأنها تحتوي إلى جانب التعاليم والتشريعات الدينية مجموعة العادات والقوانين وأنماط الحياة وقواعد السلوك لدى بني إسرائيل. "وتستخدم كلمة التوراة حالياً للإشارة إلى أسفار موسى الخمسة المكتوبة باليد والمحفوظة في تابوت العهد في المعبد اليهودي، ويؤمن اليهود بأن هناك شريعتين مكتوبة وشفوية:

الأولى: هي ما تلقاها موسى عند جبل سيناء.

الثانية: هي التي يتناولها الحاخامات عن موسى ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة.

[ويقصد بالشرعية الشفوية] التلمود: ويعتبر من أهم كتب الديانة اليهودية التي دونت بعد الكتاب المقدس، وهو موسوعة تشمل موضوعات متعددة: تتضمن الدين والشرعية والتاريخ والعلوم والآداب والزراعة والصناعة والأطعمة وغيرها، وقد بدأ تدوين التلمود في بداية العصر المسيحي، ويوجد تلمودان: التلمود البابلي، والتلمود الأورشليمي^١.

ويضيف ريجنسكي توضيحاً لمدلول الكتاب المقدس بعهديه قائلاً: "لقد أمسى العهد القديم" التوراة" كتاباً مقدساً في الديانة اليهودية القديمة، بينما أصبح العهد الجديد "الإنجيل" كتاباً مقدساً في المسيحية، لكن بما أن المسيحية — كما هو معروف — قد تكونت إلى حد كبير على أساس اليهودية، فإن أتباعها وجرياً على التقاليد كانوا يعتبرون العهد القديم كتاباً مقدساً أيضاً، وحتى الآن تعتبر كافة الكنائس المسيحية التوراة بعهديهما القديم والجديد كتاباً مقدساً، في حين تعترف اليهودية فقط بالعهد القديم^٢. وبما أنه يطلق اسم التوراة على العهد القديم من باب التعميم، فالتوراة هي كتاب اليهودية لذا ينبغي التعريف الموجز بها، لا سيما أنها تعتبر من أهم مصادر الفكري الديني لدى يهود كما ذكر آنفاً.

١- التعريف بالتوراة.

هي أول أقسام العهد القديم، وتعني التعليم أو الشريعة، وتتكون من خمسة أسفار هي: التكوين — الخروج — اللاويون — العدد — التثنية. ويسمي اليهود كل سفر من هذه الأسفار بكلمة أو أكثر من الآية الأولى

^١ - طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاه، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٢٢.

^٢ - م. ريجنسكي: أنبياء التوراة والنبؤات التوراتية، ترجمة آحور يوسف، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٣ م، ص ٧.

منه. وقد كتبت غالبية هذه الأسفار باللغة العبرية^١. وبالرغم من أن اصطلاح التوراة أطلق على الأسفار الخمسة، إلا إنه "قد استخدم تجاوزاً لكل أسفار العهد القديم باعتبار أن الأحداث الواردة بها متصلة ومتتابعة زمنياً"^٢.

ويدعي اليهود أن التوراة التي بين أيديهم اليوم كتبت أيام موسى عليه السلام، واستند اليهود في ادعائهم على آراء تقليدية نقلها الخلف عن السلف، والتي وردت بسفر التثنية "فَعِنْدَمَا كَمَلَ مُوسَى كِتَابَةَ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، أَمَرَ مُوسَى اللَّاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذِهِ وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ لِأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدُكُمْ وَرِقَابَتُكُمْ الصُّلْبَةَ. هُوَ ذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ فَكَانَ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي"^٣.

والتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام كانت توراة واحدة، ولكنها الآن أكثر من واحدة فهناك التوراة العبرية والتوراة السامرية واليونانية. ويؤكد ما ذهب إليه هذا البحث، ما يذكره مصطفى محمود، إذ يقول: "وأهل الكتاب مختلفون حول النسخ الثلاث، فكل فريق يدعي أن التوراة التي معه هي وحدها التي نزلت على موسى عليه السلام، وما عداها نسخ مزورة نسبت إلى موسى كذباً"^٤.

ويذهب الدكتور بوكيه: "إلى أن إنجيل المسيح عليه السلام، كان يتضمن من العهد القديم، التوراة بأسفارها الخمس بالإضافة إلى أسفار الأنبياء المتقدمين وبعض المزامير، أما ما عدا ذلك فإضافته إلى العهد القديم موضع شك عظيم"^٥. ويوجد في العهد القديم ما يدل على شريعة موسى عليه السلام وقد امتزجت بالفرح والغناء كما يزعم سفر الأخبار، فيقول: "كما هو

^١ - محمد بحر عبد الحميد: اليهودية، مكتبة سعيد، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٣٥ - ٣٦.

^٢ - محمد قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، مطابع سن برس، القاهرة، لا.ت، ص ٣.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٣٣١، سفر التثنية، الإصحاح ٣١: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.

^٤ - مصطفى محمود: التوراة، دار النهضة العربية، القاهرة، لا.ت، ص ١١.

^٥ - موريس بوكيه: كتب العالم المقدسة، مطبعة كمبرج، لندن، ١٩٥٣م، ص ١٨٥.

مكتوب في شريعة موسى بالفرح والغناء حسب أمر داود^١. من هنا يتبين الخلط العجيب في النصوص الدينية التوراتية، فيدعي بنو إسرائيل أن داود أضاف مزاميره إلى التوراة ويؤيد هذا ما ورد في العهد الجديد، إذ يقول مرقس في إنجيله: "...أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر الخليفة كيف كلمة الله..."^٢. فهو يقصد استمرارية الإضافات من سيدنا داود عليه السلام، وفي إنجيل متى أيضاً جاء ما يؤكد تلك التحليلات. "أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ"^٣. فبيني متى علاقة بين تدنيس الكهنة للهيكل في يوم السبت المقدس لديهم، وبين ما يتهم به داود عليه السلام من إضافات — مبررة — للتوراة حسب زعمه، وهذا ما يوحي إلى ما ذهب إليه موريس بوكيه آنفاً.

فنصوص الكتاب المقدس تدل على أنه كان لموسى عليه السلام كتاب. وأن هذا الكتاب سمي التوراة، ولكن البحث العلمي والدراسات التي قامت حول أسفار العهد القديم، تثبت أن التوراة فيها مالا يمكن نسبته إلى موسى عليه السلام، حيث ورد في سفر التثنية أن موسى عليه السلام، مات ولم يعرف أحد قبره، وأنه يطلب من بني لاوي قراءة التوراة على مسامع الأطفال والغرباء، مما يفتح مجالاً للتحريف والتبديل، فيقول: "...فمات هناك موسى ... ولم يعرف إنسان قبره"^٤.

ويشير العهد القديم إلى بداية كتابة التوراة، فيقول: "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ بني إسرائيل. وأمرهم موسى قائلاً... تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل. [فيأمر موسى بني لاوي حسب زعم بني إسرائيل، قائلاً] اجتمع الشعب الرجال

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٧١٣، سفر الأخبار الثاني، الإصحاح ٢٣: ١٨.

٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، منشورات دار المشرق، بيروت، ط ١٧، ص ٢١٣—٢١٤، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٢: ٢٦.

٣ - المرجع السابق، ص ٨٩، إنجيل متى، الإصحاح ١٢: ٥.

٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٣٣٦، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤: ٥، ٦.

وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالْغَرِيبَ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لَكُمُ يَسْمَعُوا وَيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ وَيَخْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ".^١

وتتعرض الكاتبة البريطانية كاثلين إلى مصاعب الباحثين والنقاد، حول تحديد مصدر كل مجموعة من الكتاب المقدس، فتقول: "إن جميع العلماء المحدثين المشهورين يوافقون على أن أسفار موسى الخمسة، وأسفار يشوع والقضاة وغيرها من الأسفار القديمة، قد حصلت على الشكل الذي وصلتنا فيه بعد عملية صعبة جداً من تجمع وامتزاج المرويات الشفوية القبلية وعمليات التأليف والكتابة، ومن بين مصاعب الباحثين في معرفة نتائج النقد النصي، هو الخلاف الكبير بين النقاد حول تحديد مصدر كل مجموعة من النصوص".^٢ إن ما ذهبت إليه هذه الكاتبة كاثلين يلتقي مع النص القرآني. الذي يقول الله تعالى فيه مبيناً تحريف بني إسرائيل لكتابهم المقدس التوراة: ﴿قَوْلُ الَّذِينَ كَتَبُوا الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ مَتَا قَلِيلًا قَوْلُ لَهُمْ مَتَا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَتَا يَكْسِبُونَ﴾^٣. ويقول ابن كثير في تفسيره: "هؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب وأكل أموال الناس بالباطل، فالويل والهلاك والدمار لهم؛ لأنهم حرقوا التوراة فزادوا فيها ما أحبوا ومحو منها ما يكرهون، ومحو اسم محمد (ﷺ) من التوراة ولذلك غضب الله عليهم. قال ابن عباس: هم أحبار اليهود، وقال أيضاً: نزلت في المشركين وأهل الكتاب".^٤ بعد هذه الجولة مع مفهوم التوراة ومدلولاتها يجدر التعرّيج على أدوارها ومن ثم التعرف على مراحلها.

٢- أدوار ومراحل التوراة : لقد نزلت التوراة على موسى عليه السلام جملةً واحدةً، ويشير سفر الخروج إلى ذلك فيقول: "وقال الربُّ

١ - المرجع السابق، ص ٣٣٠، سفر التثنية، الإصحاح ٣١: ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٢.

٢ - كاثلين م. كنيون: الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة، تعريب شوقي شعث وسليم زيد، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٧-٨.

٣ - سورة البقرة، الآية ٧٩.

٤ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م. س، ص ١١٦-١١٧.

لِمُوسَى اصْنَعْ ذِيَّ إِلَى الْجَبَلِ وَكُنْ هُنَاكَ. فَأَعْطَيْكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ
وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ^١.

ويتناول محمد شليبي أول عهد زميني للتوراة فيقول: "ويبدأ تاريخ نزول
التوراة لما اختار الله تعالى موسى رسولاً إلى بني إسرائيل، وتلقيه كلام الله
سبحانه بعد أن أتم ميقات ربه أربعين ليلة"^٢. ويستشهد بقوله تعالى:
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمَّاهَا بَعْشَرًا فَسَمَّيْنَاهُ أُورُشَلِيمَ وَأَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ
اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ، وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَمْرِئِي
أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ مَرَّئِي^٣﴾.

فيقول الله تعالى مُعْتَمِناً على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية،
بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة، وفيها أحكامهم وتفصيل
شرعهم. ولما نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، جاءه قومه من بني
لاوي، وكتب لهم ما أوحى الله إليه وأوصاهم بالمحافظة عليها والعمل بها،
وأمرهم بوضعها في التابوت الذي سبق وأمرهم بصنعه؛ ليضع فيه ما يوحى
الله إليه من الشهادة، وسمي هذا التابوت بتابوت الرب. وقد جاء في سفر
التثنية: "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة من بني لاوي حَامِلِي
تابوت عهد الرب. ولجميع شيوخ بني إسرائيل"^٤.

وفي عهد سليمان عليه السلام جيء بالتابوت لفتحته وإخراج التوراة،
لقراءتها على الناس فلم يجدوا إلا "اللوحين الحجريين اللذين وضعهما موسى"^٥.
وقد عرف جميع بني إسرائيل بضياع التوراة، حيث حضر جمع غفير
منهم إن لم يكن حضروا عن آخرهم؛ لاشتياقهم الشديد لرؤية التوراة، ومن

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٢٥-١٢٦، سفر الخروج، الإصحاح ٢٤: ١٣، ١٢.

٢ - محمد شليبي شتيوي: مقارنة الأديان، التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٨٦ م. ص ١٥.

٣ - سورة الأعراف الآيات ١٤٢ - ١٤٣.

٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٣٣٠، سفر التثنية، الإصحاح ٣١: ٩، ١١.

٥ - المرجع السابق، ص ٥٤٥، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨: ٩.

ذلك الوقت أصبح بنو إسرائيل شعباً بدون كتاب ديني وبلا وحي إلهي، فقد ضاعت التوراة ولم يكن لدى بني إسرائيل سوى سورة واحدة من التوراة يحفظها الجميع، وأما باقي التوراة فلم يحفظها أهلها في صدورهم. ويدل سعيد البيشاوي على فقدان التوراة، فيقول: "واستمر ضياع التوراة وفقدانها وانقطاع سلسلة سندها، من فتح سليمان عليه السلام للتابوت ثم ظهرت توراة جديدة حين أعلن الكاهن حلفيا أنه وجد التوراة في بيت المقدس. وإعلان حلفيا عن عثوره على توراة موسى أمر لا يصدق العقل إلا إذا كان معجزة، وهو ليس ببني ولا رسول حتى نصدق بجران معجزة على يديه".^١

إضافة إلى أن التوراة التي ظهرت بعد قصة فتح التابوت، تبعد عن توراة موسى حوالي ثلاثمائة وخمسين عاماً تقريباً، وإذا علمنا أن المنطقة دمرتها الحروب والحرائق عدة مرات، وشرد بنو إسرائيل هنا وهناك أكثر من مرة، وسيطرت عليهم العقائد الوثنية مئات السنين. إذا علمنا ذلك سلّمنا عقلياً باستحالة وجود توراة موسى عليه السلام.

والحقيقة كما يقول رول ديورانت في قصة الحضارة: "أن هذه التوراة التي اكتشفها حلفيا ما هي إلا مجموعة أقوال الأنبياء والكهنة على مدى عدة قرون، جمعت كما يجمع المؤرخ أقوال مشاهير العالم، ثم رتبت ونسقت وأعلنها يوشيا الحاكم وحلفيا الكاهن، لشعب بني إسرائيل على أنها توراة موسى".^٢

وتبدأ قصة التوراة الثالثة حيث بدأ الكهنة في جمع الأسفار وكتابة التوراة، وقاد عزرا هذه العملية حتى تمت كتابة التوراة للمرة الثالثة، وكان ذلك بعد أن أخذ بنو إسرائيل أسرى إلى بابل.

وتقول لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: "إننا نفكر عادة أن الكتاب المقدس هو كتاب واحد ولكنه بالحقيقة مجموعة من الكتب، كتبها أناس

^١ - سعيد البيشاوي وآخرون: دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمّان، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٣٠-٣١.

^٢ - محمد شلي شتيوي: مقارنة الأديان، التوراة دراسة وتحليل، م ١٠، ص ٣١.

مختلفون في حَقبة طويلة من الزمن. هذه الكتب كلها مجموعة الآن في كتاب واحد ألا وهو الكتاب المقدس. الأمر الذي ينطبق على جزئيه العهدين القديم والجديد.^١ فيتضح من خلال هذا العرض الموجز لآيات الكتاب المقدس أن التوراة التي ينسبها اليهود إلى موسى، ليست إلا مجموعة من الأقوال التي لا تمت إلى موسى عليه السلام بصلة. لذا ينبغي التعرف على التوراة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

٣- ما هي التوراة التي صدق بها القرآن الكريم؟ هي الكتاب الرباني الذي أنزله الله تعالى - على سيدنا موسى عليه السلام - ويتضمن على الأرجح الصحف والألواح التي أنزلت عليه بعد مناجاته لربه في جانب الطور، ويتناول كمال أحمد عون ما احتوته التوراة الأصلية، فيقول: "وجاءت بالحق في العقيدة والعدالة في الأحكام، والمكارم في الأخلاق والآداب شأنها شأن هدايات السماء".^٢

هذا وقد ورد في القرآن الكريم أمر التصديق بالتوراة الأصلية السماوية والتي فقدت تماماً اليوم، فيقول الله تعالى:

﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^٣.

فالتوراة التي صدق بها القرآن الكريم، هي الأصول الأولى التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام بالحق. أما التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فليس لها سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام؛ لأنه دخل عليها التحريف والتبديل، وقد وبَّخ الله تعالى اليهود عندما أرادوا الانحراف عن الحق والبعد عن الشريعة، وذكرهم بأن التوراة فيها الهدى والنور وعليهم الحكم بما فيها. قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَكَّلُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا

^١ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، تعريب إبراهيم سروج،

المنشورات الأرثوذكسية، طرابلس، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ١١

^٢ - كمال أحمد عون: اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٩٧.

^٣ - سورة آل عمران، الآية ٣.

الَّذِينَ الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّاسُوتِ وَالْأَخْبَارِ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُونِ وَكَاسْتَشِرُوا بِآيَاتِي تَسَاءً قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ».

ويقول الإمام الرازي الآية الكريمة فيها: "إشارة إلى حُكْمِ الله الذي في التوراة وإخبار [عن اليهود] بأنهم لا يؤمنون أبداً، وإن طلبوا الحُكْمَ منك [يا محمد (ﷺ)] فما هم بالمؤمنين، ولا بمعقدين في صحّة حُكْمِكَ، وذلك يدل على أنّه لا إيمان لهم بشيء، وإن كل مقصودهم تحصيل مصالح الدنيا فقط". وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبذله، فدعواه الإيمان باطلة. ثم مدح الله تعالى التوراة بأنها نور وضياء، ونور ساطع يكشف ما اشبهه من الأحكام. ويحكم بالتوراة أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لحكم الله، ولا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها أو يحرفونها، والعلماء منهم والفقهاء رقباء لئلا يبدل ويغير. ولا تخافوا يا علماء اليهود الناس في إظهار ما عندكم من نعت محمد رسول الله (ﷺ) والرجم بل خافوا الله تعالى من كتمانكم لذلك، ولا تستبدلوا بآيات الله حطام الدنيا الفاني من الرشوة والجاه والعرض الخسيس.

قال الزمخشري: ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهيناً به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهزاء والاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغيرها. قال أبو حيان: والآية وإن كان الظاهر من سياقها أن الخطاب فيها لليهود، إلا أنها عامة في اليهود وغيرهم. ثم فصل القرآن الكريم في الرد على أهل الكتاب "يهود ونصارى"، مبيناً أن التوراة والإنجيل والقرآن كلها تنبع من مشكاة واحدة وتضمنت شرائع ربانية، وتوصي بوجوب اتباع الرسول الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام؛ لذا يستمر البحث في تناول بعض ما تضمنته التوراة من أحكام.

٤— بعض ما تضمنته التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام.

١ - سورة المائدة، الآيات ٤٣—٤٤.

٢ - فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، ط ١، لا.ت، ج ١١، ص ٢٣٦.

لقد تحدث القرآن الكريم عن بعض ما جاء في التوراة ونحن نؤمن بذلك، لأنه جاءنا به علم يقيني قاطع، ومن تلك الأمور ما يلي:

أ - الهدى والنور والتصديق بما جاء في صحف سيدنا إبراهيم عليه السلام. ويدلل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^١.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات من سورة الأعلى: "قد أفلح من طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمره وامتنالاً لشعره.

إن مضمون هذا الكلام ورد في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى. فعن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾. قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى^٢. فهذا الذي تطهر وذكر وصلى يقيناً قد أفلح في دنياه فعاش موصولاً بالله تعالى، حي القلب شاعراً بحلاوة الذكر وإيناسه وأفلح في أخراه فنجا من النار الكبرى، فبذلك يكون قد فاز بالنعيم والرضى في الدنيا والآخرة. وفي ختام الآيات تجيء الإشارة إلى قدم هذه الدعوة وعراققة منبتها وامتداد جذورها في شعاب الزمن وتوحد أصولها فهذا هو الحق الأصيل العريق يتضمن أصول العقيدة الكبرى، وهو في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام. فوحدة الحق والعقيدة هما أمران تقتضيهما وحدة الجهة التي صدرا عنها، ووحدة المشيئة التي اقتضت بعثة الرسل إلى البشر... إنه حق واحد يرجع إلى أصل واحد من الرب الأعلى الذي خلق فسوى وقدر فهدى.

^١ - سورة الأعلى، الآيات ١٤ - ١٩ .

^٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م.س، ص ٤٦٧-٤٧٩.

لذلك ينبغي أن نؤمن إيماناً جازماً بأن الله أنزل على سيدنا إبراهيم وموسى عليهما السلام صحفاً، وأن فيها من الحقائق الدينية التي ذكرها القرآن الكريم، فهو دليل قاطع على صدقها.

ب — مجموعة من الأحكام والشرائع الربانية.

لقد تناولت التوراة الربانية التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، أحكاماً وشرائع ربانية تناسب عصر نزولها وأهل زمانها، وتنادي بوحداية الله تعالى، وقد نوه القرآن الكريم بتلك التعاليم وعاب على يهود تحايلهم على تعطيل حكم الله الوارد في التوراة، وجنوحهم إلى الأهواء النفسية والرغبات المادية، فيقول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يُولَوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ أَنْزَلْنَاهُ لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّاسُخُونَ فِي الْأَجَابِرِينَ اسْتَخْفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ اللَّهَ وَكَانُوا عَلَيْهِ قُلُوبًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ١﴾

فهذه دلالة صريحة قاطعة على أن التوراة التي أنزلها الله تعالى، تتضمن أحكاماً وشرائع ربانية. و كما أن الله تعالى وصف الأنبياء من بعد موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ ليثبت بأن الإسلام هو دين الله تعالى لجميع أنبيائه ورسله. وفي قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾. قيل المراد بالنبين محمد (ﷺ)، وعبر عنه بلفظ الجمع. وقيل المراد هو كل من بعث بعد موسى عليه السلام، ولعل في ذلك إشارة إلى رسالة سيدنا عيسى عليه السلام. لا سيما في إقامة التوراة. وأن اليهود قالت: إن الأنبياء كانوا يهوداً وقالت النصارى: كانوا نصارى، فبين الله عز وجل كذبهم. ومعنى ﴿أَسْلَمُوا﴾ وكما عبر عنه القرطبي، إذ يقول: هم الذين صدّقوا بالتوراة من لدن موسى عليه السلام إلى زمان عيسى عليه السلام، وبينهما ألف نبي ويقال أربعة آلاف ويقال أكثر من ذلك، كانوا يحكمون بما في التوراة. وقيل معنى ﴿أَسْلَمُوا﴾ خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما

١ - سورة المائدة، الآيتان ٤٣-٤٤.

بعثوا به. وقيل: أي يحكم بها النبيون الذين على دين إبراهيم عليه السلام والمعنى واحد^١. وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُكَ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ أن رجلاً من اليهود زنى بامرأة، فترافعوا إلى النبي (ﷺ)، يستفتونه في حكم الزاني المحصن، طائنين أن عقوبة الزاني المحصن في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام أخف من عقوبة التوراة، فنشدهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى: (ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟ فأجابوا بالجلد والتعزير، إلا شاباً من أحبارهم ظل ساكتاً، فشدد عليه الرسول (ﷺ) النشدة، فقال الشاب: اللهم إذا نشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم. فقال النبي (ﷺ): فما أول ما ارتخص من أمر الله؟! قال: زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا: لا ترجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم مشيراً إلى العقوبة التي ادعى اليهود أنها في التوراة فقال النبي (ﷺ) فإني أحكم بما في التوراة، فأمرَ بهما فرجما^٢. وهذا دليل على أن حكم الرجم للزاني المحصن من الأحكام المنصوص عليها في التوراة.

ج - البشارة بسيدنا محمد (ﷺ)، وذكر بعض صفاته.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَبَصَّرُوهُ وَابْتَغُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٣.

فهذه الآية تدل بوضوح على أن الرسول النبي الأمي هو محمد (ﷺ) مكتوب عند أهل الكتاب في التوراة، وكتابه فيها باسمه أو صفاته

^١ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، مج ٢، ص ١٣٥.

^٢ - محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب كتاب المناقب، رقم الحديث "٣٣٦٣"، وأخرجه مسلم في الحدود تحت رقم الحديث "٣٢١١"، وأخرجه أبو داود في الحدود تحت أرقام الحديث "٣٨٥٦"، "٣٨٥٩".

^٣ - سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

بشارة عظيمة به، لأنها كانت قبل وجوده بقرون عديدة. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^١. روى البخاري قال: حدثنا عبد الله بن سلمة، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار بد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قال جاءت أيضاً في التوراة بهذا النص التالي: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً^٢).

د - صفة أصحاب سيدنا (ﷺ).

يقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزريغ أخرج شطاها فأنزله فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾^٣.

تبين وتؤكد الآية الكريمة أن محمداً (ﷺ) رسول من عند الله حقاً بلا شك ولا ريب، وأن صحابته رضوان الله عليهم قد ذكرت صفاتهم بالتوراة، وأنهم: يمتازون بالشدة والغلظة والصلابة على من جحد بالله وعاداهم، وبالرقة والرحمة على بعضهم بعضاً، تشاهدهم يكثرون الصلاة بإخلاص وعلامتهم المميزة لهم وجود النور والبهاء والوقار في الوجه، والسمت الحسن والخشوع يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً.

^١ - سورة الأحزاب، الآية ٤٥.

^٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤٠٠ م، س، رقم الباب "٣"، رقم الحديث "٤٨٣٨"، ص ٦٥٩.

^٣ - سورة الفتح، الآية ٢٩.

هـ - الحث على الجهاد بالنفس والمال.

إن الجهاد في سبيل الله تعالى من التشريعات التي نادى بها الكتب السماوية، وهذه دلالة على وحدة مصدرها، وبذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَاً عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

لقد تفضل الله تعالى على عباده المؤمنين المجاهدين فاشترى منهم الأموال والأنفس بالجنة، وهو تمثيل في ذروة البلاغة والبيان لأجر المجاهدين، مثل سبحانه وتعالى جزاءهم بالجنة على بذلهم الأموال والأنفس في سبيله بصورة عقد فيه بيع وشراء. فقال الحسن البصري: بايعهم فأغلى لهم الثمن. فانظروا إلى كرم الله. الأنفس هو خالقها والأموال هو رازقها ثم وهبها لهم واشترى منهم بهذا الثمن الغالي، إنما لصفقة رابحة. ﴿وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم به المولى وعداً قاطعاً، مثبتاً في الكتب المقدسة "التوراة والإنجيل والقرآن".

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ الاستفهام الإنكاري هنا يعني النفي أي لا أحد أوفى من الله جل وعلا. ويقول الإمام الزمخشري في هذا المجال: "إن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق، فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح؟ ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ. فهذه الآية الكريمة تنص على أن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال مما حث عليه التوراة بني إسرائيل، وأن الله وعد فيها المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون بأن لهم الجنة. لذلك نؤمن إيماناً جازماً بأن التوراة الأصل كتاب رباني، أنزله الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام، وأن هذه الحقائق التي تحدث عنها القرآن الكريم مما تضمنته التوراة قطعاً. وإن من ينكر شيئاً من ذلك فهو كافر لا محالة، لأنه أنكر شيئاً ثبت بدليل يقيني قاطع".^٢

١ - سورة التوبة، الآية ١١١.

٢ - محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، م.س، ج ٢، ص ٣١٤.

وبعد أن بَيَّنَّ البحث موقف القرآن الكريم من التوراة والإنجيل قبل تحريفهما، فإنه يحسنُ أن يُسَطَّ الموضوع قليلاً لبيان موقف السُّنة، وكيف أنَّ الرسول محمداً عليه الصلاة والسلام يغضب أشدَّ الغضب في موقف ما ويتصر فيه لسيدنا موسى عليه السلام. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهوديٌّ يعرض سلعةً له أُعْطِيَ بها شيئاً كرهه أو لم يرضه. قال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: أتقول: والذي اصطفى موسى على البشر، ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمَّةً وعهداً. وقال: فلان لطم وجهي. فقال رسول الله (ﷺ): (لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟). قال: قال — يا رسول الله — والذي اصطفى موسى على البشر وأنت بين أظهرنا. قال: فغضب رسول الله (ﷺ) حَتَّى عُرِفَ الغضب في وجهه، ثم قال: (لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُبْعَثُ، أَوْ: فِي أَوَّلِ مَنْ يُبْعَثُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَحْسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطَّوْرِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)¹.

فالمراد أنَّ أصول الشرائع السماوية واحدة لا تختلف لا سيما فيما يتعلق بالعقيدة، وإن اختلفت في التفاصيل والفروع حسب المكان والزمان. ومن الشواهد على ذلك ما جاء في الحديث الشريف التالي: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ بَعِثَ بِنِ مَرْمٍ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ) قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال:

¹ - عبد العظيم بن عبد القوي المنري: مختصر صحيح مسلم، م.س، ص ٤٨٣ ورواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ آخر، تحت رقم الحديث "٦٩١٨".

(الأنبياء إخوة من علات^١، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس يتنا نبياً^٢).

المطلب الثاني: الأسفار أو " العهد القديم " وفيه ثلاثة فروع رئيسية

"السفر لغة يعني: الكتاب والجمع أسفار. وسفرت الكتاب أسفروا سفرًا: بمعنى كشفت عنه"^٣. ولقد استن اليهود لأنفسهم تسعة وثلاثين سفرًا، أطلق عليها في العصور المسيحية: اسم العهد القديم، للترقية بينه وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها لفظ العهد الجديد، واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة موحى بها، وجاء في العهد القديم بعنوان "الله يوحى باسمه" ما يدل على اعتبارهم الذاتية حول الألوهية: "فقال موسى لله ها أنا ذاهب إلى بني إسرائيل، فأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإن قالوا لي: ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أنا هو من هو. وقال: كذا تقول لبني إسرائيل: أنا هو أرسلني إليكم كذا تقول لبني إسرائيل الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي للأبد وهذا ذكرى من جيل إلى جيل"^٤. فيفهم من النص السابق أن الله لا يريد أن يكشف اسمه وبما أنه يعني نفسه، فيقول: أنا هو الذي هو، كما يشير الكتاب المقدس لدى يهود، والشاهد أنهم في حيرة وتردد من أمر دينهم وتحديد معبودهم. وهذا دليل من كتابهم على التيه الذي وقعوا فيه لا سيما في موضوع التوحيد. وجاء مفهوم العهد أيضاً بما يرادف كلمة الميثاق، وبنوه

١ - العلات: هم الأخوة من أب واحد وإن اختلفت أمهاتهم. "بنو العلات": أولاد الرجل من نسوة شتى. سُميت بذلك لأن الذي تزوج أخرى على أولى كانت قبلها ناهل ثم عل من هذه والعلة: الشراب الثاني يُقال: علل بعد نهل. وعلة: سقاء السفينة الثانية، انظر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٤٥١. وقيل أمهاتهم تعني شرائعهم متعددة ودينهم واحد.

٢ - عبد العظيم عبد القوي المنذري: مختصر صحيح مسلم، م.س، ص ٤٨٥.

٣ - محمد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، م.س، ص ٤٨١.

٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١٥٧. سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١٣، ١٤.

محمد الحيني بالتناقضات التي أصابت العهد القديم أو التوراة، فيقول: "وأما البحث العلمي فيثبت أن الجزء الأول من الكتاب المقدس وهو المعروف بالعهد القديم، لم يكن على الحال التي نراها عليه الآن... وأن القرن الأول الميلادي شهد هذا الكتاب المقدس وهو لم يكن على ترتيبه الحالي". وعلى كل حال فإن هذه الأسفار تعتبر المصدر الثاني من مصادر الفكر الديني عند اليهود بعد التلمود، لذا لا بدّ من بحثها بشيء من التوضيح؛ لأنها تعكس موقفهم من التوحيد الحقيقي الذي ينبغي أن يكون، كما أنها تكشف نظرهم في التعامل مع الذات الإلهية، بالإضافة إلى طقوسهم الدينية.

وأما العهد القديم: فهو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم وقد تطلق "التوراة" على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة لأنها تنسب إلى موسى عليه السلام، وكلمة التوراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية كما ورد سابقاً. وأما الأسفار فهي الكتب التاريخية في العهد القديم ومنها على سبيل المثال كما يعددها ريجنسكي من خلال العهد القديم، فيقول هي: "التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، التثنية، كتاب يشوع بن نون، كتاب القضاة، صمويل، الملوك، كتاب النبي إشعيا، كتاب النبي إرميا، كتاب النبي حزقيال، كتاب أيوب، كتاب أمثال سليمان، المزامير "مزامير داود". كذلك فإن كتابي الملوك الأول والثاني يسميان في التوراة اليهودية بكتابي صموئيل الأول والثاني. إن كتب العهد القديم المعددة أعلاه تعتبر كتب شريعة وكتباً روحية إلهية كما في الديانة اليهودية".

الفرع الأول: أسفار التوراة وهي خمسة أسفار.

١- سفر التكوين: ويسمى سفر الخلق؛ وذلك لاشتماله على قصة خلق العالم وخلق الإنسان الأول ويشتمل قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر آدم

١ - محمد جابر عبد العال الحيني: في العقائد والأديان الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٠٥.

٢ - م. ريجنسكي: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، م. س، ٨ - ٩.

عليه السلام وزوجه حواء، ونزوله إلى الأرض عقاباً له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده، وقصة إبراهيم عليه السلام وتجوّاله ونسله إلى إسحاق ويعقوب وأولاده وخاصة يوسف عليه السلام، وما جرى له حتى أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وإخوته، وموت يوسف ينتهي هذا السفر. ففي كتاب التكوين يروى أن يهوّه ظهر لإبراهيم وكلمه قائلاً: "وَأَقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. لَأَكُونَ لَكَ إِلَهًا وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ كُلِّ أَرْضِ كَنْعَانَ، مُلْكًا مُؤَبَّدًا، وَأَكُونَ لَهُمْ إِلَهًا". فسفر التكوين يبين للقارئ أن الله اختص له شعباً ويرم المعاهدات الأبدية معهم ويملكهم الأرض، وحاشا لله تعالى أن ينحاز لشعب لمجرد النسب، ومما يؤكد الخلل والدخّل^١ الذي اعترى سفر التكوين، هو أن فترة تدوينه استمرت عدّة أجيال، ويشهد بذلك الكتاب المقدس نفسه، إذ يقول: "ولا بدّ من التذكّر أيضاً بأنّ سفر التكوين لم يؤلّف دفعةً واحدة، بل جاء نتيجة عمل أدبيّ استمر عدّة أجيال... ولكنّ علّم الآثار يدل أيضاً على أنّ المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلّدين عُميان، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصة بشعبهم. فهم لم يكتفوا بالمحافظة على الإيمان اليهودي، بل أبرزوا أصالته"^٢.

فالصفة البارزة لسفر التكوين بأنه عمل أدبيّ متعدد المصادر، وإضافة اللمسات وإعادة النظر في الفصول الأولى لهذا السفر الذي اعترف بها الكتاب المقدس، يوحى بالخروج عن مميزات النص الموثق، ثم إنّ السؤال الموضوعي الذي ينبغي أن يُطرح، هو أين كانت أصالة الإيمان اليهودي حتى جاء مؤلفو

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٩١، سفر التكوين، الإصحاح ١٧: ٧، ٨.
 ٢ - الدخّل: العيب والريبة، يقال هذا الأمر فيه دخّل ودغّل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾. سورة النحل، الآية ٩٤. أي مكر وخديعة. انظر، اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، م.س، ص ٣٠٥.
 ٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٦٤-٦٦.

سفر الخروج وأبرزوا تلك الأصالة كما يدعون؟ فهذا الأمر يرشد إلى ضياع أو فقدان أصل السفر على أقل الاحتمالات.

"إن سفر التكوين الذي حفظ في طيه الروايات الأسطورية عمّن يُسمّون بالآباء الأولين: إبراهيم واسحق ويعقوب، فهو يصورهم بمثابة شيوخ بدو نموذجيين وكآباء لعوائل كبيرة. فإن تاريخ العبرانيين قبل القرن الثالث عشر مضاءً في المصادر المقدسة لديهم إضاءةً ضعيفةً جداً وفيه ضبابية. ولدينا كل الأسس للاعتقاد بأن ديانتهم قد مرّت عبر نفس مراحل التطور التي مرّت بها ديانة كل الشعوب القديمة الأخرى، إن هذه الديانة كانت دون شكّ ديانة إشراك في ذلك الزمان، قائمة على تعدد الآلهة لكنّ لهاً واحداً فيها بدأ يتميز عن غيره منذ وقت مبكر نسبياً، وهو الإله "يهوه" الذي أصبح بالنسبة لجميع القبائل العبرانية القديمة موضوعاً لتبجيلها المشترك وراعياً لها".^١ فلا يتجاوز الباحث الحقيقة إذا قال إن سفر التكوين ما هو إلا مجموعة من الأساطير ويدل على ذلك كمال الصليبي فيقول: "وما سفر التكوين وهو السفر الأول من التوراة، إلا مجموعة من الأساطير التي يتعدى قدمها قدم اليهودية ونصوصها المكتوبة بأجيال وأجيال، وبنظري إن قصة آدم وذويه كما هي واردة في نصّ سفر التكوين تتألف من مزيج من الأساطير والخرافات".^٢ أما السفر الثاني من أسفار التوراة فهو سفر الخروج والذي يعتقد اليهود فيه أن الله يعتني بهم؛ لأنه أخرجهم من الذلّ الذي كانوا يعيشون فيه. ويقول الكتاب المقدس في مدخل سفر الخروج: "نلاحظ أن الخروج من مصر هو الذي أثار التفكير اللاهوتي والتاريخي في إسرائيل. فقد كان ذلك الزمن زمن حدثات شعب يعتني الله به بالرغم من تمرّداته الأولى".^٣

٢- سفر الخروج: وهو يحكي قصة خروج بني إسرائيل من مصر، ويعد تأريخاً للمدة الزمنية من بعد موت يوسف عليه السلام حتى دخول بني

^١ - م. ريجنسكي: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، م.س، ص ١٢.

^٢ - كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن، ١٩٨٨، ص ٢٥، م.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٤٩.

إسرائيل إلى أرض كنعان، ويضم مسائل شرعية وتعاليم دينية، كما اشتمل هذا السفر على الوصايا العشر، التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام، وكيف كان صعوده على جبل الطور، وتلقيه كلام الله تعالى. وفي سفر الخروج، يكلّم الربُّ موسى قائلا: "ثُمَّ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمَعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي، لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَا الرَّبُّ... وَأَدْخِلُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيهَا لِأَبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا".^١ وهنا يظهر بوضوح فكر بني إسرائيل عن ربهم، وهو ما ينبغي أن يتساءل المرء عنه، فيقول: كيف يتذكر الربُّ عهده؟ وما هي صفات هذا الرب؟ وكيف يكون خالقاً إذا تساوى مع مخلوقاته وأنه ينسى؟! فهذه مغالطات خطيرة أسقطت اليهود في انزلاقات عقائدية وثنية. ويسرد سفر الخروج بعض الأحكام الشرعية والوصايا عند يهود فيقول: "وَلَا تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَاقِقْهُ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لَا تُسَيِّءُ إِلَى أَرْمَلَةٍ وَلَا يَتِيمٍ".^٢ ولكن السفر نفسه يوضح موقف بني إسرائيل المتناقض مع هذه الوصايا، فيذكر أنهم تمرّدوا على سيدنا هارون وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم: "وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ مَاذَا صَنَعَ بِكَ هَذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيئَةً عَظِيمَةً. فَقَالَ هَارُونَ لَا يَحْمُ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرٍّ. فَقَالُوا لِي أَصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا. لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي، فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هَذَا الْعَجَلُ"^٣ هذا هو موقف اليهود من أنبيائهم وشرائع دينهم كما يرويه سفر الخروج، انظر كيف يتهمون هارون عليه السلام وهو النبي المرسل بأنه صنع لهم آلهة تسير من أمامهم، مع أن الذي جمع حلّيتهم وصنع منه عجلاً له خُوار هو السامريُّ وليس هارون. وينتهي سفر الخروج ببناء خيمة الموعد، ويعترف

^١ - المرجع السابق، ص ٩٤، سفر الخروج، الإصحاح ٦: ٢، ٥، ٦، ٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٢٣، سفر الخروج، الإصحاح ٢٢: ٢١، ٢٢، ٢٣.

^٣ - المرجع السابق، ص ١٤١، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ٧، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠.

الرَّبِّ بمطابقتها لما أمر به كما يزعمون، والكلمات الأولى من سفر اللاويين أو الأحبار تعبر على طريقتها الخاصة عن هذا الاعتراف، ويتابع البحث مع سفر آخر وهو سفر اللاويين أو "الأحبار"؛ ليروي مُجمل وصايا موسى عليه السلام، وبعض المخالفات الدينية التي وقع بها بنو إسرائيل، وتهافتهم على الشهوات المادية .

٣- سفر اللاويين أو الأحبار: سمي بذلك نسبةً إلى أسرة لاوي^١ التي سلّمها موسى عليه السلام تابوت العهد، وحملهم مسؤولية الحفاظ على التوراة ومدارستها لبني إسرائيل. ويقول محمد وحيد خياطة إن سفر اللاويين يتضمن: "مجمل وصايا موسى [عليه السلام] وعادات تقدم الأضاحي في المعبد، وسلطة الكهنة وتنظيم العلاقات اليومية فيما يتعلق بالمحظورات والمكروهات والفضائل"^٢ ومن الأمثلة التي يسوقها سفر اللاويين أو الأحبار عن عادات القرايين والأضاحي في الديانة اليهودية ما يلي: "وَدَعَا الرَّبُّ مُوسَى وَكَلَّمَهُ مِنْ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ قَائِلًا: كُلَّمَا بَنَى إِسْرَائِيلُ وَقَلَ لَهُمْ: إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ مِنْ الْبَهَائِمِ فَمَنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ تُقَرَّبُونَ قَرَائِنُكُمْ... إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ يُقَدِّمُهُ لِلرَّضَا عَنْهُ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ فَيَرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ. وَيَذْبَحُ الْعِجْلَ أَمَامَ الرَّبِّ... لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ"^٣ وأما التباين فكان واضحاً بين الكهنة وعامة الشعب من حيث طريقة تقديم القرايين التي تقدّم للرَّبِّ. ويشهد بذلك العهد القديم الذي يذكر بجلاء ووضوح أهداف سفر الأحبار، فيقول: "وما يهدف إليه سفر الأحبار، هو اقتناع ضمائر يهود بأن الاتحاد بالله الحيّ أصدق ما يمتاز به الإنسان، كما ويستعرض السفر في الجزء الأول منه جميع أصناف الذبائح التي يجوز

^١ - لاوي: اسم علم يهودي. وقيل: اسم جنس يدل على أناس كانوا يساعدون الكهنة في الهيكل. وكان برنابا لاوياء، ومن سبطهم كان يُقام الكهنة.

^٢ - محمد وحيد خياطة: قراءات في التوراة، دار إطلال للنشر، دمشق، ط ١٩٧٨، ١، ص ٢٣

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م. س.، ص ١٥٧، سفر اللاويين أو "الأحبار"، الإصحاح ١: ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

للإسرائيلي أو يجب عليه أن يقرها لله في ظروف معينة^١. وكان اللاويون أيضاً متوسطين بين الكهنة والشعب، وبين محمد قاسم مكانتهم الدينية، فيقول: "لم يكن يجوز [للالوين] أن يُقدّموا الذبائح أو يحرقوا البخور أو يروا الأشياء المقدسة إلا مُعَظَّةً، وعلى الرغم من أن اللاويين أصبحوا فيما بعد قضاة لليهود وفقهاء ومعلمين، لكنهم لم يلبثوا أن ضلوا السبيل، فتهافتوا على الشهوات الماديّة وتمردوا على إلههم وعبدوا الأوثان وزينوا للشعب عبادتها"^٢ وأما الأقسام الأخرى من سفر اللاويين أو الأخبار فاشتملت على الحفلات التي تجري بمناسبة تكريس هارون وبنيه لممارسة الكهنوت الذين يمارسون دور الوسطاء بين الشعب والإله القدوس. ومن ثم تناول فهرس جميع النجاسات التي تمنع الإنسان من الاتصال بالإله، مثل: نجاسة المرأة النفساء والأطعمة النجسة والبرص. وفي القسم الأخير من السفر الفصول التي تُجمَع عادةً تحت عنوان شريعة القداسة. ويقول المدخل إلى سفر الأخبار: "بما أن الربّ إله حيّ وقدّوس، فعلى الشعب الذي اختاره وخصّ به نفسه وقدّسه أن يطلب كل ما يساعده على الاتصال بالله، ويتجنب كل ما يحول مادياً أو خلقياً دون هذا الاتصال الحيويّ به: كالإمساك عن أكل الدم الذي هو مركز الحياة التي أعطاه الله، والإعراض عن جميع العلاقات الجنسيّة الشاذّة، واحترام الله بصفته الإله الوحيد، ومحبة الإنسان بصفته خليفة الله، وتكريم الكهنوت والذبائح والاحتفال بالأعياد والمواسم المقدّسة"^٣. فالقداسة إذاً من أهم مفاهيم سفر الأخبار والتي تعني ثلاثة أفكار: وهي الانفصال عمّا هو غير مقدّس وتكريس الاتحاد بالله والتزام خدمة الله للعمل بمشيئته. فهذا خلط عجيب بين دعوة سفر اللاويين أو الأخبار إلى الدعوة إلى التوحيد ثم الاتحاد مع الله، فما هي إلا من الوثنية والشرك. ويلحق بأسفار اليهود المقدسة لديهم ما يسمى بسفر العدد،

^١ - المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

^٢ - محمد قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتّى سبي بابل، م.س، ص ٥٦٢-٥٦٣، بتصرف.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٢٢٥.

وسمّاه المترجمون اليونانيون بهذا الاسم نظراً إلى الإحصاءات التي هي موضوع الفصول الأولى منه، وهو أشد أسفار التوراة "الكتب الخمسة" تعقيداً.

٤- سفر العدد: وسمي بهذا الاسم؛ لأن أكثر آياته تقسيمات عديدة فهو يقسم أسباط بني إسرائيل ويرتب درجاتهم ومنازلهم وعدد الذكور منهم، كما اشتمل على أحوال وحياة بني إسرائيل وهم في التيه، وأيضاً يشمل بعض التعاليم الدينية والكهنوتية والتنظيمات المدنية والاجتماعية. ومن أمثلة التعاليم الدينية والكهنوتية التي وردت في سفر العدد أو الأعداد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً. خُذَ اللَّوِيِّينَ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَطَهَّرْهُمْ. وَهَكَذَا تَفْعَلُ لَهُمْ لَتَطْهِّرَهُمْ. انْضَحْ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْخَطِيئَةِ... وَيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ فَيَتَطَهَّرُوا".^١ وأما الإصحاح الخامس من سفر العدد فيذكر بجلاء شريعة الغيرة عند بني إسرائيل إذ يقول: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً كُلَّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ إِذَا زَاغَتْ امْرَأَةُ رَجُلٍ وَخَاتَمَتُهُ حَيَاتَةً... فَاغْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيْرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ... يَأْتِي الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ إِلَى الْكَاهِنِ وَيَأْتِي بِقُرْبَانِهَا هَذِهِ شَرِيعَةُ الْغَيْرَةِ... يُوقِفُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَعْمَلُ لَهَا الْكَاهِنُ كُلَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فَيَتَبَرَّأُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّنْبِ وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ ذَنْبَهَا".^٢ واشتمل سفر العدد على سلسلة روايات تقع في ثلاث لَحْمٍ روائية وهي: "التقليد الكهنوتي، والتقليد اليهودي والتقليد الإيلوحي"،^٣ وتمتاز هذه التقاليد بأهدافها اللاهوتية، والإصرار على إضافة اسم هارون إلى اسم موسى دليل كاف على هدف المؤلفين، فهم يسعون إلى تبرير الوضع القائم منذ وفاة موسى، وهو أن عظيم الكهنة ألعازار بن هارون يستأثر بالوحي الإلهي ويتولّى أعلى سلطة في الشعب. وشعب الله في السلطة الكهنوتية من عناصره: أنه ليس إسرائيل شعباً يحمل السلاح وأمة تحوض الحياة

^١ - المرجع السابق، ص ٢٢٤، سفر العدد، الإصحاح ٨: ٥، ٦، ٧.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢١٧، سفر العدد، الإصحاح ٥: ١١، ١٢، ١٥، ٢٩، ٣٠، ٣١.

^٣ - التقليد الكهنوتي واليهوي والإيلوحي: هي عبارة عن نصوص دينية وأحداث لمفاهيم زمنية، فالنصوص الكهنوتية تمثل الخطيئة والتمرد، والنصوص اليهودية تعرض على وجه خاص تقاليد الأسباط، بينما النصوص الإيلوحيّة تتناول الخطيئة والتمرد أيضاً. انظر الكتاب المقدس، م.س، ص ٢٨٢.

السياسية الدُوليّة، بل هو جماعة تقف حياتها على عبادة الرَّبِّ، وإن رَضِيَ لِإِلَهِ إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَكُونَ فِي مَحَلٍّ مُعَيَّنٍ، فَبَيْنَ شَعْبِهِ فِي خِيْمَةٍ تَقَعُ فِي وَسْطِ الْمَخِيْمِ أَوْ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ وَهِيَ سَائِرَةٌ. هَذَا الْحُضُورُ مَطْمَئِنٌّ وَرَهِيْبٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ لِلإِلَهِ الْقُدُوسِ أَنْ يُقِيمَ بَيْنَ جَمَاعَةِ خَاطِئِينَ، دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ" ^١.

وَمِنْ هُنَا يَأْتِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ كَدِيَانَةٍ كَمَا يَنَادِي سَفَرُ الْعَدَدِ، وَبَيْنَ الْمَمارِسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنَ التَّدِينِ سِتَارًا — لِلتَّمَرُّدِ وَالْمَقَاوِمَةِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ — تَحْتَبِئُ مِنْ وَرَائِهِ. وَيَنْتَقِلُ الْبَحْثُ إِلَى آخِرِ الْأَسْفَارِ الْخَمْسِ وَهُوَ سَفَرُ تَثْنِيَّةِ الْاِشْتِرَاعِ الَّذِي يَمْتَازُ بِصِيغَتِهِ الْخَطَائِيَّةِ، وَيَحْتَوِي عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ الْيَهُودِيَّةِ، بِاسْلُوبٍ مُعَلِّمٍ دِينِيٍّ أَوْ وَاعِظٍ أَكْثَرَ مِنْهَا بِاسْلُوبٍ مُشْتَرَعٍ وَمِنْ هُنَا جَاءَتِ التَّسْمِيَةُ تَثْنِيَّةِ الْاِشْتِرَاعِ .

٥ — سَفَرُ تَثْنِيَّةِ الْاِشْتِرَاعِ: وَهُوَ إِعَادَةٌ وَتَكَرُّرٌ لِلْأَحْكَامِ وَالتَّشْرِيعَاتِ مِنْ أَجْلِ تَثْنِيَّتِهَا فِي نَفُوسِ النَّاسِ. فَفِيهِ عَرَضٌ لِبَعْضِ مَا فِي الْأَسْفَارِ الْآخَرَى مُكَرَّرَةٌ وَمُثَنَّاةٌ فَلِذَلِكَ سَمِيَ سَفَرُ التَّثْنِيَّةِ. وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْأَحْكَامِ وَالْفَرَائِضِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا هَذَا السَّفَرُ. "فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ اسْمَعْ الْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أَعْلَمُكُمْ لَتَعْمَلُوهَا لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ يُعْطِيكُمْ... لِأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلَهِنَا فِي كُلِّ أَدْعَيْنَا إِلَيْهِ. وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمْ الْيَوْمَ" ^٢.

مِنْ الْمَلَاظَظِ أَنَّ التَّعْلِيمَ مِنْ خِلَالِ فِقْرَاتِ النَّصِّ السَّابِقِ مُوجَّهٌ إِلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ مَدْخَلَ هَذَا السَّفَرِ يَسْطُرُ عَلَيْهِ تَأْرِجِحًا غَرِيبًا بَيْنَ "أَنْتَ" وَ"أَنْتُمْ" وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي دَاخِلِ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِعَنْوَانِ جَوْهَرِ الشَّرِيعَةِ: حُبِّهِ الرَّبِّ: "وَهَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ وَالْأَحْكَامُ الَّتِي أَمَرَنِي الرَّبُّ إِلَهُكُمْ أَنْ أَعْلَمَكُمْ إِيَّاهَا لَتَعْمَلُوا بِهَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لَتَرِثُوهَا، لِكَيْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ، حَافِظًا جَمِيعَ فَرَائِضِهِ

^١ - الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ "الْعَهْدُ الْقَدِيمُ" م.س، ص ٢٨٠—٢٨١.

^٢ - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص ٢٨٤، سَفَرُ التَّثْنِيَّةِ، الْإِصْحَاحُ ١٠: ٤، ٢، ٧، ٨.

وَوَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أَمْرُكَ بِهَا، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنُ ابْنِكَ طُولَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وَلَكِّي تَطُولَ أَيَّامُكَ. فَاسْتَمِعْ يَا إِسْرَائِيلُ وَاحْرُصْ... كَمَا قَالَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكَ، فِي أَرْضٍ تُدْرِكُ لَبْنًا حَلِيبًا وَعَسَلًا^١. فيشهد القارئ تأرجحاً واضحاً وبدون سبب ظاهر في الفقرات من ١ — ٣ حيث يبدأ الخطاب بـ "أنتم" ثم ينتقل إلى "أنت" ثم يعود ثانية إلى لفظة "أنتم". وورد في مدخل سفر التثنية من الكتاب المقدس ما يدل على هذا التذبذب والاضطراب، فيقول: "وقد حافظنا على هذه التقلبات في الترجمة. فهل هذا نتيجة لتداخل تقليدين متوازيين على غرار ما تم في سفر التكوين بين التقاليد المختلفة؟ هذا أمر بعيد الاحتمال؛ لأن المقاطع بـ "أنتم"، وإن فصلناها عن المقاطع بـ "أنت"، لا تُشكّل وحدة متواصلة. فالأرجح أنها تُشكّل طبقة تاليفيّة ثانويّة تدعم النصّ بـ "أنت" وتوسّعهُ. وهذه الظاهرة هي علامة أولى تكشف عن تأليف أدبيٍّ تمّ على مراحل متتالية. وأهم من ذلك أنّ الخطاب بـ "أنت" لا يقصد الإسرائيلي كفرد بل الشعب كلّهُ بصفته الشريك الشخصي للرّب، وقد لا تكون هذه المخاطبة الجماعية سوى أسلوب إنشائيٍّ للتعليم، والأرجح أنها صادرة عن احتفالات طقسية كان إسرائيل كلّهُ يجتمع فيها ليستمع كرجلٍ واحدٍ إلى شريعةِ إلهه"^٢.

الفرع الثاني: أسفار الأنبياء الأولين ورسالات الأنبياء الآخرين وهي قسمان.

أ — أسفار الأنبياء الأولين "الأقدمين": وتقع في ستة أسفار.

١ — سفر يشوع^١ يوشع بن نون^٢: وكلمة يشوع^٣ تعني: الرّبُّ يُخلّصُ، ولقد أُطلق هذا الاسم على شخصيات أخرى في الكتاب المقدس،

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٢٦٨—٢٦٩، سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١، ٢، ٣.

^٢ - المرجع السابق، ص ٣٤٩.

^٣ - يشوع تعني: الرّبُّ يخلّص، واسمه يشوع بن نون وينتمي إلى سبط أفرئيم. انظر الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٤١٨، سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٨: ١٣.

فأصبح في زمن العهد الجديد "يسوع" عند اليهود الناطقين باليونانية. وهذا ما ساعد المسيحيين الأوّلين على المقارنة بين عمل يسوع كمخلّص وعمل يشوع الذي قاد شعبه إلى أرض الميعاد، كما ورد في العهد الجديد بعنوان كيف الوصول إلى دار راحة الله، فيقول: "فَلَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَا حَهُمْ، لَمَا ذَكَرَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا آخَرَ"^١. ويحتوي هذا السفر على تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، وقيام يشوع خلفاً له وقيادته لبني إسرائيل، ويختتم هذا السفر بوفاة يشوع. ويوضّح طاهر شاش أوضاع اليهود الدينية في تلك الفترة، فيقول: "ومع هذا السفر تبدأ قصة غزو اليهود أو العبرانيين لأرض كنعان، ويبدأ معه تاريخ العلاقة الثلاثية بين: الله — والشعب اليهودي — وأرض إسرائيل، كما تحكيه التوراة أو ما يسمى بالعهد القديم، وقد مرّ هذا التاريخ — حسبما ورد في التوراة — بعدة مراحل. وقد تشكّلت الديانة اليهودية في هذه المراحل المتتابعة للتاريخ اليهودي متأثرة بأوضاع اليهودي خلالها"^٢. أما عن غزو بني إسرائيل لأرض كنعان، فقد أوردت التوراة قصة هذا الغزو، إذ جاء في الكتاب المقدس تحت عنوان فتح أرض الميعاد وفيه الحز على الاستعداد إلى العبور في أرض الميعاد، فيقول: "وكانَ بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى، عَبْدَ الرَّبِّ، أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ، مُسَاعِدَ مُوسَى، قَائِلاً: إِنَّ مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ فَقُمْ الْآنَ اعْبُرِ الْأَرْضَ هَذَا، أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيَّ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ"^٣. ويُلمَسُ من سفر يشوع أنه يبرز أرض الميعاد أكثر من يشوع نفسه؛ لأنّه يذكر تحقيقاً لموضوع الوعد المزعوم في التوراة المحرّفة، ولذلك ذهب بعض اليهود إلى إلحاق سفر يشوع بالتوراة، أي بكتب التوراة الخمسة الأولى؛ "ولأنه [أي السفر] باعتقاده أن الأرض هي مكانة أمانة الله لشعبه وأمانة الشعب لإلهه، إنّها عربون العهد المقطوع بين الله وإسرائيل"^٤. فيؤكد سفر يشوع أن الأرض شيء أعطي من الله لبني إسرائيل،

^١ - الكتاب المقدس: العهد القديم، م.س، ص ٦٩٩، رسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ٤: ٨.

^٢ - طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده، م.س، ص ١٣.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٤٢١، سفر يشوع، الإصحاح ١: ١، ٣.

^٤ - المرجع السابق، مدخل سفر يشوع، ص ٤٢٠.

ولكنه يحتاج إلى عربون لكي يتم تقبله من يد الله. فلو كان العهد الذي يدعون صحيحاً، لما احتاجوا إلى ما يوحي بالتنازع مع رهم كما يبينون في كتابهم المقدس. وعلى العموم فهذه مواقف يهود الديانة التي ينتابها الشرك بعينه.

ويلحق بأسفار مجموعة الأنبياء الأولين أيضاً سفر القضاة، وهو يعطي لمحة عن حياة الأسباط الإثني عشر، وإن الأشخاص الذين يذكرون في هذا السفر يُسمون إجمالاً قضاة.

٢— سفر القضاة: ويحتوي على تاريخ الإسرائيليين في عهد القضاة الذين حكموا بني إسرائيل بعد وفاة يشوع. ويُشير هذا السفر إلى ديانة يهود وعبادتهم لأصنام الأمم الذين كانوا يختلطون بهم، فتجده يصرح بعبادة الأوثان، فيقول: "وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبُلْعِيمَ وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ... وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوتَ"^١. وبالرغم من الغموض القائم حول تأليف سفر القضاة إلا أنه يعتبر إله إسرائيل هو الذي يؤيد شعبه في الساعات العسيرة، ويدلل على ذلك بقوله: "ولقد امتد هذا الاختيار اللاهوتي إلى إسرائيل كله، وكان مما في الكتاب من إطار لاهوتي أنه قوى الشعور الأصلي، مُشَدِّداً على ضعف إسرائيل وعلى صبر الله الذي أرسل بلا مَلَلٍ أناساً لإنقاذ الأسباط من الظلم"^٢.

فإن موقف يهود من رهم لدليل على رسوخ عقيدة التشبيه لديهم، فهي هم يصورون الله بالصبر وعدم الملل، وأنه يُحايي بني إسرائيل بل وينصرهم ويتقدمهم من الظلم.

ويتابع البحث الكلام عن أسفار بني إسرائيل، ويكشف ما بها من عقيدة ومظاهر عبادة متعددة ومتضاربة في كثير من الأحيان، ومن الأمثلة على ذلك

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص، ٣٨٢، سفر القضاة، الإصحاح ٢: ١١، ١٢، ١٣.

^٢ - المرجع السابق، ص ٤٦٥—٤٦٦.

ما جاء في المدخل إلى سفري صموئيل، والذي يكشف عن الخلافات بين النص العبري والنص اليوناني، فتراه يعترف قائلاً: "إن تقسيم سفري صموئيل إلى كتابين تقسيم حديث العهد جداً، وتكشف المقارنة بين النص العبري والترجمة اليونانية عن اختلافات هامة. وإن حدود سفري صموئيل وإن كانت قديمة فإنها لا تخلو من أن تكون مصطنعة".^١

٣، ٤ — سفر صموئيل الأول والثاني: يشير عنوان سفري صموئيل إلى تقليد رباني قديم، كان يُعدُّ النبي صموئيل كاتب السفرين، وقد فسّره بعض الربّانيين اللاحقين تفسيراً حرفياً، فافترضوا أنَّ عمل صموئيل تابعه بعد موته النبيان ناتان وجاد. ويشكّل القسم الخامس من السفر همزة وصل بين الجزأين اللذين تنقسم إليهما قصة داود في سفري صموئيل، وهما عمل أدبي يجمع موادَّ غير متجانسة بعضها قديم جداً. ويؤكد مراد كامل على عدم التجانس بين المادة الأدبية في سفري صموئيل، فيقول: "ويحتوي هذان السفران على عصر في تاريخ إسرائيل، كما بيّنا كيف أبي شاول أن يُطيع أوامر الله، وكيف أن الله امتحنه، وفي هذين السفرين يبدو بوضوح الصلة بين تطور إسرائيل وبين طاعتها لله".^٢ واليهود يُظهرون بوضوح من خلال كتابهم المقدس ضعف إلههم وحاجته إلى الكاهن ليعمل حسب ما بقلبه ونفسه، وإليك نصُّ اعترافهم: "وَالآن يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ حَاشَا لِي. فَإِنِّي أَكْرَمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونِي وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونِي يَصْنَعُونَ... وَأَقِيمُ لِنَفْسِي كَاهِنًا أَمِينًا يَعْمَلُ حَسَبَ مَا بَقَلْبِي وَنَفْسِي وَأَبْنِي لَهُ بَيْتًا أَمِينًا".^٣ هذا ويكشف العهد القديم النزعات السياسية والدينية في تأليف سفري صموئيل، فيقول: [إنَّ] الموضوع السائد هو موضوع الحكم الملكي. ليس هناك محاولة إخفاء الالتباسات التي رافقت قيام هذا الحكم لإسرائيل ملك وهو الرَّبُّ. فكيف يمثله إذاً ملكٌ بشري؟ وحلُّ هذا المشكل أخيراً لمصلحة المؤسسة الملكية، إذ أنَّ الرَّبَّ وصموئيل وسيطة، وهما

^١ - المرجع السابق، ص ٥١٨.

^٢ - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٦٨.

^٣ - الكتاب المقدس، م.س، ص ٤٢٩، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٢: ٣١، ٣٥، ٣٦.

اللذان في آخر الأمر توليا تعيين شاول، وقد يعني ذلك أن مُلْكَ الإنسان لا يأتي شرعاً من إرادة الإنسان بل من السلطة الإلهية. ومن الأهمية المعلقة في سفري صموئيل على ما يعود إلى العبادة من أدوات وشعائر وخدام، وعلى الخصوص تابوت العهد ومذبح أورشليم^١.

ومن الأسفار التي تدخل في عداد الأنبياء الأولين سفرا الملوك، وأتبعهما يتناولان التفكير اللاهوتي في حقبة إسرائيل التاريخية التي كان فيها الملوك يحكمون الشعب.

٦،٥ — سفر الملوك الأول الثاني: لقد اختص هذا الكتاب بأفضلية الأنبياء الثلاثة "إيليا وإليازر ثم إشعيا وقد عرفت يهود قيمة الأنبياء بعد التشرّد إلى بابل"^٢. ففي سفر الملوك مجزأه تتمثل وقائع التاريخ في صورة نزاع بين الإيمان والجحود والانحراف عن الله ووقوع بني إسرائيل في عبادة الأوثان، ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في العهد القديم بعنوان لقاء الله، إذ يقول: "وَدَخَلَ الْمَغَارَةَ^٣ هُنَاكَ وَبَاتَ فِيهَا، فَإِذَا بَكَلامَ الرَّبِّ إِلَيْهِ يَقُولُ: مَا بِالْكَ هَاهُنَا يَا إِيلِيَّا؟ فَقَالَ إِنِّي غَرْتُ غَيْرَةَ لِلرَّبِّ، إِلَهَ الْقَوَاتِ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ وَحَطَّمُوا مَذَابِحَكَ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَقَدْ طَلَبُوا نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا"^٤.

فالسفر يصرّح بالعديد من أعمال الخيانة التي مارسها الإسرائيليون مع ربهم، كعبادتهم للأوثان وتشديد معابد ومذابح للآلهة الغريبة، ومعاملتهم للأنبياء بالسيف والعنف والظلم. ويشير إلى ذلك المدخل إلى سفري الملوك، فيقول: "ومن أعظم الملامات التي يوجّهها الكاتب إلى الملوك لا سيما ملوك

^١ - المرجع السابق، ص ٥٢٠ - ٥٢٣.

^٢ - سامي أبو شقرا: موسوعة الأديان، دار الاختصاص للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٩ م، ج ٢ ص ٤٥٨.

^٣ - المقصود حفرة الصخرة حيث اختبأ موسى في أثناء تجلّي الرب، أنظر، الكتاب المقدس "العهد القديم"، ص ٢١٢، سفر الخروج، الإصحاح ٣٣: ٢٢.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٦٦٨، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٩: ٩، ١٠.

مملكة الشمال، أنهم حملوا إسرائيل على الخطيئة، أي أنهم جرّوه إلى احتفالات مخالفة للشريعة، وإن تاب بعض الملوك حيناً بعد حين ونالوا الغفران".^١

ب — أسفار الأنبياء الآخرين: وأهمها "إشعيا، إرميا، حزقيال"، ولقد أدرجَ فيها مُجْمَلُ الأقوال والقصص المجموعة في سفر الأنبياء لا سيما عند إرميا وحزقيال، ويحتوي السفر على ثلاثة أقسام:

١ — نبوءات دينونة على إسرائيل.

٢ — نبوءات شؤم على الشعوب الغريبة.

٣ — مواعيد بالخلاص لإسرائيل خاصة.

ويرى صابر طعيمة: "أنَّ أشعيا كتب المجموعة الأخيرة في إصحاحات سفره من رقم ٤٠ — ٦٦ فقط".^٢ وتتضمن هذه الأسفار بصفة عامة التنديد بسلوك بني إسرائيل المنحرف عن أصول شريعتهم، وبالمعبودات الوثنية التي دخلت في بيئتهم من الأمم المجاورة لهم، ومن ثم تهديدهم بسوء المنقلب وإنذارهم بضياع ملكهم وسقوط دولتهم، ثم البشارات بقدوم المسيح عليه السلام.

ويذكر طاهر شاش أنَّ هذه الأسفار تسجِّلُ عمل أنبياء بني إسرائيل: "من أمثال حزقيال وإشعيا على الحفاظ على الديانة اليهودية، والدعوة إلى إعادة بناء الهيكل، وأصبح معبد "السيناجوج" محل العبادة حيث كان يجتمع اليهود لإقامة الصلوات وتلاوة التوراة، ولكن توقّف تقديم الأضحية إذ أنَّها لا تُقدَّمُ إلا في الهيكل".^٣

ومن الأدلة على سلوك بني إسرائيل المنحرف والمتناقض تجاه ربهم، ما ورد في العهد القديم بعنوان رتبة تكفير، إذ يقول: "ثُمَّ عَصَوْكَ وَتَمَرَّدُوا عَلَيْكَ

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٦٢٥.

^٢ - صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٧٩.

^٣ - طاهر شاش، التطرّف الإسرائيلي جذوره وحصاه، م.س، ص ١٤.

وَبَدَّوْا شَرِيعَتَكَ وَرَأَوْهُمْ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَيْكَ وَجَدَّفُوا تَجْدِيفَاتٍ عَظِيمَةً. وَأَشْهَدَتْ عَلَيْهِمْ لَتَرُدَّهُمْ إِلَى شَرِيعَتِكَ فَتَعَجَّرُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لَوَصَايَاكَ وَخَطُّوا فِي أَحْكَامِكَ وَقَسَّوْا رِقَابَهُمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا.... وَلَكِنَّكَ لِكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ لَمْ تُبْذِهِمْ لِأَنَّكَ إِلَهٌ حَنَّوْنَ رَحِيمٌ^١. ويتنقل البحث بعد ذلك إلى سفر المزامير وهو عبارة عن مجموعة من التسابيح التي تتألف من مئة وخمسين مزموراً.

الفرع الثالث: الكتب العظيمة وهي الأسفار الثلاثة التالية.

١- مزامير داود عليه السلام "الزبور".

وهذا السفر يحوي من الأناشيد والترانيم الدينية المشحونة بالمناجاة الربانية والتسبيح والأدعية والأذكار والمواظ. وهو منسوب عندهم إلى سيدنا داود عليه السلام، وإن كان فيه بعض المزامير المنسوبة إلى سيدنا سليمان عليه السلام وأخرى منسوبة إلى أساف الذي كان رئيس المغنيين في عهد داود عليه السلام. كما وإن فيه بعض المزامير المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام. وفي حقيقة الأمر الذي يوضحه سامي شقرا: "أن المزامير أنواع مختلفة من الشعر العبري. تتضمن تأملات دينية عميقة من كتب الحكمة تُتلى للإله يومياً، ومن هذه الأناشيد ما يُعظَّم الخليفة والشرعة وباعثها"^٢.

ويذكر سفر صموئيل الثاني كلام داود عليه السلام وما ينسب إليه من أناشيد في اليوم الذي أنقذه الربُّ فيه من أيدي أعدائه، فيقول: "وَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ بِكَلَامٍ هَذَا التَّشِيدِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَثْقَدَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدَيِ شَاوُلَ. فَقَالَ: الرَّبُّ صَخَّرَتِي وَحَصَّنِي وَمُنَقَّدِي إِلَهَ صَخَّرَتِي بِهِ أَحْتَمِي... وَإِلَى إِلَهِي صَرَخْتُ فَسَمِعَ مَنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي وَصَرَاحِي دَخَلَ أَذُنُهُ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلْتُ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ"^٣.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٨٦٦، سفر نحميا، الإصحاح ٩: ٢٩، ٢٦، ٣١.

^٢ - سامي أبو شقرا: موسوعة الأديان، م.س، ص ٤٥٩.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٥٢٢، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٢٢: ١، ٢، ٣، ٨، ٩.

هذه صفات الربّ عند بني إسرائيل توحى بالأدب الأسطوري والقصص الخيالي. فهم يصوّرون الربّ وهو يأوي إلى هيكله والدخان يصعد من أنفه والنار المحرقة تخرج من فمه. ثم يسمع الصراخ والاستغاثة من فم داود فيسرع إلى إنقاذه ومساعدته ونصره على أعدائه. ويؤكدُ تصورهم الأسطوري هذا ما ورد في مدخل سفر المزامير، إذ يقول: "ردّد أجيال من اليهود الترانيم دون أن يملّوا تكرارها، فكان المؤمنون يطبّقونها مكّيّفين إياها بحسب أحوالهم، ثم إنّ المزامير نظراً لارتباطها بالعبادة، فكانها أُلّفت مرّةً ثانيةً وفقاً لما تتطلبه الظروف الجديدة. ومزامير الاستغاثة فرديّة كانت أم جماعيّة تحتوي على أربعة عناصر: دعاء باسم الربّ تليه صرخة توسّل، ثم عرضٌ للأوضاع، ثم ابتهاج، ثم يقين بالاستجابة، لكن هذا التصميم يقبل التنويع، فإنّ صاحب المزمور قد يُضيف بعض العناصر أو يُهمل بعضها الآخر أو يُغيّر ترتيبها أو يكرّرها"^١.

٢- كتاب أمثال سليمان عليه السلام "الأمثال": وينسب هذا السفر إلى سيدنا سليمان عليه السلام، ويحتوي على مجموعة من الأمثال والتي لا تربط بينها رابطة وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق. ويسرد سفر الملوك الأول كلاماً يزعم أنه يُنسب إلى سيدنا سليمان عليه السلام. ولكن ليس من المعقول أن سليمان يبني لربه بيتاً ليسكنه إلى الأبد، وأنّ الربّ كان سابقاً يسكن في الضباب. فحاشا لسليمان عليه السلام أن يقول مثل هذه الخرافات. ولكن هذا ما أشار إليه السفر إذ يقول: "... حينئذ جَمَعَ سُلَيْمَانُ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ رُؤُوسِ الْأَسْبَاطِ... فِي أُورُشَلِيمَ لِإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ... حينئذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ. قَالَ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتاً سَكُنِي مَكَاناً لِسُكْنَاكَ إِلَى الْأَبَدِ. وَكُلُّ جُمْهُورِ إِسْرَائِيلَ وَاقِفٌ، وَقَالَ مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِفَمِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِي"^٢. ويتبع ذلك سفر أيوب وهو عبارة عن حوار شعري بين الربّ وأيوب.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١١٠٧-١١١٣.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٥٤٥، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨: ١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.

٣- كتاب أيوب عليه السلام: وهذا السفر يشتمل على قصة سيدنا أيوب عليه السلام. إذ جاءت القصة موافقة لما جاء في القرآن الكريم في بعض عناصرها ومخالفة في العناصر الأخرى، وفيها زيادات لم يتعرض لها القرآن الكريم. وتذكر التوراة بعض الفقرات المنسوبة لسيدنا أيوب عليه السلام، وفيها مبالغة في مرضه ومعاناته إلى درجة أنه يقول: أيامي... تنتهي بغير رجاء، مع أن القرآن الكريم يمتدحه بقوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِدِكَ ضِعْفًا فَاصْرِبْ بِهِ وَكَأَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ صَاعِرًا تَمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^١.

وهذا نصُّ التوراة كما جاء في سفر أيوب: " أَلَيْسَ جِهَادٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ وَكَأَيَّامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ. كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ وَكَمَا يَتَرَجَّى الْأَجِيرُ أَجْرَتَهُ، لَيْسَ لَحْمِي الدَّوْدُ مَعَ مَذَرِ الثَّرَابِ، جِلْدِي كَرِشٌ وَسَاخٌ. أَيَّامِي... وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ"^٢. فيصور السفر المعاناة التي لحقت بأيوب وبأسلوب أسطوري. ويشير إلى هذا المعنى المدخل إلى سفر أيوب، فيقول: "توحي الأفكار الدينية [في سفر أيوب] إلى كثير من القراء بأن الكتاب لم يؤلف دفعة واحدة. وقد استعمل شاعر سفر أيوب كثيراً من المظاهر العقائدية الملكيّة؛ ليصف آلام بطله وكبريائه. [كما أن الخاتمة لسفر أيوب هي] خاتمة نثرية وتؤكد عقيدة المكافأة خلافاً لاحتجاجات أيوب أو لخطب الربّ. والهدف الأول من قصيدة سفر أيوب هو تحرير السيادة الإلهية من مفهوم العدالة الإنساني. وقد أشار مراراً كثيرة إلى أن بؤسه يُكَذِّبُ عدلَ الإله. والهدف الثاني من سفر أيوب هو وضع مدخل جديد إلى حقيقة الإيمان. لا شك أن التقاليد "اليهودية" القديمة كانت قد عبّرت من زمن بعيدٍ عن العلاقة بين الله والإنسان بأنها صلة ثقة بين شخصين"^٣.

هكذا فقد وصل استحكام الوثنية في عقيدة يهود إلى اتمام الله جلّ جلاله بعدم العدل. وتوحي أسفارهم صراحةً بالتطاول والسماجة في تصورهم

^١ - سورة ص، الآية ٤٤.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" ص ٧٩٩، سفر أيوب، الإصحاح ٧: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م، س، مدخل إلى سفر أيوب، ص ١٠٤٤-١٠٥٢.

للصلة التي تربطهم بالرّب. بل وتؤكد على التحريف والتّخريف في كتبهم التي يعتبرونها مقدسة، وهي براءة من القدسيّة والتّقدّيس كبراءة الذّنب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

وأظهر البحث أيضاً اختلافاً كبيراً بين أحبار يهود أنفسهم حول نسبة هذه الأسفار وجمعها. فمثلاً السّامريّون يخالفون سائر يهود في أنّهم لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة وهي المصطلح عليها بالتّوراة. وأما نبيل فضل فإنّه يلاحظ أن بعض الكتب الدينيّة اليهوديّة لم يُعرف كاتبها، فيقول: "والذي يجب ملاحظته أنّ التّوراة كُتبت على فترات من التاريخ تقدّر بنحو ألف ومائتي سنة، وما يسمى بالأصول لهذه الكتابات إنّما يعني مخطوطات قديمة ولا يعني أنّها الكتب الأصليّة التي كتبها موسى عليه السلام أو داود أو غيرهما من الرّسل، فالمتفق عليه أن ما أنزل الله تعالى على موسى مثلاً، كان مكتوباً على ألواح من حجر ولكنّ هذه الألواح غير موجودة الآن، ولم يعرف لها مكان منذ زمن موسى، بل إنّ الأمر أكثر تعقيداً عندما نعرف بأنّ بعض الكتب لا يعرف كاتبها وإنّما هي تنسب إليه".^١

والعهد القديم ما هو في الواقع إلا سجلّ تضمّن التراث اليهودي من شعر ونثر وقصص وأساطير وغزل ورناء وحكم وأمثال وفلسفة وتشريع، والذي ينبغي أخذه بعين الاعتبار هو أنّ ما يسمى بالكتاب المقدس اليوم، إنّما هو كتاب يضمّ عهدين القديم والجديد، وهو مقسّم إلى أسفار جمع سفر أي كتاب.

المبحث الثالث: بعض الفرق اليهودية وفيه ثلاثة مطالب.

تكثر الفرق في اليهودية كثرةً واضحة وتختلف هذه الفرق في عقائدها ومبادئها. ويرجع سبب اختلافها إلى النظرة المتباينة حول نصوص العهد القديم، وإلى قبول أو عدم قبول الشريعة الشفوية التي تضمنها التلمود، ومن

^١ - نبيل الفضل: هل بشرّ المسيح. بمحمد؟، رياض الريس للكتب والنشر، دمشق، ط ١٩٩٠، ص ١١-١٢.

أبرز الصراعات العقدية الجليّة الواضحة الخلاف حول اليوم الآخر والتصديق بالقيامة والحساب، وبعث الناس من قبورهم، ونظراً للصلة المباشرة بين مظاهر التدين والعقيدة عند يهود وبين أماكن سكنائهم وعيشتهم؛ فإنّ البحث سيتناول بعض تياراتهم واتجاهاتهم وفرقهم القديمة منها والحديثة تناولاً تاريخياً موجزاً، بمقدار تبيان مظاهر طقوسهم الدينية ومدى الاختلافات فيما بينها.

المطلب الأول: عموم طوائف جمهور يهود وفيه فرعان

إنّ جمهور اليهود ينقسم إلى طائفتين كبيرتين هما: ١- الإشكناز: وهم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنّ الإشكناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة، وكلمة إشكناز تدلّ في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على الأرض الأوروبية التي يسكنها الجنس الجرمانى، ثم أصبحت تعني ألمانيا باختصار.

٢- السفارديم أو السفرد: وهؤلاء هم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط، وموطنهم اليوم في روسيا، وكلمة سفرد في الفكر اليهودي كانت تدلّ في العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا التي تضم إسبانيا والبرتغال، ثم أصبحت تعني إسبانيا باختصار. ولعلّ من المفيد الآن أن يتناول البحث بعض الفرق والطوائف اليهودية الحديثة من حيث أفكارها العقدية والدينية.

المطلب الثاني: من التيارات أو الاتجاهات اليهودية الدينية الحديثة وفيه

أربعة فروع :

١- الحاسيديم أو الحاسديون

الحاسيديون كلمة تفيد الجمع "من المفردة العبرية: الحسود أي الغيور على الدّين، بيد أنّ الحاسدين أبناء مهاجرين من روسيا القيصرية، عاش ويعيش جمع منهم في الولايات المتحدة وفي الدولة العبرية، ويتميّزون بقبعات سوداء وقلنسوة طويلة سوداء، ويرجمون كلّ ما هو متحرّك بالحجارة أيام السبت، ويشكّلون اليوم معارضةً أصوليّةً دائمةً [للكيان الإسرائيلي] ويعتقدون

أن القضاء على الفلسطينيين عبادة وواجب، وتجهل غالبيتهم الساحقة العبرية والديانة اليهودية ولا يمارسون آية شعائر مميزة. والحاسديون هم تيار أو طائفة صغيرة لا وزن لها بين أوساط اليهود في روسيا ودول الاتحاد السوفياتي السابق الذين لم يعرف عنهم غيرهم على الدين اليهودي، بل إن غالبيتهم الساحقة ملحدون. وتُمثّل طائفة الحاسيديم النُخبة الثقافية التي بشرت بالإلحاد وجعلت منه منظومة تعليمات ودراسات تأسيسية، واحتل اليهود السوفييات موقع الصدارة فيها، [ومن الدلالة على وثيتهم أنهم] ظهروا لأول مرة في أغسطس من العام ١٩٩١م، أمام مجلس السوفيت الأعلى "البرلمان" آنذاك يؤدون الصلاة أمام الحائط الذي وقف عنده بوريس يلتسين^١. وهناك تعريف مختلف تبناه إسرائيل شاحاك عن الحسيديم أو الحسيدية، والتي هي في الأصل كلمة عبرية، ولعلّ هذا الأمر قبل وقوعهم بالوثنية الآتفة الذكر، فيقول: "تعني التقي، وتستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية التي أسسها [الحاخام] بعل شيم طوف، وقد تحوّلت مع مطلع القرن التاسع عشر إلى عقيدة غالبية اليهود في أوروبا الشرقية، ومن النقد المبرّر للحركة الحسيدية كراهيتهم للنساء وانغماسهم في الشراب، والولاء الأعمى لحاخاماتهم المقدسين الوراثيين الذين يبتزّون نقودهم، وهم الذين وصلوا باليهودية إلى أقصى درجات الدروشة والتعلق بالبدع والخرافات، وادعاء فعل الخوارق والمعجزات وعلم الغيب، وقد انتعشت هذه الحسيدية في منتصف القرن الثامن عشر على يدي حاخامين من المتبحّرين في الطرق الصوفيّة السريّة الباطنية"^٢. ومن أنظمتها العقدية تحريم الأضحية والقرايين، وتكثر في شعائرها الدينية من مناسبات الغسل، وهذه الطائفة الحسيدية لا يمكن الحديث عنها منفصلة عن موقف الإصلاحيين أو المحددين، الذين قاموا كرد فعل لليهودية التقليدية أو

^١ - رستم أحمد: صراعات وانقسامات في صفوف يهود روسيا، صحيفة الاتحاد اليومية، أبو

ظبي، العدد رقم ٨٩٠٧، الأحد في ٢٠ شعبان ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٤

^٢ - إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، م.س، ص ١٧٠.

شعبة المتصوفين من الحسيديم. وأنّ غالبية هذه الفرقة اليوم تدعو إلى العلمانية لا سيما الفئة التي تدعي بالثقافة المادية.

٢- الإصلاحيون أو المجدّدون: من أهمّ تعاليم الجماعة الإصلاحية أنّ اليهودية دينٌ فقط، وإنّهُ من الخطأ أن يُقال يهوديٌّ إنجليزيٌّ أو يهوديٌّ روسيٌّ، والأصح أن يقال إنجليزيٌّ متدينٌ باليهودية وروسيٌّ متدينٌ بها. ولما كانت هذه الفرقة قد قامت كردّ فعلٍ طبيعيٍّ لقرون التزمّت والظلمات والدروشة، لذا كانوا يأخذون الأحكام في أبسط إمكانيات التفسير وأقلّها قسوةً على الناس عند التطبيق. ومن أبرز التيارات اليهودية المعارضة للإصلاحيين، هي اليهودية الأرثوذكسية التي حملت لواء الدفاع عن الأساطير القديمة في الديانة اليهودية.

٣- اليهودية الأرثوذكسية: من أهمّ المذاهب اليهودية في العصر الحديث، وهي ردة فعل رجعية ضد التيارات التنويرية والإصلاحية بين يهود. ويؤكد على صفة الرجعية هذه إسرائيل شاحك، فيقول: "وتدافع اليهودية الأرثوذكسية عن كل المقولات اليهودية التقليدية والأساطير القديمة، بالرغم من مجافاتها لحقائق التاريخ والواقع. ومما يذكر أنّها تسيطر على الحياة الدينية في إسرائيل".^١

٤- ناطوري كاراتا: وتعني بالعربية حرّاس المدينة وهو الاسم الذي تطلقه على نفسها مجموعة صغيرة من اليهود المتدينين الوريين [حسب زعمهم]. ويتناول روت بلاو هذه الفرقة بشيء من التفصيل، فيقول: "وناطوري كاراتا يعتبرون برهاناً مادياً ملموساً على رفض فئات من اليهود المتدينين التقليديين للحركة الصهيونية بكافة أوجهها، وهذه الحرب مستمرة عملياً منذ نشوء الصهيونية خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وسببها وجود الصهيونية بحدّ ذاتها أو على وجه التحديد تلك الناحية من العقيدة الصهيونية الداعية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، واعتراض المتدينين الوريين نابع من مفاهيمهم الدينية الخاصة بهم، التي ترى أنّ مثل هذا العمل إنّ تمّ بقوى بشرية ليس إلا كفراً وزندقة. فقبيل بروز الصهيونية كانت

^١ - إسرائيل شاحك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص ١١.

الاجتهادات والتقاليد والتعاليم الدينية اليهودية، تنصُّ على أنَّ كياناً يهودياً يجمع شتات اليهود سيقوم عند ظهور المسيح المُخلَّص الذي سيرسله الله خصيصاً لإنقاذ اليهود، وجمع شملهم في أرض إسرائيل، عندما يقترب العالم من نهايته وقبيل قيام القيامة. ومن يتوق من يهود إلى ساعة الخلاص... عليه الإكثار من الصلوات والابتهالات للإله؛ لحمله على الإسراع في إرسال مسيحه. أما العمل على إقامة دولة يهودية وعلمانية أيضاً بقوى بشرية فليس إلا كفراً؛ لأنَّ إقامة مثل هذه الدولة وبداية تجميع يهود فيها يعتبران نوعاً من الضغط على المسيح المُخلَّص وإجباره على الظهور قبل أوانه، وبالتالي التدخل في مشيئة الإله والإسراع في نهاية العالم قبل الموعد المحدد. ولكن لم يمرَّ وقت طويل حتى استطاع الصهيونيون التأثير على فئات من المتدينين وحملهم على الانضمام إليهم^١. من الواضح إذاً أنَّ فئات من اليهود المتدينين قد انقلبوا على معتقداتهم الدينية، وأصدروا فتاوى جديدة تخدم مصالحهم الذاتية، وتهدف إلى أنَّ العمل على إقامة دولة لليهود في فلسطين نتيجة جهد سياسي بشري لا يُعدُّ تدخلاً في مشيئة الله حسب اعتقادهم المتذبذب. وهذا الاتجاه الجديد نشأ عنه ما يسمى بحركة المزارحي العالمية المتدينة سنة ١٩٠٢م. وتعمل تحت اسم الحزب الديني "المفدال" والذي يشارك عادةً في معظم الحكومات اليهودية حالياً. وما أشبه يهود اليوم بيهود الأمس من حيث التمرد على الأنبياء ورفض أوامر الله تعالى، وقد شهد بذلك خطُّ سيرهم مع سيدنا موسى عليه السلام، ومن ثمَّ ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من عدوانهم على شرعهم وتحريفهم لحقائق دينهم. ومن الأمثلة على ذلك ما يشير إليه الإمام الشهرستاني، إذ يقول: "بأنَّ موسى عليه السلام بنى بيتاً وصوّر فيه صوراً وأشخاصاً وبين مراتب الصور وأشار إلى تلك الرموز، ولكن لما فقدوا الباب، أي باب حِطَّة ولم يمكنهم التَّسَوُّر... تحيَّروا تائهين، وتاهوا متحيرين،

^١ - روت بلاو: يهود لا صهيانة، م.س، ص ٦٥.

فاختلفوا على إحدى وسبعين فرقة^١. فصور القرآن الكريم اختلاف بني إسرائيل وعدم امتثالهم لأوامر الله مؤكداً إصرارهم على ارتكاب الخطايا. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢. قال الإمام الزمخشري في تفسيره للآية: "القرية [التي تقصدها الآية الكريمة] هي بيت المقدس وقيل أريحاء من بلاد الشام، أمروا بدخولها بعد التيه. والباب: هو باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها. وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام، ولكن أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً. وقيل السجود: أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين؛ ليكون دخولهم بخشوع وإحبات، وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا مُتَزَحِّفِينَ على أوراكهم... وحطة بمعنى حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا حِطَّةً، وإنما رُفِعَتْ لِنُعْطِي معنى الثبات... فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمثلوا أمر الله. وقيل: قالوا: مكان حطة: حنطة... استهزاء منهم بما قيل لهم، وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا"^٣. وقد بين الحديث الشريف هذه الواقعة أيضاً مبيناً سلوكيات يهود مع أنبيائهم. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاهم وقالوا حبة في شعرة^٤. وأخرجه البخاري وقال (بدلوا

^١ - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، ٥٠٠ م، ص ٢١٤.

^٢ - سورة البقرة، الآية ٥٨.

^٣ - محمود بن عمر الزمخشري "٥٢٨": الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٥٠٠ م، ج ١، ص ١٤٢-١٤٣.

^٤ - رواه مسلم في التفسير، رقم الحديث "٣٠١٥" رقم الباب "٥٤". الزيادة عن صحيح مسلم قوله (ﷺ) جمع إست وهي الدبر. "استاهم". أنظر مسند الإمام أحمد، الحديث رقم "٨٢٣٧" ج ٣، في مسند أبي هريرة.

وقالوا حطة حبة في شعرة^١. وفي غير الصحيحين: (حنطة في شعر). وقيل: قالوا: "هطاً سمهاً". وهي لفظة عبرية تفسيرها: حنطة حمراء. ويصف القرطبي عصيان اليهود، فيقول: "وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به، فعصوا وتمردوا واستهزءوا، فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب"^٢. ويوجد اليوم حركات وأحزاب يهودية دينية، أشارت إليها صحيفة الاتحاد الإماراتية، فتقول هناك أحزاب يهودية: "تعيش في تناقضات متواترة ومطردة، كحركة شاس اليهودية المتشددة. وفشل باراك في إيجاد أي قاسم مشترك للتعاطي مع مطالب الحركة لإنقاذ شبكة التعليم الديني التوراتي التابع لها"^٣. بعد هذه الجولة مع أهم الفرق والتيارات اليهودية الحديثة ذات الصبغة الدينية المتناقضة، ولكي تكتمل الدائرة فإنه من الأهمية بمكان أن يكشف البحث عن بعض الفرق اليهودية القديمة فكراً وعقيدة.

المطلب الثالث: من الفرق اليهودية الدينية القديمة وفيه سبعة فروع.
من الفرق اليهودية القديمة الحديثة فرقة "الأسينيون" التي تمثل ظاهرة دينية اجتماعية. حيث أبرزت لفائف البحر الميت^٤ في منتصف القرن العشرين الميلادي، الكثير من أفكارها ومعتقداتها.

١- الإسينيون: وتعني المعالجون الروحانيون، وزادت معرفة المؤرخين بهذه الفرقة خاصة بعد اكتشاف ألواح البحر الميت عام ١٩٥٢م. ويمكن أن

^١ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م، س، باب وإذا قلنا أدخلوا هذه القرية، رقم الحديث "٤٤٧٩"، رقم الباب "٥"، ج ١، ص ١٩.

^٢ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م، س، مع ١، ص ٣٨٥-٣٨٦.

^٣ - مقال صادر عن صحيفة الاتحاد اليومية، أبو ظبي، العدد رقم ٨٩١٥، بتاريخ ٢٤ شعبان ١٤٢٠هـ، الموافق ٢ ديسمبر ١٩٩٩م.

^٤ - لفائف البحر الميت: هي عبارة عن بضع عشرة لفافة أو مخطوطة نحاسية، ومعها كل كتب العهد القديم، وبنسخ متعددة، وكل أسفار التوراة ما عدا سفر أستير. اكتشفها النقبون عن الآثار بواسطة بعض الرعاة في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٤م، في مغارات ثلاث بالقرب من البحر الميت، وتعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أنظر، سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، بيروت، دار النفائس، ط ١٩٨١، م، ص ٨٥-٨٦.

يستخلص من هذه الألواح أنهم لم يكونوا فرقةً دينيةً خالصةً كالفريسيّين أو حزباً سياسياً بالدرجة الأولى كالصدوقيين، وإنما مثلوا ظاهرةً دينيةً اجتماعيةً قريبةً في نظمها وسلوكها من الرهبة المسيحية^١. ومن أبرز معتقداتهم الدينية بأنهم كانوا يحضون على الزهد في الحياة بشكل عام، وينادون بعدم الزواج، ويمارسون الاغتسال صباح كل يوم بماء الينابيع، ولعل ذلك هو السبب في تسمية أتباع الإسينيين بالمغتسلين أو الأطهار؛ ولذا تذكر بعض الموسوعات أن يوحنا المعمدان كان مقرباً منهم، حيث كانوا ينتظرون السيد المسيح عليه السلام، لكي يقيم على الأرض ملكوت السماء. آمن الإسينيون بعيسى ورسالته ولكنهم رفضوا الاعتراف بدعوة بولس للمسيحية، وظلوا على التعاليم الموسوية.

٢- الربانيون أو الناموسيون: تعتبر هذه الفرقة ذات صبغة فقهية في شريعة موسى عليه السلام، وكانت أكثر الفرق اليهودية تعصباً وعنصريةً، ويسمّون "ربائيم" وهي لفظة عبرانية بمعنى الإمام أو الحبر. وأطلق عليهم أيضاً "الكتبة"، ومن أهم أعمالهم شرح التقاليد والتعاليم الدينية، ويجلسون في كرسي القضاء في الجوامع الدينية والإقليمية، وكان الناموسيون أصحاب القول الفصل في أمور الحياة، كالزواج والطلاق، وشؤون العبادة، وحفظ السبت، إلى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته^٢. فهم يحلّون لأنفسهم كل شيءٍ مجرد أنهم يهود فحسب، ويعتقدون أنّ كل مأكول أو مشروب لدى الأغيار ما داموا لم يقرأوا عليه من الشريعة الموسوية التي لا يعرفونها فهو قدر.

٣- الفريسيّون: الكلمة عبرانية وأصلها "فروشيم" ومعناها: المنزلون أو المنشقون أو المفروزون وقد أطلق أعداؤهم عليهم هذه التسمية، ولذلك

^١ - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية "عرض تاريخي" والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمّار، عمان، ط ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ١٠٤.

^٢ - السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، ط ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٧٥.

فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم "حبريم" أي الأحبار أو الأخوة في الله أو الربانيين. وكانوا " يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب حسيديم، أي الأتقياء"^١. وهم يعتقدون أنّ التوراة خلقت منذ الأزل، ولكنها ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها. وإنما هناك روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير التي تعتبر توراة شفوية، وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وتلك الروايات الشفوية هي التي دونت فيما يسمى التلمود. وأعلن الفريسيّون أنّ للحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله، وهدفهم من ذلك؛ لضمان تقديس اليهود للتلمود. وكان هم الفريسيين الدفاع ضد التيارات الوثنية، التي عاشت في زمن المكابيين. وأشار الكتاب المقدس إلى ذلك، فيقول: "حينئذ اجتمعت إليهم جماعة الحسّيديّين، وهم ذوو البأس في إسرائيل وكلّ مَنْ تَطَوَّعَ في سَبِيل الشريعة، وطارَدوا ذَوِي التَّعَجُّرِ ونَحَّحُوا في عَمَلِ أَيْدِيهِمْ، وانتزعوا الشريعة"^٢. ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامه الأموات، والملائكة والعالم الآخر، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف ولا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم بطريق التبتّي. ولهم رأي في القضاء والقدر: فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بهم. ويذكر أحمد شلي بعض طقوسهم، فيقول: "لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين ووضعوا طقوساً روحية بحتة، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة... وفي اجتماعات الكنيسة الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات عن حقائق الدين وآماله، استنادا على نصوص التوراة... وكافح الفريسيون كفاحاً مستتبساً في سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية... وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً"^٣. اهتم الفريسيون بالناحية الشكلية من النصوص الدينية، ولذلك كانت دعوتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية. إنّ عقيدة الفريسيين لم تجعلهم يتناقضون

١ - حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٠٣.

٢ - الكتاب المقدس: العهد القديم، م.س، ٩٥٩ سفر المكابيين، الإصحاح ٢: ٤٨، ٤٢.

٣ - أحمد شلي: مقارنة الأديان "اليهودية"، م.س، ص ٢٢٩-٢٣٠.

مع تعاليم السيد المسيح عليه السلام، ما عدا موقفاً واحداً اتخذ فيه الفريسيون موقفاً سلبياً منه، وذلك عند مؤامرة يهوذا الإسخريوطي، وما ورد في إنجيل يوحنا: "وكان هناك بستانٌ فدخله هو وتلاميذه. وكان يهوذا الذي أسلمه يُعرفُ ذاك المكانَ لكثرة ما اجتمع فيه يسوع مع تلاميذه. فجاء يهوذا بحرس الهيكل والحرس الذين أرسلهم عظماء الكهنة والفريسيون. وكان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له".^١ ويظهر الفريسيون اهتمامهم بعقيدة الأضحية والقرايين، وأن مكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب حياته في الدنيا من حيث صلاحها أو فسادها، وكانوا يؤمنون بوجود الأرواح، وقيامه الجسد وخلود النفس، ويبدو الفريسيون وكأنهم الأسينيون أو قرييون منهم، لذلك كان تعاملهم مع المسيحية بإيجابية نوعاً ما.

٤- الصدوقيون: يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سيدنا سليمان عليه السلام. وقيل إن هذه الفرقة تنسب إلى صديق بن أحيطوب سليل أليعازر بن هارون، وهو أحد أعظم كاهنين كانا في زمن الملك داود. ولكن أتباع هذه الفرقة لم يدعوا أبداً الارتباط بهذا الكاهن أو ذاك وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح عندهم ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب. ومن الأدلة على سخريتهم من القيامة ونكرانهم للحساب في الآخرة، ما جاء في إنجيل متى: "في ذلك اليوم دنا إليه بعض الصدوقيين، وهم الذين يقولون بأنه لا قيامة"^٢ وينكر الصدوقيون تعاليم الشفوية "التلمود" وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة مطلقة. كما وينكرون وجود الملائكة والشياطين، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بجرية الاختيار. ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا للإله وينكرون كذلك السيد المسيح المنتظر ولا يترقبونه. وكانوا

^١ - الكتاب المقدس: العهد الجديد، م.س، ص ٣٤٩. إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٨ : ٢، ٣، ٤.

^٢ - الكتاب المقدس: العهد الجديد، م.س، ص ٩٨. إنجيل متى، الإصحاح ٢٢ : ٢٣.

يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف "بيهوه" وامتيازاتهم الخاصة، ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع. وقد حاول عيسى عليه السلام أن يردّهم إلى الاعتقاد السليم والإيمان بالبعث والدار الآخرة، ولكنهم لم يستجيبوا له، وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم. ويرون أن الزيادة في الاعتقاد أو العبادة أو التراث بدعة مرفوضة. وقد اختفت هذه الفرقة من الوجود بعد تحطيم الهيكل.

٥- القراءون: هؤلاء لم يؤمنوا بغير "المقرا" أي الكتاب الذي يُقرأ فيه ويقصدون بذلك التوراة. ومن هنا جاءت تسميتهم من المصدر العبري "قرأ" ومعناه قرأ أو دعا. عندما تدهور شأن الفريسيين نما فريق القرائين، ولكنهم يمثلون القلة بين الفرق اليهودية، وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثها الواحد بعد الآخر، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود. ويقول القراءون بالاجتهاد. فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ، ومن هذه الأخطاء التي لاحظها المتأخرون وصححوها، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم. ومن مواقفهم العقدية بأنهم عارضوا أحبار يهود، لا سيما فيما جاءوا به من عند أنفسهم وأهوائهم الباطلة، ونسبوه إلى الله تعالى افتراءً عليه، ومما لم يأت به موسى عليه السلام. "فلما نظر اليهود القراؤون، وهم أصحاب عانان بن داود بنيامين، إلى هذه المحاولات الشنيعة، إلى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقاتلتهم، وكذبهم بكل ما افترؤا على الله تعالى" ^١ ونظراً لعدم مجاراتهم ليهود في تحريضهم وأكاذيبهم خاصة في الأمور العقدية، فإن أكثرهم تخلّوا عن يهوديتهم واعتنقوا دين الإسلام.

^١ - السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، م.س، ص ١٧٥.

٦- السامريون^١: ويتنسبون إلى السامرة أو السامرية وهي فرقة يهودية صغيرة، واستقروا في مدينة نابلس منذ أقدم العصور. "وينقسم السامريون إلى فرقتين: الأولى: يقال لها: الدستان. والثانية: الكوستان. والدستان فرقة باطلة يغلب عليها صفة الكذب والتزوير والتمزق، ويزعم أتباعها أن الثواب والعقاب في الدنيا"^٢. فهم بذلك ينكرون اليوم الآخر. أما الكوستان: فهم يعترفون باليوم الآخر وبالثواب والعقاب. "والسامريون يحجون إلى جبل حرزيم في نابلس، وينحرون الأضاحي عليه، ويعتبرونه المكان المقدس الحقيقي والقبة الوحيدة لبني إسرائيل"^٣. أما فيما يتعلق بالعتيدة السامرية فإنها تتلخص في النقاط التالية:

- ١- الإيمان بإله واحد وأن هذا الإله روحاني بحت.
- ٢- الإيمان بأن موسى عليه السلام رسول الله و أنه خاتم رسله كما يزعم السامريون.
- ٣- الإيمان بتوراة موسى عليه السلام، وتقديسها وبأنها كلام الله.
- ٤- الإيمان بأن جبل حرزيم في منطقة نابلس هو المكان المقدس الحقيقي.

٥- يؤمن السامريون بيوم القيامة، ويسمونه يوم البعث أو الموقف العظيم، كما يؤمنون بوجود الملائكة وظهور المسيح في آخر الزمان. "لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف"^٤. هذا وبالرغم من اعتقاد طائفة الدوستان أن الثواب والعقاب يكون في الدنيا فقط إلا أنهم يؤمنون بيوم القيامة. والسامريون شديدو الحرص على حرمة يوم السبت. "ويعتبر السامريون جبل صهيون قاعدة الكفر، والصهيونية تُمثلُ محاولة خطيرة

^١ - السامريون: هي فرقة يهودية منعزلة عن باقي يهود بعد عودتهم من السبي البابلي، ولم تزل حية حتى يومنا هذا ، وعددها قليل جدا، وقيمون في مدينة نابلس في فلسطين. أنظر أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان وانشتر، ط٧ ص٧٩٠.

^٢ - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، م٠س، ج١، ص ٢١٨.

^٣ - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، م٠س، ص ٢٠٦.

^٤ - المرجع السابق، ص ٣٠٧.

لتجديد هذا الفكر وتقويته وبسط سيادته على كل صور الفكر الإسرائيلي^١. ويعتقد السامريون بأنهم وحدهم حملة التوراة وحماها، وأن الله تعالى اختارهم للعمل بنصوصها كما يزعمون، وحرّمت هذه الفرقة على أتباعها التزاوج مع باقي يهود أو حتى الاختلاط بهم.

٧- العنانية: وتنسب هذه الفرقة لرجل يقال له: عنان بن داود، ومن مظاهر دينهم العقدية بأنهم يخالفون سائر يهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسماك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا. ويقولون أن عيسى عليه السلام من بني إسرائيل المتعبدين في التوراة، ومن المستحيين لموسى عليه السلام إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته، ومن هؤلاء من يقول: "إن عيسى عليه السلام، لم يدّع أنه نبي مرسل وليس من بني إسرائيل، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة. وقالوا: إن يهود ظلموه حيث كذبوه أولاً، ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه آخراً"^٢. وقد ردّ الله تعالى دعواهم الباطلة هذه، فقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^٣ يقول محمد محمود حجازي في التفسير الواضح شارحاً هذه الآية الكريمة: "إن اليهود بادعائهم أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، ووصفهم له بالرسالة تهكماً به، ووصف القرآن له بأنه ابن مريم رسول الله للرد على من يزعم من النصارى أنه الإله أو ابنه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وما قتلوه وما صلبوه كما زعموا وادعوا وشاع بينهم، ولكن وقع لهم الشبه فظنوا أنهم صلبوه، والواقع أنهم صلبوا شخصاً آخر غيره يدعى يهوذا الأسخريوطي ظناً منهم أنه المسيح

^١ - سعيد البيشاوي وآخرون: دراسات في الأديان والفرق، م، ص ٥٦.

^٢ - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، م، ص ٢٠٧.

^٣ - سورة النساء، الآيتان ١٥٧-١٥٨.

فقتلوه. وكيف يقتل عيسى و الله قد عصم أولي العزم من الرسل جميعاً، وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب لفي شك منه وحيرة ما لهم به من علم قاطع بقتله، لكنهم يتبعون الظن والشك في أمره، فيرجحون هذا على ذلك بالظنون والشبه لا بالعلم القاطع^١. وينفي الإمام الطبري قتل السيد المسيح عليه السلام أو صلبه، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ مَرْفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، فإنه يعني بل رفع الله المسيح إليه، ومستنكراً لما يدعيه يهود فيقول: "لم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن الله رفعه إليه فطهره من الذين كفروا، ولم يزل الله منتقماً من أعدائه وحكيماً في تدبيره وتصريفه [في جميع مخلوقاته]"^٢. ويرى جمهور المفسرين أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام بروحه وجسده إلى السماء، وسيترل آخر الزمان؛ ليحكم بالقرآن ويقتل الخنزير ويكسر الصليب بدلالة الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^٣. فيهود والنصارى سيؤمنون بأن عيسى رسول الله وعبد وكلمته فليس إلهاً ولا ابن الإله، وأنه سيملاً الأرض عدلاً والشاهد في ذلك ما ورد في الحديث الشريف، روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ) أنه قال: (لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَلَيَقْتُلَنَّ الدَّجَالَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخَنَزِيرَ وَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^٤. ويقارن روجيه أرئلدز بين الحقائق الإسلامية الواردة في القرآن والسنة وبين ما جاء في الكتاب المقدس فيقول: "يشتر الإسلام بوجود إله واحد أحد، خالق، مدبر خليقته، كُلي القدرة والمعرفة، حي، يرسل للبشر أنبياء؛ ليبينوا لهم هذه الحقائق الأساسية. فالقرآن ينقل الأحداث التاريخية بل والأوقات المهمة في سيرة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى ويسوع بن

١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ١، ص ٨١.

٢ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، مج ٤، ص ١٣.

٣ - سورة النساء، الآية ١٥٩.

٤ - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، تحت رقم الحديث "١٠٤٠٩"، ج ٣، في مسند أبي هريرة، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في باب كتاب الإيمان، تحت أرقام الحديث "٧١" "٢٤٣".

مریم، هذه الأوقات المهمة وغير المتواصلة، تدل على اللحظات التي يكشف الله فيها أنه واحدٌ أحدٌ، ربّ العالمين مالك يوم الدين، وليس كقتل الكتاب المقدس الذي يتناول الأحداث التاريخية، وذكر أسماء الأنبياء ورسالة المسيح^١. ثم يسوق "روحيه" مثلاً من الكتاب المقدس؛ ليبين فيه ما كان يجري من أحداث بين يهود وسيدنا داود عليه السلام، وإن الرب يخرج أمامه ويضرب ويبطش بالآخرين كما ورد في سفر الملوك، حسب زعمهم، "فَسَأَلَ داوُدُ الرَّبَّ فَقَالَ لَهُ لَا تَصْعَدْ بَلْ اعْطِفْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنْ جِبَالِ أَشْجَارِ الْبُكَاءِ، فَإِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ خُطَوَاتِي فِي رُؤُوسِ أَشْجَارِ الْبُكَاءِ فَهَلُمَّ حِينَئِذٍ لِأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ يُخْرِجُ الرَّبُّ أَمَامَكَ يَضْرِبُ مُحَلَّةَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ، فَفَعَلَ داوُدُ كَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا أَمَرَهُ الرَّبُّ وَضَرَبَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ فِي جَبْعٍ إِلَى مَذْخَلِ جَازَرٍ"^٢. من الواضح بعد هذه المقارنة التي عقدها "روحيه" أن عقيدة يهود تنهم قدرة ربهم وتحيزه لهم وإقراره لعدوانهم، بالرغم من أن الآيات التي تكشف عن إرادة الله المطلقة كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَنبَيَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَنزَلْنَا مِنْهُ رُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْطَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْطَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾^٣. فالإيمان بآله واحد يفترض أن تكون مشيئة هذا الإله وحدها هي الفاعلة، ثم مجانية العطاء الإلهي وليس كما عبر عنها سفر أيوب "مَنْ بَادَأَنِي بِنِعْمَةٍ فَأُوْفِي لَهُ، فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ وَقَالَ لِلرَّبِّ جَلْدٌ بِجَلْدٍ"^٤. فهو يصوّر الله تعالى وكأنه رجل أعمال يتعامل مع زبائنه وبعبارة أعطني أعطك. كما أن هناك مذاهب يهودية دينية متعددة انعكست عن الفرق اليهودية القديمة والحديثة على حد سواء، ومن أهمها: الإصلاحية،

^١ - روجيه أرندلير: رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة وديع مبارك، منشورات عويدات، بيروت، ط ١٩٨٨، ص ١٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥٩١، سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٥: ٢٣، ٢٤، ٢٥.

^٣ - سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٠٥٥، سفر أيوب، الإصحاح ٤١: ٢، والإصحاح ٢: ٤.

الأرثوذكسية، التَّجديديَّة، المُحافظة. وهي ذات علاقة وثيقة بالمعتقدات والأفكار اليهودية التي تؤمن بأنَّ إلهَ إسرائيل يتدخل منذ البداية في إنشاء يهود. ومن الأدلة على هذا الطرح ما جاء في العهد القديم، "ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ آلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي... أَذْكُرُ يَوْمَ السَّبْتِ لَتَقَدَّ سَهْ، سِتَّةُ أَيَّامٍ تَعْمَلُ... وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبَّتٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ... وَأَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورًا". وهكذا أثبت البحث في ختام موضوع الفرق اليهودية انقسام يهود في مختلف تاريخ حياتهم إلى فرق دينية. وتدعي كل فئة منها أنها أمثلُ طريقةً وأشدُّ تمسُّكاً بأصول الدين اليهودي وروحه. وأهم أمر يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام وأسفار التلمود، ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم. وقد انقرض معظم فرقهم ولكن بقية آثار أفكارهم ومعتقداتهم ماثلة إلى يومنا هذا. وتمت الإشارة إلى ذلك تفصيلاً عند تناول الفرق الحديثة. وبناءً على هذا يجدر إلقاء أضواء أخرى على بعض المعتقدات اليهودية لإبراز مظاهر إيمانهم ومواقفهم من التوحيد في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١١٩-١٢٠، سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ١٠، ١٦، ١٧، ١٤، ١٢، ١٠، ٩، ٨، ٣، ٢، ١.

الفصل الثاني

أضواء على المعتقدات اليهودية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: في الإيمان اليهودي.

المبحث الثاني: اليهودية التبشيرية.

المبحث الثالث: بعض الأعياد اليهودية.

المبحث الرابع: العلاقة بين اليهودية والصهيونية.

الفصل الثاني أضواء على المعتقدات اليهودية

المبحث الأول : في الإيمان اليهودي وفيه ثمانية مطالب.

لا شك أن الديانة التي أتى بها سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، كانت تركز على عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين، وترتيبه عمّا لا يليق بذاته العليّة سبحانه وتعالى. وأن التوراة قبل التّحريف كانت تشتمل على الدعوة إلى التوحيد، بل وتوصي الإسرائيليين بالاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى وتحذّره من الشرك، أو اتّخاذهم آلهة أخرى من دون الله تعالى. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل استجاب يهود لدعوة التوحيد؟ أو لك أن تسأل قائلاً: هل اعتقد يهود عقيدة التوحيد كما جاءهم بها سيدنا موسى عليه السلام والأنبياء من بعده؟ ولعل الجواب عن ذلك يكون في النظر إلى تاريخ أسفارهم المقدسة، والتي تناوّلها الفصل الأول من هذه الدراسة حيث تبين أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة التوحيد استجابةً حقيقيّةً، وإنما أشركوا بالله واتّخذوا من دونه آلهة أخرى غير آبهين بتحذيرات أنبيائهم ولا بتهديداتهم التي أعلنوها عليهم. ومن المفيد أن يُسلط الضوء الآن على بعض مظاهر الشرك عند يهود؛ لكي تكتمل الصورة عن شموليّة ميولهم للوثنية وحبهم للشرك وللمخالفات الشرعية. ومن الأدلة على ذلك ما حدث بين يهود وبين نبيهم صمويل، إذ يدعوهم إلى التوبة والتوحيد بالرجوع إلى ربهم وحده ونبذ عبادة الأوثان، ولكن هيهات أن يذعنوا للحق. وسفر صمويل يقول: " وَكَلَّمَ صَمُوئِيلُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً إِنَّ كُنْتُمْ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ رَاجِعِينَ إِلَى الرَّبِّ فَانْزِعُوا الْآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ وَالْعَشْتَارُوتَ مِنْ وَسْطِكُمْ وَأَعِدُّوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَحْدَهُ"^١. وأشار القرآن الكريم أيضاً إلى عناد بني إسرائيل وعدوانهم على شرع الله تعالى، ثم تمردهم وعصيانهم وصريح كفرهم فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ

^١ - الكتاب المقدس " العهد القديم"، م.س، ص ٤٣٥-٤٣٦، سفر صموئيل، الإصحاح ٧: ٣، ٤

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ،
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا تَأْخُذُوا بِهِ أُولَئِكَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ^١ . وقال ابن عباس
في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ﴾ فأما الذين لعنوا على لسان داود فهم أصحاب السبت. وأما الذين
لعنوا على لسان عيسى هم الذين كفروا بالمائدة بعد نزولها. وقال مجاهد
وقتادة: إِنَّ الَّذِينَ لَعَنُوا مَسَحُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَسَبَبَ هَذَا اللَّعْنُ هُوَ عَصِيائِهِمْ
وَخُرُوجِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِأَنْبِيَائِهِمْ، وَأَنْهُمْ لَمْ يَتَنَاهَوْا عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرِ بَلْ وَقَعُوا
فِيهِ"^٢. وفي الحديث الشريف لفظة كريمة بَيَّنَّتْ أسبابَ النقص الذي أصاب بني
إسرائيل في دينهم؛ نظراً للظلم الذي فشا بينهم. فعن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقولُ يا هذا اتقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ،
ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلُهُ وَشَرِيئَهُ وَقَعِيدُهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا
ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ... فَاسِقُونَ﴾. ثم قال: كلا
والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه
على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على
بعض ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ)^٣. أما الاتجاه العقائدي أو الديني السائد عند
كيان يهود في العصر الحديث اليوم. فهو اتجاه فرض الدين، ويرجع ذلك
لأسباب تتعلق بالوضع العام للنظام العنصري لدى يهود، بالإضافة لوجود
حاخامية رسمية ومجالس دين رسمية، وأماكن لكل هؤلاء الذين يريدون
المشاركة في الحياة الدينية اليهودية، تحت سيطرة نظام واحد للسلطة. ويصرح

^١ - سورة المائدة ، الآيات ٧٨ - ٨١ .

^٢ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، ص ١٨٧-١٨٩ .

^٣ - أخرجه أبو داود في مسنده، باب كتاب الملاحم، تحت رقم الحديث "٣٧٧٤".

أهارون ميحد بوجوب تدخل الدولة في الدين اليهودي، فيقول: "ولقد أصبح من المُسلّم به أنه من واجب دولة إسرائيل فرض قواعد القانون الديني في أمور مثل: التَّحوُّل إلى عقيدة أخرى، والزواج والطلاق"^١. ويمكن القول بأن دافيد بن جوريون كان أول من قام بتحديد العلاقة بين الدين والدولة في الكيان الصهيوني؛ لأنه رأسَ حكومتها منذ عام ١٩٤٨م ثمان مرات وقادها قرابة ثلاثة عشر عاماً. مع العلم أنه اتخذ التعاليم الدينية وسيلةً وليس غايةً. ويدلل على هذه الازدواجية ما ورد نصّه في كتاب "المتدينون في المجتمع الإسرائيلي" فيقول: "لقد كان ابن جوريون ذا وعي علماني واضح، ويسعى إلى تجاوز كل المرحلة الحاخامية في الثقافة الإسرائيلية... وقد كان وعيه هذا هو الذي جرّه إلى التورط في صراعات سياسية حول موضوع الدِّين، الذي كانت أهميته بالنسبة له رمزية أكثر منها ضرورية"^٢.

هذا وإن نصوص توراة يهود قد صورت الإله على أنه خاص ببني إسرائيل وحدهم فيقول سفر الأخبار: "وبارك داودُ الرَّبَّ أَمَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَقَالَ دَاوُدُ مُبَارَكُ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ أَيْنَا مِنَ الْأَزَلِ وَإِلَى الْأَبَدِ... ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ بَارِكُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ. فَبَارَكَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَهُ آبَائِهِمْ وَخَرُّوا وَسَجَدُوا لِلرَّبِّ وَلِلْمَلِكِ... وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا أَمَامَ الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ"^٣.

ويضع فتحي محمد الزغبي النقاط على الحروف لمفهوم الإله عند بني إسرائيل فيقول: "ولم يكن الله كما تفهمه البشرية في ديانات التوحيد اليوم، ولكنه كان مجرد إله قبلي خاص ببني إسرائيل على غرار الآلهة التي كانت للحضارات الأخرى المعاصرة"^٤.

^١ - أهارون ميحد: مقال صحفي، عن صحيفة دافار الإسرائيلية، تل أبيب، بتاريخ ١٠/٥/١٩٧٩م.

^٢ - صلاح الزور: المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، الخليل، ١٩٩٠م، ص ٤١٤.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٦٧٨، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٩ : ١٠، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١١.

^٤ - فتحي محمد الزغبي : تأثر اليهودية بالآديان الوثنية، م.س، ص ٦٨٤.

وقد أبطل القرآن الكريم دعواهم الفاسدة بأنهم أبناء الله وأحباؤه. فقال سبحانه و تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَنُ ابْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْنِ خَلْقٍ يُعَذِّبُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ^١ .

فالآية تدحض ادعاء يهود والنصارى بدلالة أنهم بشر كسائر البشر، بل وسينالون عقوبة العذاب يوم القيامة بسبب ذنوبهم وعصيانهم وشركهم. لذا فمن الملاحظ أنه من السهل جداً أن ينتقل يهود من عبادة إلههم "يهوه" إلى عبادة غيره من الأرباب المتاخمين والمعاصرين.

المطلب الأول: التوحيد.

أول أمر يقف عليه دارس التوراة هو الإله فيها، فالإله أو الرب ليس هو الواحد الأحد العليّ القدير خالق السموات والأرض، ولكنه الإله صُنْعُ أيديهم وقد شكلته خيالاتهم، وصنعتة نفوسهم حسبما يشاءون ويهوون. وليس أدل على ذلك مما ورد في كتاب: مثل الذين حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، إذ يقول: "وهذا الرب واحد منهم، يغضب لغضبهم ويفرح لفرحهم، يقاتل معهم وينهزم معهم، وهو مثلهم يغضب ويثور ويندم ويحقد إلى آخر هذه المواصفات البشرية التي أضافوها إلى رهم صُنْعِهِمْ" ^٢ .

فقد عبد يهود على مرّ حياتهم الأرواح والأحجار والأغنام والأشجار، وعبدوا العجل الذين صنعوه من ذهب في عهد موسى عليه السلام.

فالإله في أزليته هو إله إبراهيم عليه السلام، والذي اختص به هو واسحق ويعقوب الإله الواحد الأحد، خالق السماوات والأرض. وهؤلاء الأنبياء قد تبرءوا كما حدّث القرآن الكريم من نسلهم الذين عصوا وكفروا وأشركوا. وأما هذا الخالق المزعوم في التوراة، فإن بني إسرائيل يتحدثون معه

^١ - سورة المائدة، الآية ١٨.

^٢ - ليلى حسن سعد الدين: مثل الذين حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ١٤٩.

حديثاً عاماً لا يليق بقدسيته مثل: قولهم الخيط وشراك النعل الذي ورد في بعض أسفارهم، فيقول سفر الخروج: "... وَمَلَكِي صَادِقٌ مَلِك شَالِيم، أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العليّ وباركهُ وَقَالَ مُبَارَكُ إِبْرَاهِمَ مِنْ اللَّهِ العليّ مَلِك السماوات والأرض ومباركُ الله العليّ الذي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ. فَقَالَ إِبْرَاهِمُ لِمَلِكِ سَدُومَ رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ العليّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. لَا آخِذَنَ لَا خَيْطاً وَلَا شِرَاكَ نَعْلٍ وَلَا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ".^١

ويبدأ دور "يهوه" منذ عهد موسى عليه السلام، ربّاً لإسرائيل ولكنه ربٌّ بشريّ غريب، فيه من الصفات ما تجعله ليس مرشداً هادياً وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم. ومن خلال التوراة تظهر صفات هذا الرب، وأول صفاته أنه يأمر نساء بني إسرائيل بسرقة وسلب نساء المصريين قبل هربهم من مصر، وإليك ما جاء في سفر الخروج: "فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَتَكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارغِينَ، بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا، وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فَضِيَّةً، وَأَمْتَعَةً ذَهَبَ وَثِيَاباً تَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، فَتَسْلُبُونَ الْمَصْرِيِّينَ".^٢

فالتوراة تنهّم الربّ بأنّه غير عادل؛ لأنه يُمَيِّزُ خلقاً دون خلق. وهو لا يعلم ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه. وهذا ما سطره سفر الخروج إذ يقول: "لكي تعلموا أنّ الربّ يُمَيِّزُ بين المصريين وإسرائيل. فإني اجتازُ في أرض مصرَ هذه الليلة وأضربُ كلَّ بكرٍ في أرضِ مصرَ مِنَ النَّاسِ وَالبهائم ... أَنَا الرَّبُّ وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا. فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ... وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمَ تَذْكَاراً فَتُعِيدُونَهُ عِيداً لِلرَّبِّ فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً".^٣

فلم تعد اليهودية اليوم إذاً تعني الأمة أو الشعب الذي أرسلَ الله تعالى إليه موسى برسالته التي تدعو إلى التوحيد؛ لأنه اتضح من توراتهم تعدد آلهتهم وميلهم إلى تجديدها أبداً، حتى أن هذا الرب المزعوم قد انتهى اليوم إلى تراب

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٩١، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٢٢.

^٢ - المرجع السابق نفسه، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٢٢.

^٣ - المرجع السابق، ص ٩٠، ١٠٥، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١٠. والإصحاح ١٢: ١٤، ١٣، ١٢.

يعبد وهو تراب فلسطين. ويؤكد ذلك أحمد شلي في وصفه لرواية وضعتها الكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة موشي ديان، بعنوان طوبى للخائفين.

"وفي الرواية ينصح أحد أبطالها وهو إيفري ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحوّل اهتمامه لإلهه الجديد تراب فلسطين ونسمع إيفري يتحدث إلى ابنه فيقول: أنت الآن إسرائيلي ولست مجرد يهودي، إني قد تركت في روسيا كل شيء، ملابسي ومتاعي وأقاربي وإلهي، وعثرت هنا على ربٍّ جديد هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال، ألا تحس بذلك؟ وأخذ حفنة من تراب أرض فلسطين وقال: هذا هو ربك الوحيد، هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد"^١. يلمح الباحث من خلال معطيات التوراة بأسفارها المتنوعة، أن بني إسرائيل في مراحل حياتهم الدينية قد عبدوا آلهة متعددة. وبهذا أيضاً يقول جودت سعد: "وليس بخاف على أحد أن التوراة أشارت إلى عبادة مجموعة من الآلهة من قبل الموسويين وهذه الآلهة كانت شائعة في المنطقة، أشهرها: ايل^٢، بعل^٣، يهوه^٤، ايلوهيم، تموز، مع التركيز على الإله يهوه، فلماذا يهوه بالذات؟ [ثم يجيب عن هذا السؤال قائلاً:] إن ظروف السبي النفسية [وحالة الإحباط التي نتجت عن ذلك] جعلتهم أكثر سعيًا وراء التوازن الانفعالي باللجوء إلى إله له سمة القسوة والعنف والجبروت، فكان اختيار هذا الإله الصحراوي كحالة تعويضية، وهم في الحقيقة لم يعبدوا يهوه بل استعاروه وهم في بابل... اختير يهوه كإله للتوراة بعناية فائقة... فاختاره كتبة التوراة إمعاناً في الشعور بالتميز"^٥. ويشير محمد بحر إلى نوع العلاقة بين اليهود وإلههم، فيقول: "وقد اعتقد اليهود في

^١ - أحمد شلي: مقارنة الأديان "اليهودية"، م.س، ص ٢٠٠.

^٢ - إيل: اسم الله تعالى "بالعبرية" انظر، المعجم الوسيط، م.س، ص ٣٤.

^٣ - بعل والبعل: اسم الإله العظيم عند الكنعانيين، وعبدوه يهود فيما بعد. وقيل اسم صنم كان يعبده قوم إلياس عليه السلام. انظر، عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٥٨، وانظر، المنجد في اللغة والإعلام، م.س، ص ٢٠٦.

^٤ - يهوه: اسم أطلق في التوراة على الله. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٨٧٦.

^٥ - جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للمنشورات والتوزيع، عمان، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٤٦.

مرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية كالأمم التي عاشوا بينها، أن [الانتماء إلى الإله هو] انتماء قبلي فنظروا إليه كأبي فرد من أفراد القبيلة، ينتمون إليه بصلة الدم فهو لهم بمثابة الأب".^١ ويصف القرآن الكريم موقف يهود وحالة عدوانهم على الأنبياء، ثم كفرهم بآيات الله تعالى. فكانت جملة حياتهم ذل ومهانة؛ لأن الأجزاء من جنس العمل. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَا تَمْنُونُوا إِلَّا حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَقَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.^٢ ويفسر محمد فريد وجدي الآية الكريمة، فيقول: "ضربت عليهم الذلة والمسكنة [أي اليهود] أينما وجدوا إلا إذا كانوا معتصمين بدمّة من الله أو دمة من المسلمين؛ ذلك لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، وذلك الكفر والقتل كان بسبب عصيانهم واعتدائهم على حدود الله".^٣ ويقول الإمام الزمخشري: "ضربت عليهم الذلة في عامّة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس، فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده".^٤

وخلاصة الأمور: فالتوحيد بهذه الصورة المكشوفة في تعامل اليهود لإلههم "يهوه" كإله قبلي وقومي خاص دون غيرهم لا يعد توحيداً. وإنما هو نوع من الشرك في الربوبية والألوهية بل هو الشرك ذاته. ولعل اليهود تأثروا في هذه النظرة بما كان عند البابليين والآشوريين، حيث كان لدى كل من بابل وأشور بجانب الآلهة المتعددة إله قومي الطابع تبعاً للموقف السياسي. فكان الإله آشور ومردوك، فلذلك كان من السهل على اليهود أن يشركوا مع هذا الإله القبلي أو القومي آلهة أخرى. فسجل تاريخهم التوراتي حافل بالتحجيم وتعدد الآلهة التي اتخذوها من دون الله سبحانه وتعالى.

^١ - محمد بحر عبد المجيد: اليهودية، م.س، ص ٦ - ٧.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ١١٢.

^٣ - محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، كتاب الشعب، القاهرة، ط ١، ١٣٢٣هـ، ص ٨١.

^٤ - محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، م.س، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

المطلب الثاني: التعدد والتجسيم.

إن اليهود لم يستوعبوا الصورة المزهة لله سبحانه وتعالى والتي وردت في التوراة المترلة على سيدنا موسى عليه السلام، لذا فتجدهم قصدوا إلى تصويره جل شأنه بصورة حسية، ونسبوا إليه صفات النقص والجهل إلى غير ذلك من صفات الحوادث. على الرغم من أن الله أرسل إليهم أنبياء أطهاراً، فأعلنوا لهم حقيقة الله وشريعته إلا أنهم وكما يقول فتحي الزغبي: "فهموها في الغالب على مقتضى فهم الشعوب الوثنية، المحيطة بهم"^١. وكان اتجاه اليهود إلى التجسيم والتعدد واضحاً في معظم مراحل حياتهم وليس أدل على ذلك من كثرة أنبيائهم؛ نظراً لتجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد. وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أي حال، فعبدوا الأشجار والأرواح ومعبودات الأمم المجاورة. وتتضح للباحث قضيتان أساسيتان تتعلقان بالعقيدة اليهودية وهما:

١ - اليهود بين التثنية والتشبيه.

ويظهر من خلال استقراء الأسفار اليهودية التي تتكون منها التوراة، أن يهود لم يتقبلوا فكرة أن يكون إلههم مجرداً غير محسوس، فتخلوه وهو يتجلى في الرعد والبرق وانهمار المطر، وما إلى ذلك من الظواهر الطبيعية، بل رأوا إلههم في صورة عمود دخان، أو عمود سحب نهاراً وفي صورة عمود نار ليلاً. فجاءت هذه المعاني في الكتاب المقدس العهد القديم بعنوان الاستعداد لإقامة العهد والتجلي الإلهي. وهي كما يلي: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُ الْيَوْمَ وَغَدًا،... فَإِنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ الشَّعْبِ كُلَّهُ عَلَى جَبَلٍ سِينَاءَ. وَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ عِنْدَ الصَّبَاحِ أَنَّ كَانَتْ رُغُودٌ وَبُرُوقٌ وَغَمَامٌ كَثِيفٌ عَلَى الْجَبَلِ وَصُوتٌ بُوقٍ شَدِيدٌ جَدًّا،... وَجَبَلُ سِينَاءَ مُدْخَنٌ كُلُّهُ، لِأَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ،... وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللَّهُ يُجِيبُهُ فِي

^١ - فتحي محمد الزغبي: تأثير اليهودية بالأديان الوثنية، م ١٠، ص ٦٣٤.

الرَّعْد"١. فالعهد القديم بتصوره هذا يدل على الخلط العجيب والغريب الذي وقع فيه بنو إسرائيل تجاه ربهم وخالقهم، حتى أنهم وصفوه بصفات البشر العاديين. فيقول فؤاد حسنين علي: "ولم يكتب الإسرائيلي بتجسيد الرب ولكن خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير وشر، فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه وهو يصارع ويدفن الموتى ويتمشى في الجنة"٢.

وهكذا حبس اليهود إلههم داخل الإطار البشري المحدود، ولم يستطع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية. ويشهد على هذه النظرة الضيقة التي كان يهود يعتقدونها نحو ربهم، ما يرويه نجيب ميخائيل الذي يقول: "فخرج [إلههم] في رواياتهم على صورة تأبأها النفس ويمجها الذوق، وكانت الصورة العامة التي قدمتها الأسفار، أقرب إلى المادية منها إلى الروحية"٣.

وقد زعم اليهود أن الرب قد انتهى من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع. وهذا يعني أنه كالإنسان يحتاج إلى الراحة لأنه يتعب ويلحق به التعب والغوب. وإليك هذه التهم كما وردت في سفر التكوين: "وَهَكَذَا أَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَجَمِيعُ قَوَّاتِهَا. وَانْتَهَى اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَهُ. وَاسْتَرَاخَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ كُلِّ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَهُ. وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاخَ مِنْ كُلِّ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَهُ خَالِقًا. تِلْكَ هِيَ نَشْأَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ"٤.

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١٨٥-١٨٦، سفر الخروج، الإصحاح ١٩: ١٦، ١٧، ١٨.

٢ - فؤاد حسنين علي: اليهود واليهودية والمسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٤-١٥.

٣ - نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤، م، ج ٣، ص ٢٢٠-٢٢١.

٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٧٠-٧١، سفر التكوين، الإصحاح ٢: ١، ٢، ٣، ٤.

فهذا هو المفهوم الخاطئ الذي شاع في بني إسرائيل ردحاً من الزمن، ودَوَّنَهُ كتابهم المقدس حيث وصل بهم الاعتداء على سلطان الله أن جعلوا من يعقوب مصارعاً لربه، وكما جاء في سفر التكوين بعنوان مصارعة الله. "وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَخَذَهُ. فَصَارَعَهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَرَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اصْرَفْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ يَعْقُوبُ: لَا أَصْرِفُكَ أَوْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: يَعْقُوبُ. قَالَ لَا يَكُونُ اسْمُكَ يَعْقُوبُ فِيمَا بَعْدَ، بَلْ إِسْرَائِيلُ، لِأَنَّكَ صَارَعْتَ اللَّهَ وَالنَّاسَ فَعَلَبْتَ، وَبَارَكَهُ هُنَاكَ".^١

إن موقف يهود من الله تعالى وكأنه واحد من بني إسرائيل، إن دلَّ على شيء فإنما يدل على انطماس فطرتهم ووقوعهم بالشرك والوثنية. وفي هذا المجال من تصور اليهود للإله، يذكر محمد بيومي مهران: "أن النص التوراتي نفسه، يخبرنا بوضوح أن ذلك الذي صارع يعقوب إنما هو الله نفسه. ولسنا نملك من أمرنا سوى أن نستغفر الله مما جاء في تورا اليهود".^٢

٢ — اليهود بين التوحيد والتعدد.

إن اليهود بعد انحرافهم عن ديانة موسى عليه السلام عبدوا الأوثان، ثم ابتدعوا صورة الإله يهوه إلهاً خاصاً بهم. والذي يصفه أحمد سوسة بأنه: "إله لا يهمه من العالم والخلق غير اليهود شعبه المختار على غرار مبدأ التفريد الذي اعتنقه الأقوام [الوثنيون] حين كانت القبيلة أو المدينة، تعبد إلهاً واحداً من بين مجموعة من الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الأخرى".^٣

ويقول موشيه سميث أنه عندما سئل ابن جوريون مرةً عما إذا كان يؤمن بالله فأجاب: "السؤال هو من الله؟ إن معظم اليهود يتصورونه رجلاً

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١١٨-١١٩، سفر التكوين، الإصحاح ٣٢:

٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٣٠.

^٢ - محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة الرشاد، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٧، ص ٢٠٥ - ٢٢٤.

^٣ - أحمد سوسة: معضل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م، ص ٩٣.

عجوزاً ذا لحية طويلة، يجلس على مقعد وثير ويعتقدون أنه تحدث إلى موسى، لقد سمع موسى صوت إنسان في قلبه وبذلك عرف أن عليه أن يفعل ما يفعل. بَيَدَ أَنِّي أُوْمِنُ بوجود قوى مَادِيَّةٍ فحسب في العالم".^١ وبالرغم من هذه النظرة السلبيه من ابن جوريون للإيمان بالله بشكل خاص، ومظاهر التدين باليهودية بشكل عام، إلا إنه يدرك أهمية استغلال الدين في سبيل تدعيم الفكرة الصهيونية، واجتذاب المهاجرين إلى أرض الميعاد "فلسطين". ولم يستطع توم سيحف أن يكتفم تلك النظرة السلبيه من ابن جوريون نحو مظاهر التدين باليهودية، بل تجده يوظف الدين لمآربه الصهيونية، فيقول: "إن ابن جوريون يؤمن بأن خلود إسرائيل يتميز باثنتين: دولة إسرائيل والتوراة".^٢

فاليهود في العصر الحاضر كما هم في عصورهم الغابرة، يعتبرون الدين جزءاً من الدولة وخاضعاً لسياستها أيضاً. ويشير عباس محمود العقاد إلى هذا المعنى فيقول: "وكان معنى الكفر في الديانة الإسرائيلية كالخيانة الوطنية في هذه الأيام، فكانت للشعوب آلهة ويؤمن الإسرائيليون بوجودها لكنهم يحرمون عبادتها كتحریم الانتماء إلى دولة أجنبية، فَرَبُّ الشعب أحقُّ بولائه وعبادته من الأرباب الغرباء".^٣ ومن أنواع الوثنية اليهودية "العجل" وعكوفهم على عبادته. وقد عرض القرآن الكريم بعض تفاصيل اتخاذ بني إسرائيل العجل في سورتي: الأعراف وطه. فذكر أنهم اتخذوه أثناء غياب موسى عنهم وذهابه لميقات ربه ليتلقى الألواح. فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمِيزُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾^٤

١ - موشيه سميث: الصراع حول جعل القيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٧٩م، ص ٣.

٢ - توم سيحف: الإسرائيليون الأوائل، ترجمة خالد عابد وآخرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٢١٦.

٣ - عباس محمود العقاد: حقائق عن الإسلام وأباطيل خصومه، دار نمضة مصر، القاهرة، لا. ت، ص ٤٦.

٤ - سورة الأعراف، الآية ١٤٨.

لذلك توعدهم الله سبحانه وتعالى على هذا الكفر بالغضب عليهم، وإلحاق الذلة بهم في الحياة الدنيا قبل الآخرة. فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا الْعِجْلَ سَيَأْتِيَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ بَجْزِي الْمُفْسِرِينَ﴾^١. ويقول محمد رشيد رضا في تفسيره للآية الكريمة: "إن اتخاذ بني إسرائيل عجلاً مصوغاً من الذهب وعبادته من دون الله، كان لما رسخ في قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية"^٢.

المطلب الثالث: عبادة العجل.

وردت قصة عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبي في سيناء بالتوراة والقرآن الكريم. فجاءت في الكتاب المقدس "العهد القديم" بعنوان عجل الذهب: "وَرَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى قَدْ تَأَخَّرَ فِي التَّنْزِيلِ مِنَ الْجَبَلِ، فَاجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمْ فَاصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: انْزِعُوا حَلَقَاتِ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَابْنَاتِكُمْ، وَأَتُونِي بِهَا... فَأَخَذَهَا وَصَبَّهَا فِي قَالِبٍ، وَصَنَعَهَا عَجْلاً مَسْبُوقاً. فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيل... فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ ذَلِكَ، بَنَى مَذْبَحاً أَمَامَ الْعِجْلِ وَنَادَى قَائِلاً: غداً عِيدٌ لِلرَّبِّ"^٣. وقد نسب هذا السفر لهارون عليه السلام، أنه يسر لبني إسرائيل الشرك بالله ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام، فصنع لهم بيده — وحاشا له أن يفعل ذلك — في سيناء عجلاً من ذهب ليعبدوه من دون الله.

وبين الله تعالى في القرآن الكريم كذب ما نسبته كُتُبُ سفر الخروج إلى سيدنا هارون عليه السلام، وبرأ ساحته من هذا الاتهام وقرر أن الذي قام بصنع العجل وأغراه بعبادته وقتلهم عن دينهم، هو رجل يسمى السامري.

^١ - سورة الأعراف، الآية ١٥٢.

^٢ - محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، مج ٥، ص ١٧٣.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٢٠٨، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ١، ٢، ٤، ٥.

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَمْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى، قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَسْلَمَهُ السَّامِرِيُّ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَاكُمْ حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْثَارَكُمْ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلَقَى السَّامِرِيُّ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَامِرٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾^١.

فالسامريُّ هو الذي أخذ منهم ما حملوه من أوزار وزينة قوم فرعون — وهي الحلبي التي أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم ثم اختلسوها — وصهرها وصاغ منها عجلًا له صورة العجل وبدنه وصوته إذ جعل بداخل فمه تجاويف، إذا مرَّ فيها الهواء أحدث صوتًا كصوت الخوار. وبين سيدنا موسى لقومه أن الله وحده الأحق بالعبادة، إذ يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^٢.

وأشار القرآن الكريم: إلى أن بني إسرائيل عكفوا على عبادة العجل — مثلما ذكر سفر الخروج، أنهم كانوا يرقصون حوله — ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^٣. ويذكر سفر الملوك الأول، أن "يربعام" أول ملوك بني إسرائيل أقام عجولين من الذهب في بيت "إيل ودان" في المملكة الشمالية؛ وكان يهدف من ذلك إلى إيجاد نوع من التوازن الديني بين مقدسات المملكة الشمالية، وبين هيكل سليمان المزعوم في المملكة الجنوبية، واستمر يربعام في إجراءات الانفصال عن يهوذا، فاختار كهنته لهذين العجولين من غير اللاويين فكان ملوك إسرائيل إلى هذا الحد من الجرأة، في اختراع الآلهة، وتعيين كهنتها وإحياء معابدها القديمة، ومن ثمَّ يذهب فتحي الزغبي إلى أن ذلك العجل الذهبي الذي عبده اليهود، والذي هو رمز الرجولة والقوة والإخصاب، كان منتشرًا في جميع أنحاء آسيا وكان ذلك العجل من

^١ — سورة طه، الآيات من ٨٣—٨٨.

^٢ — سورة طه، الآية ٩٨.

^٣ — سورة طه، الآية ٩١.

أصل كلداني، وكان بنو إسرائيل يعبدون العجول المعدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الدينية، وكان هذا هو الوجه المفضل الذي يرمزون به إلى "يهوه".

المطلب الرابع: الذبيح إسحاق.

إنّ اليهود يدّعون أنّ الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليهما السلام، ويهدفون من وراء ذلك هو منع إسماعيل عليه السلام من الإرث؛ وذلك بادعائهم أنّ الذبيح اسحق وأنه مولود قبل إسماعيل؛ ولأنّ شرع يهود يورث الابن الأكبر فحسب. وهذا ما جاء في كتابهم المقدس، بعنوان مُحَرَقَةُ إِبْرَاهِيمَ، ما يلي: "وَكَانَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَخْدَاتِ أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؟ فَقَالَ هَاءَنْذَا. قَالَ خُذْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَقَ، وَامْضِ إِلَى أَرْضِ الْمُورْيَا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحَرَّقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أُرِيكَ. وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ فَأَخَذَ السَّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. ... فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، فَإِذَا بِكَبْشٍ وَاحِدٍ عَالِقٍ بِقَرْنَيْهِ فِي دَغَلٍ.. فَعَمَدَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْكَبْشِ وَأَخَذَهُ وَأَصْعَدَهُ مُحَرَّقَةً بَدَلِ ابْنِهِ".^١ وَوَضَعَ الْاسْمَ اسْحَقَ مَعَ كَلِمَةِ وَحِيدِكَ تَنَاقُضٌ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ اسْحَقَ لَمْ يَكُنْ وَحِيدًا لِإِبْرَاهِيمَ بَلْ فَقَدَ وَلَدًا وَعَمُرُ إِسْمَاعِيلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً كَمَا نَصَّتِ التَّوْرَةُ، بِعَنْوَانِ الْعَهْدِ وَالْحَتَانِ: "فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: لَوْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ يَحْيَا أَمَامَ وَجْهِكَ! فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ أَمْرَاتُكَ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَسَمَّاهُ إِسْحَقَ، وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ لَهُ إِلَهًا وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتَ قَوْلَكَ فِيهِ. وَهَاءَنْذَا أُبَارِكُهُ وَأُنْمِيهِ وَأَكْثِرُهُ جَدًّا، ... وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً. غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ. فَلَمَّا انْتَهَى اللَّهُ مِنْ مُحَاطَبَةِ إِبْرَاهِيمَ، ارْتَفَعَ عَنْهُ، كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ... فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ

^١ - فتحبي محمد الزغبى : تآثر اليهودية بالأديان الوثنية، م.س، ص ٧٠٢.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٩٩، سفر التكوين، الإصحاح ٢٢: ١، ٢، ٣، ١٠، ١٣.

على وجهه وَضَحَكَ. وَقَالَ فِي قَلْبِهِ هَلْ يُوَلَّدُ لَابْنٍ مِثْلَ سَارَةَ وَهَلْ تُلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً " أَمِنْ الْوَاضِحِ إِذَا وَبَاعْتَرَفَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ هَاجَرَ وَلَدَ قَبْلَ إِسْحَاقَ بْنِ سَارَةَ. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْإِسْتِدْلَالِ بِالْقُرْآنِ فَنَجِدُ أَنَّ الْبَشْرَى بِإِسْحَاقَ جَاءَتْ بَعْدَ قِصَّةِ الذَّبِيحِ، أَيْ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَلَدَ بَعْدَ، عِنْدَمَا حَدَّثَتْ هَذِهِ الْقِصَّةَ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ لَا إِسْحَاقَ، وَيُؤَكِّدُهُ كَذَلِكَ نَسَقُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ مُبَشِّرَةً بِمَوْلِدِ إِسْحَاقَ، فَقَدْ ارْتَبَطَتْ بِشَارَةَ الْمَوْلِدِ بَانَ الْوَلِيدِ سَيَكُونُ نَبِيًّا وَأَنَّهُ سَيَكْبُرُ وَيَتَزَوَّجُ وَيُولِدُ لَهُ وَلَدٌ وَيَسْمَى يَعْقُوبُ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿وَبَشِّرَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^١. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانَنَةُ فَفَضَحَكَتْ فَبَشَّرَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^٢. وَمِنَ التَّنَاقُضِ إِذَا أَنَّ يَكْلِفُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَبِيحَ غَلَامٍ وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا وَأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ وَيُعْقَبُ. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَا وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ بِأَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقَ هُوَ عَمَلُ مُصْنُوعٍ لَمْ تَتَقَنَّ صِنْعَتَهُ، وَاحْتِجَ مِنْ قَالِ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلَ: بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِالصَّبْرِ دُونَ إِسْحَاقَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾^٣. وَهُوَ صَبْرُهُ عَلَى الذَّبْحِ وَوَصَفَهُ بِصَدَقِ الْوَعْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾^٤. كَمَا أَنَّ إِسْمَاعِيلَ وَعَدَ أَبَاهُ مِنْ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى الذَّبْحِ فَوْقَى بِهِ؛ وَلَئِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ ﴿وَبَشِّرَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^٥. فَجَاءَتْ الْبَشْرَى بِنَبْوَةِ سَيِّدِنَا إِسْحَاقَ قَبْلَ مَوْلَدِهِ فَكَيْفَ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَبْحِهِ وَقَدْ وَعَدَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا.

^١ - المرجع السابق ، ص ٩١-٩٢، سفر التكوين ، الإصحاح ١٧: ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨.

^٢ - سورة الصافات، الآية ١١٢.

^٣ - سورة هود، الآية ٧١.

^٤ - سورة الأنبياء ، الآية ٨٥.

^٥ - سورة مريم، الآية ٥٤.

^٦ - سورة الصافات، الآية ١١٢.

المطلب الخامس: التابوت والمذبح والهيكل.

تعتبر هذه المسميات رموزاً للطقوس الدينية اليهودية التي اعتنت بها التوراة بأسفارها المتنوعة، فالتابوت صُنِعَ أساساً ليكون مكاناً مناسباً تُحَفَظُ به التوراة حسب اعتقاد بني إسرائيل. وأهم حديث نبدأ به عن التابوت هو ما ورد في سفر الخروج، إذ يقول: "وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وَكُنْ هُنَاكَ. فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ [بني إسرائيل] وَدَخَلَ موسى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ...".^١ فصعد موسى الجبل وهناك تلقى من الإله أوصافاً للتابوت منها: "فَيَصْنَعُونَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَتُعْشِيهِ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ. وَتَصْنَعُ عَلَيْهِ إَكْلِيلًا مِنْ ذَهَبٍ حَوَالِيهِ، وَتَسْبِكُ لَهُ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَتَجْعَلُهَا عَلَى قَوَائِمِهِ الْأَرْبَعِ عَلَى جَانِبِهِ الْوَاحِدِ حَلَقَتَانِ، وَعَلَى جَانِبِهِ الثَّانِي حَلَقَتَانِ. وَتَصْنَعُ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، وَتُعْشِيَهُمَا بِذَهَبٍ، وَتُدْخِلُ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى جَانِبِي التَّابُوتِ لِيُحْمَلَ التَّابُوتُ بِهِمَا وَتَبْقَى الْعَصَوَانِ فِي حَلَقَاتِ التَّابُوتِ لَا تُنْزَعَانِ. وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ وَتَتَّصِلُ بِالتَّابُوتِ شَيْءٌ هَامٌّ هُوَ الْمَذْبَحُ الْمُخَصَّصُ لِإِقَادِ الْبُخُورِ".^٢ ويورد العهد القديم وصفاً مفصلاً للمذبح، فيقول: "وَتَصْنَعُ الْمَذْبَحَ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ. طُولُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ. مُرَبَّعاً يَكُونُ الْمَذْبَحُ. وَارْتِفَاعُهُ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ. وَتَصْنَعُ قُرُونَهُ عَلَى زَوَايَاهُ الْأَرْبَعِ. مِنْهُ تَكُونُ قُرُونُهُ. وَتُعْشِيهِ بِنُحَاسٍ... وَتُدْخِلُ عَصَوَاهُ فِي الْحَلَقَاتِ. فَتَكُونُ الْعَصَوَانِ عَلَى جَانِبِي الْمَذْبَحِ حِينَمَا يُحْمَلُ".^٣

ويروى أن بني إسرائيل صنعوا التابوت على صفاته التي ورد ذكرها آنفاً، وأن موسى عليه السلام وضع اللوحين في التابوت كما وضع فيه ذهباً وفضةً وبعض الموائيق وسمّاه تابوت العهد، ويبدو أن قادة بني إسرائيل كانوا

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ١٢٥، سفر الخروج، الإصحاح ١٣، ٢٤: ١٢.

٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٢٦، سفر الخروج، الإصحاح ٢٥: ١٠، ١١.

١٢، ١٦.

٣ - المرجع السابق، ص ١٣٠، سفر الخروج، الإصحاح ٢٧: ١، ٢، ٣، ٧.

يحتفظون في التابوت بأغلى ما يملكون من ثروات ويوهمون الناس أن من مسّه مات؛ ليضمنوا نجاة هذه الثروات، ولكن حُجَّتْهُمْ هذه داحضةً بدليل أن العرب في إحدى جولاتهم أخذوا التابوت من بني إسرائيل ولم يَمُتْ أولئك الذين أخذوه.

وقيل : أن تابوت العهد اقتباس من الفكر المصري الذي كان به نظائر لهذا التابوت المقدس، وقد ظل الاعتقاد في قدسية هذا التابوت حتى عهد "إرميا" الذي أخذ يتكلم عن إله روحاني ووضع من شأن التابوت وقال عنه: لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب ولا يخطر لهم ببال ولا يذكرونه ولا يفقدونه، ذلك حديث يكشف عن سر التابوت الذي يموّهون بقدسيته.

أما الهيكل المزعوم: فإنه ورد له وصف في سفر الملوك، إذ يقول: "فبنى سليمان البيتَ وأكملهُ وبني حيطانَ البيتِ مِنَ الدَّاخلِ بأضلاعِ أَرْزٍ مِنْ أَرْضِ البيتِ إلى حيطانِ السَّقْفِ وغشَّاهُ مِنْ دَاخلِ بَخشَب. وَفَرَشَ أَرْضَ البيتِ بأخشابِ سَرُور... وَبَنَى دَاخلَهُ المَحْرَابَ أَيُّ قُدْسِ الأَقْداسِ... وَهَيَأَ مَحْرَاباً فِي وَسْطِ البيتِ مِنْ دَاخلِ لِيَصْنَعَ هُناكَ تابوتَ عَهْدِ الرَّبِّ..... وَغَشَّى المَحْرَابَ بذهَبٍ خالِصٍ. وَغَشَّى المَذْبَحَ بِأَرْزٍ وَغَشَّى سَليمانُ البيتِ مِنَ الدَّاخلِ بذهَبٍ خالِصٍ وَسَدَّ بِسَلاسلٍ ذَهَبٍ قُدَّامَ المَحْرَابِ".^١ ويقول ول ديورانت: "ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة، وقد اختير لتشييد الهيكل مكان فوق ربوة ولكن سائر أجزاء الهيكل، لم يبقَ منها الآن شيء على الإطلاق".^٢

ولما تمَّ بناء الهيكل وكما يزعمون فإن سليمان جمع شيوخ بني إسرائيل وحمل الكهنة تابوت عهد الرب، وأدخلوه إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس، "وأصبح الهيكلُ مُنْذُ ذَلِكَ الحينَ المَكانَ الوَحيدَ الَّذي تُقَدَّمُ عندهُ القَرايِنُ. وَكانَتِ القَرايِنُ مِنْ قَبلُ تُقَدَّمُ لَرَبِّ إِسرائِيلَ في هياكلَ مَحَلِّيَّة، أو

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥٤٠، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٦ : ١٤، ٢١، ٢٠.

^٢ - ول ديورانت: قصة الحضارة، لا.م، لا.ت، ج ٢، ص ٣٣٥.

هياكل ساذجة فوق التلال^١. ودخول الهيكل لم يكن مباحاً للجميع وإنما كان مقصوراً على الكهنة، أما قدس الأقداس "المحراب" فلا يفتح إلا مرة واحدة في العام ولا يدخله إلا كبار الكهنة.

مكونات الهيكل.

١ - قدس الأقداس: غرفة مكعبة الشكل مقسومة إلى قسمين: يوضع في القسم الداخلي منها تابوت العهد، وهو الصندوق الذي تحفظ فيه نسخة من تورا مخطوطة عن يمينها وشمالها تمثالان يملآن بقية الفراغ، وهما في عقيدة اليهود من الملائكة، ويعتقدون أن هذين الملكين كانا يحرسان أبواب الجنة بعد طرد آدم وحواء منها. ويصف إسرائيل شموئيل قدس الأقداس، فيقول: "وأما النصف الآخر من قدس الأقداس فيحتوي على المذبح الذهبي للقرايين، وهم يقدمون المذابح والقرايين اعتقاداً منهم بأن الله قد طلبها كفارات وتطهيرات وغفراناً"^٢.

٢ - البهو المقدس: هو المكان الخاص باجتماع اليهود للعبادة وإقامة الشعائر الدينية فيه، ويفصله عن قدس الأقداس باب. والخلاصة أن زيارة يهود لمكان الهيكل المزعوم اليوم تقتصر على القيام ببعض الشعائر والعبادات التي هي أقرب إلى الوثنية منها إلى عبادة الله الواحد، بل هي الوثنية بعينها.

المطلب السادس: الكهنة والقرايين

فكرة الكهنوتية لم تكن من اختراع اليهود، بل هي تقليد لما كان في العبادات الوثنية، فقد اعتاد يهود في مرحلة متقدمة من تاريخهم متأثرين بالشعوب التي عاشوا بينها، على أن للآلهة رغبات لا يستطيع أن يعرفها إلا أشخاص معينون، لهم القدرة في فهم اللغة الإلهية التي كانت عبارة عن علامات لا يستطيع عامة الشعب فهمها. ويشير محمد بحر إلى هذه المعاني،

١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٥٣٤، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٣: ٢.

٢ - إسرائيل شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٢.

فيقول: "وكان هؤلاء] يعني الذين لديهم القدرة على فهم اللغة الآلهية كما يزعم يهود[يعملون غالباً في معالجة الناس من الأمراض بواسطة السحر، ولهم حظوة عند الآلهة"^١. وكان الكاهن في بادئ الأمر هو رب الأسرة، ولكن بتعدد الأسر في المنطقة الواحدة آلت وظيفة الكاهن إلى رئيس القبيلة. ويشهد بذلك سفر صمويل الثاني فيقول: "وَبَعْدَ انْتِقَالِ الْيَهُودِ مِنَ الْحَيَاةِ الْبَدَوِيَّةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْمَدْنِيَّةِ، وَتَكْوِينِ الدَّوْلَةِ، أَصْبَحَ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ هُوَ الْكَاهِنُ الْأَعْظَمُ"^٢. ولكنه كان لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة؛ لانشغاله في الحكم لذا فقد عين مندوبين عنه لممارسة هذه المهمة في المناطق المختلفة، وكان الكهان يمارسون وظيفتهم باسم رئيس الدولة "الملك"، وتطلب الأمر أن ينظموا أنفسهم في طبقة يتوارثون الوظيفة، بأن يعلم الآباء أبناءهم أصول الكهانة. "ويعتقد الباحثون أن طبقة الكهان كانوا في قبيلة واحدة هي قبيلة لاوي، وتشير أيضاً نصوص العهد القديم إلى أن اللاويين كانوا هم كهنة اليهودية"^٣. وقد كان الكاهن يُعَلِّمُ العهد القديم أو ما يسمى بالتوراة ويقوم بالإفتاء في أمور الدين وكتابة النصوص، وتقديم القرابين وإقامة العبادات في المعبد، ويقول العهد القديم أن قبيلة لاوي التي أصبح معظم أفرادها كهنة الديانة اليهودية "كانت تُقَدِّسُ الحياة"^٤. والكهنة هم المسؤولون عملاً في الديانة اليهودية من عقائد وثنية مثل: تقديس بعض المرتفعات وبعض أنواع الأشجار كشجر البلوط. ولعب الكهنة دوراً كبيراً في توجيه نصوص العهد القديم وشرائعه التي تتفق مع مصالحهم. والإصحاح الأول لسفر اللاويين، يشرح كيفية تقديم القرابين. ويعتبر الكاهن عند اليهود، هو "الحافظ للشرعية من

^١ - محمد بحر عبد الحميد: اليهودية، م.س، ص ١٤.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٤٩١-٤٩٢، سفر صمويل الثاني، الإصحاح ٦ : ١٥، ١٣، ١٢.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٢٨، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢ : ٢ والإصحاح ٢٨ : ١.

^٤ - المرجع السابق، ص ٦١٦، سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٨ : ٤.

الضِّياع^١. وللوصول إلى الكهنوتية كان الواحد من أبناء ليفي وهو أحد أبناء يعقوب، يَمُرُّ بتدريبات وتقاليد يَعْرِفُ خلالها الطقوس والأسرار الدينية، ويرهن على استحقاقه لهذا المنصب الخطير، وكان لهم وحدهم حق تفسير النصوص ولم تكن القرايين مقبولة إلا إذا قُدِّمَتْ على يد أحد الكهنة وكانوا مُعْفَوْنَ من الضرائب، وامتازت ثروتهم بأن عُدَّتْ مُقَدَّسَةً، وشخصياتهم كانت الوسيلة إلى الله، ومن الأدلة في هذا المضمار أنه جاء في العهد القديم ما يلي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا ... وَتَوَكَّلْ هَارُونَ وَبَنِيهِ فَيَخْرُسُونَ كَهَنُوتَهُمْ وَالْأَجَنِبِيُّ الَّذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ. وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لَآوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ"^٢.

أما القرايين: فهي تشمل الضحايا البشرية، إذ كان الإنسان يُقَدَّمُ مع القرايين الأخرى من الحيوان والثمار. حيث قَدَّمَ الملك اليهودي "آحاز" ابنه قرباناً للآلهة. وكانت القرايين هي الحدث اليومي عميق الصلة بالمعبد، وكان يُقَدَّمُ قربانان في الصباح وآخر في المساء. وكان يصاحب القرايين احتفال طويل وشعائر يقوم بها الكهنة. ويذكر الباحثون أن تقديم القرايين كان مرحلة من مراحل الرقي عند اليهود، وكان المعتقد أن القرايين تُكْفِّرُ ذنوب الناس وتمحو خطاياهم إذا باركتها يد الكاهن، والتطور في نوع القرايين كان نتيجة للتطور في الفكر اليهودي عن الإله.

وهكذا وضع كهَّانُ اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرايين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء في يده كما يزعمون، ومن أراد أن يأكل خبزاً عليه أن ينضمَّ إلى إحدى وظائف الكهنوت، كما ورد في سفر صمويل: "وَالآنَ يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ ... وَأَقِيمُ لِنَفْسِي كَاهِنًا أَمِينًا يَعْمَلُ حَسَبَ مَا فِي قَلْبِي وَنَفْسِي ... وَأَبْنِي لَهُ بَيْتًا

^١ -- الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١١٠٣، ١٣٥٦، سفر ارميا، الإصحاح ١٨:

١٨. وسفر ملاخي، الإصحاح ٢: ١٢.

^٢ - المرجع السابق، ص ٣٢٨، ٢٨٠، سفر التثنية، الإصحاح ٢: ١٠، ٥. والإصحاح، ٣١: ٩.

أَمِيناً...وَيَكُونُ أَنْ كُلُّ مَنْ يَبْقَى فِي بَيْتِكَ يَأْتِي لِيَسْجُدَ لَهُ لِأَجْلِ قِطْعَةِ فَضَّةٍ وَرَغِيفِ خُبْزٍ وَيَقُولُ ضُمَّنِي إِلَى إِحْدَى وَظَائِفِ الْكَهَنُوتِ لِأَكُلَ كِسْرَةَ خُبْزٍ^١.

المطلب السابع : الغش. قال التلمود: يسمح بغش الأُمِّي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تَخْدَعُهُ ولا تَعُشَّهُ. وأما إذا كان التعامل بين يهوديٍّ وأُمِّيٍّ أو أجنبيٍّ، فإنَّ محمد عبد الله الشرقاوي، يوضِّح ذلك التعاطي كما ورد في التلمود قائلاً: "وإذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك في دعوى، وأمكنك أن تجعل الإسرائيلي راجعاً فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا، إذا حدث هذا في مدينة يحكم فيها اليهود. وإذا أمكنك ذلك وفقاً لشرعية الأجنبي، فاجعل الإسرائيلي راجعاً، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن في كلا الحالين، فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي، حتى تجعل الحق لليهودي"^٢. إنَّ هذا التعامل يكشف عن أفكار يهود العقيدة الخبيثة من خلال الغش الذي يعبرونه عبادةً وتقرباً إلى إلههم المزعوم.

وقال الحاخام رشي : يُصرِّح لليهودي أن يغش مفتش الجمرك الخارج على الديانة اليهودية، ويخلف له يمينا كاذباً على شرط أن ينجح فيما لَفَّقَهُ من الأكاذيب. وجاء في التلمود: أن المراي صموئيل أحد الحاخامات الكبار، كان في رأيه أن سرقة الأجانب مباحة. وقال الراي بُرنز في كتابه المسمى بودنيلج: يجتمع يهود كل أسبوع بعدما يغشون المسيحيين ويتفاخر بعضهم على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش، ثم يَفُضُّونَ الجلسة بقولهم: يلزمنا أن نترع قلوب المسيحيين من أجسامهم ونقتل أفضلهم. ويزعمون أيضاً أن الله لا يغفر ذنباً لليهودي يردُّ للأُمِّيَّ ماله المفقود. وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب كما يذكر سفر سنهدرين. فهذه مؤشرات يهودية عدوانية موجهة

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، ص ٤٢٩-٤٣٠، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٢: ٣٦، ٣٥، ٣١.

^٢ - محمد عبد الله الشرقاوي: الكثر المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢١٢.

لكل نسمة غير يهودي، بلا ذنب اقترفه ولا جريرة ارتكبها إلا أنه ليس يهودياً، ويتمادون إلى أبعد من ذلك إذ يعتبرون أن كل من خالف عقيدتهم المزعومة إنما هو وثني كافر. وبذلك يقول الشرقاوي إن التلمود ينص على أنه: "غير جائز رد الأشياء المفقودة إلى الكفرة والوثنيين وكل من اشتغل يوم السبت، وإذا دل أحد يهود على محل وجود يهودي آخر هارباً لعدم دفع دين يطالبه به أجنبي، فلا يُحكّم عليه بالإعدام كالمُبلّغ بأمر كاذب؛ لأن اليهودي مدينٌ في الحقيقة غير أن هذا البلاغ يُعدُّ كُفراً من المُبلّغ، مثله مثل من يردُّ الأشياء المفقودة للأجنبي، فيلزم المُبلّغ في هذه الحالة أن يدفع لليهودي المُبلّغ عنه قيمة الضرر الذي لحقه من ذلك البلاغ."¹. ويعلّلون تلك الآراء الشريرة بأن مساعدة الأُميين إنَّمَا كبيرٌ وبغض الله تعالى، ويشير إلى ذلك كتاب الكتر المرصود في فضائح التلمود عن "ابن ميمون"² فيقول: "إذا ردَّ اليهوديُّ إلى الأمي ماله المفقود فإنه يرتكب إنَّمَا كبيراً؛ لأنه بعمله هذا يقوّي الكفار ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله"³. فهذه تعليمات عقديّة عدوانية من كتب يهود المعتمدة لديهم ويشهد على ذلك تصريحات حاخاماتهم.

المطلب الثامن: الإرث.

أول من يرث الميت في الشرع العبري ولده الذكر، وإذا تعدد الذكور من الأولاد فللبكر حظ اثنين من أخوته ولا فرق عندهم بين المولود من نكاح صحيح أو غير صحيح.

أما البنات: فمن لم تبلغ منهن الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذا السن تماماً، ويتضح أنه لا ميراث للبنات ولا الزوجة ولا الآباء ولا غيرهم

¹ - محمد عبد الله الشرقاوي: الكتر المرصود في فضائح التلمود، م.س، ص ٢١٤.

² - ميمانود: "MIMONIDE" تعريب صوتي كما ينطق الفرنسيون والغريون ويدعى ابن ميمون وهو فيلسوف يهودي، يريد أن يُقدّم سنداً شرعياً فلسفياً لرذائل اليهود، لكنه سند واه لا يقوم على ساق كما ترى، أنظر، الكتر المرصود في فضائح التلمود، ص ٢١٥.

³ - محمد عبد الله الشرقاوي: الكتر المرصود في فضائح التلمود، م.س، ص ٢١٥.

من الأقارب في الشرع اليهودي، مع وجود الولد الذكر بكرياً كان أو غير بكري.

"والحكمة من حصر الموارث في الأولاد الذكور عندهم؛ هي حفظ قوام العائلات على التعاقب والعصبية إلى ما شاء الله كما هو الحال في جميع الشرائع القديمة، وتظهر هذه الحكمة ظهوراً جلياً من تمييز أرشد العائلة وزيادة نصيبه عن أخوته".^١

وأما إذا لم يكن للميت في الشرع اليهودي ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإن لم يكن له ابن ابن فالمرث للبت "بنت الميت" وإن لم يكن له بنت فالمرث لأولاد البنت، وإذا لم يكن له حفدة فأولاد أولادهم الذكور، فإن لم يكن للميت أولاد حَفَدَة ذكوراً فالمرث لبنات الحفدة وهكذا. وإذا لم يُعَقَّب المَيِّتُ ذريةً ولا نسلًا من ذكر أو أنثى أولاداً أو حفدةً أو من نسلهم ذكوراً أو إناثاً، فميراثه لأصوله.

وأحق الأصول لميراث الميت لدى اليهودي أبوه وله كل التركة، وإذا لم يكن له أب فجَدُّه ثم أصوله من أبيه، وإذا انعدمت أصول الميت ينتقل الإرث عندهم إلى درجات الأقارب الفرعية. "وإذا انعدمت الذرية والأصول وكان للميت أقارب في فروع الدرجات الأخرى" حواشي "فهم أحق بميراثه، وتتساوى الدرجات في شرعهم ويرث الكل بدون تمييز ولا فرق بين الأنصبة".^٢ وإذا لم يكن للميت في الشرع العبري وارث من أصول أو فروع أو حواشي، كانت أمواله مباحة يملكها أسبق الناس إلى حيازتها، إلا أنها تعتبر وديعة في يد حائزها ولمدة ثلاث سنوات، فإذا لم يظهر للميت وارث بعد ذلك، صارت ملكاً لحائزها ملكاً تاماً "وعند اختلاف الدين يرث اليهودي أقاربه من غير يهود، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي"^٣. فتوزيع الإرث بهذه الشريعة اليهودية يعتبر عنصرية تنبعث من عقيدة فاسدة.

^١ - فؤاد عبد المنعم: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٥٠، ص ١١٠.

^٢ - المرجع السابق، ص ١١١.

^٣ - أحمد شليبي: مقارنة الأديان "اليهودية"، م.س، ص ٢٩٨.

ويستطيع الباحث بعد هذا الكشف عن بعض الطقوس الدينية اليهودية، وإلقاء الضوء على معتقداتهم المتعددة؛ نظراً لكثرة آلهتهم أن يجزم ببعدهم عن التوحيد، بل إنهم وقعوا في الشرك. ويدل على ذلك ما جاء عن جودت السعد إذ يقول في كتاب أوهام التاريخ اليهودي حيث يصف الإله بصفات بشرية: "الإله يهوه أو الألوهيم في التوراة بعيد كل البعد عن التنزيه. فهو إله يتسم بصفات إنسانية، يعقد العهود ويسير مع شعبه يخدعهم ويحارب دوافعهم ويتحدث معهم، وينفعل فرحاً وغضباً، هذه الصفات مأخوذة من ديانات العالم القديم وخاصة الصفات التشبيهية المسقطة على الآلهة البابلية".^١

ويعتقد ديفيد لاندو: "إن حق الحياة على أرض إسرائيل لها أهمية خاصة من الناحية الدينية، فهؤلاء الذين يعيشون على أرض إسرائيل وكما جاء في إحدى فقرات التلمود لهم إله. وهؤلاء الذين يعيشون خارجها ليس لهم إله، لذلك فقد أمعن الإسرائيليون في طرد جميع الوثنيين من أرض إسرائيل، ولم يبيعوا أي شبر من الأرض لهم، وقال الحاخام يوسف: إن ذلك لا ينطبق على المسلمين؛ لأنهم من غير الوثنيين".^٢

إن الاضطراب إذاً في مفهوم الألوهية ونبذ عقيدة التوحيد أصبحت واضحة جلية في ممارسات بني إسرائيل، وكما شهدت بذلك مصادر الدين اليهودي المتمثلة بالعهد القديم "التوراة" والأسفار، ويقول عبد الراضي محمد: "إذ لا يعثر الدارس لهذه المصادر على ما يدل على أن عقيدة اليهود في الألوهية تقوم على التوحيد وتنزيه رب العالمين عن البشر ومخالفة الحوادث، بل يتأكد له بالبرهان القاطع والحجة الدامغة أن عقيدة اليهود الدينية في الإله تصادم عقيدة التوحيد التي دعاهم إليها موسى عليه السلام".^٣

فبناءً على اعتقادات يهود في تعاملاتهم السالفة الذكر، ودعوتهم إلى تعدد الإلهة، فهم إذاً لم يعرفوا معنى التنزيه الحقيقي لله رب العالمين. ولم يعرفوا

١ - جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي، م.س، ص. ١٥٠.

٢ - ديفيد لاندو: الأصولية اليهودية، م.س، ص ٤٠١.

٣ - عبد الراضي محمد: التطرف اليهودي، تاريخه، أسبابه، علاماته، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ط ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٦.

معنى التوحيد الخالص على الرغم من تواتر الرسالات الإلهية والأنبياء فيهم. وهذا يؤكد مدى الاضطراب الشديد والته العميق الذي عاشته يهود بالنسبة لمفهوم الألوهية، فهاهم يعتبرون غش غير يهود عبادةً وتقرباً إلى إلههم المزعوم.

المبحث الثاني: اليهودية التبشيرية وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: معنى اليهودية التبشيرية.

المراد باليهودية التبشيرية: هي التي يَشْتَرُ بها المبشرون اليهود لنشرها ولإدخال الناس في الديانة اليهودية وعقيدتها، ولو لزم الأمر باستعمال العنف والإكراه إذا ما واتتهم القوةُ لذلك، وفي سفر أستير^١ يظهر فيه نص يؤكد أن اليهود أخذوا ينشرون اليهودية بالترغيب أو بالترهيب والعنف. ويشير محمد أحمد محمود، إلى حادثة اليهودية أستير ودورها في الانتصار على الفرس، فيقول: "واليهود إلى اليوم يحتفلون بعيد عندهم يسمى عيد البوريم جمع بور بالعبرية: معناها بخت أو نصيب وذلك في يومي الرابع والخامس عشر من شهر مارس أو آذار وهو ذكرى انتصارهم على أعدائهم من الفرس بواسطة اليهودية أستير والتي تقربت إلى ملك الفرس أحشويروش زركيس حوالي ٤٧٩ ق . م ، فسمّاها الملكة"^٢. ولعبت أستير دوراً كبيراً حتى تمكنت من نصرة شعبها، مما ساعد على نشر اليهودية والتبشير بها. وجاء في الكتاب المقدس ما يؤكد حرص اليهود على نشر الديانة اليهودية بالرعب، إذ يقول العهد القديم تحت عنوان: مرسوم إعادة الاعتبار لليهود "وَكَانَ لِلْيَهُودِ نُورٌ وَفَرَحٌ وَسُرُورٌ وَإِكْرَامٌ. وَفِي كُلِّ إِقْلِيمٍ فَإِقْلِيمٍ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ، حَيْثُ وَرَدَ أَمْرُ الْمَلِكِ وَحُكْمُهُ، ... وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ شُعُوبِ تِلْكَ الْأَرْضِ يَهُوداً، لِأَنَّ خَوْفَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ"^٣. وفي العهد القديم عبارة تقول: وكثير من شعوب الأرض

١ - أستير: امرأة يهودية تزوجها" احشويروش الفارسي" فنالت منه العفو لأبناء شعبها، وسفر أستير من كتب العهد القديم. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م، س، ص ٤٤.

٢ - محمد أحمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة وإلى اليوم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٨.

٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م، س، ص ٩٤١-٩٤٢، سفر أستير، الإصحاح ٨: ١٧.

تهودوا؛ وذلك حرصاً منهم على استمرار جنسهم وبقائهم وتكاثرهم لا سيما بعد تقلص أعدادهم هزيمتهم وإبادة الكثير منهم في المعارك والحروب التي أدت إلى زوال مملكتهم يهوذا من الوجود. ولا زال يهود يحاولون في العهد الحاضر تغيير العقائد الدينية الأخرى، ولو أنهم في وقت ما كان لهم دور فعّال في برنامج التبشير الديني، ففي عهد الرومان مثلاً استطاع رجال الدين من اليهود أن ينشروا تعاليمهم بين كثير من الأشراف الرومانيين وزوجاتهم. وإلى وقتنا الحالي يوجد قبائل من اليهود المتدينين في الأنحاء النائية من العالم، وهذا دليل على وجود البعثات اليهودية القديمة، ويرجع عهد هذه القبائل إلى مرحلة تاريخية لا يمكن تحديدها على وجه التحقيق. "وهناك يهود الفلاشا في أثيوبيا الذين من المحتمل أن تكون عقيدتهم قد تغيرت بتأثير رجال الإرساليات اليهودية منذ أكثر من ألف عام"^١. لا شك أن الإرساليات الدينية اتسع نطاقها بعد تدمير دولة اليهود في سنة ٧٠ للميلاد. وخلال الألف سنة الماضية اهتم اليهود بالاحتفاظ بعقيدتهم الموروثة أكثر من محاولتهم السعي لكي يضموا إليهم قوماً آخرين عن طريق تغيير عقائدهم، وغالباً ما كان رجال الدين من اليهود لا يشجعون الراغبين في تغيير عقيدتهم، ومع ذلك وعلى مر التاريخ فقد تغيرت عقائد بعض المجموعات فأصبح أفرادها يعتنقون اليهودية. والتقاليد اليهودية لا تنص على التمييز بين المواطنين من اليهود وبين غيرهم ممن تغيرت عقيدتهم وأصبحوا يعتنقون اليهودية، وكثير من رجال الدين ومن بينهم أولئك الذين أعدوا كتب التلمود، فإن أصل آبائهم وأجدادهم يرجع إلى قوم من غير يهود، ويؤكد رشاد شامي هذه الحقيقة فيقول: "الذين تحولت عقائدهم، فأصبحوا هم واليهود على حد سواء"^٢.

المطلب الثاني: التلمود والتبشير باليهودية.

لليهود كتاب آخر يقدسونه بل ويعتبرونه لا يقلُّ قداسةً عن التوراة وهو التلمود. وكلمة تلمود بالعبرية معناها تَعَلَّمَ، فالتلمود كتاب يحوي شروح

^١ - رشاد الشامي: جولة في الدين والتقاليد اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧م. ص ٥٧.

^٢ - المرجع السابق، ص ٥٨.

مجموعة من الشرائع اليهودية السماعية والمروية على الألسنة، ويزعم يهود أن هذه المرويات الشفوية قد أعطيت لسيدنا موسى عليه السلام حين كان على الجبل، إلا أن تدوينه كما هو واضح قد بدأ بعد ظهور المسيحية، وبعد زوال الهيكل نهائياً من الوجود عام ٧٠ للميلاد على يد تيتوس والذي حطم بيت المقدس، وبعد أن حاقت باليهود الكوارث الماحقة المروعة.

ولقد أظهر الكتب الذين دونوا التلمود عداوتهم للمسيحية لبغضهم الشديد لها وللمسيح، وذلك مع شدة حرصهم على بقائهم واستمراريتهم بل وعلى تكاثرهم وانتشارهم على وجه الأرض، وليس لهم من ذلك إلا الرابطة الدنيئة والديانة اليهودية التي يتم نشرها عن طريق التبشير، ولو بالإكراه والعنف، وقدّم التلمود الآمال العريضة الواسعة، للقلّة اليهودية المتبقية من تلك الكوارث. فيقول كتاب قصة العقائد بين السماء والأرض، أنّ التلمود وعد اليهود بأنه سيحيي يوم: "يعتق في العالم الديانة اليهودية ويقبلون فيها ما عدا المسيحيين؛ لأنهم من نسل الشيطان، وذلك على حسب ما ورد في التلمود إذ جاء فيه ذلك الادّعاء منسوباً إلى مخلص اليهود ومسيحهم، ولكن المسيح لن يأتي إلا بعد القضاء على حكم الأشرار من الخارجين على دين بني إسرائيل.. وقبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب ويهلك ثلث العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر، وفي ذلك اليوم تكون الأمة اليهودية غاية في الثراء... ويدخل الناس كلهم أفواجا في دين اليهود ويقبلون جميعاً عدا المسيحيين، فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان...".^١

ثم جاءت برتوكولات حكماء بني صهيون وهي امتداد لخط التلمود لتردد ما ورد فيه وهو العمل على نشر اليهودية وأن العالم كله سيعتقها، فالديانة اليهودية هي الرابطة الوحيدة التي تجمع بين يهود أجناس العالم. وكل هذا وذاك فقد ورد في العهد القديم وملحقاته في التلمود والبرتوكولات وفي العهد الجديد تذكر اليهودية التبشيرية بأن بولس الرسول كان يهودياً قبل

^١ - سليمان مظهر: قصة العقائد بين السماء والأرض، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣٣٥.

اعتناقه المسيحية. وإليك النص كما ورد في سفر أعمال الرسل من العهد الجديد: "نعرف من سفر أعمال الرسل كم ساهم بولس في نمو الكنيسة: إنه رسول الأمم أرسل خصوصاً إلى الوثنيين، ولكن نشاطه الرسولي تعرّض لمقاومة دائمة من لدن مسيحيين يعودون إلى أصل يهودي"^١.

ثم أوجز لوقا عقيدتهم قائلاً: "إذا لم تختنوا على سُنّة موسى، لا تستطيعون الخلاص"^٢. ويتضح الخلاف تماماً بين أهل الكتاب اليهود والنصارى، ويرز ذلك العهد الجديد فيقول: "أراد هؤلاء المسيحيون المتهودون أن يفرضوا على المؤمنين من أصل وثني نير الشريعة الموسوية. لم يكن بطرس من حزبهم على ما جاء في سفر أعمال الرسل، فقد أتاه نور من روح القدس، فعرف أنّ الله يهب هذا الروح للوثنيين كما يهب لليهود، نظراً لإيمانهم بالمسيح.

أما يعقوب فإنه تقبّل دخول الوثنيين الكنيسة، فلم يفرض عليهم سوى العمل ببعض الأحكام التي رأى أنه لا بدّ منها والتي أعلنها مجمع أورشليم"^٣. ويقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية مبيناً روحه العدوانية المبنية على الكراهية والاضطهاد للكنيسة وذلك عندما كان يهودياً: "فقد سمعتم بسيرتي الماضية في ملة اليهود إذ كنتُ أضطهدُ كنيسة الله غايةً الاضطهاد وأحاولُ تدميرها وأتقدّم في ملة اليهود كثيراً من أترابي من بني قومي فأفوقهم حميةً على سُننِ آبائي"^٤.

ثم يتابع بولس حديثه مبشراً الوثنيين بأنّ الإنسان ينال الخلاص بالإيمان من غير الختان ولا العمل بأحكام الشريعة، ويدعي أنّ هذه التعليمات كان قد تلقاها من السيد المسيح عليه السلام، وهذا الادعاء سبب له مشكلة مع بعض

١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٧١٦. سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١٥: ٩، ٢٢: ٢٦، ٢١: ١٧.

٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٢١٧، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١٥: ١.

٣ - المرجع السابق، ص ٧١٦-٧١٧، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١٥: ١٥، والإصحاح ١٥: ٢٨، ٢٠: ١٩، ١١: ٩، ٨: ١٥.

٤ - المرجع السابق، ص ٧٢٤، سفر متي، الإصحاح ١٤: ١٣، ١٢: ١١، ١١: ١١.

أهل غلاطية، فهو يقول: "وَلَكِنْ لَمَّا حَسُنَ لَدَى اللَّهِ الَّذِي أَفْرَدَنِي، مُذْ كُنْتُ فِي بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، أَنْ يَكْشِفَ لِي ابْنُهُ لِلْبَشَرِ بِهِ بَيْنَ الْوَتْنَيْنِ. ففِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا قِيَمَةَ لِلخِتَانِ وَلَا لِلْقَلْفِ، وَإِنَّمَا الْقِيَمَةُ لِلْإِيمَانِ الْعَامِلِ بِالْمَحَبَّةِ"^١.

وفي رسالة بولس الرسول نص صريح على نشر الديانة اليهودية بين الأمم بالإكراه والعنف مع التعجب والإنكار من مسلك ناشر اليهودية هذا؛ لأنه يهودي الديانة ولكنه يعيش حياة أممي، أي غير يهودي، وجاء فيها: "قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تُلْزَمُ الأمم أن يتهودوا"^٢.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى اليهودية التبشيرية، وذلك عندما وجه اليهود الدعوة إلى رسول الله محمد (ﷺ) لاعتناق اليهودية، كما وجه النصارى الدعوة إلى رسول الله (ﷺ) لاعتناق النصرانية. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٣.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "دعت كل فرقة [من اليهود والنصارى] النبي عليه الصلاة والسلام، ليتبع ملتهم فردّ الله عليهم ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي يا محمد قل: بل نتبع ملة إبراهيم، أو ملتنا دين إبراهيم، وسُمّي إبراهيم حنيفاً لأنه حنّف إلى دين الله وهو الإسلام، والحنف: الميل. وقال قوم: الحنف: الاستقامة، فسمي دين إبراهيم حنيفاً لاستقامته"^٤. ويقول الإمام الزمخشري في قوله تعالى:

^١ - الكتاب المقدس " العهد الجديد"، م.س، ص ٧٢٤ - ٧٣٦، سفر ارميا، الإصحاح ١:

٥، ١٥، سفر أشعيا، الإصحاح ٤٩: ١٦، إنجيل لوقا، الإصحاح ١: ١٧، ١٥.

^٢ - محمد احمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة، م.س، ص ٣١.

^٣ - سورة البقرة، الآية ١٣٥ - ١٣٧

^٤ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، ص ١٣١ - ١٣٢.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. "تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنّ كلاً منهم يدّعي اتّباع إبراهيم عليه السلام مع أنّ المدّعي هنا على الشرك. ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين. ويجوز أن يكون خطاباً للكافرين، أي قولوا لتكونوا على الحقّ، وإلا فأنتم على الباطل، وكذلك قوله ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بل اتبعوا أنتم مِلَّةَ إبراهيم، أو كونوا أهل ملّته، [فإن تولّوا عن الدخول في الإيمان والتوحيد الذي جاء به الرسل جميعاً] فما هم إلا في مناوأة ومعاندة وليسوا من طلب الحق في شيء ﴿فَسَيَكْفِيكَهُ اللَّهُ﴾ ضمان من الله تعالى لإظهار رسوله محمد (ﷺ)، وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسيبهم وإجلاء بني النضير، ومعنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وعيد لهم [أي لليهود والنصارى] أي يسمع ما ينطقون به، ويعلم ما يُضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه".

واستمر أهل الكتاب في حوار الرسول (ﷺ) ومن ذلك ما ورد عن محمد بن اسحاق، قال: "حدثني محمد ابن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن سوريا الأعور لرسول الله (ﷺ): ما الهدى إلا ما نحن عليه، فأتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك".^١ فأنزل الله عز وجل الآية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا يَهْتَدُوا﴾.

والله تعالى يبين لرسول الله (ﷺ)، بأن يدع طلب ما يرضي اليهود والنصارى، ويُقبَلُ على طلب ما يُرضي الله وحده سبحانه وتعالى، وهو أن يدعو اليهود والنصارى إلى اتّباع ما بعثه الله به من الحق. وجاء في التفسير الواضح "وهؤلاء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد مهما فعلت لأرضائنا فلن نرضى حتى تتبع ملّتنا، قالوا هذا ليبأس النبي من هدايتهم، فردّ الله تعالى عليهم إنّ هدى الله ودينه هو الإسلام، وهو الهدى وحده الواجب اتّباعه، أما غيره

^١ - محمود بن عمر الرخشي: الكشف عن حقائق غوامض التريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م، س، ج، ١، ص ١٩٥-١٩٦، بتصرف.

^٢ - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م، س، ص ١٩٩.

فهو مبني على الهوى والشهوة، ولذلك حذر الله تعالى نبيه وكل فرد من أمته بقوله ولئن اتبعت دينهم فليس لك من دون الله من ولي ولا نصير^١.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَسْجُدَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آيَاتِهِ لَخفواةٌ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^٢.

من وحي هذا الحوار يبرز للباحث أن التبشير عند اليهود ظاهرة قديمة جداً "ولكنه يظهر بوضوح إذا ما تعرض اليهود لخطر الانقراض، فعندئذ ينشطون في نشر اليهودية والتبشير بها ولو بإكراه الناس عليها"^٣.

وما فعله "ذو نواس"^٤ شاهد على ذلك، حيث هدد المؤمنين بالقتل والتحريق لإرغامهم على أن يرتدوا ويعتنقوا اليهودية، ولكن المؤمنين تمسكوا بإيمانهم، فنفذ ذو نواس فيهم وعيده وقتلهم وحرقهم في الأخدود الذي حفره لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، الْكَافِرَاتِ الْفُؤَادِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ، وَمَا فَعَلُوا مِنْهُ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^٥.

ويقول الإمام الطبري: "اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود، فقال بعضهم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس. وقال ابن عباس: هم ناس من بني إسرائيل خدّوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه النار، وأقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساءً فَعَرَضُوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه، فقالوا لهم: تكفرون أو نقذفكم في النار"^٦.

وعندما يأس أهل الكتاب لا سيما اليهود من زعزعة الرسول (ﷺ) عن دينه، فقد لجئوا إلى الاتهامات والافتراءات.

١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، ص ٦٧.

٢ - سورة البقرة، الآية ١٢٠.

٣ - محمد احمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة، م.س، ص ٥١.

٤ - ذو نواس: واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن تيان أسعد أبي كرب، وهو من ملوك حمير التابعة. فتح بجران عام ٥٢٣م، وأراد إكراه أهلها النصارى بني الحارث بن كعب على اعتناق اليهودية. أنظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٢٩٩.

٥ - سورة البروج، الآيات ٤ - ٨.

٦ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، ج ٣٠، ص ٨٤-٨٧.

المطلب الثالث: ترديد الافتراءات.

خاض اليهود كثيراً في الافتراءات على الدعوة الإسلامية حسداً من عند أنفسهم. ويؤكد هذه الحقيقة محمد أحمد محمود حسن فيقول: إنَّ المؤرِّخ اليهودي المعاصر "سولومون جرايزيل"^١ يعتقد بأنَّ محمداً (ﷺ) أُلْفَ القرآن من عنده نتيجةً لاتصاله باليهود وبالمسيحيين ، وتعرُّفه على آرائهم عن العالم وعلى القصص المتعلقة بدينهم"^٢. فردَّ الله تعالى على سولومون وعلى من هم على شاكلته من قبل ومن بعد، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلَكِنَّهُ لَقَوْمٌ يَكْفُرُونَ﴾^٣. ويقول محمد محمود حجازي في تفسيره الواضح في الردِّ على أهل الكتاب وتخرصاتهم الآتفة الذكر: "لقد جاءكم من الحجج والبراهين والآيات الكونية والأدلة العقلية التي تنير البصائر، وتكشف الحُجُبَ والستائر، مثل ذلك البيان [نُصْرِفُ الْآيَاتُ] في القرآن لإثبات أصول الدين، [وَيُفَصِّلُهَا اللَّهُ تَعَالَى] ليهتدي بها المستعدون للاهتمام على اختلاف عقولهم وألوانهم. أما الجاحدون المعاندون فيقولون: درست هذا وقرأته على غيرك يا محمد (ﷺ) وليس وحياً من عند الله"^٤.

وبالرغم من هذه الأدلة الدامغة على صدق الرسول والرسالة فقد قال المشركون المكذِّبون على رسول الله (ﷺ): إنه افترى القرآن وأعانه عليه قوم آخرون من اليهود أو النصارى ممن يقرءون التوراة والإنجيل، ويقصدون بذلك غلاماً نصرانياً اسمه جبر أو يسار، أو عدَّاس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمُ أَهْمُ يَقُولُونَ إِنَّمَا عَلَّمَهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَغْجَبِيْ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾^٥.

ويقول موريس بوكاي في الرد على أوهام أهل الكتاب: "هؤلاء الذين يدَّعون بلا أي أساس بأن محمداً (ﷺ) هو مؤلِّف القرآن وقد نقل كثيراً من

^١ - سولومون جرايزيل : هو البروفيسور اليهودي التبشيري، ومن أبرز المؤرخين اليهود المعاصرين، أنظر، اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة، ص ٩٣.

^٢ - محمد أحمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة. م. س، ص ٩٣

^٣ - سورة الأنعام، الآية ١٠٥.

^٤ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م. س، مج ١، ص ٨٦.

^٥ - سورة النحل، الآية ١٠٣.

التوراة، ولو كان ذلك حقاً لتساءلنا: ما الذي دفعه أو ما الحجة التي أقنعت به بإدخال تصحيح في القرآن، يضع نصه بعيداً عن أي مرمى تثيره المعارف الحديثة، على حين نجد نصوص الأناجيل والعهد القديم، غير مقبولة من وجهة النظر هذه في نواح كثيرة^١. فاليهودية تشبه الخالق بال مخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق والتي يجب تزيه الرب سبحانه عنها، كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه تعب لما خلق السماوات والأرض، ودليل ذلك ما ورد في الكتاب المقدس "العهد القديم": "وَفَرَعَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ. فَاسْتَرَحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ. وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَحَ"^٢. والنصرانية المُحرَّفة كاليهودية تشبه المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق مثل: إن المسيح هو الله، وابن الله. ويستمر البحث في الرد على اتهامات أهل الكتاب، مبيناً أن القرآن هو تنزيل من رب العالمين، فلا يأتيه باطل ولا يقرب منه شك، إنما هو هدى للعالمين وتزيل من الخالق جل في علاه إذ يقول: ﴿نَزَّلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٣.

المطلب الرابع: الرد القرآني.

واستأنف القرآن الكريم الردَّ على المكذِّبين والكافرين بأنَّ ما يتقولونه على الرسول (ﷺ) من مدارس وتعلُّم لا يتأتى من أمِّي، والرسول (ﷺ) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. ولكن هذه الاتهامات تظهر فساد عقيدة أهل الكتاب وعنادهم، وتأكيدهم على الافتراءات مرَّةً تلو أخرى حيث أثبتوا بأنهم أهل خصومة وجدال ومراء؛ لذا فقد بين الله تعالى أسلوب الحوار معهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ

^١ - موريس بوكاي: كتب العالم المقدسة، م.س، ص ١٩٩.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥، سفر التكوين، الإصحاح ٢: ٢، ٣، ١.

^٣ - سورة الواقعة، الآية ٨٠.

آيَاتِهِمُ الْكِتَابُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَلُولُوا مِنْ قَلْبِهِمْ مِنَ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ^١ .

ولا تتجادلوا أهل الكتاب إلا بالخصلة التي هي أحسن الخصال كمقابلة خشونتهم باللين، وشغبهم بالنصح إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء، ويؤكد على هذه المعاني، محمد فريد وجدي في تفسيره، فيقول: "وقولوا لهم: آمنا بالذي أنزل إلينا وبالذي أنزل إليكم وإلهانا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. فإي فرق بيننا وبينكم إذاً غير ما توحيه الأهواء وتوجهه الأوهام؟ وكذلك أنزلنا إليك القرآن فالذين آتيناهم التوراة كعبد الله بن سلام وأبي بن كعب من الأبحار يؤمنون به، وما يجحد به إلا الكافرون، وما كنت يا محمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً، ولا تكتبه بيدك لأنك أمي، فإن كنت قارئاً وكتاباً لارتاب المبطلون، وقالوا إنك تأتينا بما تتحلله من الكتب السابقة، كلا، بل هو آيات واضحات المعاني يحفظها العلماء في صدورهم عنايةً بها، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"^٢.

ولقد علّم بالتواتر أن محمداً (ﷺ) كان الأمين الأمي منذ نشأته وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وكان قومه بل كل واحد منهم يعرف عنه ذلك وعرفه الجميع بذلك، لذا كان له كُتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقالييم، ولو كان يحسن الكتابة لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقولون: إنما تعلم هذا في مدارس وكتب مأثورة. وينقل ابن كثير بعض افتراءات المعاندين الكافرين، فيقول: "ومع ذلك فقد قال الجاهلون المكذبون الكافرون: أساطير الأولين، يعلمه بشر، أعانه عليه قوم آخرون، ساحر، شاعر، مجنون، كذاب"^٣. وما زال الجاحدون الكافرون إلى عصرنا هذا يتقولون ويفترون، ولكن القرآن الكريم يتحداهم اليوم وغداً وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْشَرَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ

^١ - سورة العنكبوت: الآية ٤٦ - ٤٨.

^٢ - محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، م.س، ص ٥٢٧.

^٣ - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م.س، ج ٣، ص ٤٥٩.

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^١.

ليس هذا القرآن مما يُفترى افتراءً من الخلق ولكن الله أنزله تصديقاً لما تقدّم من الكتب السماوية السابقة ، وتفصيلاً لما تقرره من العقائد والأحكام، فهو إذاً لا شك فيه من رب العالمين. بل يقولون افتراه، ثم يتحداهم القرآن قائلاً: فَإِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ مِمَّا يُمْكِنُ افْتِرَاؤُهُ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ واستعينوا بكل ما تشاءون من أهل الفصاحة والحكمة. ولكن واقع حالهم أنهم كذبوا بشيء لم يعرفوه ولم يجتهدوا تأويله بعد. كذلك فعل الذين من قبلهم، فتأمل ماذا كانت عاقبة الظالمين. فالبحث يؤكد حقيقة هامة وهي أن: "إعجاز القرآن في اللفظ والمعنى وفي كشفه لحجب الماضي والمستقبل، وأنه لا يتناقض مع حقيقة علمية وإلى غير ذلك من الكثير الكثير"^٢.

وقد تساءل مارشال جونسون في مقال له بعنوان ماذا بعد مؤتمر الإعجاز الطبي؟ قائلاً: "ولم لا يكون محمدٌ رسولاً من الله، فالقرآن الكريم بالقطع أكبر من طاقة كل البشر في الدنيا كما أنه أنزل قبل أربعة عشر قرناً في وقت كانت فيه الحياة بسيطة وبدائية، وكان محمد أمياً لا يعرف من العلم شيئاً ثم يأتي القرآن الكريم بكل هذه الحقائق والمعلومات التي أكدها العلم في القرن العشرين الميلادي؛ لهذا فلا بد أن يكون القرآن الكريم وحياً من الله تعالى وأن محمداً رسول الله عليه الصلوة والسلام"^٣. فهذه شهادة طبيب من غير المسلمين، دفعه العلم المجرد من الأهواء لأصابة كبد الحقيقة.

فالقرآن يبقى شفاء ورحمة للمؤمنين ومزيداً من الخسران للظالمين الكافرين لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^٤. ويقول الزمخشري في تفسيره: "كل شيء نزل من القرآن فهو

^١ - سورة يونس، الآية ٣٧ - ٣٨.

^٢ - محمد أحمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة، م.س، ص ٩٨

^٣ - مارشال جونسون: مقال صحفي بعنوان "ماذا بعد مؤتمر الإعجاز الطبي"، صحيفة الأهرام، القاهرة، بتاريخ ١٠/١/١٩٨٥م، ص ١٨ .

^٤ - سورة الإسراء : الآية ٨٢.

شفاء للمؤمنين يزددون به إيماناً ويستصلحون به دينهم، فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى، ولا يزدد به الكافرون إلا نقصاناً لتكذيبهم به وكفرهم^١.

هكذا فإنّ المبحث الثاني قد أشار إلى اليهودية التبشيرية من خلال كتبها المقدسة، وعَرَضَ بإيجازِ المواقف العقائدية لأهل الكتاب تلك المواقف التي أخذت تشكك بصدق رسالة الإسلام، وتفاقم الأمر حتى تجرأ بعض اليهود والنصارى لدعوة الرسول محمد (ﷺ) إلى دينهم وعبادتهم، ومن ثم جاء الرد القرآني الذي يؤكد إعجازه في اللفظ والمعنى ويبين حقيقة الإيمان.

المبحث الثالث : بعض الأعياد اليهودية وفيه ستة مطالب.

لكل أمة أعياد ومواسم تحتفل بها كذكرى لتاريخ معين في حياة الأمة، وللإهود مواسم وأعياد ويؤدون طقوساً معينة للاحتفال بهذه المواسم والأعياد، والعيد الأسبوعي للإهود هو يوم السبت، ويقدس الإهود هذا اليوم لاعتقادهم أن الرب استراح فيه بعد خلق العالم، وتنقسم الأعياد اليهودية إلى قسمين: الأعياد التي جاء ذكرها في التوراة مثل: عيد الفصح، عيد الأسابيع أو الشافوعوت، عيد المظلة أو السوكوت، عيد يوم الغفران أو يوم كيبور، وعيد رأس السنة اليهودية أو روش هاشاناه. وأما مجموعة الأعياد التي أضيفت بعد نزول التوراة فهي: عيد البوريم، عيد الأنوار أو الحانوكاه، وعيد الاستقلال.

وأما بالنسبة لكيفية إقامة الشعائر الدينية في الأعياد ومدى التمسك بها، فيمكن تناول فئتين متناقضتين من يهود وهم: " اليهود الأرثوذكس: وهي الفئة الأكثر محافظةً وتمسكاً بتقاليد الأعياد وبحرفيتها. واليهود العلمانيون:

^١ - محمود بن عمر الزخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، م.س، ج ٢، ص ٦٨٩

وهم الذين يذلون العديد من المحاولات لإعادة تفسير المحتوى التقليدي لطقوس الأعياد، وصبها في شكل جديد مع الاحتفاظ بمعناها الروحي".^١

الأعياد اليهودية الدينية: لقد كانت الأعياد اليهودية التي يتضمنها التقويم السنوي أعياداً دينية، تحتفل بها أقلية من المتدينين الذين يحافظون على التقاليد، تمسكاً بتعاليم الدين مما يضيف على هذه الأعياد جواً من القدسية والصلاحية الدينية، ويبين رشاد الشامي أن اليهود قد حولوا أعيادهم الدينية إلى الزعة القومية، فيقول: "وفي المراحل الأولى من التكيف القومي، بُذلت الجهود من أجل تخليص الأعياد القديمة من طابعها الديني، وتحويلها إلى أعياد ذات مضامين قومية فحسب، ولكن هذا الاتجاه أخذ في التراجع وبدأت الاحتفالات العلنية، وخاصة تلك التي تتم في إطار جيش الدفاع الإسرائيلي [فإنها] تأخذ الطابع الديني التقليدي".^٢

ومن الملاحظ أن كل الأعياد اليهودية، ابتداءً من عيد الفصح وهو عيد الخروج من مصر وانتهاءً بعيد الاستقلال عيد إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين، هي أعياد دينية قومية تختلط فيها القيم الأخلاقية بالقيم القومية، وأن تداخل العناصر الدينية مع العناصر القومية، يقابله تداخل الطبيعة والتاريخ وهذا يجعل الأعياد الدينية مرتبطة بدورة الطبيعة، على عكس المهجرة أو مولد النبي محمد (ﷺ) فهما مناسبتان ليس لهما أي علاقة بالطبيعة، وإنما هما من صميم حياة الإنسان.

وقد أصبحت الأعياد الإسرائيلية القومية في هذه الأيام جزءاً ثابتاً في تقويم معظم الطوائف اليهودية: مثل عيد الاستقلال وعيد الذكرى النازية، كما وانتشرت لدى يهود المناسبات الدينية العائلية مثل احتفال برّمتسفا: أي ابن الشريعة.

^١ - غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٧.

^٢ - رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٦٧ - ٦٨.

وهذا العيد كما يصفه الكاتب اليهودي المعاصر موشيه هورفيتش فإنه:
" يتم بمناسبة بلوغ الفتى الثالثة عشر من عمره، حيث يصبح مسؤولاً
عن إقامة الشرائع الدينية ومناسبات الحداد. وللتفرقة بين السرور والحزن فإن
تلاوة صلاة القاديش: صلاة تتلى على الموتى بوساطة الابن أو سائر أقارب
الأسرة، وهي طقس ديني بارز، لم تعد تغيب عن جنازة الميت في إسرائيل
تقريباً^١.

وأما أعياد السرور فقد أشار إليها العهد القديم في سفر اللاويين، فيقول:
"هذه مَوَاسِمُ الرَّبِّ الْمُحَافِلُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي تُنَادُونَ بِهَا فِي أَوْقَاتِهَا. فِي الشَّهْرِ
الْأَوَّلِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ بَيْنَ الْعِشَائِينَ فَصْحٌ لِلرَّبِّ، وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ
عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عِيدُ الْفِطْرِ لِلرَّبِّ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فِطِيرًا. فِي الْيَوْمِ
الْأَوَّلِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مَقَدَّسٌ"^٢.

ويقول غازي السعدي حول الأعياد والمناسبات والطقوس الدينية لدى
اليهود: "ومما يسترعى الانتباه أنه يُحْتَفَلُ بالأعياد خارج إسرائيل لمدة يومين
فيما عدا يوم الغفران؛ وذلك ناتج عن عادة قديمة مصدرها الخوف من عدم
وصول الحجاج إلى الأرض المقدسة في الموعد المحدد، فكانت الأعياد تزداد
يوماً من قبيل الاحتياط ... ومما هو جدير بالذكر أن بعض الأسماء للمناسبات
والأعياد والشعائر اليهودية قد كتبت بالعربية، وكذلك لفظتها العبرية ولكن
بجروف عربية"^٣. ويوضح ذلك أسماء الكثير من أعياد يهود مثل: يوم الغفران،
وكيبور الذي يعني يوم التكفير، وروش هاشانه ويعني: رأس السنة وغيرها.

ويرى نفتالي كراوس: "أن رؤساء إسرائيل باستثناء الأول منهم وهو
حسيم وايزمان، ما إن تولوا مهامهم حتى بدأوا يبدون ارتباطاً بالتقاليد. وأما
زلمان شازار الرئيس الثالث طرح طلباً بشأن إقامة معبد في مقر رئيس الدولة،
ومن هنا فليس من قبيل المصادفة أن يطلب الحزب الديني القومي بتقوية

١ - موشيه هورفيتش: الحاخام شاخ بيده المفتاح، مطبعة كيتير، القدس، ١٩٨٩م، ص ٩٠-٩٢.

٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٩٥، سفر اللاويين، الإصحاح ٢٣: ٤، ٦، ٧.

٣ - غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، م.س، ص ٨.

صلاحية رئيس الدولة في القانون"^١. وسيتناول البحث إن شاء الله تعالى موجزاً لبعض أعياد اليهود؛ بغية الوقوف على معاني تعاليمهم وشعائهم الدينية.

المطلب الأول: يوم السبت.

ويبدأ الاحتفال بهذا اليوم من غروب شمس يوم الجمعة وينتهي بغروب شمس يوم السبت، ومن مظاهر الاحتفال عند اليهود في هذا اليوم فإنهم يكفون عن كل عمل، ويحرم الفقهاء منهم إشعال النار، لذا فإنهم يوقدون الأنوار قبل غروب شمس يوم الجمعة، ويحرم يوم السبت عندهم كل ما يؤدي إلى عمل مثل الكتابة؛ إذا أمّا يمكن أن تكون لإبرام عقود واتفاقيات البيع والشراء، وهذا يدخل في مفهوم العمل، ويكون السبت عند اليهود يوم فرح وبهجة، وينشدون عادةً على موائد وجبات يوم السبت أناشيد دينية، وهم يحتسون أقداحاً من النبيذ كنوع من الشكر للرب على منحهم يوم السبت، ويؤدّعون سبتهم بتلاوة صلوات "بركة"، وعادةً تكون القراءة حول شجرة.

ويوم السبت معناه بالعبرية: الكف عن العمل أو الراحة، وهو عند اليهود يعتبر أهم الأعياد الدينية. وأظهرت عقيدة بني إسرائيل الاهتمام بأيام السبت وتقديسه كما ورد في التوراة: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً. كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ تَكُونُونَ قَدِّيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ إِلَهُكُمْ... وَتَحْفَظُونَ سُبُوتِي. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى الْأَوْثَانِ وَآلِهَةِ مَسْبُوكَةٍ لَا تَصْنَعُوا لِأَنْفُسِكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ"^٢.

^١ - نفتالي كراوس: مقال صحفي بعنوان "فقط الراي يستطيع"، صحيفة معاريف، تل أبيب، بتاريخ ١٩٨٨/١١/٤.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٨٨، سفر اللاويين، الإصحاح ١٩: ١، ٢، ٣، ٤.

المطلب الثاني: يوم التكفير أو الكفارة.

ويطلق عليه بالعبرية "كيبور" وهو اليوم العاشر من شهر "إيثانيم" أي شهر نيسان أو إبريل. وكان على الكاهن أن يقرب ثوراً كفارة لخطايا أهل بيته، ثم يقرب اثنين من الماعز كفارة لخطايا الشعب، وكانوا يصومون في هذا اليوم، وكانت صلاة الاعتراف بالخطايا في تقديم ذبيحة خاصة، كما جاء في سفر اللاويين، إذ يقول: "إذا أخطأ رئيسٌ وعَمَلَ سَهْوً واحدةً من جميع مناهي الربِّ إلهه التي لا ينبغي عَمَلُها وأنتم. ثُمَّ أُعْلِمَ بِخَطِيئَتِهِ الَّتِي أخطأ بها يأتي بقربان تيساً من المعز ذكرًا صحيحًا. وَيَضَعُ يَدَهُ فوقَ رَأْسِ التَّيسِ وَيَذْبَحُهُ... أمامَ الربِّ إِنَّهُ ذَبِيحَةُ خَطِيئَةٍ. وَإِنْ أخطأ أَحَدٌ من عامة الأرض سَهْوًا... يأتي بقربانه عَنزاً من المعزِ أنثى... وَيُكْفِّرُ عَنْهُ الكاهنُ فَيَصْفَحُ عَنْهُ".^١

أما في يوم الكفارة فتكون صلاة الاعتراف بالخطايا هي: "يا رب إن شعبك بني إسرائيل قد فعلوا السوء وأخطأوا أمامك، فأسألك الآن أن تغفر عن الخطايا والآثام والذنوب التي ارتكبتها وأساء وأنتم بها أمامك الشعب، بيت إسرائيل. كما هو مكتوب في ناموس عبدك موسى: أنه في ذلك اليوم يقيم لكم كفارة لينقيكم، ولتطهروا من جميع آثامكم أمام الرب".^٢

وعلى اليهودي أن يعيش هذا اليوم، كما تعيش الملائكة في صوم جاد وعبادة دائمة، وهذا اليوم يسبق بتسعة أيام، تسمى أيام التوبة، حيث يُطَهَّرُ اليهوديُّ خلالها تطهيراً يكفل له النقاء خلال العام القادم.

المطلب الثالث: قدس الأقداس.

أقدس الأماكن في الهيكل اليهودي، وهو عبارة عن حجرة بدون نوافذ تقام على مستوى أعلى من بقية الهيكل، وتحتوي على تابوت العهد، وكان

^١ - المرجع السابق "العهد القديم"، ص ١٦١-١٦٢، سفر اللاويين، الإصحاح ٤: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٣٠.

^٢ - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، م، س، ص ٤٤.

التصور السائد أن روح الإله تحلُّ في هذا التابوت، وكان لا يدخل قدس الأقداس سوى كبير الكهنة في يوم عيد الغفران؛ ليتفوهَ باسم الخالق يهوفا الذي لا يمكن لأحد التفوهَ به في أي مكان أو زمان. ويزعمون في أعيادهم أيضاً زيارة بيت المقدس، إذ يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام.

ويقول مراد كامل: "لقد قصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود، أيًّا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتحدوا"^١. وفي الشرع اليهودي ما يسمى بذبيحة الإثم ويطلقون عليها قُدُسُ أَقْدَاس، ووردت هذه التسمية في الكتاب المقدس إذ يقول: "وهذه شريعةُ ذبيحةِ الإثم. إِنَّهَا قُدُسُ أَقْدَاس... كُلُّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ يَأْكُلُ مِنْهَا. فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ تَوْكَل. إِنَّهَا قُدُسُ أَقْدَاس. ذَبِيحَةُ الْإِثْمِ كَذَبِيحَةِ الْخَطِيئَةِ. لَهُمَا شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ"^٢.

المطلب الرابع: عيد رأس السنة "روش هاشاناه".

يحتفل بهذا العيد أول وثاني يوم من شهر تشرّي "تشرين أول". وبالرغم من أن عيد رأس السنة، ليس له ذكرى "تاريخية" معينة ولا يعتبر أهم من باقي الأعياد اليهودية، "فإنه اكتسب دلالة دينية ووقدسية خاصة، فقد ذُكر عند اليهود أن هذا اليوم هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق العالم؛ ولذلك فإنه أيضاً يوم الحساب السنوي الذي تَمُرُّ فيه المخلوقات جميعها أمام الله كقطيع من الأغنام، ومن ثم فعلى اليهودي أن يحاسب نفسه في هذا اليوم عمّا أتاه طوال العام من ذنوب، ومن الأسباب التي تميز هذا العيد أيضاً أنه أول أيام التكفير التي يبلغ عددها عشرة، والتي تنتهي بأقدس يوم لدى اليهود على الإطلاق وهو يوم الغفران أو يوم كيور الشهير، ويحيي يهودُ بعضهم البعض في عيد رأس السنة اليهودية بقولهم: "فليكتب اسمك هذا العام في سجل الحياة

^١ - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، م، س، ص ٣٠٢.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م، س، ص ١٦٥-١٦٦، سفر اللاويين، الإصحاح ٧: ١٠، ٢، ٣، ٧.

السعيدة"^١. وهناك تقليدٌ يُتَّبَعُ في هذا العيد إذ يذهب اليهود في عصر ذلك اليوم إلى الأنهار أو أي مكان فيه مياه جارية؛ ليتلوا الصلوات ويلقوا بخطايا العام المنصرم إلى المياه لتحملها بعيداً.

المطلب الخامس: عيد يوم الغفران.

يوم كيبور بالعبرية وهو اليوم التاسع من شهر تشري، "تشرين أول"، وهو يوم صيام عن الطعام والشراب وانشغال بالعبادة والاستغفار، ولا بد من المصالحة وطلب التسامح، ويقضي اليهود طوال اليوم في المعبد، ويتخذون لهم ذريعة في هذا اليوم وهي التحلل من كل العهود والمواثيق، ويبدأ الاحتفال بهذا العيد قبل غروب شمس اليوم التاسع من تشري، ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي، أي حوالي خمس وعشرين ساعة يصوم اليهود ليلاً ونهاراً، ولا يقومون بأي عمل آخر سوى التَّعَبُّد. "والصلوات التي تقام في هذا العيد هي أطول صلوات اليهود عموماً، وتبدأ المراسيم في المعبد بتلاوة صلاة كل النذور، وَيُخْتَمُ الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعילה، التي تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها ثم ينفخ في البوق.. "الشوفار" بعد ذلك"^٢.

والنفخ في البوق من الشعائر الدينية التي ترمز إلى الاجتماع في باب خيمة الاجتماع ونص بذلك سفر العدد، فيقول: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً. اصْنَعْ لَكَ بوقَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ، مَسْحُولَيْنِ تَعْمَلُهُمَا لَكَ لِمُنَادَاةِ الْجَمَاعَةِ وَلَارْتِحَالِ الْمَحَلَّاتِ. فَإِذَا ضَرَبُوا بِهِمَا يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خِيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ"^٣. ويقول ديفيد لاندو عن خيمة الاجتماع ما يكشف به عن عقيدة اليهود: "خيمة أو خباء خارج مساكن القبيلة يكشف فيها الله عن وجوده، ويبلغ إرادته لمن يطلبه"^٤.

^١ - غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، م.س، ص ١١-١٢.

^٢ - المرجع السابق نفسه.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٢٢٧، سفر العدد، الإصحاح ١٠: ١، ٢، ٣.

^٤ - ديفيد لاندو: الأصول اليهودية، م.س، ص ٤٠٩.

المطلب السادس: عيد الفصح أو الفصح بالعبرية "بيساح".

وهو عيد خبز الفطير وموسم الحج، والعيد الذي يُضحَّى فيه بِحَمَلٍ أو شاة أو جَدْيٍ من الماعز، ويسمى أيضاً عيد "الفصح" أي الفرج بعد الضيق، ويحتفل في هذا العيد بذكرى نجاة بني إسرائيل من العبودية في مصر ورحيلهم عنها، وطقوس الاحتفال بهذا العيد كثيرة ومعقدة، ويجب على اليهودي أن يتأكد بأنه قد أبعد كل خميرة تصلح للخبز من بيته، ويعتبر من أكل خبزاً مخمراً في هذا اليوم كأنه فصل نفسه عن الدين اليهودي فصلاً كاملاً، وتناول سفر الخروج هذه المعاني بقوله: "سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطع تلك النفس من إسرائيل. لا تأكلون شيئاً مخمراً. في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً"^١. ثم يتبادل أعضاء الأسرة اليهودية التهنة بهذا العيد بقولهم نلتفي في العام القادم في أورشليم، وهي التهنة التي حولتها الصهيونية من مفهوم ديني معنوي إلى مفهوم سياسي حربي، ويبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان "إبريل" ويستمر سبعة أيام، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير من أيام عيدهم؛ لأنهما يعتبران يومان مقدسان.

فأعياد اليهود المتعددة هذه والمتناقضة دليل على خروجهم عن الجادة والصواب في فهم الدين، وتوحي إلى المادية المتأصلة في نفوسهم، والتمثلة بالقرابين وذبائح الخطيئة والأكل أمام الرب حسب زعمهم. ومن ثم تعدد الآلهة ونظرهم الدون نحوها، لهما برهانان واضحان بأن اليهود لم يستقروا على عبادة الله الواحد. وبعد ذلك استطاعت الصهيونية تحويل التهنة في عيد الفصح اليهودي من مفهوم ديني إلى مفهوم سياسي حربي، فاتخذت من الدين وسيلة وليس غاية. وفي المبحث اللاحق بيان لتوأمة العلاقة العقدية والفكرية بين اليهودية والصهيونية. فاليهودية يدعي أصحابها أنها عقيدة دينية وأما

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٠٥، سفر الخروج، الإصحاح ١٢: ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠.

الصهيونية فهي تمثل حركة عنصرية متطرفة تستغل العاطفة الدينية عند اليهود، في سبيل صهر جميع يهود العالم في وطنٍ قوميٍّ واحدٍ، ومن هنا جمع التقاء المصالح فيما بينهما.

المبحث الرابع: العلاقة بين اليهودية والصهيونية وفيه أربعة مطالب.

اليهودية بعد رسالة موسى عليه السلام لم تُعد عقيدة وشرعية، و ليست نسباً كإسرائيل ولا هي صفة لهيئة معاش كالعبرية؛ لأنهم عبروا نهر الفرات وقيل نهر الأردن طلباً للعيش وكسب الرزق، ولا هي عنوان مشروع سياسي كالصهيونية.

ويرى إمنون روبنشتاين^١: "أن هناك عاملين غذّيا الصحوة القومية اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر وهما:

١- الانجذاب نحو صهيون.

٢- رفض الانصهار.

كان العامل الأول الذي جذب اليهود إلى فلسطين، هو نبوءة عودة صهيون التي تعيش في الوعي المشترك للمحافظين على الوصايا اليهودية، كما جاءت في كتب صلواتهم وفي احتفالات عيد الفصح الخاص بهم، وفي الحزن على خراب الهيكل بكل روح اليهودية الدينية التقليدية. ويذكر روجيه جارودي، بأنّه: "قد ظهرت الصهيونية كحركة علمانية أساساً بسبب العامل الثاني وهو رفض الانصهار... ولأنّ الأوروبيين من أبناء دين موسى [كما يزعمون]، لم يحصلوا على الحقوق المتساوية في المجتمع الذي أصبحت معاداة السّامية فيه بمثابة أساس ديني وثقافي وفولكلوري"^٢.

^١ - إمنون روبنشتاين: مفكر إسرائيلي ولد في تل أبيب عام ١٩٣١م، درس الحقوق والاقتصاد والعلاقات الدولية في الجامعة العبرية، حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة لندن، عمل عييداً لكلية الحقوق في جامعة تل أبيب، وأستاذاً للقانون الدستوري خلال السنوات ١٩٦٩/ ١٩٧٤م، رأس وفد المفاوضات الإسرائيلي للسلام في واشنطن، أنظر، رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، م.س، ص ٣٢٩.

^٢ - معاداة السامية: اصطلاح يستخدم عادة للدلالة على معاداة اليهود وحسب.

فقد نبذهم الشعوب والحكومات الغربية والشرقية على حد سواء؛ نظراً لسوء أخلاقهم وبعدهم عن تعاليم دينهم، وغرقهم في الجشع والربا. فالصهيونية إذاً ليست مصطلحاً دينياً وإنما هي مصطلح سياسي يحمل فكرة يهودية. تقوم على حقٍّ مزعوم بعودة اليهود إلى أرض فلسطين التي يُطلقون عليها اسم أرض الميعاد. فقامت الحركة الصهيونية نسبةً إلى جبل صهيون في القدس، وعملت على تحقيق الحُلُم في إقامة كيان سياسي يهودي، فكلمة صهيون كما يُرَجِّح الكتاب المقدس : معناها أيضاً حصن. وصهيون عبارة عن جبل أو رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم. وإذا أراد المرء أن يحدد الرابطة بين اليهودية والصهيونية، فمن الممكن أن يأخذ بتحديد معقول وضعه أحمد سوسة، إذ يقول فيه: "إن اليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية التي تمثل حركة سياسية عنصرية متطرفة، تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في وطن قومي واحد، بالضغط والعنف والتهديد وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة"^١. ولعلَّ أحمد سوسة يقصد بالعقيدة الدينية اليهودية، قبل التحريف والتحريف الذي أصابها بأيدي معتنقيها، بعد سيدنا موسى عليه السلام.

ويتركز الغرض الإلهي عند اليهود، بأنَّ مجرى الطبيعة وتاريخ البشر يدور بإدارة إلههم يهوه، حول حياة ومصير اليهود والصهيونية. والصهيونية هي الترجمة العلمية لهذا المطلق باعتبارهم الذاتي الذي يتصور أنه يتحرك دون إشارة أو أي شيء خارج عنه. وقد نتج عن هذا التصور الخاطيء أنَّ يهود أمة مقدسة، أمة من الكهنة والقديسين. الأمر الذي صبغ كل الطقوس الدينية اليهودية وكل الكتب الدينية المقدسة بطابع قومي، حتى أننا يمكننا القول بأنَّ المقدس في اليهودية: هو القومي. والقومي هو: المقدس. وقد وردت هذه المعاني في كتابهم المقدس عندهم "التوراة" وهي كما يلي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً.

١ - روجيه جارودي: فلسطين أرض الرسائل السماوية، ترجمة قصي أتايمين وميشيل واكيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٩٧—

١٠٠
٢ - أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، م. س، ص ٧٥٧.

كَلَّمَ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ تَكُونُونَ قَدِّيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ إِلَهُكُمْ^١.
وفكرة الأمة اليهودية المقدسة هي إحدى أُسُس الفكر الصهيوني أيضاً.
فاليهودية اليوم والصهيونية هما عملة واحدة ذات وجهين. وفي المطالب التالية
شرح لهذه الفكرة بإيجاز.

المطلب الأول: ما المراد بالديانة اليهودية؟

يتضح من الناحية الواقعية أن بني إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقي للعقيدة، والتي أرسل الله تعالى بها سيدنا موسى عليه السلام، وانساقوا خلف مصادر أخرى لاسيما وهم في فترات التشرّد والنفي والسبي، فأصبحت مصادرهم الواقعية للعقائد اليهودية عن طريق كتابتهم للعهد القديم، ووضعهم للتلمود وبعض نصوص بروتوكولات حكماء صهيون. فلم يستطع بنو إسرائيل إذاً أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له جميع الأنبياء والمرسلين، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية. وبالرغم من ارتباط المزعوم وجودهم بسيدنا إبراهيم عليه السلام، إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم، وما كثرة الأنبياء منهم إلا دليل على تجدد الشرك فيهم، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أي حال. فظهروا للتاريخ بدائين، يعبدون الأرواح والأحجار وأحياناً يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر. ويشير أحمد شليبي إلى هذه الوثنية فيقول: "[إن اليهود] لم يتخلّوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي؛ لأن عبادة العجول، كانت لا تزال حية في ذاكرتهم... وظلوا زمناً طويلاً، يتخذون هذا الحيوان القوي... رمزاً لإلههم، وكيف خلعوا ملابسهم، واخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب"^٢.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٨٨، سفر اللاويين، الإصحاح ١٩: ١٢، ١٤.

^٢ - أحمد شليبي: مقارنة الأديان "اليهودية" م.س، ص ١٧٣ - ١٧٤.

ويشهد على عبادة بني إسرائيل للعجل ما جاء في سفر الخروج، "فقال الرب لموسى اذهب انزل. فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده... ثُمَّ أَخَذَ الْعَجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ"^١.

ومن المفاهيم المعاصرة للديانة اليهودية، ما يشير إليه عبد الوهاب المسيري، فيقول: إنَّ مما كتبه ابن جوريون بعد قيام كيانه الصهيوني المزعوم عام ١٩٤٨م أنه: "على اليهودي من الآن فصاعداً ألاَّ ينتظر التدخُّلَ الإلهي لتحديد مصيره. بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية العادية مثل: الفانتوم والنابالم"^٢. ويؤكد الدعوة العلمانية عند ابن جوريون ما صرَّح به بعد اعتزاله العمل السياسي والذي يرصده أنيس منصور في كتابه خنجر في قلب إسرائيل، فيقول: "كنت مصمماً على أن تكون إسرائيل دولة علمانية... وليست دينية... إنَّ الدِّينَ هو وسيلة مواصلات فقط. ولذلك يجب أن نبقي فيها بعض الوقت لا كل الوقت... إنَّ حياة اليهود لو تُركت لحاخامات اليهود، لظلوا حتى الآن كلاباً ضالَّةً فبكلِّ مكان يضرهم الناس بالأقدام"^٣.

ويتعرَّض القرآن الكريم إلى موقف اليهود من التوراة، وأنهم لم يحسنوا التعامل وفق شرائعها وأحكامها، فكانوا من الظالمين لأنفسهم بسبب شركهم ووثنيتهم. فيقول الله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ كَفَرُوا بِهَا كَمَا كَفَرُوا بِهَا إِذْ أُتُوا بِهَا مِنْ قِبَلِ رَبِّكَ قُلْ أَتُحِبُّونَ الْآيَاتِ الْكَافِرَةَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ مُتَوَلِّينَ أَمْ تُحِبُّونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالغَيْبِ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ تُبْصِرُ الْغَيْبَ أَمْ لَكُمْ سُلُوكٌ يَخْفَى عَلَى الْغَيْبِ أَمْ لَكُمْ أَسْمَاءُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَعْلَمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِي الْغَيْبِ لَا نَكْشِفُ مَا بِهِ قَوْلُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا نُنَزِّلُ الْوَحْيَ لَكُمْ فِي الْغَيْبِ فَأَنْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمُونَ﴾^٤. فهؤلاء اليهود حملوا التوراة وحفظوها لفظاً، ولم يعملوا بمقتضاها بل أولوها وحرَّفوها؛ لذا يصفهم ابن كثير في تفسيره، بقوله: "فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمير لا

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٤٠-١٤١، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ٧، ١٥، ١٧، ٢٠.

^٢ - عبد الوهاب المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص ١٥٢-١٥٥.

^٣ - أنيس منصور: خنجر في قلب إسرائيل، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٢.

^٤ - سورة الجمعة، الآية ٥.

فهم له وهؤلاء لهم فهم، ولكنهم لم يستعملوه في توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته وحده دون سواه^١.

إنّ موقف اليهود من تعليمات دينهم وشعائرتهم أصبح بارزاً للعيان، فإنهم منذ عهد موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، يتخذون العقيدة نقطة عبور للوصول إلى غاياتهم ومراميهم الماديّة الدنيوية ليس إلّا.

المطلب الثاني: ما المراد بالصهيونية؟

تعود الصهيونية تسميةً إلى زعم تاريخيٍّ أشاعه يهود والصهاينة غير اليهود كما ورد سابقاً. فهم يزعمون أن جبل صهيون وهو ربوة مُطلّة على القدس، قد أقيم عليها الهيكل علماً أن نصوص الكتاب المقدس في قسمه الأول "العهد القديم"، تُفيد بأن القدس لم تكن موطناً للعبرانيين ولا لليهود فيما بعد إلا لفترات قصيرة، وغالباً كانوا يقيمون فيها مع سواهم.

ويتناول أسعد السحمراني ادعاء يهود بجبل صهيون بتحليل منطقيٍّ وعلميٍّ، فيقول: "وجبل صهيون نفسه أقام عليه اليوسيون أبناء عم الكنعانيين حصنهم، وكانت القدس عاصمة مملكتهم اليوسية قبل ظهور النبي موسى عليه السلام ومعه اليهودية بما لا يقل عن ألفي عام"^٢. وإنّ أول استخدام لاسم صهيونية كمؤسسة سياسية كان مع النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وتم ربط الفكرة السياسية بالمعتقد الديني من أجل أن يكون لها وقعها على النفوس والسلوك، وهكذا جمعت الفكرة الصهيونية حولها يهوداً مع ملايين من مسيحيي أوروبا وأمريكا وسواهما، خاصة بعد ظهور ما سمي بحركة الإصلاح الديني.

ويستنتج مما تقدم أن الصهيونية ليست اليهودية التي هي رسالة دينية، وإنما الصهيونية حركة سياسية تضم يهود وغير يهود، سواء أكانوا أفراداً أو

^١ - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ١٠م، ص ٤، مج ٤ ص ٣٨٤

^٢ - أسعد السحمراني: من اليهودية إلى الصهيونية دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٨٩.

مؤسسات وحركات، والهدف المشترك الذي يجمع أتباع الحركة الصهيونية هو: جمع اليهود ولمُ شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة مزعومة لهم فيها؛ تنفيذاً لحلم يهوديٍّ عنصريٍّ، اتخذ من الفكرة الدينية ستاراً لعدوانه، وهذا يقودونا إلى وجوب التعرف على الفرق بين اليهودية والصهيونية، مع شيءٍ من التوسُّع والتأصيل في المطلب اللاحق.

المطلب الثالث: ما الفرق بين اليهودية والصهيونية؟

يقول عبد الوهاب المسيري: "لقد كان اليهود في نهاية القرن التاسع عشر مختلفين عن اليهود في سائر الأجيال السابقة، وقد مرَّ كلُّ اليهود الذين استهوتهم الفكرة الصهيونية بمرحلة الانعتاق... عن الإطارات التقليدية لحياة اليهود... ولم يُحيبوا عن المشكلة اليهودية وفقاً لأنماط السلوك اليهودية التقليدية، بل وفقاً لأنماط السلوك المعاصرة الخاصة بالشعوب التي عاشوا بينها"^١. ومن ثم جاءت الأفكار الصهيونية من خلال اليهودية العلمانية، حيث يقول جرشوم شوكن في معرض تحليله لمدى تحقيق الصهيونية لأهدافها: "وهكذا جاء مؤسسو الصهيونية من بين صفوف اليهودية العلمانية المنصهرة التي سعت إلى طرح حلٍّ علمانيٍّ — دولة يهودية — لتلك الطائفة الجديدة"^٢.

ويقول حسان حلاق: "تعتبر الصهيونية حركة عنصرية استعمارية، نادى بحلول انعزالية لما أسمته المشكلة اليهودية، لأنها عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية وسياسية ودينية، وفي أواخر القرن التاسع عشر التقت الأهداف الصهيونية بأهداف التوسع الاستعماري الأوروبي... فوجدت الصهيونية في هذا الاستعمار وسيلةً للوصول إلى تحقيق غاياتها. بينما وجد الاستعمار في

^١ - عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦، الكويت، ط١، ديسمبر ١٩٨٢م، ج١، ص١٣٩-١٤١.

^٢ - جرشوم شوكن: مقال صحفي، بعنوان "نظرة جديدة على الصهيونية، نجاح أم فشل؟" صحيفة هآرتس، القدس، بتاريخ ١٩٨٠/٩/١م، ص١٢.

الصهيونية جسراً لتدعيم نفوذه... وعلى أساس هذا الواقع استطاعت الصهيونية التعامل مع الدول الاستعمارية نظراً لوحدة الهدف...^١. فالتقت الاراداتان الصهيونية والاستعمارية، بناء على دراسات واستطلاعات، وليس من قبيل الصدفة. فالصهيونية مشروع غربي. وقد ذهب هذا المذهب عبد الوهاب المسيري قائلاً: "الصهيونية كانت ولا تزال حركة غربية، ولذا فإننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص، فإنما نشير إلى تلك الحركة التي نشأت في الغرب، واتخذت من فلسطين مكاناً لممارستها الاستيطانية، ولم تفقد هويتها بانتقالها من الغرب إلى الشرق، فالصهيونية لم تنشأ في العالم ككل أو حتى داخل كل التشكيلات الإثنية اليهودية المتناثرة في العالم، وإنما هي إفراز تشكيل حضارة محدّدة، وبقعة جغرافية محدّدة في لحظة زمنية محدّدة، ولا يمكن دراستها خارج هذا التشكيل"^٢.

فالصهيونية والمسيحية الغربية ساهمتا إذاً بوجود فكر صهيوني ذي دياخية مسيحية، يستند إلى عقيدة عودة المسيح المخلص في آخر الأيام، ليحكم العالم هو والقديسون لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام، وقد ظهرت هذه العقيدة في سفر دانيال. إن الصهيونية كانت ولم تزال حريصة "على الاستثنائية والانفصالية؛ لكي توثق الفكرة القائلة بأن اليهود غير آمنين في الشتات إلا في دولة منفصلة فقط..... إن السبب الحقيقي لهذا التزوير التاريخي الذي أقدم عليه الصهيونيون هو سياسي وليس دينياً عقائدياً إطلاقاً"^٣.

^١ - حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٢٣ - ١٢٤.

^٢ - عبد الوهاب المسيري: الأيدلوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، صفر، ربيع الأول ١٤٠٣هـ / كانون الأول ١٩٨٢م. ص ٢٣٤.

^٣ - روجيه جارودي: قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، ترجمة إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٧٨.

فاليهودية في أصلها عقيدة دينية، ولكن أصابها التلوث والانحراف بفعل يهود، أما الصهيونية فإنها تمثل حركة سياسية عنصرية متطرفة اندمجت مع الديانة اليهودية واتخذتها مطيةً لأغراضها الحياتية .

المطلب الرابع: أثر العقيدة اليهودية في الحركات الصهيونية.

لقد أصبح التناقض واضحاً بين الدعوة الصهيونية التي تدعي أنها علمانية عصرية والديانة اليهودية، إلى جانب التناقضات بين أصحاب النزعة الصهيونية المتدينة والاتجاهات الدينية الأخرى المناهضة للصهيونية. فكلمة إسرائيل تنطق بالعبرية "يسرائيل وتعني المتصارع مع الرب أو الذي يحارب الخالق من أجله، أي أنها كلمة ذات دلالة دينية خالصة، وقد استخدمت الكلمة للإشارة لمملكة يسرائيل القديمة. أما في العصر الحديث: فقد استخدمها الصهاينة للإشارة للدولة الصهيونية في فلسطين باعتبارها أنها استمرار للتاريخ اليهودي"^١. هذا وقد تأثرت الحركة الصهيونية بالعقيدة اليهودية من حيث الأفكار والمعتقدات وفق النقاط التالية:

- ١- تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في بروتوكولات حكماء صهيون. وأظهرت معتقداتها المحرفة ضد غيرها من الأممين كما يدعون.
- ٢ - تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية.
- ٣ - تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلههم يهوه.

٤ - يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود، وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

٥ - يقولون: لابد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب، ونزع من عقولهم فكرة وجود الله، ونُحِلَّ محلها قوانين رياضية مادية؛ لأن الشعب يحمي

^١ - غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص ٢٩.

سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة الإيمان، ويقولون أيضاً: إن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته، فلنشعلها هي وأمثالها إلى أن تصبح السلطة في أيدينا. وتوضح الموسوعة الميسرة موقف الصهيونية من الديانة اليهودية، فتقول: "تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية الاقتصادية".^١

يستنتج الباحث مما تقدم أن عدداً كبيراً من مؤسسي الصهيونية، لم يكن لهم أي اهتمام باليهودية، بل إنهم أظهروا عداءً ملحوظاً لأفكارها وممارساتها، ومن الشواهد في ذلك ما جاء في كتاب القوى الدينية: "إن تيودور هرتسل الذي عاش ما بين ١٨٦٠ — ١٩٠٤م، وهو مؤسس الصهيونية السياسية عند ما زار القدس انتهك العديد من الشعائر الدينية اليهودية، ليؤكد تميز نظريته اللادينية عن العقيدة الدينية".^٢ كما أن الفروق كانت كبيرة بين يهود شرق أوروبا ويهود غربها في القضايا الأساسية للصهيونية لا سيما في مشكلة ماهية اليهودية. وهذا التناقض يمكن توضيحه على ضوء الموقف الأساسي للصهيونية الغربية الذي كان على النحو الذي يشير إليه جي بيرجر، فيقول: "حيث إن اليهود هم شعب كسائر الشعوب، فإنه على غرار إن لم يكن على النحو الأكمل للنموذج الأوروبي التقدمي، ويمكن منح كهنة الدين المكان الجدير بهم، أي في النطاق المحدود الذي حدده لهم هرتسل على غرار الشكنات العسكرية والتعامل معهم باحترام وأدب على النحو الذي يُستشف من شريعة التقدم الغربي".^٣

وفي ختام هذا الفصل وبعد كشف مظاهر التدين لدى يهود، من خلال كتبهم المقدسة عندهم وأسفارهم، بالإضافة إلى فرقهم القديمة والحديثة،

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٢، م ٣٣٧، ص ٣٣٧.

٢ - رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية، م.س، ص ١٩.

٣ - جي بيرجر: الصهيونية حركة عنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٩٣.

وأعيادهم الدينية والقومية وسائر طقوسهم. وبعد تسليط الضوء على المعتقدات اليهودية. ظهرت قضيتان أساسيتان تتعلقان بموقفهم من التوحيد هما:

١ — اليهود بين التثنية والتشبيه.

٢ — اليهود بين التوحيد والتعدد.

فالعهد القديم أو " التوراة " يكشف الخلط العجيب والغريب الذي وقع فيه بنو إسرائيل، تجاه ربهم حتى أنهم وصفوه بصفات بشرية، ولم يكتفوا بالتحسيد بل تمادوا في حبس إلههم داخل الإطار البشري المحدود، وما استطاع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية. فخرج في رواياتهم التي بسط البحث القول فيها على صورة تأباها النفس. فالعقيدة اليهودية خالطتها الوثنية بعد سيدنا موسى عليه السلام. والتقت في العصر الحديث بالصهيونية فكراً وعقيدةً.

الفصل الثالث

النصرانية من حيث النشأة والتكوين

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف النصرانية.

المبحث الثاني: بعض الكتب المسيحية المقدسة.

المبحث الثالث: من الفرق النصرانية المعاصرة

"انشقاق الكنيسة".

الفصل الثالث النصرانية من حيث النشأة والتكوين

المبحث الأول: تعريف النصرانية وفيه أربعة مطالب.

النصارى هي أمة المسيح عليه السلام عيسى بن مريم رسول الله وكلمته، وهو المبعوث حقاً بعد موسى عليه السلام، المبشّر به بالتوراة. وكانت له آيات ظاهرة ومعجزات باهرة مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والدليل على ذلك ما يشير إليه القرآن الكريم من التنويه برسالة عيسى عليه السلام، والمعجزات التي تؤيده، فيقول الله تعالى :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْلُغُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَمَا تَذْخِرُونَ فِي يَوْمِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^١

يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "يقول جل ثناؤه

﴿ ورسولاً ﴾ أي ونجعله رسولاً لبني إسرائيل، فترك ذكر ونجعله لدلالة الكلام عليه، فهو نبي وبشير ونذير لهم. والحجة على صدقه فهو يجعل من الطين طيراً بإذن الله، ويشفي المريض الذي لا يبصر بالليل. وقال آخرون: هو الأعمى الذي ولدته أمه كذلك، ويشفي الأبرص بإذن الله. وكان إحياء عيسى للموتى بدعاء الله يدعو لهم فيستجيب له، ومن المعجزات التي أعطيها سيدنا عيسى عليه السلام إنه كان يخبر قومه بما يأكلونه من غير معاينة أو مشاهدة منه، بل وكان يخبرهم بما يحبثونه من طعام ونحوه"^٢. ويقول ابن كثير: "[كانت لعيسى عليه السلام] وجهة ومكانة عند الله تعالى في الدنيا، بما يوحى إليه من الشريعة ويُنزَلُ عليه من الكتاب. وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين"^٣. وقد أوحى الله تعالى إليه وهو في المهد بينما جميع الأنبياء

^١ - سورة آل عمران ، الآية ٤٩ .

^٢ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س ، ص ١٩٢-١٩٣ .

^٣ - اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، م.س ، مج ١، ص ٣٩٠ .

بلاغ وحيهم أربعون سنةً وأوحى إليه إبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون فيه. واختلافهم يعود إلى أمرين :

١- كيفية نزوله واتصاله بأمه.

٢- كيفية صعوده واتصاله بالملائكة .

وأما بالنسبة لنشأة المسيحية، فيقول ميشيل يتيم: "نشأت المسيحية في بادئ أمرها في البيئة اليهودية، فإن إيمان اليهود بالإله الواحد وانتظارهم الشديد لمجيء المسيح، ورغبتهم القوية في التخلص من عبودية الرومانيين، كل ذلك قد أعدهم للاستماع إلى تعاليم الديانة الجديدة، وقد رأى فيها الكثيرون تحقيقاً لما وعد الله به شعبه بواسطة الأنبياء فقبلوها واعتنقوها، إلا أن الأغلبية الساحقة رفضت المسيحية وأبت الدخول فيها، وما سبب ذلك إلا لأن معظم اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً سياسياً، يرُدُّ إلى إسرائيل سطوتها المفقودة وقوتها الحربية البائدة، فلما اطلعوا على أقوال الديانة الجديدة التي تدعو إلى المودة والوداعة، ولا تأبه لامتيازات إسرائيل... تصدوا لها وقاوموها وحاربوها حرباً ضارية"^١. ولتوضيح مبادئ العقيدة النصرانية وطقوسها الدينية، ينبغي الوقوف على مفهوم النصرارى والتنصير.

المطلب الأول : مفهوم النصرارى والتنصير ؟

التنصير في مفهومه اللفظي اللغوي: هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية أو إدخال غير النصرارى في النصرانية.

وجاء لفظ ينصّرانه في الحديث الشريف، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله عليه وسلم: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاءً، هل تحسون فيها من جدعاء؟)^٢.

^١ - ميشيل يتيم: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط ١٩٩١م، ص ٧.

^٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م ١٠٠، ص ١٥٤. رواه الإمام البخاري في باب "القدر"، تحت رقم الحديث "١٢٩٦".

والفطرة^١ هنا تعني الإسلام بمفهومه العام وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى توحيداً وعبادةً. يقول الفيروزي آبادي في القاموس المحيط: "... والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضاً دينهم، ويقال نصراني وأنصار. وتنصّر دخل في دينهم، ونصّره: جعله نصرانياً"^٢.

ولكن النصرانية قد تلوّث بالوثنية، ويشير إلى ذلك محمد طاهر تنير، فيقول عن تطوير مفهوم النصرانية: "وقد حصل للمفهوم اللفظي شيء من التطوير مع تطوير النظرة إلى التنصير منذ بعثة عيسى عليه السلام، فلم يكن هذا المفهوم حديث الإطلاق وليس هو ظاهرة جديدة، بل لقد بدأ التنصير مع ظهور النصرانية حيث كان مطلباً جاء به الإنجيل لنشر الدين النصراني، ولكن توالى الاستعانات بالثقافات الأخرى مثل: الفارسية والهندية وغيرها، مما أعطى هذه الديانة بُعداً وثنيّاً، خرج بها عن أصولها التي جاء بها عيسى عليه السلام، حتى قيل إن أركان المسيحية الجديدة وعقائدها وصلواتها وشعائرها تأثرت أو تحدّرت من الوثنية التي كانت سائدة قبل ظهور المسيح عليه السلام أو في أيامه.

وقد نقلها المؤمنون الجدد من ديانتهم الوثنية، فأقرّهم عليها الكنيسة ثم تبنتها وجعلتها رموزاً تأويلية ملفقة تُرضيهم وتلبّس على غيرهم"^٣. وقام بولس بنشر النصرانية حسب أهوائه، ويشير علي إبراهيم النملة إلى هذا الأمر، فيقول: "وقبل هذا سعى شاؤول أو بولس — وقد كان يهودياً فتنصّر — إلى نشر النصرانية على طريقته بعد أن زعم أن المسيح عليه السلام قد جاءه وهو في طريقه إلى دمشق الشام، وطلب منه ترك اضطهاد النصارى والسير في ركب الدعوة إلى النصرانية "التنصير" وقد كان من أشد الناس نكابةً

١ - الفطرة تعني لغة: الخلق أو الجيلة التي خلّق عليها الإنسان. انظر، محمد بن أبي بكر الرّازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٥٠٦.

٢ - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، م.س، ص ٦٢٢.

٣ - محمد طاهر التنير: الأصول الوثنية في النصرانية، تقديم وتعليق ونشر محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٥٦.

بالنصارى"¹. وبهذا يُعدُّ بولس المنصِّر الأول وواضع أُسس التنصير العالمي، ثم تعاقبت حملات التنصير، وتزعمها في الجهة الغربية من فلسطين اليعاقبة²، والذين اختلفوا مع النساطرة³ حول طبيعة المسيح عليه السلام، بين الناسوتية واللاهوتية. ولا يزال الجدل قائماً بين الطوائف النصرانية حول طبيعة المسيح عليه السلام، بين كونه إنساناً أو إلهاً أو يجمع بين اللاهوتية والناسوتية. وقد بين القرآن الكريم ما خاض به أتباع المسيح عليه السلام من جدال في آدميته، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَكَأَنَّكَ أَغْلَمْتَ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁴.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: "أختلفَ في وقت هذه المقالة، فقال قتادة وابن جريج وأكثر المفسرين: إنما يقول له هذا يوم القيامة، واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾؟ وليس هو باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين:

أحدهما: أنه سألَه عن ذلك توبيخاً لمن ادَّعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ بالتكذيب وأشد بالتوبيخ والتفريع. ويقول محمد محمود حجازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. موضحاً موقف عيسى عليه السلام من قومه، فهو يأمرهم بطاعة الله تعالى وحده وعبادته، قائلاً: "أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَنَا عَبْدٌ مِثْلَكُمْ إِلَّا

¹ - علي إبراهيم التَّملة : التنصير ، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ص ١٢ .

² - اليعاقبة: هم السريان الأرثوذكس، وينسبون إلى يعقوب البرادعي، أسقف الرها ٥٤١هـ - ٥٧٨ م. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٦٢٠.

³ - النساطرة: طائفة من المسيحيين، وينسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية ٤٢٨ م، الذي أنكر علي مريم لقب أم الله وقال بأقنومين في المسيح، وسكنوا الموصل وأرمينيا. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٥٧٣.

⁴ - سورة المائدة ، الآية ١١٦-١١٧ .

أنه خصني بالرسالة إليكم. وكنت يا رب قائماً عليهم أراقبهم وأشهد على ما يقولون وما يفعلون فأقر الحق وأقاوم الباطل، وقد كانت هذه العقائد الخطيرة غير موجودة في حياتي، فلما توفيتني ورفعتني كنت يا رب حفيظاً عليهم دوني ولا يخفى عليك شيء يوم القيامة. وقد تقدم ما يثبت أن عيسى بريء من التثليث والحلول والإشراك إذ يقول: [وأما في الآخرة حيث الحياة الأبدية فإنهم يعرفونك] أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح هو عبدك ورسولك الذي أرسلته، فإن تعذبهم بمعصيتهم التي لم يتوبوا عنها فهم عبادك، وإن تغفر لهم فهم عبادك وأنت العزيز الحكيم في كل ما تصنع".^١

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده، وادعوا عليه ما لم يقله.

ومن الأدلة البارزة على ما غيرَه النصارى: موقفهم من عيسى عليه السلام وأنهم جعلوه إلهاً، حيث ورد في العهد الجديد تحت عنوان أسرار الله تُكشَفُ للباطل ما يثبت ذلك، إذ يقول: "في ذلك الوقت تكلم يسوع فقال: أحمدك يا أبتي، رب السموات والأرض... فما من أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا من أحد يعرف الآب إلا الابن ومن شاء الابن أن يكشفه له. تعالوا إلي أيها المرفقون المتقلون، وأنا أريحكم".^٢ فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهاً فكيف قال ذلك فيهم؟ فقول: لما كان من قولهم أنها لم تلد بشراً إنما ولدت إلهاً لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له. وبدأ عيسى عليه السلام بالتسبيح قبل الجواب لأمرين:

١ — تزيهاً له عما أضيف إليه.

٢ — خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته.

ثم يقول عيسى عليه السلام: ما ينبغي لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها. يعني أنني مريبوب ولست برب، وعابد ولست بمعبود. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ فرد ذلك إلى علمه عز وجل، وقد كان الله عالماً به أنه لم يقله،

^١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م، س، ص ٣١، بتصرف.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م، س، ص ٨٨، إنجيل متى، الإصحاح ١١: ٢٨، ٢٧، ٢٥.

ولكنه سأله عنه تقريراً لمن اتخذ عيسى إلهاً، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَغْلَهُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿تَعْلَمُ مَا كَانَ مِنِّي فِي دَارِ الدُّنْيَا وَلَا أَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْكَ فِي دَارِ الْآخِرَةِ؛ لَأَنَّكَ تَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ. ويقول ابن كثير في تفسيره: "هذا مما يُخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام، قائلاً له ذلك: يوم القيامة بحضرة من اتخذته وأمه إلهين من دون الله، وهذا تهديد للنصارى... على رؤوس الأشهاد، هكذا قاله قتادة وغيره".^١

واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتُ بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّ وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنَّ مَعَهُمْ فَاتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن كُنْتُمْ لَهُمْ فَاكِهًا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.^٢

فقد نعى الله سبحانه وتعالى على المسيحيين اتخاذهم المسيح إلهاً، ومبيناً ما سيقوله سيدنا عيسى عليه السلام يوم القيامة في معرض الرد على دعواهم الباطلة: يا رب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به من التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية.

ولعل أول علاقة بين المسلمين والنصارى أو الإسلام والنصرانية، كانت على عهد الرسول محمد - (ﷺ)، حينما أرسل وفداً من المهاجرين إلى ملك صالح في الحبشة يُقال له النجاشي.^٣

^١ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م، س، ج ٢، ص ١١٧.

^٢ - سورة المائدة، الآيات ١١٧-١١٩.

^٣ - النجاشي: يُقال له مشكم بن أضحمة ويعد من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - وقيل من التابعين بحسب تعريف الصحابي، وتوفي في حياة الرسول - (ﷺ)، وصلى عليه صلاة الغائب. سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب أن يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول (ﷺ) من عند الله، فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، ثم قال إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم التفت إلى رسولي قريش "عبد الله بن بي ربيعة، وعمرو بن العاص"، قائلاً: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون. انظر، عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٣٧٥.

كما وأرسل سيدنا محمد (ﷺ) وفوداً إلى الأباطرة في شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربي، مثل هرقل الروم ومقوقس مصر وغيرهما. "وكان هناك حوار ونقاش حول نظرة الإسلام والمسلمين للنصرانية ونبئها عيسى عليه السلام".^١

ومن الجدير بالذكر أن عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كان حافلاً بالعلاقات مع النصارى نتيجةً لامتداد الفتح الإسلامي في الشام ومصر وما وراءهما.

وكان يتخلل هذه الفتوح وقفات علمية، تكون فيها مناقشات وحوارات حول موقف الإسلام من النصرانية والنصارى.

وأبرز مثال على هذه الوقفات، وقفة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيت المقدس وموقفه من كنيسة القيامة وتجنُّب الصلاة فيها. ويؤكد توفيق سلطان اليزبكي على العلاقات والخدمات التعاونية التي كان يقدمها النصارى للدولة الإسلامية في العهد الأموي، فيقول: "وكذا الحال في العصر الأموي مع الزيادة المطردة في العلاقة من خلال الاستعانة بالنصارى في بعض مقومات بناء المجتمع المسلم الناهض، وبخاصة فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية والبحث".^٢

وتصبح العلاقة أكثر وضوحاً في العصر العباسي الذي شهد ازدهاراً علمياً وثقافياً وحضارياً، استعان المسلمون في أجزاء منه بالنصارى وغيرهم من أصحاب الثقافات الأخرى في دواوين الولاية وفي المؤسسات العلمية والتعليمية. ولكي يكتمل عقد مفهوم النصارى والتنصير، ينبغي أن يقف الباحث على أصل تسمية النصراني والمسيحي بشكل عام؛ بغية الوصول إلى كنه عقيدتهم و بعض طقوسهم.

^١ - عبد السلام هارون : تذيب سيرة ابن هشام، المؤسسة العربية الحديثة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٣٧٥ - ٣٧٨ .

^٢ - توفيق سلطان اليزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٣٦١ - ٤٤٧ .

المطلب الثاني : أصل التسميات التالية : النصراني - المسيحي.

هناك من يفرّق بين التسميتين أو الإطلاقين، النصرانية والمسيحية. وفي هذا يقول عمر فروخ : "يجب التفريق بين النصرانية والمسيحية. فالنصرانية هي في الأصل الدين السماوي الذي أُوحي إلى عيسى عليه السلام، وهو دين قائم على التوحيد و على أن المسيح عيسى بن مريم نبيٌّ. أمّا المسيحية المحرّفة فهي مجموع التعاليم التي وضعها بولس سنة ٦٧م" والتي بُنيت على التثليث الهندي، ثم تُسبت إلى المسيح الذي جُعلَ إلهًا^١.

ويشير العهد الجديد إلى تسبيحة الثالث: الآب والابن والروح القدس في ترنيمة "أيها الثورُ البهي"، ويشير إلى يسوع المسيح، فيقول: "ومع دخول الكاهن إلى الهيكل ليقف أمام المائدة تُرثَمُ ترنيمة: أيها النور البهي التي تذكّرنا بالنور البهي لمحيي المسيح ابن الله الحيّ. أيها الثورُ البهيّ لِقُدُسِ مَجْدِ الآبِ الذي لا يموتُ السماويُّ القُدُّوسُ المَغْبُوطُ، يا يسوعُ المسيحُ، إذ قد بَلَّغْنَا إلى غروب الشَّمْسِ ونظرْنَا نوراً مسائياً تُسَبِّحُ الآبَ والابن والروحُ القدس، الإلهُ المستحقُّ في جميع الأوقات أن يُسَبِّحَ بأصوات بارّة، يا ابن الله المعطي الحياةَ لذلك العالمِ إِيَّاكَ يُمَجِّدُ"^٢. إنَّ التصريح بالشُّرك وتأليه عيسى عليه السلام أصبح أمراً يفتخر به رجال الدين عند المسيحية فضلاً عن عامّتهم، بالرغم من إنكار السيد المسيح عليهم ذلك كما ورد آنفاً في مفهوم النصراني والتنصير. ومن شعائر التنصير المتقدمة زمنياً والدّالة على عقيدتهم المدّعاة وما تزال تستخدم إلى يومنا هذا: التعميد أو التغطيس وذلك حينما يُغَطَّسُ الطفل صغيراً في ماء قد صلّى عليه القسيس فأصبح مباركاً، وإنّ هذه الشعيرة ضرورية عند النصراني لكي يعتبر المرء نصرانياً رسمياً، حتى ليَعْمَدَ أولئك الذين يتنصّرون في سن متقدمة بتغطيسهم بأيّ ماء يُصلّى عليه.

إن التعاليم المسيحية والنصرانية الحالّية تختلف إذاً عمّا كان عليه السيد المسيح عليه السلام، ويشير إلى هذه المعاني، علي إبراهيم النملة، فيقول:

^١ — عمر فروخ : الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، دار المعرفة، جدة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٢٥ - ١٤٣.

^٢ — لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م. س، ص ٣٣.

"فليس نصارى اليوم أو مسيحيو اليوم هم نصارى الأُمس من أتباع عيسى عليه السلام قبل تدخل شاؤول أو بولس في تعاليم النصرانية وتطويعها للوثنية وتقريبها إلى اليهودية أكثر من قربها الشرعي لها".^١

التسمية بالمسيح ومن أين جاءت؟

إنَّ الكتاب المقدس وأناجيله المعتمدة لدى المسيحيين بسطت القول في موضوع يسوع المسيح^٢ عليه السلام، فيقول العهد الجديد: "المسيح: من مَسَحَ، أي دهنَ بالزيت. كان الأقدمون يمسحون الملوك عند توليهم الملك، وكان اليهود يمسحون عظيم الكهنة عند تنصيبه. ثم أطلقوا هذا الاسم على رسول الله الذي كانوا ينتظرونه لخلاصهم، بيد أنهم توهموا أنَّ المسيح منقذ سياسي دنيوي أكثر منه رسول يعلن ملكوت الله ويكشف للناس عن أسراره ويدعوهم للتوبة وينقذهم من الشيطان، ولذلك نفى يسوع تلاميذه عن إذاعة خبره. فالمسيح هو الذي أرسله الله منقذاً ومخلصاً وهو يسوع الناصري ابن إبراهيم بن داود وابن الله. حملته أمُّه من الروح القدس وأنقذ الناس من خطاياهم"^٣. فهذه مغالطة واضحة في نسب سيدنا عيسى عليه السلام، وقع فيها الكتاب للمقدس. والواقع أنه ولد من غير أب، والدليل على ذلك قوله تعالى.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَنفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انَّهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^٤. فمن الغلو الذي وقع به المسيحيون بأنهم نسبوا عيسى عليه

^١ - علي إبراهيم النملة : التنصير، م، ص ١٨ .

^٢ - يسوع المسيح: هو في معتقد المسيحيين الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكلمة الله المتجسد من مريم العذراء لخلاص العالم، وهو عيسى بن مريم وآخر أنبياء بني إسرائيل، ذكر اسمه في القرآن الكريم بلفظ المسيح تارة ولفظ عيسى تارة أخرى. انظر، المتجدد في اللغة والأعلام، ص ٦٢٠.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م، ص ١٠٩٠. إنجيل يوحنا، إصحاح ٤: ٢٥، والإصحاح ٢٩: ١ وإنجيل متى، الإصحاح ١: ٢٠، ٢، والإصحاح ١٦: ٢٠.

^٤ - سورة النساء، الآية ١٧١.

السلام إلى الله تعالى، فقالوا إنه ابن الله، وتارة أخرى ادعوا أنه ثالث ثلاثة، ومرة
ثالثة زعموا أنه الإله، افتراءً على الله تعالى. ويفصلُ الإمام الطبري في أسباب
تسمية المسيح إذ يقول: "المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق
والفاروق، وأصله مشيحاً بالعبرانية ومعناه المبارك، وكذلك عيسى معرب
يشوع. ويقول ابن عباس: سمي [المسيح] بذلك لأنه ما كان يمسح ذا عاهة إلا
يرأ، ويقول أحمد بن يحيى: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها وعلى هذا يجوز
أن يقال له مسيح بالتشديد كشريب، وقيل لأنه مسح من الأوزار، وقيل لأنه
لم يكن في قدمه خُمص فكان ممسوح القدمين، وقيل: لأنه ممسوح بدهن
طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم. والمسيح: هو عيسى عليه
السلام". فالمسيحية إذاً وكما يراها فلسيان شالي: "هي الديانة التي يؤمن بها
المسيحيون، [فهي أصلاً ديانة من ديانات التوحيد] تضع في المقام الأول تلك
المشاركة بنعمة الإله الأب عن طريق ابنه المسيح، مخلص الإنسانية. أما كلمة
كرستوز: هي الترجمة الإغريقية للكلمة العبرية ميسّي أو المسيح، أي المكرس
بمسحه بالماء أو الزيت"^١. ويرجع اسم المسيح أو لقبه كما يذكر محمد عزت
الطهطاوي: "إلى الشعائر التي درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالها الأولى،
أي منذ أبيهم الأول يعقوب عليه السلام والذي سمي إسرائيل، [فإنه] اعتبر
المسح بالزيت المقدس من أعظم الشعائر لتقديس وتكريم الناس أو الأماكن،
فكل ما يمسح بالزيت يصير مقدساً لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس
سوى الكهنة والملوك والأنبياء، لذلك سُمي هؤلاء مُسحاء الله أي المُختارين
والمباركين من الله"^٢. فهذا شاؤول أحد المسحاء ويسمى مسيح الرب، فهو
المسيح المخلص الذي خلص شعب إسرائيل من أيدي الفلسطينيين كما تزعم
أسفارهم، فهو مبارك لا يمسحه أحد بسوء، وحين تمكن أحد رجال داود عليه

^١ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، ص ١٩٨. انظر، محمد بن

أبي بكر بن عبد القادر الخوارزمي: مختار الصحاح، م.س، ص ٦٢٤.

^٢ - فلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، طلاس للدراسات
والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩١، ص ٢٢٥.

^٣ - محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، مكتبة النور للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

السلام من رقبة المسيح شاول وأراد قتله، منعه داوود كما ورد في سفر صموئيل قائلاً له: "فقال داوود لأبيشاي": لا تقتله، فَمَنْ الَّذِي يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ وَيَكُونُ بَرِيئاً؟. وكانت الحرب طويلةً بين بيت شاول وبيت داود وكان داود يذهبُ يتقوّى وبيتُ شاول يَضْعَفُ... لِأَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ داودَ قائلاً: إني بيد داود عبدي أَخْلَصْتُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ وَمَنْ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ"^٢.

فهذه أخلاق يهود مع ربه، تظهر ديدهم الوثني الذي يتجدّد وحتى مع السيد المسيح عليه السلام نفسه، لا سيما عند ما جاءهم بدعوة التوحيد، فتراهم يعبدون آلهةً من صُنع أنفسهم تماماً كما عبدوا العجل وغيره من الأوثان في زمن موسى عليه السلام. ولما كانت دعوة عيسى عليه السلام لليهود، دعوة إلى الأخلاق الفاضلة وتوجيهاً روحياً، فلم تجد قلباً سميعاً ولا تأييداً من اليهود، لذلك ثاروا عليه وتآمروا على قتله، بل إنهم ذكروا أمه بالقبیح من القول، فبرأها الله مما وصفوها به، ويقول الله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُ بِهِمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْثَةِ بَهَنَّا عَظِيمًا، وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْثَةِ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^٣.

ويقول ابن كثير في تفسيره: "إن يهود تمرّنت قلوبهم على الكفر والطغيان وأنهم رموا مريم بالزنا، وزادوا على ذلك حتى قالوا من باب التهكم والسخرية: قتلنا هذا الذي يدعي لنفسه منصب الرسالة، والحقيقة أنهم رأوا شبهه فظنوه إياه. فوقع كل من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جهّال النصارى كلهم في شكٍّ وحيرةٍ وضلالٍ، وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكّين متوهمين"^٤.

^١ — لأبيشاي: اسم الرجل الذي أراد قتل المسيح شاول ومنعه سيدنا داود عليه السلام، أنظر سفر صموئيل الأول "العهد القديم" ص ٥٦٩.

^٢ — الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥٦٩، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٢٦: ٩، ص ٤٨٥ — ٤٨٦، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٣: ١٨، ١٩.

^٣ — سورة النساء، الآيتان ١٥٦ — ١٥٧.

^٤ — إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م.س، ص ٥٥٠ — ٥٥١.

وما زالت قصة ميلاد يسوع من عذراء محل استهزاء اليهود وتهكمهم، فهم يعتقدون أنه وُلِدَ نتيجةً للدُّنس ومن الفحشاء، وقد حكى إنجيل يوحنا شيئاً من ذلك، إذ أراد اليهود أن يجرحوه، فقالوا وهم يقصدون أن يلمزوه: "إننا لم نُولد من زناً" ^١. إلا أن الإسلام أزال ذلك الدنس عن السيدة مريم وقرر طهارتها وعفتها ورفعها إلى درجة الصِّدِّيقين وهي درجة عالية في الاصطفاء. ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ^٢ .

ويقول الله عزَّ وجل مبيناً حقيقة عيسى عليه السلام وحقيقة أمه أيضاً: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ يَوْمِ فَكْرٍ ^٣ 》.

أما حقيقة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فهو رسول كبقية الرسل، أيدته الله تعالى بالمعجزات. وأمّه الصِّدِّيقَةُ الطاهرة نفخ الله فيها من روحه وصدقت بكلمات ربها فكانت من القانتين. وأما حقيقتهما الشخصية والنوعية فمساوية لسائر البشر بدليل أنهما يأكلان الطعام لقيما به أودهما. وبطبيعة الحال فإن شخصية السيد المسيح عليه السلام، نالت المقام الأول في الدين المسيحي. فكيف تصف الأناجيل حياة يسوع ونشاطاته؟

"إن متى ولوقا يعرضان حادث ولادة المسيح، كعملية عجائبية إذ يقول متى تحت عنوان: حَبَلُ مَرْيَمَ بِيَسُوعَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ "أمّا ميلادُ يسوعَ المسيح، فهكذا كان: لما كانت مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةٌ لِيُوسُفَ، وَجَدَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَسَاكَنَا حَامِلًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَكَانَ يُوسُفُ زَوْجَهَا بَارًّا، فَلَمْ يُرِذْ أَنْ يَشْهَرَ أَمْرَهَا، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُطَلِّقَهَا سِرًّا" ^٤.

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٩٩، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٨: ٤١.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ٤٢.

^٣ - سورة المائدة، الآية ٧٥.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥١، إنجيل متى، الإصحاح ١: ١٨، ١٩.

وأما لوقا فيقول بعنوان البشارة: "وفي الشهر السادس، أَرْسَلَ اللهُ الْمَلَاكَ جَبْرَائِيلَ إِلَى مَدِينَةِ فِي الْجَلِيلِ اسْمُهَا النَّاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يَوْسُفُ، واسمُ العذراء مَرِيَمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: افْرَحِي، أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً، الرَّبُّ مَعَكَ... إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ سَيَنْزِلُ عَلَيْكَ وَقَدْرَةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ، لِذَلِكَ يَكُونُ الْمَوْلُودُ قُدُّوساً وَابْنُ اللَّهِ يُدْعَى".^١

فهذا مفهوم يدل عقيدة الشرك عند النصارى من غير لبس أو غموض. وكان من عادات اليهود أيضاً مسح الأنبياء والملوك والعلماء بزيت مقدس، للدلالة على أن الممسوح مختار من الله لأداء رسالة مقدسة. وكانوا ينادون كل نبي فيهم بلقب "مسيح الله". ومسيح الله في اللغات التي لا تُنطق بها الحاء تُنطق مسيحاً الله. ولم يعطوا لهذا النبي الموعود به لقب مسيح التي تُترجم مسيحاً وإنما أعطوه لقب النبي تمييزاً له عن غيره. ويعرفون من نص التوراة أنه لا ينسخ شريعة موسى ولا يبطلها إلا هذا النبي الآتي. فضلاً عن ذلك فإن عيسى نفسه، فسّر النبوءات عن النبي المنتظر ولم يصرح بأنه صاحبها، ورفّع في المجد، ولم يُحارب ولم ينتصر ولم يملك. فكيف يكون هو؟.

أما النصرانية فهي "الديانة التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملّة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التهذيب الوجداني والراقي العاطفي والنفسي، لكنها سرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها السماوية الأولى، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية".

ويقول النصارى: إنّ معجزات المسيح تدل على ألوهيته وهذا يستدعي أن يكشف البحث عن تحريفهم لعقيدتهم. وكيف تطور هذا التغيير والتبديل في أمور دينهم؟.

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢٤٢-٢٤٣. إنجيل لوقا، الإصحاح ١ : ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٦.

المطلب الثالث : أصل التحريف وتطوّره.

بعد ما ذكر عيسى عليه السلام نصوص التوراة عن سيدنا محمد (ﷺ) وشرحها ، وبشّر بمجيئه ورُفع في المجد، تغلب يهود على أتباعه وحرّفوا لهم إنجيله وأفسدوا لهم تعاليمه ،وليس أدل على ذلك مما قام به يسوع اليهودي،الذي تنصّر لكي يفسد العقيدة النصرانية "وذلك بجعل كل نص من نصوص التوراة قد استدل به على محمد (ﷺ)، على عيسى عليه السلام ، وجعل كل كلام يوحنا المعمدان، عن محمد (ﷺ) معكوساً على عيسى نفسه ، فسبب تحريف الإنجيل هو حسد يهود لرسالة محمد (ﷺ)؛ لأن اليهود يريدون تشكيك الناس في نبوته من قبل أن يأتي؛ لئلا يتبعوه".^١

وقد ورد في سفر أعمال الرسل ما ينسبه إلى عيسى عليه السلام ويستدل منه بعض الإشارات الدالة على مجيء محمد (ﷺ). فقال: " تبارك اسم الله القدوس، الذي من جوده ورحمته، أراد فخلق خلائقه، ليمجّده، تبارك اسم الله القدوس الذي خلق نور جميع القديسين والأنبياء، ليمجّده، تبارك اسم الله القدوس الذي خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء، ليرسله لخلاص العالم، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلاً: قبل كوب الصبح في ضياء القديسين خلقتك ... الخ"، ولم يظهر عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: أنه هو ذلك النبي، ورُفع إلى السماء وهم لا يعلمون أنه هو، فقالوا: يا سيّد، أنت صنّعت السماء والأرض والبحر وكل شيء فيها ،أنت قلت على لسان أبينا داود عَبْدكَ بوحي الرّوح القدس: وعلى الرّبّ ومسيحه تحالف الرؤساء جميعاً. تحالف حقاً في هذه المدينة هيرودس وبنتيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عَبْدكَ القدوس يسوع الذي مسحته"^٢.
من الملاحظ أنّ النص السابق تعرّض لبعض النقاط الهامة التالية :

١ - أحمد حجازي السّقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة، لا، ت، ص ٢٥٧، بتصرف .

٢ - الكتاب المقدس "المعهد الجديد"، م.س، ص ٤٧٨. سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٤: ٢٥، ٢٧.

١ — دليل على أن رب العالمين هو الله. لقول الكتاب المقدس آنفاً،
رفعوا أصواتهم إلى الله. وقالوا: يا سيد أنت صنعت السماء والأرض والبحر
وكل شيء فيها. فمن أين جاء التثليث إذاً؟

٢ — تحالف الملوك والرؤساء على يسوع .

٣ — اجتماع الوثنيين والشعوب على يسوع .

فمن هم الملوك والرؤساء؟ ومن هم الأمم والشعوب؟ يقول المحرفون :
إن الملوك والرؤساء هم ثلاثة فقط هيرودوس وبنطيوس وبيلاطوس . فيا أيها
العقلاء هل هيرودوس وبنطيوس وبيلاطوس ملوك الأرض ورؤساء الأرض ؟
إنهم ولاية لقيصر الروم. ومن هم الأمم والشعوب؟ يقول المحرفون: شعب بني
إسرائيل. فيا أيها العقلاء. هل شعب إسرائيل هم كل أمم الأرض وشعوبها؟
وهل كل شعب إسرائيل كانوا ضد عيسى عليه السلام؟ كلا. فإن النصارى
شيعة منهم، أي جزء أو قسم من بني إسرائيل قد آمنوا به واتبعوه. فما
المقصود من هذه التخرصات التي يعتقدونها والشبهات التي يسطرونها والتي
تصل إلى درجة الخرافة؟ إنها التحريف في آيات ما يدعونه الكتاب المقدس
ويعتقونه.

المطلب الرابع : اتصال المسيحية بالأديان الوثنية.

لقد قدّم مؤلفو سلسلة من أجل الحقيقة، شهادات ثمينة قدمها نخبة من
المع مفكري الغرب، علماً بأنهم ينتمون إلى بلدان مختلفة ومذاهب شتى، إلا
أنهم يتناولون المسيحية من منطلقات علمية متنوعة، ثم يخلصون إلى نتيجة
واحدة هي: "إن المسيحية التي يؤمن بها مسيحيو اليوم ديانة مختلفة عما جاء به
السيد المسيح عليه السلام".^١

وأجمع هؤلاء المفكرون أن أركان هذه المسيحية الجديدة وعقائدها
وصلواتها وشعائرها تأثرت أو تحدّرت من الديانات الوثنية، التي كانت سائدة
قبل ظهور المسيح عليه السلام أو في أيامه، وقد نقلها المؤمنون الجدد من

^١ — أندريه نايتون وآخرون: الأصول الوثنية للمسيحية ، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات
المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، فرنسا، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٥ .

دياناتهم الوثنية فأقرهم عليها الكنيسة، ثم تبنتها رموزاً تأويلية ملفقة ترضيهم وتلبس على غيرهم، وينبغي أن نعرف أن هؤلاء المؤلفين اللامعين الذين كشفوا عن الجذور الوثنية للعقائد والأركان والشعائر المسيحية، أنهم لم يتناولوا هذه الديانة من زاوية إيمانية عقائدية مُحازبة مع المسيحية أو ضدها. إنما كانوا في بحوثهم ودراساتهم علماء فحسب، ولم يريدوا إلا العلم لوجه العلم ولذاته، وهذا ما يعطي شهادتهم ونتائجهم رجاحةً وتوثيقاً. فاثبتوا بدءاً من "نبوة المسيح وصلبه وموته، وانتهاءً بأبوة الله ومشاركته وما ترتب على ذلك من تثليث وفداء وخلّاص، قد تحدّرت إلى المسيحية من الديانات الوثنية السائدة قبل ظهور عيسى عليه السلام وفي أيامه، وإن دينه شيء مختلف عنها"^١. ومن هذه الديانات الوثنية: الرومانية، اليونانية، الهندية وغيرها.

ويشير القرآن الكريم إلى الذين يفترون الكذب على الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتْلَوْنَ نَجْمَهُمْ فِيهِمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ مُّرْسَلُنَا يَقُولُوهُمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾^٢.

ويعلق محمود محمد حجازي في تفسيره قائلاً: "لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، واختلق زوراً وبهتاناً بأن حرّم حلالاً أو حلّ حراماً أو نسب إليه ولداً أو شريكاً، أو كذب بآياته واستكبر عنها واستهزأ بها"^٣.

وبين جورجي كنعان نقطة الالتقاء بين المسيحية واليهودية، فيقول: "بدأت ظاهرة المسيحية المتهوِّدة أو الأصولية المسيحية، تتخذ شكلاً متميّزاً في أوروبا في أوائل القرن السادس عشر حين تضافرت حركة النهضة الأوروبية مع حركة الإصلاح الديني، وفي الظروف المرافقة للحركتين بدأ الميل الأصولي يتضح في الأوساط الشعبية في أوروبا الغربية، وكان التعبير عن هذا الميل يتم بتوجيهات متنوعة، منها مثلاً: انتهاج الفرد أو الجماعة صوراً معيّنة من

^١ - أندريه نايتون وآخرون: الأصول الوثنية للمسيحية، م. س، ص ٥.

^٢ - سورة الأعراف، الآية ٣٧.

^٣ - محمود محمد حجازي: التفسير الواضح، م. س، ص ١٤٠.

التعصب، والتمسك بالمعنى الظاهر لنصوص الكتاب المقدس، والعودة إلى حضن الدين في صورته السلفية، وسلوك طريق الإيمان والتوبة والصلاح باعتبارها طريق الخلاص الوحيدة، ومنها تمثل القيم الأصلية العليا في التيار الديني الجديد الذي يعتبر البديل الحقيقي للطبقة الكهنوتية القديمة^١.

إن هذا النقد يتوجه إلى الوجه العقائدي من هذه الديانة وأصل التحريف الذي طرأ عليها وتطوره، بحيث صارت تلفيقاً عجيباً من عقائد الوثنيين وتعليمات رجال الكنيسة التي ينكرها المسيح عليه السلام الذي أعلن عبوديته لله تعالى وحده، ويتبرأ إلى الله مما يزعم المحرّفون من النصارى. فيقول الله تعالى مبيّناً أن عيسى عليه السلام يعترف ويُقرُّ إنّما هو عبد الله ورسوله:

﴿ قَالَ ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَا ابْنِي الْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَعْبًا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَدَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ ۱﴾

فهذا عيسى عليه السلام يُعلن عبوديته لله، فليس هو بآله ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى إنّما عبدٌ ورسولٌ، يحيا ويموت كسائر البشر، خلقه الله من أمّ دون أب؛ ليكون آيةً على قدرة الله الباهرة، فتنزهه الله تعالى عن الولد والشريك؛ لأنه القادر الغني وأمره بين الكاف والنون كن فيكون، ومما أمر به عيسى قومه وهو في المهد أنْ أُخبرهم أن الله ربُّهم فليفردوه بالعبادة، وهذا هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه. فقد كان للوثنية الوافدة من الحضارات اليونانية والرومانية والمصرية القديمة إذاً قسطٌ وافراً في بناء هيكل المسيحية الحالية وعقيدتها وفي تطورها عبر العصور.

^١ - جورجى كنعان: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٣.

^٢ - سورة مريم، الآيات ٣٠ - ٣٥.

ومن الأدلة الشاهدة على تحريف الديانة النصرانية وابتعادها عن التوحيد، ما جاء في كتبهم المقدسة والمعتمدة لديهم والتي سيتناولها المبحث اللاحق.

المبحث الثاني: بعض الكتب المسيحية المقدسة وفيه مطلبان.

إنّ الكتاب المقدس لدى المسيحيين، هو التوراة ويشتمل مع العهد القديم على العهد الجديد، ويطلق اسم الكتب الشرعية أو الكنسية أو القانونية على جملة الكتب المعترف بها من قِبَلِ الكنيسة، كأسس للعقيدة أو الإيمان المسيحي، وهي مع العهد القديم جملة السبعة والعشرون نصّاً إغريقياً التي تؤلّف العهد الجديد، أي الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، ثم الإحدى والعشرون رسالة المعزوة إلى القديس بولس ورسل آخرين، ورؤيا القديس يوحنا. ويقول فيلسيان شالي: "تعتقد الكنائس المسيحية أنّ الببيل أو التوراة قد أملي من الله أو بإلهام منه. ومع أنّ البروتستانت رفضوا سلطة البابا فإنهم شددوا على الاعتراف بسلطة الكتاب المقدّس، غير أنّ بعضهم قد أشار بقصر الإلهام الربّاني على ما يتصل بالدين والأخلاق. وقد رفضت الكنيسة الكاثوليكية هذا الاقتراح. ومع ذلك فإنّ عدداً متزايداً من العلماء [الأوروبيين المنصفين] يطبّقون على العهد الجديد أساليب النقد التي تعود الباحثون أنّ يستخدموها في دراسة مختلف النصوص الأدبية أو التاريخية".^١

ويتناول الكتاب المقدس الفوارق الكثيرة وأسبابها، التي أصابت ما تعارف عليه الكنسيون بالعهد الجديد، فيقول: "إنّ نُسخَ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن المرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكنّ عددها كثير جداً على كلّ حال. وهناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الألفاظ أو ترتيب الكلام، ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها، واكتشاف

^١ - فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، م.س، ص ٢٢٧-٢٢٨.

مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير. فإنَّ نصَّ العهد الجديد قد نُسخَ ثمَّ نُسخَ طوالَ قرونٍ كثيرةٍ بيدِ نُسَّاخٍ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت — مهما بُذل فيها من الجهد — بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يُضاف إلى ذلك أنَّ بعض النُّسَّاخ حاولوا أحياناً عن حُسْنِ نِيَّةٍ أن يُصَوِّبوا ما جاء في مثالهم وبداء لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة أو قِلَّة دَقَّة في التعبير اللاهوتي. وهكذا أدخلوا إلى النَّصِّ قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ، ثمَّ إنَّ الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدَّى أحياناً كثيرةً إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوت عالٍ^١. ويؤكد فقدان أو ضياع النسخة الأصلية للإنجيل ما ورد عن جيمس بنتلي، إذ يقول: "ليدرك علماء الكتاب المقدس جيداً أننا بعيدون اليوم كلَّ البعد عن امتلاك المخطوطات الأصلية التي كتبها مؤلفو العهد الجديد، ومن الجدير بالذكر أنَّ جميع المخطوطات الإنجيلية التي بحوزتنا تحتوي أخطاءً، قد يكون السبب وراءها ضعف في سماع الخطاط أو بصره، أو ضعف في التهجئة أو عدم الانتباه وهناك أخطاء أخرى مُتعمَّدة؛ لتغيير النَّصِّ وفقاً للتغيرات في المعتقدات اللاهوتية والعقائدية. وقد نعثر على نصوص أكثر اسناداً — كالمخطوطة السينائية التي عُثِرَ عليها في دير القديسة كاترينا^٢ — إلا أنَّ مهمتنا ليست منصبةً على العثور على نصٍّ مُبرَّأ من الفساد. إذ أننا غير مقتنعين بقدرتنا على إعادة بناء النَّصِّ كما كان عليه في القرن الأول الميلادي. ولا تحتوي المخطوطة السينائية أو المخطوطة السريانية أو المخطوطة الفاتيكانية أو المخطوطة البويعانية على الآيات الاثنتي عشرة من إنجيل مرقس.

^١ - الكتاب المقدس "١ المدخل إلى العهد الجديد"، م.س، ص ٢٣.

^٢ - كاترينا: هي قديسة اشتهرت نحو عام ٣٠٧م، وهي نسبة إلى أعلى جبل في مصر بشبه جزيرة سيناء، وقيل دير القديسة كاترينا الإسكندرية. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٤٤٧.

إنَّ اختفاء هذه الآيات في المخطوطات أمر جدير بالملاحظة، إذ اجتوت هذه الآيات على وصف لظهور قيامة المسيح^١. وأول هذه الآيات التي وردت في إنجيل مرقس والتي تضمّنت وعداً بظهور قيامة المسيح، هي ما جاء في العهد الجديد بعنوان حاملات الطيب يذهبن إلى القبر، فنقول: "ولما انقضى السبْتُ اشترت مريمُ المجدلِيَّة ومريمُ أُمُّ يعقوبَ وسالومةُ الشابَّ في قبره، ويقصدون بذلك عيسى عليه السلام كما يزعمون. طيباً لياَتَيْنِ فَيُطَيِّبُهُ... فَدَخَلَ الْقَبْرَ فَأَبْصَرَ نَ شَابًا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ بَيْضَاءُ فَارْتَعَبْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ لَا تَرْتَعَبْنَ أَتَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. إِنَّهُ قَامَ وَلَيْسَ هَهُنَا، وَهَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ. فَادْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلَامِيذِهِ وَلِبِطْرُسَ: أَنَّهُ يَتَقَدَّمُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ، وَهَنَّاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ"^٢. والآية الثانية التي فيها إشارة إلى كلمات المسيح في إنجيل مرقس هي: "وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامَتِي، أَتَقَدَّمُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ"^٣. إنَّ الذي يتأمل هذه الكلمات من دخول النساء للقبر وحمل الطيب والرعب، وشابُّ عليه الثياب البيضاء، وقوله يسوع الناصري المصلوب إنه قام وليس ههنا، لدليل على المفارقات العجيبة والتخيلات التي تضمنها الكتاب المقدس، ويؤيد ذلك جيمس بنتلي فيقول: "إنَّ الكتاب المقدسَ سجلٌ رؤىٌ محدَّدة، ذات طبيعة غير اعتيادية، [ويعتقد] بأنَّ إيمان تلاميذ المسيح الأوائل بالقيامة، كان سببه الشعور بالاتصال بالله عبر المسيح"^٤.

وقد تبين أن المسيحيين مع تقديسهم للتوراة بالرغم من تحريفها إلا أنهم لم يتبعوها، فأحلوا ما حرّمته ولم يلزموا حدودها، ثم عمدوا إلى الحماح يغيرون بها ما يشاءون مما نصت عليه التوراة وراحوا أحياناً يفسرون التوراة بما يناسب الإنجيل الذي حرّفته أيديهم؛ وذلك ليجدوا في التوراة دليلاً على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس. ومن أجل هذا سيتناول البحث العهد الجديد باعتباره كتاب المسيحيين المباشر، ولأنه يفسر التوراة ويوجهها حسب

^١ - جيمس بنتلي: اكتشاف الكتاب المقدس، ترجمة آسيا محمد الطريحي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٧-٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص٢٣٠، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦: ١، ٥، ٦، ٧.

^٣ - المرجع السابق، ص٢٢٢، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤: ٢٨.

^٤ - جيمس بنتلي: اكتشاف الكتاب المقدس، م.س، ص١٦٩.

اعتقاد المسيحيين. وفي المطالب التالية محاولة للكشف عن عقيدة النصارى وبعض مظاهر طقوسهم الدينية من خلال هذه الكتب.

المطلب الأول : الإنجيل^١ وفيه ثلاثة فروع.

١- الفرع الأول: التعريف: الإنجيل هو كتاب عيسى عليه السلام "يُذَكَّرُ وَيُوثَّقُ فَمَنْ آتَتْ أَرَادَ الصَّحِيفَةَ وَمَنْ ذَكَرَ أَرَادَ الْكِتَابَ"^٢. وتناول الكتاب المقدس تعريف الإنجيل بقوله: إِنَّ الْإِنْجِيلَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَقاً لِمَعْنَى الْكَلِمَةِ فِي الْيُونَانِيَّةِ، "بَشْرَى" الْخَلَاصَ، [وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي إِنْجِيلِ مَرْقُسَ] الَّذِي يَقُولُ: "أَبْدُءُ إِنْجِيلَ [أَبْدُءُ إِنْجِيلَ] يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ. هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَائِكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ"^٣.

فالكتاب المقدس الذي يعتمد عليه المسيحيون اليوم يصرِّح بأن عيسى ابن الله، وكما يذكر إنجيل مرقس آنفاً، ولكن هذا الأمر الشرطي لم يدعيه السيد المسيح بتاتاً.

ويبرز فلسيان شالي مكانة الأناجيل بين الكتب المسيحية المقدسة، مبيناً معنى الإنجيل، وإن الاختلافات العقدية بينةً وجليّةً بين الأناجيل المتوافقة وبين إنجيل يوحنا، فيقول: "وتقع الأناجيل بين الكتابات المقدسة في المقام الأول، وكلمة الإنجيل ليست كلمة مسيحية بشكل خاص، فهي تدلُّ على "خير حسن جديد" ومكافأة تُعطى لحامل الأخبار الحسنة. وعلى الرغم من أننا نعرف ما لا يقلُّ عن ستين إنجيلًا، فإنَّه لم يُعترف إلا بأربعة منها كأناجيل شرعية، ويُجمع عادةً تحت اسم الأناجيل المتوافقة: أناجيل متى، ومرقس، ولوقا. والمراد من ذلك هو الإشارة إلى العلاقات الوثيقة القائمة بين هذه الأناجيل الثلاثة، ويعارضونها بإنجيل يوحنا. ونجد بين الأناجيل المتوافقة

١ - الإنجيل: يقول المسيحيون هو ما كتبه بإلهام من الله متى ومرقس ولوقا ويوحنا عن حياة يسوع وعند المسلمين هو كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام والكلمة يونانية. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ١٩.

٢ - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٦٤٧.

٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥٦، إنجيل مرقس، الإصحاح ١، ٢، ١٠.

والإنجيل الذي وضعه يوحنا، فرقاً واضحاً في اللهجة واختلافات عقائدية جدية^١. فالإنجيل الثلاثة الأولى متشابهة جداً وغالباً ما تحبر القصص نفسها بالترتيب نفسه، وتوجد اختلافات في بعض الألفاظ من الناحية النحوية والصرفية. أما الإنجيل الرابع فقد كتبه القديس يوحنا الذي كان يسوع يحبه ويشير إلى ذلك الكتاب المقدس في الكنيسة، فيقول: "إنه الرسول الوحيد الذي عمّر طويلاً ومن المؤكد أنه كتب إنجيله بعد الأنجيل الباقية. والكتاب الأخير من العهد الجديد هو كتاب غامض جداً يُدعى الرؤيا، والرؤيا تعني كشف شيء لا يمكن أن يُرى أو يفهم"^٢.

ومن أمثلة المقاطع الغامضة التي وردت في كتاب الرؤيا وتصف ملكوت الله الرائع الذي سيقوم بعد مجيء المسيح الثاني ما يلي: "وساحة المدينة ذهبٌ خالصٌ مثل زجاج شفاف. ولم أر فيها هيكلًا؛ لأن الرب الإله القدير هو هيكلها، وكذلك الحمل"^٣. ولكن الإنجيل الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، كله حكم وأمثال ووصايا وهداية للناس، ويدعو إلى عقيدة التوحيد، وبعيد عن الأمور الغامضة، ويشهد بذلك القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ مِنْ قَبْلُ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾^٤.

فإن الله تعالى نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ)، كما أنزل من قبل التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، والإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، فهو إله واحد يتزل الكتب على المختارين من عباده، وهذا الكتاب الجديد "فرقان" بين الحق الذي تضمنته الكتب المتزلة وبين الانحرافات والشبهات التي لحقت بها، بفعل الأهواء والتيارات الفكرية والسياسية التي أبعدها عن عقيدة التوحيد، وانحرفت بها إلى الوثنية. وخير دليل على ذلك خطاب البابا "يوحنا بولس الثاني" في الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٩٣م،

^١ - فيليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، م.س، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

^٢ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س، ص ٩ - ١١.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٠٧٠، إنجيل رؤيا يوحنا، الإصحاح ٢١: ٢٢.

^٤ - سورة آل عمران، الآيات ٣ - ٤.

حيث قام الكاردينال راتزنجر رئيس رهبانية عقيدة الإيمان بإعلان الخطاب العاشر للبابا، ثم قامت الدكتورة زينب عبد العزيز بدراسة تحليلية موجزة لذلك الخطاب الرسولي، فتقول: "والبابا يوحنا بولس الثاني لا يُعدُّ مجردَ شاهدٍ على الأحداث السياسية والاجتماعية، وإتّما هو من المُحرِّكين الأساسيين لها. وهذا الرجل الديني الذي طاف العالم بثيابه البيضاء لإحياء التّركة الدينية المسيحية وتنصير العالم — وفقاً للمذهب الكاثوليكي — يتناول في خطابه الجديد — المعنون: بـ روعة الحقيقة — معظم المسائل الشائكة المتعلقة بأخلاقيات العصر الحديث، وإن كان المرمى الحقيقي للخطاب هو ما أُلِّمَ بالكنيسة من تصدُّعات في هيكلها أو بسبب العقيدة ذاتها، وذلك من خلال تساؤل طويل حول الحقيقة وعلاقتها بالحرية، لينتهي إلى أن — والقول الآن للبابا — ضمير الفرد يسمح له باكتشاف الله من خلال الدِّين المتّزل^١. إنَّ الدين المتّزل الذي يقصده البابا يوحنا بولس الثاني هو الكاثوليكية، بالرغم ممّا اعتراها من تحريف وتبديل على مرّ العصور، ثم ما هي العقيدة التي تجعل ضمير الفرد يكتشف الله من خلال الدين؟ لا سيما أن البابا بدأ خطابه بالعبارة التالية: "إنَّ روعة الحقيقة تنعكس في كل أعمال الخالق، وخاصةً في الإنسان الذي خُلِقَ على صورة الله وتشبيهاً له"^٢.

ويستند البابا يوحنا بولس الثاني في تشبيهه للإنسان بالله على كتابه الذي يعتقد بقدسيته، إذ يقول: "فَعَمَلَ اللهُ وَحُوشَ الْأَرْضِ كَأَجْناسِهَا وَالْبَهَائِمَ كَأَجْناسِهَا وَجَمِيعَ دَبَابَاتِ الْأَرْضِ كَأَجْناسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"^٣ فهذا دليل واضح على التغيير والتبديل الذي جرى للإنجيل، حيث إنه مخالف تماماً لما وصفه به القرآن الكريم من هداية ودعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته. بل إن هناك ما يؤكد اندثار الإنجيل وفقدانه، ويبين متولي يوسف شلي هذا الأمر فتجده

^١ - زينب عبد العزيز: تنصير العالم" مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني"، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١١.

^٢ - زينب عبد العزيز: تنصير العالم، م.س، ص ١٣.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٤، سفر التكوين، الإصحاح ١: ٢٦، ٢٥.

يقول: "فإنجيل عيسى عليه السلام مُعْتَرَفٌ به ولكنه اندثر وانتهى خبره، ولم يعد له ذكر" ^١.

أما السيد المسيح: فقد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى بشرى الخلاص التي حملها إلى الناس. ويقول أحمد شلي في كلمة الإنجيل: "وما لبثت هذه الكلمة أن استُعْمِلَتْ بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرية، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول إلى يومنا هذا" ^٢. وبعد أن تناول البحث التعريف بالكتاب المقدس — والمقصود به هنا هو العهد الجديد "الإنجيل" والذي يتكون من سبعة وعشرين سفرًا، وأبرز بعض الجوانب من الديانة المسيحية وموقفها من الذات الإلهية، لذا فإنه يجدر بالباحث أن يقف على مفهوم الإنجيل من خلال القرآن.

٢- الفرع الثاني: ما هو الإنجيل الذي صدّق به القرآن الكريم؟

إنّ الإنجيل الذي صدّق به القرآن الكريم، إنما هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى — على سيدنا عيسى عليه السلام — بأصوله الصحيحة. أما الأناجيل الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فلا يعرف لها سندٌ متصلٌ يُصَحِّحُ نسبتها إلى عيسى عليه السلام، وأحسن ما يقال فيها: أنها مُصَنَّفَاتٌ تاريخيةٌ حول سيرة السيد المسيح وبعض وصاياه ومواعظه ومعجزاته، ولكنّ فيها الكثير من الأغلاط والتناقضات كما ورد في أناجيلهم ومجامعهم الدينية المختلفة من أوجه الخلاف والتناقضات.

فالقرآن الكريم يحدد مهمة رسالة المسيح عليه السلام، بأنها تكملة لما جاء به موسى عليه السلام والأنبياء من قبله، فيقول الله تعالى: ﴿ وَفَقَّيْنَا عَلَىٰ أَنَامِهِم بَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنَّا لَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورَةٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^٣.

^١ - متولي يوسف شلي: أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط ٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٥١.

^٢ - أحمد شلي: مقارنة الأديان "المسيحية"، م.س، ص ٢٠٤.

^٣ - سورة المائدة الآية ٤٦.

هذه التوراة إذاً قانون يحكم بها التَّيُّونَ الذين نزلوا بعد موسى حتى عيسى بن مريم؛ لأنهم أسلموا وجوههم لله قانتين مخلصين، وكان آخر نبي نزل على بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، وتُقَلَّ عنه في الإنجيل: "ما جئت لأُنْقِضَ الناموسَ شريعةَ موسى، وإنما جئت لأَتَمِّمَ..."^١.

فالإنجيل مُكَمَّلٌ للتوراة وقد حكم به عيسى عليه السلام. وأمر الله تعالى أهل الإنجيل أن يحكموا بما جاء فيه من الهدى والنور والإرشاد والوعظ الذي يهدي إلى طريق الحق، وكان مصداقاً لما جاء في التوراة ومؤيداً لها. ومن الثابت الذي لا يقبل الشك، أنه كان في التوراة والإنجيل نور البشارة بمحمد (ﷺ) ووصفه، وأن شريعته تامة كاملة عامة، وأنه خاتم النبيين والمرسلين، ولكن لا ينتفع بهذا كله إلا المتقون.

وحول تفسير رسالة عيسى عليه السلام، يقول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي كُنتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^٢.

فعيسى جاء قومه بالآيات البينات الواضحات، سواء من الخوارق التي أخرجها الله على يديه أو من الكلمات والتوجيهات إلى الطريق القويم. ودعاهم إلى تقوى الله وإلى طاعته فيما جاءهم به من عند الله . وجهر بكلمة التوحيد خالصة لا مواربة فيها ولا لُبْسَ ولا غموض. ويقول السيد قطب نافياً ما يدعيه المسيحيون من ألوهية عيسى عليه السلام: " ولم يقل إنه إله [يعني سيدنا عيسى عليه السلام]، ولم يقل إنه ابن الله. ولم يُشِرْ من قريب أو بعيد إلى صلة له بربه غير صلة العبودية من جانبه والربوبية من جانب الله رب العالمين"^٣.

إن النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام هي إحدى مراحل الرسالة الإلهية إلى الناس، ليعبدوا الله ويطيعوه ويتقوه. ولكن هذه الرسالة التي حملها سيدنا عيسى عليه السلام ليست رسالة عامة بل خاصة ببني إسرائيل. و في

^١ - الكتاب المقدس " العهد الجديد"، م.س، ص ٤٧، إنجيل متى، الإصحاح ٥: ١٧.

^٢ - سورة الزخرف ، الآيتان ٦٣ - ٦٤.

^٣ - سيد قطب : في ظلال القرآن، م.س، ص ٣١٩٩ - ٣٢٠٠.

جاء المسيح إذًا ليرفع الظلم، ويُبَيِّنَ لقومه الطريق، وليحملهم على الأخوة الصادقة، وكانت مملكته روحانية لا جسدية. والمسيح لقبٌ لعيسى بن مريم وهو من ألقاب المدح، ومن أوصافه أنه يُكَلِّمُ الناس في المهد رضيعاً. وما يدل على هذا الأمر قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ النَّاسَ فِي الْهَدْيِ وَكَلَّمَهَا وَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾^٢. فهذا هو الحقُّ في المسيحية التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام، وكما صورتها آيات القرآن ذلك المصدر الإلهي المعصوم نزهةً، وكما يصورها أيضاً البحث العلمي المجرد من الهوى، والله الأمر من قبل ومن بعد، وبذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ آفَاقًا إِلَى مَرْثِهِ وَمَرْوُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْهَازْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^٣. لذا فإنه لا يجوز الخروج على المنهج الإلهي الذي جاءت به رسالة عيسى عليه السلام بالزيادة أو النقصان. وينادي القرآن الكريم محذراً من الغلو والانحراف الذي وقع فيه المسيحيون في تصورهم للذات الإلهية، وموضحاً لمعاني الإيمان التي دعا إليها السيد المسيح في إنجيله قبل التحريف، والله عاقبة الأمور.

٣- الفرع الثالث: بعض ما تضمنه الإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام: أ - الهدى والنور والتصديق بالتوراة والموعظة للمتقين: يقول الله تعالى: ﴿ وَفَتَيْنَا عَلَى آثَارِهِمُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

٢- سورة النساء، الآية ١٧١.

التَّوراةَ وَابْتِئَاءَ الْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾. فقد جعل الله تعالى الإنجيل هدىً ونوراً وموعظة للمتقين، و منهاج حياة وشرعة حكم لأهل الإنجيل أي أنه خاصٌ بهم، شأنه في هذا شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة ورسول قبل هذا الدين الأخير، ولكن ما طابق — من شريعته التي هي شريعة التوراة — حكم القرآن الكريم فهو من شريعته. فأهل الإنجيل كانوا إذاً مطالبين بأن يتحاكموا إلى الشريعة التي أقرها وصدّقها الإنجيل من شريعة التوراة، فالقاعدة هي الحكم بما أنزل الله تعالى دون سواه.

ب — مجموعة من الأحكام والشرائع الربّانية:

يصف بول تيليش بداية العالم ونهايته كما ورد في الكتاب المقدس، فيقول: "إنّ الكتاب المقدس يحدثنا دائماً عن بداية العالم ونهايته، إنّهُ يتحدث عن الأزل قبل أن يتأسس العالم، إنه يتحدث عن الزمن الذي أرسى فيه الله أسس الأرض... وبلغه الأنبياء فإنّ الرّبّ هو الذي يهزّ الجبل ويذيب الصّخور، وهذه لغة لا يفهمها الإنسان المعاصر. والرّبّ ليس مُقيداً بآية لغة خاصة ولا حتى لغة الأنبياء... هذه هي الطريقة التي يتحدث بها الله لجيلنا عن زعزعة الأساسيات. لقد نسينا الكثير عن مثل هذه الزعزعة، والعلم من دون الأشياء جميعاً هو الذي جعلنا ننساها، ليس العلم كمعرفة، بل العلم بهدف العبادة الصنمية الخفية، بهدف إغرائنا على الاعتقاد بأنّ أرضنا هي المكان الذي تتأسس عليه مملكة الرّب" ^٢. فهذه شهادة أحد المنصفين من المسيحيين، بأنّ عبادتهم المعاصرة تحتوي على الصنمية الخفية، بهدف الإغراء والاعتقاد بأنّ مملكة الرّبّ هي ديارهم. ولكنّ الأحكام الموجودة في الإنجيل قبل امتداد يد التحريف إليها بعضها مكملٌ والبعض الآخر معدّلٌ للأحكام الموجودة في التوراة؛ بدلالة المهمّات التي جاء بها عيسى عليه السلام، ومنها أنه يُحلّ لبني إسرائيل بعض الذي حرّم عليهم، ويدعوهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ويشير القرآن إلى هذه الحقائق، بقوله تعالى:

^١ - سورة المائدة، الآية ٤٦.

^٢ - بول تيليش: زعزعة الأساسيات، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٨-١٩.

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^١ . يقول الإمام الطبري: "إن عيسى كان على شريعة موسى (عليه السلام)، وكان يُسَبِّتُ ويستقبل بيت المقدس. فقال لبني إسرائيل إني لم أدعكم إلى خلافِ حرفٍ مما في التوراة إلا لأُحِلَّ لَكُمْ بعض الذي حُرِّمَ عليكم، وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم، فاتقوا الله يا معشر بني إسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى، فأوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه وأطيعوني فيما دعوتكم إليه من تصديقي فيما أرسلني به إليكم ربي وربكم فاعبدوه وذلك هو الطريق القويم"^٢. وتستمر الآيات في توجيه الخطاب لأهل الكتاب عامة بأن يقيموا التوراة والإنجيل معاً مضافاً إليهما جميع ما أنزل إليهم من ربهم، ولولا أنهما يكملُ بعضهما بعضاً لما أمرهم بإقامتها جميعاً ولا غرو أن من إقامتها اتباعُ الرسول النبي الأُمِّيَّ محمد (ﷺ) الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويُحِلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم^٣ والأغلال^٤ التي كانت عليهم، فيقول الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ بَدَأْتُكُمْ مِنْهُ مَثَلاً لَأَنْزِلَنَّ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^٥. ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:

^١ - سورة آل عمران، الآيتان ٥٠-٥٣.

^٢ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، مج ٣، ص ١٩٥-١٩٦.

^٣ - الإصر: الثقل الذي يجبس صاحبه عن الحركة، والمراد: التكاليف الشرعية، والإصر بالکسر، يعني العهد، وهو أيضاً الذنب والثقل. انظر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٨٠.

^٤ - الأغلال: جمع غل، وهي الحديد التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، ويقال في رقبة غل، فهو مغلول. انظر، المرجع السابق، ص ٤٧٩.

^٥ - سورة المائدة، الآية ٦٨.

﴿ قُلْ يَا أَفْلَحَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ ﴾^١. قل يا محمد لأهل الكتاب اليهود والنصارى بأنهم ليسوا على شيء: أي من الدين حتى يقيموا التوراة والإنجيل، أي حتى يؤمنوا بجميع ما بأيديهم من الكتب المتولة من الله على الأنبياء ويعملوا بما فيها، ومما فيها الإيمان بمحمد (ﷺ) باتباعه والإيمان بمبعثه والافتداء بشريعته^٢.

ج — البشارة بسيدنا محمد (ﷺ) وذكر بعض صفاته: فقد ذكرت الكتب السماوية "التوراة والإنجيل" بعض صفات النبي محمد (ﷺ)، وأمروا بصريح القول باتباع شرعه ونهجه في توحيد الربوبية^٣ الألوهية، ويشير الله تعالى إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿ وَكُتِبَ لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ الرَّسُولَ الَّذِي الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^٣. فهاتان آيتان صريحتان تدلان بوضوح على أن الرسول النبي الأمي هو محمد (ﷺ)، مكتوب عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل، وكتابته فيهما باسمه وصفاته بشارة عظيمة به، وأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فمن أراد لنفسه الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة فينبغي عليه أن يقتدي بهذا النبي قولاً وعملاً إيماناً وتصديقاً.

د — صفة أصحاب سيدنا محمد (ﷺ): وكذلك فإن التوراة والإنجيل قبل التحريف ورد فيهما جزء من الصفات الحميدة لأصحاب رسول الله (ﷺ)، ويشهد على ذلك قول الله تعالى في معرض الحديث عن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين، فيقول الله تعالى:

^١ - سورة آل عمران، الآية ١٩.

^٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م.س، ج ٢، ص ٧٩.

^٣ - سورة الأعراف الآيتان ١٥٦ - ١٥٧.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُومًا
سُجَّدًا يَسْتَغْنُونَ فَضَّلْنَا مِنَ اللَّهِ وَرَضُواكَ سَيَاحُجُّهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَغِيظِ
هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ١ .

إن النص القرآني الكريم السابق يُشبه أصحاب محمد (ﷺ) كما ورد
وصفهم في الإنجيل تماماً. فهاهم يلتفون حول رسولهم الكريم بأعداد قليلة
وعُدَد ضعيفة، ثم لم يلبثوا إلا وقتاً من الزمن يسيراً فيشتد عودهم وتقوى
عريكتهم، وينتشر الإسلام العظيم بفضل من الله تعالى الذي تعهد بنصرة من
ينصر دينه ثم بفضل صدق جهادهم، فهم بذلك يشبهون الزرع أو النبات
الذي يبدأ صغيراً ضعيفاً، وبعد فترة وجيزة تظهر فروعه من حوله فتحميه
فيشتد الزرع ويستغلظ، فيُعَبُّ ذلك — وبسرعة — أن يستوي الزرع على
سوقه، ويرى فيه الزُّرَّاعُ عجباً عجائباً لسرعة نموه وشدته وقوته،
وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم حول الرسول محمد (ﷺ).

هـ — الحث على الجهاد بالنفس والمال : فقد أشار القرآن الكريم
على أن الإنجيل حث على الجهاد بالنفس والمال، وأن الله وعد فيه المجاهدين
— الذين يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ — بأن لهم الجنة. وهذا على
خلاف الزعم الشائع من الديانة النصرانية بأنه ليس فيها جهاد في سبيل الله
تعالى. كما ورد ذلك الحظ على الجهاد في التوراة من قبل والقرآن الكريم من
بعد. ولذلك لا بد أن يؤمن المرء لإيماناً صادقاً بأن الإنجيل الأصل كتاب رباني
أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا عيسى عليه السلام، وهذا شيء ثابت
بدليل يقيني قاطع، إذ يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِمَا كُنْتُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَكَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٢ .

١ - سورة الفتح، الآية ٢٩.

٢ - سورة التوبة، الآية ١١١.

المطلب الثاني: العهد الجديد وفيه فرعان.

و يقصد بالعهد الجديد هنا هو الرسائل والأنجيل، ويتعلق بهذا العهد الجديد عدّة موضوعات منها: علاقة الأنجيل بالسيد المسيح وتاريخ تدوينها، ثم أقوال علماء النصارى في إنجيل عيسى عليه السلام، وأقوال بعض المسيحيين وعدد الرسائل، ومن هم كاتبوها ثم رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، وهي واحدة من رسالات الأنبياء الذين جاءوا بها إلى الناس؛ ليعبدوا الله ربهم الذي خلقهم وعافاهم ورزقهم. ويقع العهد الجديد في فرعين هما:

الفرع الأول : الأسفار التاريخية.

يروي تاريخ النصارى أنه كانت في العصور الغابرة أنجيل كثيرة، وقد أخذت بها فرق مسيحية قديمة وراجت عندهم، واعتنقت كل فرقة إنجيلها ولم تعتنق غيره. ويؤكد محمد أبو زهرة على تعدد الأنجيل والتضارب الذي وقعت فيه، فيقول: "هناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ولكن النصارى ينكرونه، وهناك إنجيل أشهر باسم التذكرة. فكثر الأنجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأنجيل الصادقة في اعتقاداتها، فاختارت هذه الأنجيل الأربعة وهي "إنجيل متى — مرقس — لوقا — وإنجيل يوحنا"^١. واعتبرت هذه الأنجيل هي المعتمدة عند المسيحيين والتي تضمنها الكتاب المقدس العهد الجديد "الإنجيل". كما ويتناول العهد الجديد رسائل أعمال الرسل ورسائل القديس بولس، والتي سيتناولها هذا البحث بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى. وأما الأسفار التاريخية فتشمل:

١ — الأنجيل الأربعة وهي: متى، مرقس، لوقا، يوحنا:

إنّ مكان الأنجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، فإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأنجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة.

^١ — محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ٣، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٦ م، ص ٤٠، بتصرف.

وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم ، والصلب والفداء أي أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح. وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرؤها الفرق المسيحية وتأخذ بها. ويضيف متولي يوسف شلي، قائلاً: "وتسمى هذه الأناجيل: الأسفار التاريخية؛ لأنها تعنى بشرح الظروف التاريخية لحياة المسيح عليه السلام، وهي التي أثبتتها من قبل إعلانها في المجمع الأول، مجمع نيقية، أرنيوس عام ٢٠٩ م . ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس عام ٢١٦ م . وقرّر أن هذه الأناجيل الأربعة واجب التسليم بها، ثم كان مجمع نيقية عام ٣٢٥ م. فارتقى بالأناجيل إلى درجة وجوب تقديسها هي الأربعة فقط دون غيرها" ^١.

لذا ينبغي أن يتطرق البحث إلى هذه الأناجيل الأربعة بشيء من التوضيح.

أ- إنجيل متى : كاتبه متى وهو أحد التلاميذ الاثنى عشر ويسميهم العرف المسيحي رسلاً، وكان عمله قبل اتصاله بالسيد المسيح عشّاراً ، أي جامعاً للضرائب لحساب الدولة الرومانية بفلسطين . وقد جاء في الإصحاح التاسع من هذا الإنجيل، ما يفيد اختيار متى تلميذاً للسيد المسيح إذ يقول: "وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ اتَّبِعْنِي. فَقَامَ وَتَبِعَهُ. وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَكَيٌّ فِي الْبَيْتِ إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلَامِيذِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلَامِيذِهِ لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى فَادْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ. إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً. لَأَنِّي لَمْ آتْ لِأَدْعُو آبَرَاراً بَلِ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" ^٢.

واليهود ينظرون إلى العشّار — جامع الضرائب — على أنه ظالم أو على الأقل عنيف الطبع، ويلاحظ أثناء الدراسة أن إنجيل متى مجهول التاريخ بوجه عام، ويكاد الأمر يكون إجماعاً من المسيحيين أنفسهم. وفي لغة تدوينه

^١ - متولي يوسف شلي: أضواء على المسيحية ، م ١٠٠ ، ص ٣٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، ص ١٤، إنجيل متى، الإصحاح ٩: ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩.

اختلاف لا يُحَدُّ. كما أن النسخة الأصلية معترف بضياها أو على الأقل عدم إمكان وجودها وأن مترجمها مجهول. ومن هنا فإنها لا تصلح لكي تكون مستنداً مؤكداً في عقيدة أو عبادة؛ وذلك لفساد الوثائق.

ب — إنجيل مرقس: يقولون أن كاتبه يوحنا ويلقب بمرقس وينتسب إلى أصل يهودي، ثم اتبع المسيح في بدء ظهوره. وذكر تاريخ الأمة القبطية أن الطوائف المسيحية أجمعت على أن الرب المزعوم "يسوع" كان يتردد على بيته، وكان له نشاط في نشر المسيحية بأنطاكيا — الآن تتبع لدولة تركيا — التي ذهب إليها مع بولس الرسول، وخاله هو برنابا الذي سافر معه إلى قبرص ثم افترقا. وذهب مرقس إلى شمال إفريقيا في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح، فوجد في مصر أرضاً خصبةً لدعوته فاتخذها مركزاً للتبشير ثم انطلق منها إلى روما وأفريقيا لنشر ديانتها، وظل بمصر حتى قبض عليه الوثنيون الرومانيون وقتلوه عام ٦٢ م. ويذكر المؤرخون منهم أنه كتب إنجيله بناءً على طلب من أهالي رومية؛ ذلك لأنه كان ينكر ألوهية المسيح ويتدبر بطرس لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته. وقد ذكر الدكتور بوست في كتابه قاموس الكتاب المقدس أن إنجيل مرقس كتب باليونانية. وقرر الكاتب القديم أرنيوس: أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس. أما ابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين، فيقرر أن الذي كتبه هو بطرس عن مرقس ونسبه إليه.

ويقول مرقس في إنجيله: "وَذَهَبَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى قَرْيَ قَيْصَرِيَّةَ فِيلُسَ، فَسَأَلَ فِي الطَّرِيقِ تَلَامِيذَهُ: "مَنْ أَنَا فِي قَوْلِ النَّاسِ؟" فَأَجَابُوهُ يُحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِبِلْيَا، وَبَعْضُهُمُ الْآخَرُ: أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ. فَسَأَلَهُمْ "وَمَنْ أَنَا فِي قَوْلِكُمْ أَنْتُمْ؟" فَأَجَابَ بَطْرُسُ: "أَنْتَ الْمَسِيحُ". فَنَهَاهُمْ أَنْ يُخْبِرُوا أَحَدًا بِأَمْرِهِ. وَبَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَانِيَ آلاماً شَدِيدَةً، وَأَنْ يَرْذَلَهُ الشَّيْخُوعُ وَعَظَمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَأَنْ يُقْتَلَ، وَأَنْ يَقُومَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ صَرَاحَةً. فَانْفَرَدَ بِهِ بَطْرُسُ وَجَعَلَ يُعَانِيهِ. فَالْتَفَتَ فَرَأَى

تَلَامَذَهُ فَزَجَرَ بُطْرُسَ قَالَ: "اَنْسَحِبْ وَرَائِي يَا شَيْطَانُ، لِأَنَّ أَفْكَارَكَ لَيْسَتْ أَفْكَارَ اللَّهِ، بَلْ أَفْكَارُ الْبَشَرِ".^١

هذه القصة هي الأساس التي يعتمد عليها إنجيل مرقس، ويظهر فيها المسيح بأنه ينبغي أن يعاني ويموت، وكيف أنه يمنع تلاميذه أن يخبروا أي مخلوق عن شخصه، فهو إذاً يصور الطابع المسيحي ليسوع بأنه طابع السرّ، وهذه السريّة في شخص عيسى عليه السلام ينفيها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّزِينٌ﴾^٢. ويتقدّ بول تيليش أقوال ومعتقدات المسيحيين وطقوسهم الدينية، فيقول: "وإن كنائسنا تتحدّث يوماً بعد يوم، البعض يتحدّث عنه في إطار أنّه الملك السياسي للسلام، والبعض يتحدّث عنه في إطار ملك العظمة الإلهية. لقد أسموه المسيح يسوع، وقد نسوا وجعلونا ننسى ماذا يعني القول: يسوع هو المسيح. إن أكبر حادثة لا تُصدّق ومستحيلة من الناحية الإنسانية — راهبٌ يهوديٌّ مُتحوِّلٌ هو المسيح — قد أصبحت أمراً طبعياً بالنسبة لنا"^٣. ومن خلال هذا العرض، تظهر للباحث نقطتان جديرتان بالاهتمام عند البحث والدراسة وهما:

أ — من هو كاتب إنجيل مرقس؟ هل هو مرقس أو بطرس؟

ب — ومتى كان تدوينه؟

ويقول في ذلك محمد أبو زهرة: "ألّف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ م وما بعدها إلى سنة ٦٥ م والأغلب أنه ألّف سنة ٦٠ م أو سنة ٦٣ م"^٤. وهذا الضياع أو اختفاء شخصية الكاتب وَسَنَةِ التَّدْوِينِ، يُسَقِّطَانِ حُرْمَةَ الكتاب في نظر العلم المحايد، من درجة الكتب المقدسة إلى كتاب عاديٍّ فقط.

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٩٧ — ١٩٨، إنجيل مرقس، الإصحاح ٨: ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١.

^٢ - سورة الصف، الآية ٦.

^٣ - بول تيليش: زعزعة الأساسات، م.س، ص ١٢٤ — ١٢٥.

^٤ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، م.س، ص ٤٧.

ج — إنجيل لوقا : يقولون إن لوقا هذا كان طبيباً من أصل يهودي، رافق بولس في حله وترحاله وأعماله، ويرى الدكتور بوست أن لوقا كان روحانياً، وأن هذا الإنجيل كتب قبل خراب أورشليم، ويُرجَّح أنه كان في فترة القبض على بولس بين عامي ٥٨ - ٦٠ م. ويقول الأستاذ لارون إن إنجيل لوقا، قد تحرَّرَ بعد موت بطرس و بولس . ويقول هورن : أُلِفَ الإنجيل الثالث سنة ٥٣ م أو ٦٣ م أو ٦٤ م. فهو على عادته يذكر فقط دون تحديد أو ترجيح أو تدليل. واتفق العلماء المسيحيون أن لوقا كتب إنجيله باليونانية و على أنه ليس من تلاميذ المسيح. واختلفوا في شخصية الكاتب وجنسيته وصنعتة، والقوم الذين كتب لهم الإنجيل، وتاريخ تدوينه والزمن الذي وقع فيه.

د — إنجيل يوحنا: إن دراسة شخصية يوحنا مهمة جداً؛ وذلك لأن إنجيله هذا يُعدُّ أول الأناجيل التي صرَّحت بالتثليث والقول بألوهية المسيح. ومن قبل لم يصرح أي من الأناجيل الثلاثة: — متى، مرقس، لوقا — بألوهية المسيح أو بالقول بالتثليث، وإن بدا أخيراً في ترجمة هذه الأناجيل القول بألوهية المسيح وبالتثليث فهو اختراعٌ جديد. ويقول يوسف الخوري: إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا من يوحنا إثباته، وأن يذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم. ويسوق متولي يوسف شليبي اعترافات جرجس زوين اللبناني، بأن المسيحيين اجتمعوا عند "يوحنا" وطلبوا منه أن يكتب لهم إنجيلاً جديداً يختلف عن سائر الأناجيل، فيقول: "إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يُعلِّمُونَ المسيحية بان المسيح ليس إنساناً، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فاجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم في سنة ١٩٦ م عند يوحنا، والتمسوا من أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خاص لاهوت المسيح"^١.

ومن هنا ندرك ما يلي :

^١ - متولي يوسف شليبي : أضواء على المسيحية، م٠س ، ص ٤٨.

١- أن يوحنا مجهول الشخصية، وقد كتب يُزَوَّرُ بعض المسائل كما تقول دائرة المعارف الإنجليزية.

٢- أن جانباً من المسيحيين ينكرون نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، تلميذ السيد المسيح. بعد أن بين البحث أحوال الأناجيل الأربعة بشيء من الإيجاز، باعتبارها المصدر الأول التاريخي للديانة المسيحية، فإنّ الذي ينبغي التأكيد عليه هو الطقوس الدينية ومظاهر العقيدة عند المسيحيين، والتي يلاحظ عليها وفيها عند البحث ما يلي:

أ - أنها ليست من إملاء السيد المسيح، بل إن السيد المسيح لم يشهدها.

ب - كاتبوها ليسوا على مستوى الأهلية، ليكونوا علماء دين لأنهم مجهولون: إما مجهولون في النسب أو الصنعة، أو العلاقة بالكتاب المدوّن.

ج - إنها لرغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة، وهذه الرغبات الخاصة بمهولة الأفراد والهيئات.

د - إن أصولها معترف بضياعتها من أهلها.

هـ - إنها لا تحمل صفة الرواية حتى أقل صورها، التي يجب أن تتوفر لكتاب سماويّ أو تعاليم نبيّ مرسل .

من البراهين التي يُستشهدُ بها على تحريف بعض الطقوس الدينية المسيحية وما لحق عقيدتهم من دَخَلٍ وَزَيْفٍ، هو ما يعتقدُه أحد رجال الدين المسيحي جيمس بنتلي إذ يقول: "بأنّه يتعيّنُ عدم أخذ روايات عيد الفصح - اجتماع المسيح مع تلاميذه وتناول الطعام معهم وإصدار الأوامر لهم - كأسباب للإيمان بعقيدة عيد الفصح، ولكن يجب الإيمان بها كتعبير صورية حول عقيدة الفصح، ولهذا السبب استطاع مرقس التخلّي عنها وعدم إدراجها في إنجيله"^١.

ومما يدعم صحة هذا الاعتقاد ما ذهب إليه بنتلي من ملاحظات عن تخرصات المسيحيين الدينية لا سيما العقديّة منها، مثل: اختفاء إنجيل برنابا،

^١ - جيمس بنتلي: اكتشاف الكتاب المقدس، م.س، ص ١٦٩.

والتآمر المتعمد عليه من بعض رجال الدين المسيحي ثم إتلافه، ويذكر كتاب { عيسى يبشّر بالإسلام } أن إنجيل برنابا:

"هو أقرب الأناجيل إلى الدين الإسلامي، وقد اختفى هذا الكتاب من معظم مكتبات العالم حيث حاربه وأتلفه بعض رجال الدين المسيحيين في أوروبا وفي الشرق، أما النسخة الأصلية الباقية الإيطالية فتوجد في معرض فينا. وبرنابا هو الرجل الذي قضى معظم وقته في مصاحبة حقيقية للمسيح خلال السنوات الثلاث التي كان المسيح خلالها يبلغ للناس رسالته، بعكس المؤلفين الآخرين للأناجيل الأربعة الأخرى المعروفة".^١

٢ — رسالة أعمال الرسل : والرسائل ثلاث وعشرون رسالة.

الأولى : وتسمى أعمال الرسل، وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل. وأربع عشرة رسالة كتبها بولس. والرسائل وعظية وتعليمية في جملتها، وتعرض كثيراً لذكر نبوة المسيح، وتخليصه للعالم من خطيئته. وأما رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتي: فهي تُعنى ببيان ألوهية المسيح وسلطانه في السماء والعلم بحال الكنيسة والقوامين على المسيحية من بعده، وتارةً تصور الإله في عليائه كشخص أشيب يشبه المسيح متمنطقاً عند ثديه بمنطقة من ذهب، وعيناه كلهب نار، وفي يده سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدّين. وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة بأكثر من الأناجيل، وقد كتبت جميعها باليونانية كما يقول مؤرخيهم. وللباحثين كلام كثير في شأن الرسائل وقوة سندها، وقيمتها من حيث الاستدلال لهذا الدين. وفي سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس والرسائل، وتصوّرٌ للحركة اليومية السلوكية، وتحديد الواجبات والالتزامات. إنها الحركة اليومية للديانة المسيحية، ولل فرد المسيحي في يومه وغده ومستقبله، لهذا فهي تمثل الجانب الأكبر من المصادر المسيحية. ويقول الواقفون في تاريخ الرسائل أن اللغة التي كُتبت بها هذه الرسائل هي اللغة اليونانية، وكتبوا هذه الرسائل ستة رجال هم:

- | | | |
|------------|------------|-----------|
| ١ — لوقا. | ٢ — يوحنا. | ٣ — بطرس. |
| ٤ — يعقوب. | ٥ — يهوذا. | ٦ — بولس. |

١ - محمد عطاء الرحيم: عيسى يبشّر بالإسلام، ترجمة وتعريب فهمي شّما ، المكتبة العمومية، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٧٢-٧٦.

٣- رسائل القديس بولس: وأما رسائل القديس بولس فهي كثيرة، ومنها رسالته إلى أهل غلاطية والتي يكشف بها عن عقيدته، وإنه كان يضطهد الكنيسة بإفراط قبل دخوله في الدين المسيحي، فيقول: "فإنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِرَّتِي قَبْلَ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللَّهِ بِإِفْرَاطٍ وَأَتْلَفُهَا... وَلَكِنِّي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلًا يُبَشِّرُ الْآنَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلًا يُتْلَفُهُ. فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي^١".

والكتاب المقدس يوضح تماماً أعمال شاول أو بولس من سطو على الكنيسة إلى جرّ الرجال والنساء إلى السّجن، فيقول: "وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ، وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السَّجْنِ... لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهْدِيدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ. فَتَقَدَّمَ إِلَيَّ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ رِسَائِلَ إِلَيَّ دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَا سَأَمًا مِنَ الطَّرِيقِ رِجَالًا وَنِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ"^٢. وهكذا أخذ شاول الذي أصبح يدعى بولس بعد دخوله المسيحية الزمام في يده، فهو لم ير المسيح قط، ولا سمعه يتكلم، ولكنه قال بصلّة مباشرة بينه وبين المسيح، صلة أدخلته المسيحية وسكبت في نفسه تعاليمها.

الفرع الثاني : الأسفار التعليمية: سميت كذلك لأنها تشرح وتوضح وتبين وتفسر حياة السيد المسيح، وحكاية أحواله ومواعظه من الناحية التطبيقية التفصيلية. وتسمى أيضا رسائل أعمال الرسل، وفي الاصطلاح الكنسي يطلق عليها "الأسفار التعليمية" وفيها قصة إنجيل برنابا.

١- قصة إنجيل برنابا : يقول برنابا في مقدمة إنجيله : " والآيات الَّتِي اتَّخَذَهَا الشَّيْطَانُ ذَرِيعَةً لَتَضْلِيلِ كَثِيرِينَ بِدَعْوَى التَّقْوَى مُبَشِّرِينَ بِتَعْلِيمٍ شَدِيدٍ الْكُفْرَ. دَاعِينَ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ وَرَافِضِينَ الْخِتَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٠٥، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١: ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٥، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٨: ٣، والإصحاح ٩: ١٤، ٢.

فمن النص يظهر رأي برنابا في تصوير عقيدة المسيحية، وأنه يرفض القول بأن المسيح ابن الله. ويؤكد برنابا هذه العقيدة في الفصل السابع من إنجيله، فيقول: أجاب يسوع: ما قولكم أنتم في؟ فأجاب بطرس: إِنَّكَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، فَغَضِبَ حِينَئِذٍ يَسُوعُ وَانْتَهَرَهُ بَعْضُ قَائِلًا: أَذْهَبَ وَأَنْصَرِفَ عَنِّي لِأَنَّكَ أَنْتَ الشَّيْطَانُ وَتُرِيدُ أَنْ تُسَيِّئَ إِلَيَّ.^١

٢- ملحمة عما تضمنه إنجيل برنابا : كان برنابا يهودياً من أبناء قبرص، وكان اسمه الأصلي يوسف، وكان مخلصاً وفياً لعيسى عليه السلام، ولذلك أطلق عليه الحواريون لقب برنابا، ومعناه ابن الرسول، أي ابن عيسى، وكان مبشراً ناجحاً مرموقاً. ويؤكد هذه المعاني أحمد طاهر، فيقول: "وكان يذهب إليه [يعني برنابا] هؤلاء الذين في قلوبهم مرض أو شك، أو تنازعهم العقائد فيجدون عنده السلوى وازدادت شخصيته ظهوراً عندما اجتمع الحواريون بعد رحيل عيسى، وكانوا يؤمنون برسالة موسى التي جاء المسيح لتثبيتها. ثم بدأ الصراع بين اليهود الأغنياء، واتباع عيسى عليه السلام، عندما شعر اليهود بأن المسيحيين بما يبشرون به سوف يحطون من سلطتهم وسيادتهم"^٢. وقد اهتم برنابا كل الاهتمام بتكذيب ألوهية المسيح وبنوته ثم يُفندُ دعوى صلب المسيح بحجج جاءت في الإصحاح مائة واثنى عشر والتي أكدت على أن مَنْ باع المسيح سوف يُقتل باسم المسيح ويكرر إنجيل برنابا الذي حرّمته الكنيسة في عام ١٤٩٢م اسم "محمد" (ﷺ) مراراً في إصحاحات متكررة، وقال إنه رسول الله، وإن اسمه قد سطر فوق الجنة من نور "لا إله إلا الله محمد رسول الله"^٣. وقد تُرجمَ هذا الإنجيل إلى اللغة العربية في مطلع القرن العشرين. وقام بترجمته خليل سعادة وقدّم له مقدمة تاريخية علمية. ونشره السيد محمد رشيد رضا، وقام بنقله أحمد شلبي، فيقول إن خليل سعادة: "يرى أن واضع هذا الإنجيل يهودي أندلسي تعمق في دراسة اليهودية، ثم تنصر وتعمّق في دراسة النصرانية، ثم اعتنق دين الإسلام وتحمّس له"^٤.

١ - الكتاب المقدس العهد الجديد، م.س، ص ٨٤٩، رسالة بولس، الإصحاح ٢٣: ٦، والإصحاح ١: ١٣، ١٤.

٢ - أحمد طاهر : الأنجيل دراسة مقارنة، دار المعارف، القاهرة ، لا، ص ١٧٩.

٣ - المرجع السابق، ص ١٧٥.

٤ - أحمد شلبي : مقارنة الأديان "المسيحية"، م.س ص ٢١٩.

ويتفق إنجيل برنابا في أكثر من مسألة مع القرآن الكريم، ويُزِيلُ الْهُوَّةَ التي وضعها بولس، والتي أبعدت المسيحية عن الأديان السماوية. بعد هذه الجولة مع الكتاب المقدس العهد الجديد، فقد تبينت لكل ذي بصيرة فروقٌ بارزة بين الأنجيل، ومخالفات خطيرة للديانة النصرانية سواء في العبادات أو العقيدة على حدٍّ سواء، ويَجَلِّي هذه الحقائق العالم المسيحي فيلسيان شالي فيقول: "ثم إن بين الأنجيل الجامعة عدا الاختلافات العقائدية الهامة فروقاً غير صغيرة. فولادة المسيح الغربية لا ينصُّ عليها ولا يرد ذكرها في إنجيل مرقس ولا في إنجيل يوحنا. والأنجيل التي تصل عيسى بالملك داود عن طريق أبيه يوسف، ليست هي هي في إنجيل متى وإنجيل لوقا. وتبعاً لإنجيل متى، فإن عيسى ولد أيام "هيرود الروماني" الذي مات في العام الرابع قبل العهد المسيحي، أما حسب إنجيل لوقا، فقد ولد أيام الإحصاء الذي جرى في العام السادس بعد العهد المسيحي. ومع ذلك ومن جهاتٍ نظرٍ أخرى، نجد بين الأنجيل المتوافقة حتى وبين الأنجيل الأربعة تشابهاً يؤدي إلى الاعتقاد بأنه كان بينها تأثر أو أنه كانت لها مصادر مشتركة".^١

المبحث الثالث: من الفرق النصرانية المعاصرة "انشقاق الكنيسة" وفيه ثلاثة مطالب.

كان السيد المسيح قد اتخذ له تلامذة، راحوا يمشون بقيامته، وأبرز هؤلاء التلاميذ بطرس الذي قال عنه السيد المسيح عليه السلام، وكما ورد في العهد الجديد من الكتاب المقدس: "وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ... سَأَلَ تَلَامِيذَهُ... وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا. فَأَجَابَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بْنُ يُونَا. [هَكَذَا وَرَدَتْ] إِنَّ لَحْماً وَدَمًا لَمْ يُعْلَنَ لَكَ لَكِنْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى

^١ - فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، م.س، ص ٢٣٠. أنظر، الكتاب المقدس "العهد الجديد" م.س، ص ٤٩ - ٥١، ٥٢ - ٥٥، ٢٤٩، ٢٥٥، إنجيل متى، الإصحاح ١: ١٦، ١٧، وإنجيل لوقا، الإصحاح ٣: ٣٨، ٢٣، وإنجيل متى، الإصحاح ٢: ١٩، ١٧، وإنجيل لوقا، الإصحاح ٢: ١٢.

عَلَيْهَا".^١ وهذه رواية أخرى تقول على لسان عيسى عليه السلام، إنّما بطرس شيطان؛ لأنه لا يهتم بأوامر الله، "مَنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لَتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا... فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَبَدَأَ يَنْتَهَرُهُ قَائِلًا حَاشَاكَ يَا رَبُّ. لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا. فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبَطْرُسٍ اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. أَنتَ مَعَثْرَةٌ لِي لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ".^٢ إن هذا التعارض الواضح بين النصين في تأليه عيسى عليه السلام، ومباركته لبطرس قائلًا له طوبى لك، ثم مهاجمته له في النص الثاني وهو يقول له اذهب عني يا شيطان، للدليل يبيّن على التحريف الخطير الذي لحق بالديانة النصرانية، والتلفيق البغيض على عيسى عليه السلام وعلى رسالته، وبالرغم من هذا التناقض العجيب الذي وقع فيه الكتاب المقدس إلا أنه يعتبر بطرس هو مؤسس اللاهوت المسيحي. ومما يسترعي الانتباه حدوث الانشقاق الداخلي في الوحدة المسيحية، بسبب اختلافهم في التعبيرات اللاهوتية عن طبيعتي السيد المسيح عليه السلام، ويعبرُ عن ذلك ميشيل يتيم فيقول: "وكان سبب الاختلاف في التعبيرات اللاهوتية عن طبيعتي السيد المسيح. إن العوامل الحقيقية التي فصلت الشرق عن الغرب تعود كلها إلى أن الشرق [المسيحي] يعترف بسلطة البابا، ولكنهم يعتبرونها سلطةً عليا بعيدة لا تتدخل في شؤونهم الخاصة. أمّا الغربيون فكانوا يعتبرونها سلطةً مباشرةً متواصلةً، يُمارسها البابا في كل وقت وفي كل مناسبة بحق إلهي".^٣ وبنوّه قاموس الأديان والمذاهب عن انشقاق المسيحيين، فيقول: "وعبر التاريخ انشقت الكنيسة المسيحية إلى كنيسة كاثوليكية غربية في روما، وأخرى أرثوذكسية شرقية في القسطنطينية، ومن ثم إلى فرق متعددة".^٤ ومنها الموحدون، الشمشاط، الموارنة، وغيرها، وفي المطالب التالية سيُلَقَى الضوء على هذه المسألة.

المطلب الأول : الطوائف المسيحية.

١ - الكاثوليك .

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٠، إنجيل متى، الإصحاح ١٦:

١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٣.

^٢ - المرجع السابق نفسه، إنجيل متى، الإصحاح ١٦: ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١.

^٣ - ميشيل يتيم: تاريخ الكنيسة الشرقية، م.س، ص ١٩٥-١٩٦.

^٤ - حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، م.س، ص ٢١٠-٢١١.

ب - الأرثوذكس.

ج - البروتستانت.

من المعلوم أن هذه الطوائف هي من رواسب الماضي البعيد، العائد إلى ما قبل الإسلام. ويشير فكتور سحاب إلى بداية ظهور تلك الطوائف، فيقول: "عند ما بدأ آباء الكنيسة والفلاسفة بالتَّمَعُّن في شخصية السيد المسيح، وذلك بعد أن رفَعَتْهُ رسائلُ القديس بولس إلى مرتبة ابن الله، الذي أوفَدَه الأبُّ بفعل الروح القدس بشكل إنسان، مُخَلِّصًا للبشر من الخطيئة، وقد لعبت الهرطقات العديدة دوراً حاسماً في الانشقاقات المسيحية"^١. لذا تعددت الطوائف في المسيحية، ثم تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم وهو التجاء الجانب القوي إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهاد والتعذيب والتنكيل والحرق والإفناء، يسلمها على الجانب الضعيف. والعجيب أن المسيحيين اضطهدوا من اليهود والرومان فلما بدأ جانبهم يشتد أنزلوا الريلات بالمخالفين من أبناء دينهم ومن أتباع الأديان الأخرى وظهرت الطوائف المسيحية بأبعادها الثلاث، وهي كما يلي:

أ - الكاثوليك^٢: إن الهدف الأساس من دراسة هذه الطوائف

المسيحية، هو بمثابة فتح الباب أمام الباحث لكي ينفذ إلى مفهوم بعض الطقوس الدينية والعقدية التي تَأَصَّلَتْ في نفوس من انتسبوا إلى المسيح عليه السلام دون وعي، مما أدَّى إلى الخلافات في جوهر العقيدة وادِّعاء الألوهية. ويشير جورج إميل إلى موقف الكنيسة الكاثوليكية ومكانة البابا الروحية والأخلاقية، فيقول: "إن وجود الكنيسة الكاثوليكية مُغْرَقٌ في القَدَم، وإن الأهداف الرئيسة من دبلوماسية الفاتيكان، تتمحور حول حفظ الإيمان وتعزيز السلام وترسيخ قواعد العدالة، وغرض الكنيسة هو أن تعمل كمرشد أخلاقي في مسائل العدالة الاجتماعية والمجاعة وسباق التسلح، ولكي يتم تحقيق هذه الأهداف، فإن شبكة الكنيسة المتخفية حدود القوميات قد تمت تعبئتها،

^١ - الهرطقات: مفردا هرطقة: وتعني عند النصارى: البدعة في الدين. "والكلمة أصلها يونانية". انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٨٦٣.

^٢ - فكتور سحاب: من يجمي المسيحيين العرب، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١٩٨١، ١، ص ٨٠-٨٥.

^٣ - الكاثوليكية "الكنيسة": هي الكنيسة العامة ومركزها روما، وأتباعها يسمون الكاثوليك، وهم أكبر الطوائف المسيحية. انظر المنجد، م.س، ص ٤٤٨.

وَمُنِحَ الأساقفةُ مزيداً من الحرية في صياغة قراراتهم، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح نفوذ البابا الأخلاقي والروحي أمراً أساسياً في دفع نشاطات الكرسي الرسولي^١. وكنيستهم تدعى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية، أو الرسولية. ومعنى الكاثوليكية: أي العامة؛ لأنها تسمى أم الكنائس ومعلمتها وسميت غربية أو لاتينية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب "اللاتين خاصة"، أي إلى بلاد: إيطاليا، بلجيكا، فرنسا، أسبانيا، والبرتغال، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية نسبة إلى بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم. "والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة، ومنهم يتكون المجمع الكنسي الذي يُصدرُ ارادات بابوية سامية هي ارادات إلهية {كما يزعمون}؛ لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو يمثل الله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة"^٢. وهل هناك إنسان عادي لا يقبل قوله أو فعله جدلاً ولا مناقشة؟! ويعدد ميشيل يتيم الألقاب الدينية لرجال الدين الكاثوليك، فيقول: "نشأت الطوائف الكاثوليكية بزعامة بطاركة وأساقفة"^٣، وكونت أبرشياتها وأُسست رهبانيّتها، وبنّت مدارسها وكنائسها"^٤. والكاثوليك كمعظم المسيحيين يعتقدون أنّ الله الابن مساو في خصائص الألوهية لله الآب والروح القدس منبعث منهما. ويشير بول بوبار إلى ما يعتقد الكاثوليكيون المعاصرون، فيقول: "إنّ ما يقرب من مليار كاثوليكي يعترفون بالبابا يوحنا بولس الثاني رئيساً روحياً لهم؛ لأنه نائب المسيح على

^١ - جورج إميل عيراني: البابوية والشرق الأوسط، ترجمة إلهام متري حمارنة، مركز الكتب الأردني، عمّان، ١٩٩٠م، ص ٦.

^٢ - أحمد شلبي: مقارنة الأديان "المسيحية"، م.س، ص ٢٣٨.

^٣ - بطاركة وأساقفة: جمع بَطْرَكَ وبَطْرِيكَ وبَطْرِيكَ: وهو رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو طائفة من الطوائف المسيحية. والأساقفة: مفردا أسَقَف وهو لقب ديني لأجبار النصارى فوق القسيس ودون المطران. انظر، اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، م.س، ص ٢١، والمنجد في اللغة والعلوم، م.س، ص ٤١-٤٢.

^٤ - الأبرشيّة والأبروشيّة: ما كان تحت ولاية أسَقَف من أماكن أو أشخاص. "الكلمة يونانية الأصل" انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ١.

^٥ - الرهبانيّة: طريقة الرُهبان، وتَرْهَب: صار راهباً وتعبّد، والراهب جمع رهبان: وهو من اعتزل عن الناس إلى دير طلباً للعبادة وأصله من الرهبة أي الخوف. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٢٨٢.

^٦ - ميشيل يتيم: تاريخ الكنيسة الشرقية، م.س، ص ٢٨٦.

الأرض ومفتاح القبة السماوية التي هي الأساقفة والروح القدس^١. ومن الثابت أن جميع الأنبياء والمرسلين مكلفون من الله تعالى بالنبوة والرسالة، ومؤيدون بالوحي والمعجزات.

ب - الأرثوذكس^٢: وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية؛ لأن أتباعها من الروم الشرقيين، مثل روسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس، بطريرك القسطنطينية، سنة ١٠٥٤ م. ويعود انقسام الكنيسة المسيحية إلى غربية وشرقية لعدة عوامل منها: تأثرت كنيسة روما بنشر المسيحية بين الوثنيين. أما كنائس الشرق: فقد اهتمت بنشر المسيحية بين أقوام قديمي عهد بالأديان. وتساهلت كنيسة روما لتجذب إليها اللادينيين، فأحلت أكل الدم المحنوق، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تقبله الكنائس الشرقية. وهكذا تم انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى جزئين: شرقي وغربي وأخذت العاصمة الجديدة القسطنطينية مكان المنافس لمدينة روما. ووقعت التأويلات الدينية الخطيرة بين الكنيستين لا سيما في موضوع ألوهية عيسى عليه السلام والتثليث، إلى أن وصل الاختلاف في ميلاد عيسى عليه السلام وأيام الأعياد والطقوس الدينية، ومواقفهم من سلطة الكنيسة الحياتية والقدسية، وبلغ الاختلاف ذروته حتى طال أسماء رجال الدين في الكنيستين الغربية والشرقية. ومن أمثلة الاختلاف النظرة المتشاكسة في طبيعة المسيح عليه السلام، فادعت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الإله الأب والله الابن معاً. وأصرّت الكنيسة الشرقية أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط. واعتقدت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن، بينما اعتقدت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بينهما. ثم تصوّرت الكنيسة الشرقية بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئنة واحدة، وادعت

^١ - بول بوبار: الفاتيكان عاصمة الكتلثة في العالم، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٩٥م، ص ١٣٠.

^٢ - أرثوذكس: كلمة يونانية أصل معناها الرأي المستقيم، ويسمون قديماً اليعاقبة. انظر الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، م، س، ص ١٣.

الكنيسة الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين. وما فتت هذه الأسباب منفردة أو مجتمعة، تُشكل قمة الانقسامات والخلافات بين أتباع الكنيستين، فتعمقت بذور التحريف بينهم لا سيما في عقائدهم المتعددة، وبرزت الشحنة في معاملاتهم حتى تعددت عباداتهم وأعيادهم وسائر طقوسهم.

ج - البروتستانت: ظهر البروتستانت (أو البروتستانتية)^١ في أوائل القرن السادس عشر، وهم بمعنى المحتجون أو المعارضون؛ ومن معتقداتهم: أنهم خالفوا الكنيسة الكاثوليكية في مسائل تحريم زواج الرهبان والراهبات والقسس، كما أنهم عارضوا العشاء الرباني الأخير، لا سيما استحالة لحم ودم السيد المسيح إلى خبز ولحم، و تُسمى كنيستهم الكنيسة البروتستانتية، ويدعون بأنهم يتبعون الإنجيل دون غيره و يفهمونه بأنفسهم، و جميعهم متساوون ومستولون أمام هذا الكتاب. وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة؛ لأنهم يعتبرون أن الإنجيل ليس المصدر الوحيد للديانة المسيحية، بل تضيف إليه الإلهام و التعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر. ويعتبر مارتن لوتر هو زعيمهم الروحي والسياسي، حيث ثار ضد صكوك الغفران التي كانت تمنحها كنيسة الكاثوليك، للمعترفين بذنوبهم وخطاياهم، وخالف الكنيسة أيضاً في مسائل السياسة والعلوم، وفي مجال الإيمان "تركز المجموعات البروتستانتية على الكتاب المقدس، كمصدر واحد للإيمان، وعلى عجز الإنسان المطلق تجاه الإله"^٢. وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً، أي يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة. ويشير أحمد شليبي إلى الصراع والعنف الذي دار بين الأحزاب المسيحية عبر الزمان في الماضي والحاضر، فيقول: "و الصراع عنيف بين هذه المذاهب في الحاضر كما

^١ - البروتستانتية: وهي كنائس حركة الإصلاح، وتعتمد على الكتاب المقدس مباشرة، والصلة بالمسيح، دون واسطة الكنيسة بروما، وترى حرية تأويل النصوص المقدسة. انظر، معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١٩٨٨، ص١٢٤٢.

^٢ - عبد الله أبي عبدالله: تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق عبر العصور، دار ملفات، بيروت، ط ١٩٩٧م، ص٢٤٨.

كان في الماضي، و قد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفره ملاحدة، ومنعواهم من الحج للقدس لأنهم أرثوذكس^١. ومن الأسباب التي جلبت الخصومات على الكنسيين، هي التراكمات من الظهورات الإلهية المتمثلة لدى المسيحيين في تجلّي الله في يسوع المسيح كما يزعمون، ويصرّح بذلك مرسيا إلياد فيقول: "يمكننا القول إن تراكمات من الظهورات الإلهية من تجلّيات الحقائق القدسية... انتهاءً بالتجلّي الأعلى الذي يتمثل لدى المسيحي في تجلّي الله في يسوع المسيح... قام الإنسان الحديث بترع صفة القدسية عن العالم واتخذ لنفسه وجوداً دنيوياً"^٢. ويعرض العهد القديم في بعض آياته إشارات عن الأرض المقدسة والتجلّيات القدسية، فيقول الرب لموسى: "لا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلِكَ. لَأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ"^٣. ويعلق مرسيا إلياد على الإنسان الديني في المسيحية وارتباطه بالمكان المقدس، فيقول: "عند الإنسان الديني المكان ليس متجانساً، [ولكن] فيه انقطاعات وفجوات [يعني] فيه أجزاء تختلف اختلافاً نوعياً عن الأجزاء الأخرى، إذاً ثمة أمكنة قدسية وبالتالي قوّة هامة، وأمكنة أخرى لا تنصف بالقدسية وبالتالي لا بنية لها ولا تماسك، وبكلمة واحدة عديمة الشكل"^٤. هذا هو التصور الذي سيطر على المسيحيين ردحاً من الزمن، وهو الاهتمام بالمكان ومقدار قدسيته، مما نجم عنه تقبل كل تعليمات الكنيسة دون مناقشة نظراً لقدسيته في نفوس أتباعها، وانتشرت الخرافة التي سيطرت على عقيدتهم.

^١ - أحمد شليبي : مقارنة الأديان "المسيحية"، م.س، ص ٢٤١.

^٢ - مرسيا إلياد: المقدّس والدنيوي، ترجمة نهاد خيطة، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٥.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٩٠، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٥.

^٤ - مرسيا إلياد: المقدس والدنيوي، م.س، ص ٢٣.

المطلب الثاني: الموحدون.

بدايةً إنَّ المسيحية قد أتت عليها حين من الزمن، كان التوحيد هو السائد بين معتققيها والغالب على كل نخلة سواه من نخلها، ولقد تناول البحث الجامع المسيحية وأريوس^١ عندما ظهرَ مقاوماً فكرة ألوهية المسيح ومنازعة كنيسة الإسكندرية، في ذلك المبدأ الذي كانت تنادي فيه وتبته في النفوس على رؤوس الأشهاد، ألا وهو ألوهية المسيح عليه السلام. وتنقسم عصور المسيحية إلى قسمين بالنسبة لقضية التوحيد. عصر التوحيد: وينتهي في الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية، ولكن التوحيد ظلَّ يغالب فكرة ألوهية المسيح ردحاً غير قصير من الزمن بعد مجمع نيقية. عصر تأليه المسيح: ويبدأ بعد مجمع نيقية "وبعد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين، ويمنعوا الموحدين من نشر دعاياتهم"^٢. وبناءً عليه فقد ظهرت فرق مسيحية في عصر التوحيد، وفرق أخرى ظهرت في عصر تأليه المسيح عليه السلام وعصر التثليث. ويقول ابن حزم الأندلسي: "والنصارى وإن كانوا ذوي كتاب ويقرّون بنبوة أنبيائهم فإنهم لا يقرّون بالتوحيد. ومن الموحدين النصارى [على المستوى الفردي] أريوس الذي كان أسقفاً في الروم ومن قوله التوحيد المجرد، وإن عيسى بن مريم عليه السلام عبد مخلوق كسائر الرسل، [ولكن أصحاب أريوس] يقولون المسيح ابن الله على سبيل الولادة"^٣. وتحاول الكنيسة في الزمن الراهن صبغ العقيدة التثليثية بصبغة التوحيد، والادعاء بأنَّ الذات الإلهية عند المسيحيين، هي ذات واحدة لا تتجزأ، ولا تنقسم، وهو ما يحاولون تقديمه اليوم للمسلمين، وقد جاء عرض المسيحية من قبل، بأنها ديانة توحيدية في بيانات المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول، ما بين عامي ١٨٦٩—١٨٧٠م: "إنَّ الكنيسة المقدسة... تؤمن وتؤكد أنه: لا إله إلاَّ إله واحد، حقيقي، حيّ، خالق، وسيد السماوات والأرض، قادر على كل شيء، أزلي، فائق الحد، وفائق الإدراك، واللامتناهي العقل، والإرادة، والكمال، الذي

^١ - أريوس: من الأساقفة الرومان ونادى بالتوحيد.

^٢ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، م١٠٠، ص ١٤٩.

^٣ - علي بن أحمد بن حزم "المعروف بابن حزم الأندلسي": الأصول والفروع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٨٨.

باعتباره جوهرًا روحياً واحداً، ومريداً، وبسيطاً، ومطلقاً، ودائماً، وأبداً^١. إن الكنيسة تحاول اليوم أن تقول: إن العقيدة المسيحية هي عقيدة توحيدية، وليست عقيدة تثليث، ثم تجدها تعود لشرح هذا التوحيد، وفق الأسس التثليثية التي تناولتها هذه الدراسة.

المطلب الثالث : المارونية^٢ : طائفة كاثوليكية شرقية نشأت في وادي العاصي حول القديس مارون وتلاميذه، في أوائل القرن الخامس الميلادي واستوطنوا لبنان، وكان يقول إن المسيح ذو طبيعتين و لكنه ذو مشيئة واحدة، وذلك بسبب التقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، ولكن هذه المقالة لم ترق في نظر البطريرك^٣، لذلك أوعز إلى الإمبراطور الروماني يوغاوس، أن يجمع جمعاً عاماً بزعمهم؛ ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين بعد أن استوثقوا بأن الإمبراطور على رأيهم. فالمارونية من الناحية العقدية: " تعنى بالإيمان بوحدة اللاهوت ، وتثليث الأقانيم، وتجدد الابن من جوهر الآب. وآخر بطريرك لهم اليوم هو: مار بطرس نصر الله صفير، ويقولون عنه المارونيون: أنه خير من يرعى قطع الرب، ويقوده إلى جنّات الخلود"^٤. ويعرفون أيضاً باسم الموارنة ، نسبة إلى القديس الزاهد المتقشف الناسك مارون الذي انعزل في الجبال والوديان، مما جذبَ الناسَ إليه، مُشكّكين طائفة عرفت باسمه، الذي يعتبر صاحب المارونية الحديثة وباني مجدها، ومُقنّن نظريّتها ومعتقدّها^٥. وفي نهاية هذا البحث الذي كشف عن الانقسامات الكنسية وما ترتّب على ذلك من تباين عميق في العبادات المسيحية،

^١ - منير حوام: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، ط ١٩٨٣، ١م، ص ٢٨١.

^٢ - مار مارون: راهب قديس نحو ٤١٠م. تنسك في القورشيّة "سورية الشمالية" وإليه ينتسب الموارنة. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٦١١.

^٣ - البطريرك: المقصود هنا هو يوحنا مارون، أول بطريرك على الموارنة ٦٨٦-٧٠٧م. انظر المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٦٢٣.

^٤ - عبد الله أبي عبد الله: تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق عبر العصور، م.س، ص ٢٤٩.

^٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، م.س، الرياض ، ط ٢، ص ٤٤.

واختلافات صريحة وواضحة لاسيما حول طبيعة السيد المسيح وعقيدة التثليث التي تنافي التوحيد بأنواعه. وأما في أواخر القرن العشرين، فقد ظهرت الدعوات الفلسفية والعلمانية بغزوها لمظاهر الاعتقاد الديني المسيحي. ومن أمثلة ذلك ما قام به الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس إذ نشر بحثاً تحت عنوان إرادة الاعتقاد، حاول أن يدافع فيه عن حق الإنسان الذي نشأ في أجواء الثقافة العلمية الحديثة في الاعتقاد الديني، وكان من موضوعات جيمس في المقال المذكور، ما أشار إليه صادق جلال العظم وهي: "أنَّ البَيِّنَات العلمية والأدلة العقلية غير كافية بحدِّ ذاتها للبرهان على وجود الله أو عدم وجوده؛ لذلك يحقُّ للإنسان أن يتَّخذ موقفاً من هذه المعضلة يتناسب مع عواطفه ومشاعره، متجاهلاً بذلك عدم قدرته العلميَّة والمنطقيَّة على البتِّ بهذه المشكلة بصورة حاسمة"^١. ويردف أحمد ديدات في كتابه مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ما يبين نظرة القديس بولس إلى السيد المسيح وسفك دمه ثم موته في سبيل خلاص البشرية من الخطيئة، وهذا الاعتقاد بعيد كل البعد عن الحقيقة، فيقول: "وفي نظر القديس بولس فإنَّ المسيحية لا يمكن أن تقدِّم للبشر ما هو أفضل من دم وآلام سفك دم يسوع، ولو لم يكن قد مات وقام من بين الموتى، لما كان ثمة خلاصٌ للبشريَّة في المسيحية"^٢. ومن الشواهد علي ما ذهب إليه أحمد ديدات، ما جاء في سفر إشعياء، إذ يقول: "وَقَدْ صَرْنَا كُلَّنَا كَنَجَسٍ وَتَوْبَ عَدَّةٍ كُلِّ أَعْمَالٍ بَرَّنا وَقَدْ ذُبَلْنَا كَوَرَقَةٍ وَأَثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمَلُنَا... وَالْآنَ يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُونَا. نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا وَكُلُّنَا عَمَلٌ يَدِيكَ"^٣ ومما يؤكد النظرة الوثنية عند المسيحيين المعاصرين، ما ساقه الكتاب المقدس الذي يدعي أن يسوع المسيح هو الابن الوحيد لله، فيقول: "وباستطاعتنا أن نتعلَّم أيضاً عن الله بواسطة ناس قادهم الله نفسه إلى معرفته وكشف ذاته لهم بطريقة من الطرق، نقول أن الله أظهر نفسه للناس. لقد أعلن ذاته للذين أحبوه كثيراً

^١ - صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني، دار الطليعة، بيروت، ط ١٩٨٨، ص ١٣

^٢ - أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة علي الجوهرى، مكتبة دار الفضيلة، دبي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، ص ١٠٦٩، سفر إشعياء، الإصحاح ٦٤: ٦، ٨.

وطهروا قلوبهم وأذهانهم والتجثوا إليه. إنَّ أفضل الطرق التي بواسطتها تم هذا الكشف الإلهي، هي في يسوع المسيح الابن الوحيد الذي جاء ليعيش بين الناس كإنسان".^١ فالنظرة الحديثة للكنيسة في الدول العلمانية على مستوى العقيدة هي مبدأ الفصل بين الدين والدولة، وذلك تطبيقاً لما ورد في العهد الجديد على لسان عيسى عليه السلام، عندما سأله الفرّيسيّون عن الجزية التي كانوا يدفعونها لقيصر، فيقول: "فَذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَعَقَدُوا مَجْلِسَ الشُّورَى لِيَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلَامِيذَهُمْ وَالْهِيَرُودُسِيِّينَ^٢ يَقُولُونَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ... فَقُلْ لَنَا مَا رَأَيْكَ: أَيَحِلُّ دَفْعُ الْجَزِيَّةِ إِلَى قَيْصَرَ أَمْ لَا؟ فَشَعَرَ يَسُوعُ بِخُبَيْثِهِمْ فَقَالَ: لِمَاذَا تُحَاوِلُونَ إِخْرَاجِي، أَيُّهَا الْمُرَاوُونَ! أَرُونِي نَقْدَ الْجَزِيَّةِ. فَأَتَوَهُ بِدَيْنَارٍ. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ الصُّورَةُ هَذِهِ وَالْكِتَابَةُ؟ قَالُوا: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَذُوا إِذَا لِقَيْصَرَ مَا لِقَيْصَرَ، وَلِلَّهِ مَا لِلَّهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا الْكَلَامَ تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَانْصَرَفُوا"^٣. وقد تكرر هذا المعنى كثيراً في الأناجيل تأكيداً لفصل العلاقات الدنيوية الأسرية والاقتصادية عن العلاقات الدينية، ومنع الجمع بين الدين والدنيا. وقد حسم هذا الخيار عقائدياً ما جاء في إنجيل متى بعنوان الله والمال، ناسباً القول لسيدنا عيسى عليه السلام، "لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ وَلِلْمَالِ"^٤. ولم يكن رجال الدين مجرد رهبان منعزلين عن الدنيا، بل كانوا يقيمون الكنائس ويملكون العقارات والأراضي والممالك، وفي هذا الإطار فإنَّ الكنيسة مؤسسة ذات سلطات دينية وتشريعية وقضائية وإدارية ومالية وعسكرية، وقد اتجهت في البداية إلى دعوة رجال الدين لترك ما لقيصر لقيصر التزاماً بالموقف الديني القائل بفصل الكنيسة عن الدولة.

^١ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س، ص ٢٠.

^٢ - هم أنصار هيرودس ومؤيدوه في حُكمه الذي حصل عليه من الرومانيين. فإذا قال يسوع شيئاً ينال من سلطة قيصر أسرعوا إلى نقل الخبر إليه، وهيرودس انطيباس بن هيرودس كان يحكم في الجليل [فلسطين] وكان يلقب بأبير الربع على الجليل؛ لأن بلاد فلسطين كانت مقسومة أربعة أقسام. فكان له السلطة على أحد أرباعها، أنظر الكتاب المقدس "العهد الجديد" ص ١٠٨٥.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٣١، إنجيل متى، الإصحاح ٢٢: ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥.

^٤ - المرجع السابق، ص ٦٨، إنجيل متى، الإصحاح ٦: ٢٤.

الفصل الرابع

أضواء على معتقدات النصارى

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في الإيمان المسيحي "النصراني".

المبحث الثاني : الأعياد الدينية المسيحية.

المبحث الثالث : المسيحية التبشيرية.

المبحث الرابع : رسالة النصرانية الحديثة "سينودس".

الفصل الرابع أضواء على معتقدات النصارى

المبحث الأول : في الإيمان المسيحي "النصراني" وفيه ستة مطالب.

لقد كانت دعوة المسيح عليه السلام، تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما، وليس الشخص مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه وسيطاً بين العبد والرب في عبادته. ودعوة عيسى عليه السلام كما ورد في بعض الآثار وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين، تقوم على الزَّهَادَةِ والإيمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الآخرة هي الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا، إذ الدنيا ليست إلا طريقاً غايته الآخرة وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية. ولكن أتباع المسيح عليه السلام هم الذين غيَّروا وبدَّلوا في تعاليمه وعقيدته كما وردت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة. ومن أمثلة الضياع الديني الذي عاشته المسيحية ما ورد عن تيليش وهو أحد رجال الدين المسيحي، فيقول: "إنَّ شرط قيامه المسيح استناداً للنصوص الإنجيلية، هو أن يُدفن المسيح أولاً بعد صلبه، فإنَّ شرط قيامه الحديد هو أن يُدفن القدم"¹. ويصطاد تيليش تدعيماً لقوله شاهداً من أسفار إشعيا في العهد القديم الذي يقول: "وَأَسَّسُ الْأَرْضَ تَزَلَزَلْتُ. ائْسَحَقْتُ الْأَرْضُ ائْسَحَاقاً. تَشَقَّقْتُ الْأَرْضُ تَشَقُّقاً. تَزَعَزَعْتُ الْأَرْضُ تَزَعُّعاً. تَرْتُّحَتِ الْأَرْضُ تَرْتُّحاً... وَنَقُلَ عَلَيْهَا ذَنْبُهَا فَسَقَطَتْ وَلَا تَعُودُ تَقُومُ"². ولكن سرعان ما تكشَّفت الحقيقة عن السيد المسيح وعقيدته أمام ناظري تيليش فتجده يقول: "والله الذي هو منبع الوجود ومنبع الأبد... هو ربُّ النَّاسِ جميعاً، وهو الذي ليس له كفواً أحد. وعندما جعل اليهود الله ربّاً لشعب بعينه ومكان بعينه، ظهرت نزعتهم العنصرية التدميرية وهم بهذا مُعرَّضون للتدمير

¹ - بول تيليش: زعزعة الأساسيات، م. س، ص ٩ - ١٢.

² - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م. س، ص ١٠١٩، سفر إشعيا، الإصحاح ٢٤:

١٨، ١٩، ٢٠.

بأيديهم. لكن الله الحقيقي هو ربُّ العرش العظيم... صاحب النعمة والعناية الإلهية^١.

وينص القرآن الكريم على إن عقيدة السيد المسيح عليه السلام هي التوحيد الكامل بكل شعبه، التوحيد في العبادة: فلا يعبد إلا الله. والتوحيد في التكوين: فخالق السماء والأرض هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في الذات والصفات، فليست ذاته سبحانه وتعالى بمركبة وهي مترهة عن مشاهة الحوادث. فالقرآن الكريم يُثبِتُ أن سيدنا عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة من مجاورة بينه وبين ربه، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَقَلِّبْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَغْلِبْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^٢﴾. فهذا نص قرآني يُفيد صراحة أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا لتوحيد الله. فغير التوحيد عندهم إذا دخل المسيحيين من بعده، إذ تعرضت الديانة المسيحية إلى اضطهادات منذ نشأتها وتكوينها، ولا سيما في عصر تدوينها ورواية كتبها، مما جعل بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب في الأناجيل؛ وذلك لأنها دونت في عصور الاضطهاد، فكان ذلك سبباً في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة السيد المسيح عليه السلام. يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق: "طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقالوا إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة. ويظهر الشطط في الديانة المسيحية من خلال كتابهم المقدس، فهذا لوقا يقول بعنوان عظة يسوع الكبرى: "وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: طُوبَى لَكُمْ أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ، فَإِنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللَّهِ. طُوبَى لَكُمْ أَيُّهَا

^١ - بول تيليش: زعزعة الأساسيات، م، س، ص ١٠-١٢.

^٢ - سورة المائدة، الآيات ١١٦ - ١١٧.

الْجَائِعُونَ الْآنَ، فَسَوْفَ تُشْبَعُونَ. طُوبَى لَكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الْآنَ، فَسَوْفَ تَضْحَكُونَ... لَكِنَّ الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ، فَقَدْ نَلْتَمَّ عَزَاءَكُمْ. الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعُ الْآنَ، فَسَوْفَ تَجُوعُونَ. الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّحَّاكُونَ الْآنَ، فَسَوْفَ تَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ. الْوَيْلَ لَكُمْ إِذَا مَدَحَكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ، فَهَكَذَا فَعَلَ آبَاؤُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ الْكَذَّابِينَ"^١. وَيُعَلِّقُ "بول تيليش" على آيات لوقا هذه فيقول: "إن قراءة العهد القديم ودارسيه غالباً ما يجدون أنه ليس الجدال المهذب عند بولس، أو الحكمة الصوفية عند يوحنا، بل أقوال يسوع البسيطة كما سجلها أصحاب الأناجيل الثلاثة الأول: متى، يوحنا، مرقس، وهي أقوال تُعدُّ أصعبها في التفسير. إن كلمات يسوع تبدو جليّة ومباشرة وسديدة حتّى أنه يصعبُ أن تصوّر إنساناً يفتقد معناها. لقد سمعنا الطوييات الأربع والويلات الأربعة كما أوردها لوقا، ومعناها مما لا يمكن أن نخطئ فيه. فالفقراء الذين هم جوعى "الآن" والذين سيكون "الآن" الذين قد جرى عزلهم وإهانتهم، يجري الشاء عليهم وتحتيتهم لأنهم — إن جاز لنا القول — يمكن أن يتوقعوا عكس وضعهم الراهن تماماً. والأغنياء الذين هم ممتلئون والذين يضحكون، والذين يلقون شعبية واحتراماً يجري الرثاء لهم؛ لأنهم يجب أن يتوقعوا بالضبط ذلك الذي هو بالعكس. وهناك أسئلة تُثار مثل: ما هو الشيء الموعود به؟ ولمن هذا الوعد؟ ما هي المملكة التي سوف يمتلكها الفقراء؟ ومن هم الفقراء الذين سيملكونها؟ ومن هم الأغنياء الذين ستحقيق بهم الويلات؟ وماذا سيحدث لهم؟. لقد حاول متّى أن يجيب عن هذه الأسئلة. لقد قال إن الفقراء هم الفقراء في الروح، وأن مَنْ يجوعون، يجوعون بعد فعل ما هو صواب. وقال إن من يكون إنمّا ينوحون على حالة العالم، ولهم يتمّ الوعد بمملكة السماء، ورؤية الروح الإلهي وراحة مملكة الرّبّ ورحمتها. فهل تفسير متّى على حق؟ أو هل أمكنَ لمتّى والكنائس المسيحية الرسمية التي اقتفت خطاه أن تُضفي طابعاً روحياً على الطويّيات؟"^٢. إن التاريخ يقص علينا أن الأديان التي كانت في

١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢٦٦-٢٦٧، إنجيل لوقا، الإصحاح ٦: ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

٢ - بول تيليش: زعزعة الأساسات، م.س، ص ٣٣-٣٤.

بلاد الرومان ثلاثة هي: الوثنية الرومانية، واليهودية، والمسيحية الناشئة. وهنا يتساءل الإمام محمد أبو زهرة، فيقول: "هل عملت الفلسفة على إيجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية وفيها وثنية؟ وهل المسيحية التي تؤمن بالتوراة التي عند اليهود، وتؤمن بالتثليث وألوهية المسيح على اختلاف هيئتي؟".^١ فهذه الأسئلة تقود المرء إلى المزيد من البحث في المطالب التالية: الألوهية والتثليث، تقديس الصليب أو مقام الصليب في المسيحية، التعميد، العشاء الرباني، الاستحالة.

المطلب الأول: الألوهية والتثليث: لقد تم وضع قانون الإيمان المسيحي أو الإيمان الثالوثي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية. بمعرفة القساوسة فهم الذين صاغوه، وهم الذين قدّموه عقيدة للشعوب المسيحية، مفروضاً عليهم بسلطان قيصر الرومان قسطنطين، وتقوم فكرة التثليث على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة شخوص كما يقول بذلك اللاتين: الأب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة. واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد، يُشبّهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها:

١ — فالأب لاهوت وهو الخالق.

٢ — والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي.

٣ — والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الآب.

أي عقل هذا الذي يصدّق أن الربّ هو إله وإنسان في وقت واحد معاً، وكيف يعبد الإله نفسه؟ وكان ممن انتقد هذه المقولات وغيرها من الادعاءات المسيحية في تأليه عيسى عليه السلام، محمد عزت الطهطاوي إذ يقول: "فالنظر إلى هذه الثلاثة مجدها منفصلة ولكنهم يقولون إنهم الله واحد، وهذا أمرٌ معقّد لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم. لذلك يقولون: إن هذه العقيدة فوق العقل مع أن الثابت بالأناجيل المتداولة أن المسيح عليه السلام

^١ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، م١٠٠، ص١٠١.

كان شديد الرغبة في العبادة أو الصلاة لله، ولو كان إلهاً كما يزعمون لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه^١.

وبعد نظرة متفحّصة للكتاب المقدس، فإنك تجد أحد المزامير بعنوان ترنيمة المصاعد: يصرخ بالربّ طالباً منه أن يُصغي إليه، ثم يضع ربّه موضع اختبار فيسأله من الذي يقف؟ فيقول: "مِنَ الأعماق صرّختُ إِلَيْكَ يا رَبُّ. يا ربُّ اسْمَعْ صَوْتِي لِتَكُنْ أَذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. إِنْ كُنْتَ تَرَأَيْتُ الْآثَامَ يا رَبُّ يا سَيِّدُ فَمَنْ يَقِفُ. لَأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ لِكُلِّ يَخَافُ مِنْكَ. انْتَظَرْتُكَ يا رَبُّ انْتَظَرْتُ نَفْسِي وَبِكَلَامِهِ رَجَوْتُ. نَفْسِي تَنْتَظِرُ الرَّبَّ أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ..."^٢. فالعهدان المقدسان القديم والجديد كلاهما يصفان العلاقة مع الله، بأنها علاقة ترقّب بل مشحونة بالقلق والانتظار والحذر والشك والريب. ويدوّن أحد رجال الدين المسيحي ملاحظاته على تلك العلاقة التي أصبحت بين أبناء جلدته وبين ربّهم، فيقول بول تيليش في كتابه زعزعة الأساسات: "إنَّ شرطَ علاقة الإنسان بالله هي أولاً وقبل كل شيء عَدَمُ مِلْكِيَّةٍ وَعَدَمُ اسْتِحْوَازٍ، وَإِنَّ الدِّينَ الذي ينسى ذلك إنّما يحلّ محلَّ اللَّهِ خَلْقَهُ، مَهْمَا يَكُن هَذَا الدِّينُ مَلِيئاً بِالوَجْدِ أَوْ الْفَعْلِ أَوْ الْعَقْلِ. وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الدَّارِسَ لِلإنجِيلِ والذي لا ينتظر الله؛ لَأَنَّهُ يَمْتَلِكُهُ وَيَغْلِقُ دَاخِلَ كِتَاب... ليس أمراً سهلاً أَنْ نَتَحَمَّلَ أَلَا يَكُونَ لَدِينَا اللَّهُ، ليس أمراً سهلاً أَنْ نَتَحَمَّلَ انْتِظَارَ اللَّهِ... ليس من السهل أَنْ ننادي بِاللَّهِ لِلأطفالِ والوثنيين وللشُّكَّاءِ والدينويين، وفي الوقت نفسه نوضِّح لهم أَنَّا أَنفُسُنَا لَا نَمْتَلِكُ اللَّهَ، وَأَنَا نَنْتَظِرُهُ. وَأَنَا مُقْتَنِعٌ بِأَنَّ كَثِيراً مِنَ التَّمَرُّدِ ضِدَّ الْمَسِيحِيَّةِ، إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الزَّعْمِ الصَّريحِ أَوْ الْمُقْتَنِعِ بِأَنَّ الْمَسِيحِيِّينَ يَمْتَلِكُونَ اللَّهَ"^٣. ويقول يوحنا في رسالته الأولى تحت عنوان أصل الإيمان: "مَنْ الَّذِي غَلَبَ الْعَالَمَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ الَّذِي آمَنَ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ؟ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِسَبِيلِ الْمَاءِ وَالْدَمِ"

١ - محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، م، ص ٣٠.

٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م، ص ٩٢٦، المزمور ١٣٠: ١، ٤، ٥، ٦، ٣، ٢.

٣ - بول تيليش، زعزعة الأساسات، م، ص ١٢٨-١٢٩.

٤ - ما سال من الدم والماء لما طعن يسوع على الصليب وقد يكون فيه إشارة إلى المعمودية، انظر العهد الجديد، ص ٩٩١.

يسوع المسيح... والذين يشهدون ثلاثة^١: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون. إذا كنّا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم وشهادة الله هي أنّه شهد لابنه.^٢ إنّ الادعاء الباطل لدى هذه الأناجيل بأن الله أصبح ملكاً لهم ما هو إلا تمرّد على الله تعالى ودليل على الوثنية.

المطلب الثاني: الصليب " صلب المسيح فداءً عن الخليقة ": العنصر

الثاني من عناصر العقيدة المسيحية هو صلب المسيح فداءً عن الخليقة، ويذكر محمد أبو زهرة ما يذهب إليه المسيحيون حول صلب المسيح، فهم يقولون: "إنّ الله من صفاته المحبة. ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم؛ لأنّ العالم — من عهد سقوط آدم عليه السلام في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا — مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته، رأى أن يقرّبه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد في العالم ليخلص العالم"^٣. ويزعمون أنّ في صلب المسيح خلاص للعالم أجمع من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام. وقد جاء في إنجيل لوقا بعنوان الصلب ما يلي: "ولما وصلوا إلى المكان المعروف بالجمجمة، صلبوه فيه... فقال يسوع: يا أبت اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون. ثمّ اقتسموا ثيابه مقتصرين عليها"^٤. وانتشرت بين المسيحيين محبة الصليب، فأصبح شعاراً من شعار دينهم. ويكتب متى في تمجيد الصليب ويقدمه على حبّ الآباء والأمهات والبنين والبنات...، فيقول: "مَنْ أَحَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّنِي، فَلَيْسَ أَهْلًا لِي. وَمَنْ أَحَبَّ ابْنَهُ أَوْ ابْنَتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّنِي، فَلَيْسَ أَهْلًا لِي. وَمَنْ لَمْ يَحْمِلْ صَلْبِيهِ وَيَتَّبِعْنِي، فَلَيْسَ أَهْلًا لِي. مَنْ حَفِظَ حَيَاتَهُ يَفْقِدُهَا، وَمَنْ فَقَدَ حَيَاتَهُ فِي

^١ - في بعض الأصول: الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعوّل عليها، والراجع أنّه أدخل إلى المتن في بعض النسخ، انظر العهد الجديد، ص ٩٩٢.

^٢ - الكتاب المقدس، العهد الجديد"م.س، ص ٩٩١—٩٩٢، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٤: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١

سَبِيلِي يَحْفَظُهَا"^١. فمَتَى يدعي أن من حفظ حياته في الدنيا هلك في الآخرة، ومن بذل حياته في سبيل يسوع نال الحياة الأبديّة في الآخرة، إذ أن مقتضى العدل كما يزعمون، أن الناس يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم آدم عليه السلام من الخطيئة، ولكن باقتران العدل بالرحمة وتوسط الابن الوحيد يسوع المسيح وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق، قَرَّبَ الناس من الرَّبِّ بعد الابتعاد، وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصَّلْبُ، لهذا صُلِبَ ورضي الله عن صُلْبِهِ، وهو ابنه، ودفن بعد الصلب ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره كما ذكرت أناجيلهم، ولكنها اختلفت في تفصيل القيام، فمَتَى يذكر أنه ظهر في الجليل بفلسطين، ولوقا يذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا يقول انه ظهر في اليهودية والجليل معاً، ومرقس يُبين أنه ظهر بين تلاميذه .

ويشير المسيحيون بأنَّ يسوع المسيح لم يمكث بعد قيامته هذه التي يعتقدونها إلا أربعين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلى السماء وجلس بجوار الرب في زعمهم، وسيأتي ليدين الناس يوم القيامة ثم يُحَاسَبُ كلُّ إنسان على ما فعل وقال، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً، وله بهذا المُلْكُ الأبديُّ، فلا فناء للمُلْكِ، وأنَّ الله قد أَقامَ يَوْماً وسيُدينُ فيه سَكَّانَ هذه الأَرْضِ يِيسُوعَ الْمَسِيحِ. حيث وردت هذه المعاني في الكتاب المقدس في العهد الجديد، وهي كما يلي: "وكذلك الْمَسِيحُ لَمْ يَنْتَحِلِ الْمَجْدَ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ عَظِيمَ كَهَنَةٍ، بَلْ تَلَقَّى هَذَا الْمَجْدَ مِنَ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَنْتَ ابْنِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ"^٢. لأنَّ الأبَّ في زعمهم لا يُدينُ أحداً، بل أعطى ذلك للابن، فأعطاه سلطاناً لإدانة الإنسان؛ لأنه ابن الإنسان أيضاً ولا بد أن يظهر الناس جميعاً أمام كرسي المسيح؛ لينال كل واحد جزاء ما قد صنع خيراً أو شراً، هذه عقيدتهم. والحقيقة أنه لم يحدث من المسيح أو تلاميذه الذين عاصروه وتلقوا تعاليمه أن احترموا الصليب أو قدسوه، بل إن الصلب والصليب من الطقوس المسيحية التي جدَّت بعد السيد المسيح عليه السلام، وألصقت به زوراً وبهتاناً.

^١ - المرجع السابق، ص ٨٤، إنجيل متى، الإصحاح ٣٩، ٣٨، ٣٧: ١٠.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٨٩١. رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ٥: ٥.

المطلب الثالث: تقديس الصليب أو "مقام الصليب في المسيحية".

لا يرتفع تقديس الصليب إلى مرتبة العقائد السابقة؛ لأن تلك العقائد أساس المسيحية. أما الصليب: فهو شعارهم بل وموضع تقديس الأكثرين من النصارى ولذا كان حمله علامة على أتباع المسيح. جاء في إنجيل لوقا: وقال للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني. وَحَمَلَ الصليب كما يقول كتاب المسيحية، يشعروهم بإنكار النفس واقتفاء اثر المسيح في هذا الإنكار والسير وراء مخلصهم وفاديهم .

جاء في شرح بشارة لوقا للقس ابراهيم سعيد : " ... قد أصبحنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعي" لأن نكون شركاء المسيح المتألم ... إن صلب المسيح معناه مات عنا ولكن صليب كل مؤمن معناه: "موت النفس عن الأنانية وحب الذات" انه من واجب واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه مختاراً طائعاً، فهو صليب يتجدد كل يوم كما تجددت الآمال والآلام في الحياة اليومية العملية، ولا بد لحمل الصليب من خطوة تسبقه وخطوة تعقبه. أما الخطوة التي تسبقه: فهي إنكار النفس بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمانة بالسوء: لا؛ لأن حمل الصليب هو حمل العار مضافاً إلى ألم الموت، وهذا عمل يستلزم إنكار النفس.

والخطوة اللاحقة لحمل الصليب بل الخطوات، هي اقتفاء آثار المسيح. فحمل الصليب عندهم ليس غاية وليس مقصوداً لذاته ولكنه مقصود لغاية أخرى أسمى عندهم، وهي اقتفاء خطوات المسيح في إنكار الذات والرضا بالفداء بزعمهم واتباع تعاليمه . والذي ابتدع شعار الصليب هو "بولس" والذي لم يتلمذ على يد المسيح بل ولم يره. وقد ورد في إنجيل متى ما يوحى باعتقاد المسيحيين بموت عيسى عليه السلام، فيقول: " وَجَاءَ عِنْدَ الْمَسَاءِ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّأْمَةِ اسْمُهُ يَوْسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضاً قَدْ تَتَلَمَذَ لِيَسُوعَ. وَطَلَبَ جُثْمَانُ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاطُسُ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهِ. فَأَخَذَ يَوْسُفُ الْجُثْمَانِ وَكَفَّهُ فِي

كَثَّانَ خَالِصٍ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِ لَهُ جَدِيدَ كَانَ قَدْ حَفَرَهُ فِي الصَّخْرِ، ثُمَّ دَخَرَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَأَنْصَرَفَ^١.

والقران ينفي قتل وصلب السيد المسيح عليه السلام نفياً قاطعاً، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^٢﴾.

يقول الإمام الطبري في تفسيره: "ولكنهم [يعني المسيحيين] قالوا: قتلنا عيسى لمشابهة المقتول عيسى في الصورة، وما قتلوا هذا الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقيناً، ولكنهم كانوا منه على ظنٍّ وشبهة، بل رفع الله المسيح إليه، فطهره من الذين كفروا، ولم يزل الله منتقماً من أعدائه"^٣.

ومن الطقوس الدينية عند المسيحيين ما يسمى بال تعميد، وهو من مظاهر التدين عند اليهود أصلاً، ويعني غسل الإنسان بماء خاصٍ مقدسٍ من قبل رجال الدين لديهم؛ لكي يعتمد رسمياً بأنه صار مسيحياً معترفاً به لدى الكنيسة.

المطلب الرابع : التعميد: وقته، نصوصه، طريقته.

كان التعميد موجوداً عند اليهود قبل المسيحية ولكنه كان بمفهوم آخر. إذ يعني غسل الجسد، وكان النبي يحيى عليه السلام يعمد الناس في نهر الأردن، أي يغسل أجسادهم؛ ولذلك سمي يوحنا المعمدان "أي يحيى المغسل" وثابت من الأناجيل المتداولة أن يوحنا المعمدان قام بتعميد المسيح. وكانت الفكرة الأولى عن التعميد تعني لدى المسيحيين موت وبعث السيد المسيح، ويتعرض لهذه المعاني شارل جيبيير فيقول: "وإذا ما توقفنا في نهاية العهد الحواري عند منحدر القرن الأول، لوجدنا أنه كان من السهل الميسور على الإنسان أن

١ - الكتاب المقدس " العهد الجديد "، م.س، ص ١٥٩، إنجيل متى، الإصحاح ٢٧: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠.

٢ - سورة النساء، الآيات ١٥٧-١٥٨.

٣ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، ص ١٣.

يعتق المسيحية: حيث كان يكفيهِ لذلك الشهادة بأنَّ عيسى المصلوب هو المسيح الذي وعد الله به أُمَّتُهُ، وبأنه مات من أجل خطاياها... فإذا ما آمن الإنسان به أُقيمت له مراسم التعميد، وتعني موت وبعث السيد وتجديد هذا الموت وهذا البعث بالنسبة إلى المريد. أما لدى عامة الأتباع فهي ترمز على الأقل إلى التوبة وإلى تغيير أسلوب الحياة، كما تضمن نحو الآثام والخطايا محواً تاماً، وكانت الفكرة الشائعة أنَّ التعميد هو المراسم النهائية اللازمة لإتمام التحول إلى المسيحية^١.

وقت التعميد.

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد، فبعضهم يعمد الشخص في طفولته حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأً من الذنوب، وهذا هو الغالب وبعضهم يُعمدُهُ في أي وقت من حياته. وطرف آخر يُجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أنَّ التعميد إزالة للسيئات وتطهير للذنوب. ويذكر الكتاب المقدس موضوع اعتماد يسوع على يد "يوحنا" ويسمع صوتاً يناديه ابني الحبيب، تكرساً لفكرة تأليه عيسى كما يزعمون، ويقول مرقس: "وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد عن يد يوحنا في الأردن. وبينما هو خارج من الماء رأى السموات تنشق، والروح ينزل عليه كأنه حمامة. وانطلق صوت من السموات يقول: أنت ابني الحبيب، عنك رضىت"^٢.

نصوص التعميد.

جاء في العهد الجديد أن تلاميذ السيد المسيح سجدوا له، فتقدم يسوع وطلب منهم أن يُعمدوا جميع الأمم باسم الثالوث، وأخبرهم بأنه سيكون معهم أبد الدهر، فيقول متى: "وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا. فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتعلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم

^١ - شارل جيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، م.س، ص ١٤٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٧٠، إنجيل مرقس، الإصحاح ١: ١١، ١٠، ٩.

أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ" ^١.

إن عيسى عليه السلام يستحيل أن يقبل أن يُعبد من دون الله وهو يصرّح بأنه عبد لله ويأكل الطعام، وهو كسائر البشر إلا أن الله تعالى اختاره رسولاً إلى بني إسرائيل؛ ليكمل رسالة موسى عليه السلام، وليس إلهاً ولا ابناً لله. وكيف يدّعون بموت عيسى؟ وبعد ذلك يذكرون في أناجيلهم وعليّ لسان عيسى نفسه بأنه سيبقى معهم إلى انقضاء الدهر، فهم يتقولون عليه شيئاً لم يقله بتاتاً. ثم يتناول البحث أسلوب التعميد بشيء من التوضيح.

طريقة التعميد.

هي رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، وكل ذلك يكون بمعرفة كاهن، وهو الذي يعمّد الشخص باسم الآب والابن والروح القدس. ويقول محمد عزت الطهطاوي: "أما في حالات الضرورة فيحوز أن يقوم بالتعميد غير الكاهن ويسمى تعميد الضرورة" ^٢.

ولكنّ كنيسة الأقباط بمصر تُلزم أن يكون التعميد بالتغطيس ثلاث مرات، المرة الأولى باسم الأب، والثانية باسم الابن، والثالثة باسم الروح القدس، ولا تجيز التعميد بالرش إلا للضرورة.

وشاع عند المسيحيين أن العماد بالماء من أهم شعائر الكنيسة، إذ بمجرد ولادة الطفل يُحضّره والداه إلى الكنيسة لتعميده وإلا ظلّ كافراً، فبالعماد فقط يصير الإنسان مسيحياً. ويؤكد هذه المعاني محمد أبو زهرة، فيقول: "وكذلك على كلّ من يعتنق المسيحية — رجلاً كان أو امرأة — اعتناقاً حديثاً، فلا بدّ أن يأتي الكاهن ومساعدُهُ فيحملانه ثم يضعانه داخل البئر الذي أُعدّ لهذا الغرض في الكنيسة، ويقومان بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات حتى يتطهّر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً" ^٣. ومن المظاهر الدينية عند

^١ - المرجع السابق، ص ١٦١، إنجيل متى، الإصحاح ٢٨ : ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦.

^٢ - محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، ص ٦٣.

^٣ - المرجع السابق، ص ٦٤.

المسيحيين وكان لها الأثر السليبي على عقيدتهم، هو ما يطلقون عليه العشاء الرباني الأخير للسيد المسيح، والذي يرمز عندهم إلى لحم ودم المسيح الذي سَفَكَ من أجل تخلص البشرية وإنقاذها كما يعتقدون.

المطلب الخامس : العشاء الرباني.

من الطقوس الدينية الهامة عند المسيحيين ما يسمى بالعشاء الرباني، ويرمز عندهم إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحواريه، إذ اقتسم معهم الخبز والتبذير، فالخبز: يرمز إلى جسد المسيح الذي كُسِرَ لنجاة البشرية. أما الخمر: فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً، وفي العشاء الرباني يُسْتَعْمَلُ قليلٌ من الخبز وقليل من الخمر؛ لذكرى ما جرى وفُعلَ بالمسيح ليلة القبض عليه وموته حتى يكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين، تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل الخبز وشرب هذه الخمر، استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه، فيحدث الامتزاج بين الأكل وبين المسيح وتعاليمه. والأساس الذي يستند إليه العشاء الرباني عند المسيحيين، هو ما جاء في الكتاب المقدس "العهد الجديد" بعنوان يسوع خبز الحياة، حيث يسوق يوحنا حواراً جرى بين عيسى عليه السلام وجمّع من المسيحيين، فيقول: "فَلَمَّا وَجَدُوهُ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخَرِ قَالُوا لَهُ: رَأَيْي، مَتَى وَصَلْتَ إِلَى هُنَا؟ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي، لَا، لِأَنَّكُمْ رَأَيْتُمُ الْآيَاتِ، بَلْ لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمُ الْخُبْزَ وَشَبِعْتُمْ. لَا تَعْمَلُوا لِلطَّعَامِ الَّذِي يَفْنَى. بَلْ اْعْمَلُوا لِلطَّعَامِ الَّذِي يَبْقَى فَيَصِيرُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً ذَاكَ الَّذِي يُعْطِيكُمْوه ابنُ الْإِنْسَانِ فَهُوَ الَّذِي بَنَتْهُ الْآبُ، اللَّهُ نَفْسُهُ، بِخَتْمِهِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي سَأَعْطِيهِ أَنَا هُوَ جَسَدِي أَبْذَلُهُ لِيَحْيَا الْعَالَمُ... مَنْ أَكَلَ جَسَدِي وَشَرِبَ دَمِي، فَلَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّ جَسَدِي طَعَامٌ حَقٌّ وَدَمِي شَرَابٌ حَقٌّ. مَنْ أَكَلَ جَسَدِي وَشَرِبَ دَمِي ثَبَّتَ فِيَّ وَثَبَّتْ فِيَّ".^١ والعشاء الرباني عادة أخذتها المسيحية من الأديان الوثنية السابقة وخاصة اليهودية بعد التحريف، فالمسيحيون عندما يأكلون الخبز ويشربون الخمر في عيد الفصح،

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٨٣-٣٨٧، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦.

فإنهم يعتقدون بأنهم سيتحولون إلى لحم ودم عيسى المسيح، وكأنهم امتزجوا به وبتعاليمه، معللين ذلك بأن المسيح تناول مع تلاميذه الخبز والنبيد في عشاءه الأخير قبل صلبه المزعوم. ومن هذا الاعتقاد المبني على ظلم السيد المسيح والافتراء عليه جاءت شعيرة الاستحالة.

المطلب السادس : الاستحالة^١.

وهي اعتقاد المسيحيين أنهم حينما يأكلون الخبز، ويشربون الخمر في يوم الفصح وهو المسمى عندهم بالعشاء الرباني، يستحيل الخبز إلى لحم عيسى وتستحيل الخمر إلى دمه، فمن أكل ذلك الخبز وشرب تلك الخمر، فقد ادخل المسيح في جوفه وامتزج به وبتعاليمه، ومن هنا جاءت شعيرة الاستحالة إلى الديانة المسيحية، واعتبروا هذه العادة عبادة وعقيدة، ومما يدل على ما ذهبوا إليه هو ما احتوته أناجيلهم المقدسة عندهم، فيقول متى: "وَيَمَّا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ خُذُوا كُلُّوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي. وَأَخَذَ الْكَاسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا"^٢.

وأما لوقا فيتعرض أيضاً لموضوع استحالة السيد المسيح إلى خبز وطعام وكما يعتقد المسيحيون، فيقول على لسان عيسى عليه السلام، بعنوان عشاء الفصح وتقدیس الخبز والخمر: "ثُمَّ أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَهُ وَنَاوَلَهُمْ إِيَّاهُ وَقَالَ هَذَا هُوَ جَسَدِي يُبَذَلُ مِنْ أَجْلِكُمْ... وَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى الْكَاسِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَقَالَ: هَذِهِ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُرَاقُ مِنْ أَجْلِكُمْ"^٣.

وتناول مرقس في إنجيله مسألة دم ولحم يسوع عليه السلام، تحت عنوان تقدیس الخبز والخمر، فيصف ما دار بين عيسى عليه السلام وبين جماعة المسيحيين، فيقول: "وَيَمَّا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ خُبْزاً وَبَارَكَ، ثُمَّ كَسَّرَهُ

^١ - الاستحالة: شعيرة من شعائر المسيحيين واعتبرت عندهم عقيدة وعبادة. انظر، إنجيل متى الإصحاح ٢٦: ٢٦، ٢٧.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٤٩، إنجيل متى، الإصحاح ٢٦: ٢٦، ٢٧، ٢٨.

^٣ - المرجع السابق، ص ٣٣٣-٣٣٤، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٢: ٢٠، ١٩.

وَنَاوَلَهُمْ وَقَالَ: خُذُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي. ثُمَّ أَخَذَ كَأْساً وَسَكَرَ وَنَاوَلَهُمْ، فَشَرَبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا هُوَ دَمِي، دَمُ الْعَهْدِ يُرَاقُ مِنْ أَجْلِ جَمَاعَةِ النَّاسِ^١. وأما مقدمة القربان فقد وصفها أندريه نايتون في كتابة الأصول الوثنية للمسيحية، فيقول تكون كما يلي: "يُرفَعُ خبزُ القربان المقدس نحو الصليب المعلق فوق المذبح، ويرسم الكاهن إشارة الصليب عليه وعلى طبق القربان، بذلك يدخل الخبز في علاقة مع المسيح ومع موته علي الصليب، حيث يتحول الخبز إلى ذبيحة أو قربان وبالتالي يصبح مقدساً، وإن مجرد رفعه فوق المذبح يجعله روحانياً؛ لأنَّ الرفع أساساً هو عمل روحاني، وتدل طقوس القربان المقدس على أن المسيحيين الأوائل كانوا مهتمين كثيراً بأسرار والغاز المزج مرحلة مرحلة^٢ "ولكنَّ يوحنا يخالف سابقه في وصف استحالة جسد يسوع، فيذهب إلى أنَّ جندياً طعنه بحربة فمات وأصبح دماً وماءً، فيقول بعنوان طَعْنُ جَنْبِ يَسُوعَ بحربة: "أَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ وَرَأَوْهُ قَدْ مَاتَ، لَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيهِ، لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْجُنُودِ طَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ فِي جَنْبِهِ، فَخَرَجَ لَوْنُهُ دَمٌ وَمَاءٌ، لَنْ يُكْسَرَ لَهُ عَظْمٌ بِحَرْبَةٍ"^٣. ومن الأدلة على عقيدة المسيحيين أعيادهم والتي سيتناولها البحث الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: الأعياد الدينية المسيحية وفيه أربعة مطالب.

إن الأعياد والطقوس الدينية عند المسيحيين مختلفة بسبب تعدد الكنائس واختلافاتها، ويشير اليكسندر باراديسيس أحد رجال الدين المسيحي لذلك التباين والتناقض، فيقول: "كانت محاكم التفتيش شبحاً رهيباً خيم على أوروبا سنين طويلة، وقد شكَّلتها الكنيسة الغربية في القرون الوسطى؛ لتقوم بملاحقة المارقين على الدين من الهراطقة، وكان أول من نادى بضرورة تقديم السحرة والمشعوذين للمحاكم وشنقهم هو البابا يوحنا الثاني والعشرون، [الذي كان

^١ - المرجع السابق، ص ٢٢١-٢٢٢، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤: ٢٢، ٢٣، ٢٤.

^٢ - أندريه نايتون وآخرون: الأصول الوثنية للمسيحية، م، ص ١٣١ - ١٣٣.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، ص ٤٤٧، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩: ٣٣، ٣٤، ٣٦.

يقول] هناك أناس لا يمتنون للمسيحية بأية صلة إلا بأسمائهم التي يُكنَّونَ بها؛ [لأنهم] أنكروا المعجزات والحقائق الإلهية، وعقدوا في الخفاء صفقات مع قوى شريرة، [فهم] يركعون للشيطان ويقدمون له القرابين^١. إنَّ تقدّم القرابين للشيطان والاحتفاء به مناسبات وأعياد كان يحتفي بها المشعوذون من المسيحيين في القرون الوسطى.

ويقول اليكسندر باراديسيس: أن دي يوتي الذي عاش في القرن التاسع عشر يذكر في مؤلفه تاريخ المسيحية، ما يثبت أسباب الخلافات الدينية المسيحية، وعزاها إلى البطش والقوة والتنكيل بالناس الذي كانت تمارسه الكنيسة الغربية، فيقول: "كان يتعيّن على الكاثوليكية أن تلجأ إلى استخدام السلطة والقوة والتعذيب والإرهاب وإلا توقفت عن الاستمرار في الوجود"^٢. ويتعرض الكتاب المقدس في الكنيسة للأعياد المسيحية، فيقول: "تذكرنا السنة الكنسية بدائرتين كبيرتين تدور الواحدة ضمن الأخرى. تُمثّل واحدة منها تقويمنا العاديّ الذي ينقسم إلى اثني عشر شهراً وآيام. وثمة أعيادٌ عندنا تقع في التاريخ نفسه كلّ عام، كالميلاد في ٢٥ كانون الأول، والظهور الإلهي في ٦ كانون الثاني، ورفع الصليب في ١٤ أيلول. تُسمّى هذه الأعياد الأعياد الثابتة. أمّا أعظم الأعياد كلها فهو عيد القيامة أو الفصح الذي نُعيّده دائماً يوم أحد، لكنّ هذا الأمر يتغيّر في كلّ سنة.

فقد شعرت الكنيسة منذ البدء أنّ عيد القيامة، العبور الجديد "الفصح"، يجب أن يُعيّد بعد فصح العهد القديم، إذ من الضروري أن ينتهي الفصح القديم قبل أن يتبدّى الجديد. وبما أنّ الفصح اليهودي يقع حسب تقويمنا في يوم مختلف كلّ سنة فهذا يعني أنّ فصحنا أيضاً يتغيّر حسب هذا التغيّر، لهذا السبب تُسمّى عيد الفصح عيداً متنقلاً. ودعي الفصح عيد الأعياد لأنه أعظمها. وعندنا أيضاً اثنا عشر عيداً كبيراً، ثلاثة منها متغيرة وهي أحد

^١ - اليكسندر باراديسيس: سيرة البابا يوحنا الثالث والعشرون "حياته وأعماله"، ترجمة بسام سخيطة، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٦٨-٧٠.

^٢ - المرجع السابق، ص ٨٤.

الشَّعَانِين^١ والصعود والعنصرة^٢، وأربعة من الأعياد التسعة الباقية تُعَيَّدُ فيها لحوادث مهمة من حياة السيد. وأربعة أُخرى تُعَيَّدُ فيها للسيدة والدة الإله والعيد الأخير تُعَيَّدُ فيه للصليب المقدس. والأعياد الثابتة التي تُعَيَّدُها في التاريخ نفسه كل سنة، ميلاد ربنا في ٢٥ كانون الأول^٣. أما الأعياد المسيحية الثابتة فهي كما يلي:

- ١ — الميلاد
 - ٢ — الظهور الإلهي^٤.
 - ٣ — دخول السيد إلى الهيكل.
 - ٤ — البشارة.
 - ٥ — التَّجَلِّي.
 - ٦ — رقاد السيدة^٥.
 - ٧ — ميلاد العذراء.
 - ٨ — رفع الصليب.
 - ٩ — دخول السيدة إلى الهيكل.
- وأما الأعياد المسيحية المتنقلة فهي:

- ١ — ابتداء الصوم الكبير.
- ٢ — أحد الشعانين.
- ٣ — أحد الفصح.
- ٤ — الصعود.
- ٥ — العنصرة.

^١ - أحد الشعانين: وهو عيد الشعانين والمشهور الشعانين: وهو عيد الأحد الذي قبل الفصح، وهي لفظة عبرانية مأخوذة من "هو شيعه نا" أي خلصنا. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٣٣٦.

^٢ - الصعود: هو استحالة الجسم الجامد إلى بخار دون أن يبيع كما هو الحال في اليود والكافور، وعيد العنصرة: هو عيد تذكّار حلول الروح القدس على التلاميذ، ويقع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً، وعند يهود هو عيد تذكّار نزول الشريعة في طور سيناء، واللفظة عبرانية ومعناها اجتماع ومحفل. انظر، المنجد في الأعلام واللغة، م.س، ص ٤٢٤، ٥٣٣.

^٣ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س، ص ٨٥-٨٦، و ١٢٠-١٢١.

^٤ - عيد الظهور: هو عيد التَّجَلِّي عند المسيحيين. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٤٨٢. وانظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ٤، ص ٥٢٧.

^٥ - رُقاد السيدة: الرُّقاد تعني لغة: التَّوَم، والرُّقود: الدائم الرُّقاد، يقال امرأة رُقود الضَّحَى: أي مُتَنَعِّمة. والمقصود هنا عيد نوم السيدة العذراء أم السيد المسيح عليه السلام. انظر، محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، م.س، ص ٢٥٢. والمنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٢٧٤.

وهذا التقسيم للأعياد المسيحية ورد في الكتاب المقدس في الكنيسة، بإشراف لجنة التعليم المسيحي في المهاجر، وسيلقي البحث الضوء على بعض هذه الأعياد؛ لأنها تعطي مؤشرات هامة للطقوس الدينية عند المسيحيين، كما وتكشف عن جذورهم العقدية.

المطلب الأول : عيد الفصح^١.

ويعني اجتماع السيد المسيح مع تلاميذه، وتناول الطعام معهم وإصدار الأوامر لهم، ويعتبر عيد القيامة أو الفصح في الكنيسة الغربية من أعظم الأعياد المسيحية كلها، وهو من الأعياد المتنقلة حسب التقويم الزمني، والأعياد المتعلقة به أيضاً أعياداً متنقلة. ويتناول الكتاب المقدس هذه المعاني، فيقول: "وعلى سبيل المثال نأخذ الصعود والعنصرة، أي حلول الروح القدس على الرسل، فيجب أن يُعَيَّدَ للصعود أربعين يوماً بعد الفصح وللعنصرة بعد عشرة أيام من الصعود كما تروي الأناجيل المقدسة. وتبدأ دورة أعياد الفصح بالتهيئة للصوم الكبير التي تدوم ثلاثة أسابيع، وتُكرَّمُ في أحد الصَّوم الثالث الصَّليب المقدس، تُقيم خدمة مهية يُخرجُ الكاهن أثناءها الصَّليب المقدس ويضعه في وسط الكنيسة ثم يأتي المؤمنون ليقبلوه ويكرّموه، ويدعى الأسبوع الذي يتبع هذا الأحد أسبوع تكريم الصليب المقدس، وفي مساء أحد الشعانين نبدأ بالتهيئة لدخول الرب إلى أورشليم. أما في الأحد فنقف في الكنيسة نحمل الأغصان وشموعاً مُضاءَةً ومزينة لنهلل فرحين للرب، وبارك الكاهن الشعب قائلاً: أيها المسيح إلهنا يا مَنْ أَتَى إلى الآلام الطوعية لأجل خلاصنا، لقيامتك أيها المسيح مُخلصنا، الملائكة في السماء يسبحون، فأهلنا نحن الذين على الأرض أيضاً، أن نَمَجِّدَكَ بقلوب نقية، ثم يطوف الكاهن والشعب حول الكنيسة، ثم يعودون إلى مدخلها حيث الأبواب مغلقة، فيرثم الكاهن ترنيمة الفصح: المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت وهب الحياة للذين في القبور، ويطوف الكاهن في الكنيسة مُبَخِّراً ومُحيّياً الشعب بعبارة "المسيح قام"، فيُحييونه بفرح

^١ - الفصح: بالكسر فطر التصاري وهو عيد لهم، وأفصحوا: جاء فصيحهم وهو إذا أفطروا أكلوا اللحم. انظر، جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ٢، ص ٥٤٥.

عظيم: "حقاً قام، وفترة الفصح مدّة خمسين يوماً كاملاً حتى عيد العنصرة في الأحد الثامن، أخذ تذكّار حلول روح القدس على التلاميذ كي يَشُدُّهُمْ ليعملوا ما أوصاهم به، ونلاحظ أنّ كلّ أحد من السّنة مُرتبطٌ بقيامة الرّب"¹. ويعتقد جيمس بنتلي: "بأنّه يتعين عدم أخذ روايات عيد الفصح كأسباب للإيمان بعقيدة عيد الفصح، ولكن يجب الإيمان بها كتعبير صورية حول عقيدة عيد الفصح، ولهذا السبب استطاع مرقس التّخلي عنها وعدم إدراجها في إنجيله"². واليهود يقولون: انه في اليوم الخامس عشر من نيسان كان يوم الفصح في السنة التي قتل فيها المسيح — بزعمهم — ويقول يوحنا في إنجيله: إنّ يوم الخامس عشر من نيسان، كان موافقاً يوم السبت . ويقول أيضاً: إنّ المسيح صلب يوم الجمعة قبل يوم السبت، أي قبل أكل المسيح لطعام الفصح. ويقول لوقا: إنّ المسيح أكل طعام الفصح قبل يوم الجمعة، وهنا تناقض بين قول يوحنا وقول لوقا.

يقول لوقا بعنوان عشاء الفصح وتقديس الخبز والخمر: "وجاء يومُ الفطير، وفيه يجبُ ذَبْحُ حَمَلِ الفصح. فأرسل بُطْرُسَ ويوحنا وقال لهما: اذهبا فأعدّا لنا الفصح لناكله...".³ ويقول يوحنا إنّ المسيح أكل بالفعل مع تلاميذه طعام الفصح: "فأجاب يسوع هو الذي أناولهُ اللُقْمَةُ التي أغمسها... فتناول اللُقْمَةَ إذاً وخرَجَ مِنْ وَقْتِهِ، وَكَانَ قَدْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ يَسُوعُ: الْآنَ مُجَدِّدُ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَمُجَدِّدُ اللَّهِ فِيهِ، فيوم الجمعة الذي قبل يوم السبت هو يوم التهيئة للسبت، والسبت الذي يليه كان يوماً عظيماً"⁴. والمسيح صُلبَ فيه — كما يزعمون — فكيف يكون قد أكل الفصح وهم قد

¹ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س، ص ٨٦-٨٩، ١١٢-١١٩.

² - جيمس بنتلي: اكتشاف الكتاب المقدس، م.س، ص ١٦٩.

³ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٣٣، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٢: ٧، ٨.

⁴ - بدأ تمجيد يسوع منذ ابتداء الآله لأن آلامه ستؤول إلى قيامته وصعوده إلى السماء. وإنما ابتدأت آلامه لأن يهوذا أزمع أن يسلمه. انظر، الكتاب المقدس العهد الجديد، م.س، ص ٤٢٢.

⁵ - المرجع السابق نفسه، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٣: ٣١، ٣٠، ٢٦.

⁶ - المرجع السابق، ص ٤٢٦، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٣٠، ١٤: ١٩.

صلبوه قبله؟ أي قبل الفصح. هذا وبين الكنائس الشرقية والغربية خلاف شديد في هذا الموضوع، أدّى إلى تعاليم الكنائس الشرقية بوجوب استعمال الخبز المختمر، وأما الكنائس الغربية: فتعلّم استعمال الفطير.

من الملاحظ أن شقّة الخلاف واسعة بين الطقوس الدينية لدى المسيحيين بما فيها أعيادهم التعبديّة. وذلك نظراً لما ورد آنفاً بين لوقا ويوحنا من خلال إنجيليهما، ويدلّل عبد الرحمن نور الدّين في كتابه رحلة الإنسان مع الأديان. على هذه الخلافات بين الكنائس نظراً للتعددية التي وقعت فيها، فيقول: "إنّ الطقوس الدينية والعبادات المسيحيّة على العكس من الديانات السماوية الأخرى اليهودية والإسلام، إذ ليس هناك نظام واحد محدّد صارم للعبادات الدينيّة في المسيحيّة، بل تختلف تلك الممارسات أو الطقوس اختلافاً بيّناً باختلاف الكنائس. فرغم أنّ المسيحيّة تنقسم في حقيقتها إلى نوعين أساسيين وهما: المسيحيّة الشرقيّة الأرثوذكسيّة، والمسيحيّة الغربيّة الكاثوليكيّة، إلا أنّ دخول الطوائف الأخرى خاصّة في الغرب وسّع القاعدة، وبالتالي غير كثيراً من تناول اليوميّ والسنويّ للطقوس الدينيّة المختلفة؛ لذلك أصبح من المعتاد تقسيم أتباع المسيحيّة في شتّى أنحاء العالم إلى قسمين أساسيين هما: قسم متدينّ، وقسم غير ملتزم ومتحرّر وفقاً لظروف الحياة الحديثة".^١ والقسم المتدينّ يعتقد بالتثليث تارة، وبتأليه عيسى أو أنه ابن الله تارة أخرى، ثم الإيمان بكراسة المسيح أي اقتراب ملكوت السماوات كما يزعمون. هذا هو موقف المسيحيين من طقوس عباداتهم وأعيادهم، فهي بلا شكّ مظهر من مظاهر التدين عندهم.

المطلب الثاني : مدة كرازة المسيح^٢.

معنى الكرازة هو البشارة بالخبر السار، والخبر السار هو اقتراب ملكوت السماوات. ولكن ما هي مدة الكرازة ؟ يختلف المسيحيون فيما بينهم فبعضهم

١ - عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان من اليهوديّة إلى الإسلام، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٢١-١٢٢.

٢ - كرز كرزّا: وعظ ونادى ببشارة الإنجيل، "هي كلمة سريانية"، والكرازة تعني: الوعظ بالحقائق المسيحية. المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص٦٨٠.

يقول: إنما سنة واحدة، وبعضهم يقول: إنما ثلاث سنوات تقريباً، والبعض الآخر يقول: أكثر من ثلاث سنوات بقليل. ومما يُستشهد به على اختلافات المسيحيين في أعيادهم، هو ما ذهب إليه يوحنا فيذكر عيداً سنوياً ولم يسمه، فيقول بعنوان يسوع في أورشليم في العيد مرةً ثانية، "وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ أَحَدُ أَعْيَادِ الْيَهُودِ، فَصَعَدَ يَسُوعُ إِلَى أورشليم"^٢. وفي إنجيل يوحنا إشارة إلى عيد من الأعياد، يبين أن مدة الكرازة أربع سنين. وينتقل البحث بعد ذلك إلى عيد ميلاد السيد المسيح أو ما يسمى بالكرسمس، مع إبراز أوجه الخلافات بين الكنيسة الغربية والشرقية في توقيت المولد ذاته.

المطلب الثالث : عيد ميلاد المسيح.

يفترض أن يكون مولد السيد المسيح من أهم أعياد المسيحيين، حسب سُلَم الأولويات العقدية؛ لأنهم يعتبرونه إلهاً أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة. وهو المخلص لهم من خطيئة آدم عليه السلام كما يزعمون، ولكن الأمر الذي ينبغي التنبيه إليه، هو أن يوم ولادة يسوع عليه السلام غير معروف بدقة عند أتباعه البتة، فالطوائف الغربية تحتفل به يوم ٢٥ من شهر ديسمبر، بينما تحتفل به الطوائف الشرقية في يوم ٧ من يناير. وعلى العموم فإن عيد الميلاد عند المسيحيين هو عيد سعادة وأفراح وهدايا، ويتبع عيد القيامة بأحد عشر يوماً عيد الغطاس وهو رمز لليوم الذي تم فيه تعميد المسيح بواسطة يوحنا المعمدان.^٣

١ - قد يكون عيد العنصرة . في بعض الأصول: عيد اليهود، انظر، الكتاب المقدس العهد الجديد، م.س، ص ٣٧٧.

٢ - المرجع السابق نفسه، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٥: ١.

٣ - يوحنا المعمدان: عند المسيحيين هو بن زكريا واليصابات، من أنساب يسوع المسيح، عاش في بَرِّيَّة اليهودية ثم ظهر على شاطئ الأردن يُعَمِّدُ بالماء ويُبَشِّرُ. سمى المسيح، قطع هيرودوس "الروماني" رأسه بتحريض هيرودية زوجته نحو ٣١ م. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٦٢٤.

ويعصف راشد عبد الله بعض مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد عند المسيحيين أو ما يسمّى بالكرسمس، فيقول: "يهتم النصارى بأعياد ميلاد المسيح عليه السلام وهي ما تسمى بالكرسمس، وهي عبارة عن بضعة أيام قبل السنة الميلادية ويكثر فيها الفسق والفجور وأكل المحرّمات وشرب الخمر"^١.

وأما أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان، فإنه ينقل ما يقوله القديس بولس^٢ عن ميلاد يسوع عليه السلام من خلال الأناجيل، فيقول: "إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حياة السيد المسيح من مولده إلى دعوته فلم تذكر عنه إلا نزراً يسيراً، وما كتّب الإنجيليون سوى أنّه كان يزاول التجارة، وقد نشأ — فيما يبدو — كما ينشأ الصبيان في عهده، وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وبيت المقدس، وامتاز بذكاء وعمق ولم يكن يهتم بمظاهر الأشياء... وقد أُلِّمَ بالتوراة ونال من العلم قسطاً كبيراً"^٣. ومن الجدير بالذكر أنّ المسيحيين مختلفون في تاريخ ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، وفي الحقيقة لم يبدأ التاريخ الميلادي والذي يحتفل به المسيحيون اليوم من ميلاد السيد المسيح كما يُظنُّ، بل إنه ولد في أوغسطس، أي في العام الرابع قبل التاريخ الميلادي في بلدة الناصرة بفلسطين. "و يؤيد علم الآثار القديمة بعض التأييد الرأي القائل بأنه أمضى وقتاً طويلاً في الطواف بالشرق وأوروبا حتى وصل بريطانيا"^٤. واقتبس المسيحيون من اليهودية أعياد رأس السنة وعيد القيامة وعيد الغطاس^٥، لكنه أطلقَ عليها أسماء جديدة مقتبسة من الوثنية. فعيد الربيع أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر، وطقوس السر المقدس أخذت مكان عيد

^١ - راشد عبد الله الفرحان : الأديان المعاصرة، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ١٠-١٢.

^٢ - بولس: قديس اشتهر بلقب رسول الأمم، وكان من أعنف مضطهدي المسيحية، وكان اسمه شاول قبل دخوله المسيحية، مات بقطع الرأس عام ٦٧م، وله أربع عشرة رسالة موجّهة إلى الكنائس المختلفة أو إلى بعض تلاميذه. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ١٤٩-١٥٠.

^٣ - أحمد شلبي: مقارنة الأديان "المسيحية"، م.س، ص ٣٧.

^٤ - المرجع السابق ص ٨٢.

^٥ - عيد الغطاس: هو عيد الظهور الإلهي عند النصارى، والتغطيس عند المسيحيين هو أحد أنواع العماد. والنوعان الباقيان: السكب والرّش. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٥٥٤.

التضحية عند اليهود، وعيسى أصبح عندهم ابن الله، حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي - بزعمهم - واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً ووضعتا في كل الكنائس. ويُنْبئ الكتاب المقدس عن حَبْلِ مريم يسوع من الرُّوح القُدُس حسب زعمه فيقول: "أما ميلادُ يسوع المسيح، فَهَكَذَا كَانَ: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، وَجَدَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَسَاكَنَا حَامِلاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ... إِنَّ الْعَذْرَاءَ تَحْمِلُ فَتَلِدُ ابْنًا فَيُسَمُّوهُ عِمَّا نُوثِيل، أَي: اللَّهُ مَعَنَا". ومن الأماكن المقدسة عند المسيحيين ما يسمى بالكنيسة، والتي جعلت من سلطاتها الواسطة بين الله والناس، كما سيذكر الكتاب المقدس ذلك لاحقاً.

المطلب الرابع: قداسة الكنيسة. لقد أضفت الكنيسة على نفسها صفة القداسة، ومارست سلطاناً روحياً محاطاً بالغموض والأسرار، وجعلت نفسها واسطة بين الناس وإلههم. وزعمت الكنيسة أن المسيح قال لبطرس كبير الحواريين: "أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ ابْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا، وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. فَكُلُّ مَا تَرْتَبِطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَوَاتِ. حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلَامِيذُهُ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" وأنه قال: "إِنِّي أَهْبُ سُلْطَانِي لِكَنِيسَتِي" ^٢.

وبنيت الكنيسة على هذا الزعم الباطل، في المكان الذي مات فيه بطرس [وهو روما] ولا بد أن يكون مقرأً للنفوذ الديني الذي يسيط ذراعيه على الأرض كلها، ممثلاً في الكنيسة وعلى رأسها البابا الذي له واجب الطاعة لأنه من أمر الله. وشعائر النصرانية هي ما تقوم به الكنيسة من طقوس وإجراءات؛ لأن الكنيسة في مفهوم المسيحيين العام هي المسيح نفسه، إنها جسده ولحمه ودمه، استناداً إلى ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عندما تخاصم اليهود على أكل جسد المسيح كما يدَّعون، "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥١-٥٢، إنجيل متى، الإصحاح ١: ٢٣، ١٨.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٣٠، إنجيل متى، الإصحاح ١٦: ١٩، ١٨، ٢٠.

فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ
الْآخِرِ. لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي
وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ".^١ فالمسيحيون حسب نصوصهم يزعمون
بأنهم من جسد المسيح، الذي في اعتقادهم هو "الإله الحي"، ومادامت عملية
الفداء قد تمت لحساب الكنيسة فهي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد
المسيح ودمه، ولذا كان للكنيسة وخصوصاً الكنيسة الأوروبية في العصور
الوسطى سلطان ضخم على شؤون المسيحيين، فهي وحدها الحياة والجنة
والنعيم، وخارج الكنيسة الموت والجحيم، فالكنيسة مكان لإقامة شعائرهم
الدينية، ولقاء خاصتهم وعامتهم في أعيادهم ومناسبات أفراحهم وأتراحهم
.وتعتبر الكنيسة الغربية عيد الفصح هو عيد الأعياد لأنه أعظمها، فتراهم
يقولون: "نتهيأ لعيد الميلاد بصوم يدوم ستة أسابيع وترانيم نرتلها في صلواتنا
تدعونا كي نذهب ونلاقي الرب". [ثم يشيرون إلى الخلافات التي تقع في
أعيادهم] ويحب الناس هذا العيد كثيراً، ففي كل بلد عادات وتقاليد مختلفة،
وما ينتهي الاحتفال بعيد الميلاد حتى نبدأ نتهيأ للحديث العظيم الثاني في حياة
الرب الذي هو ابتداء خدمته. إنه يوم اعتماده من يوحنا ويومها دعاه الآب
"ابنه الحبيب"، وعند ما نزل في مياه الأردن ليعتمد قدس المياه كلها، لذا
نستعمل باحترام المياه التي تُقدَّسها الكنيسة في عيد الظهور الإلهي. الخبز
والخمر والماء أشياء بسيطة، ضرورة حياة الإنسان وقد اختارها الله ليُشركنا
في نعمته وحياته، ويقع العيد التالي للسيد في ٢ شباط وهو عيد دخول السيد
إلى الهيكل، وهناك عيد آخر لربنا نحتفل به في الصيف في ٦ آب. إنه عيد
تَحَلِّي الرب، إنه يسوع المسيح في حياته الأبدية. والعيد الذي يقع في مُسْتَهَلِّ
أيلول هو العيد الذي يبدأ العهد الجديد، إنه عيد ميلاد العذراء، أمّا عيد
البشارة فهو أعظم أعياد العذراء ويقع في ٢٥ آذار، إنه العيد الوحيد من
أعيادها الذي يصفه الإنجيل: "افرحي، أيتها المُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً، الرَّبُّ مَعَكَ... لا
تَخَافِي يَا مَرْيَمُ... فَسَتَحْمِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا فَسَمِيَهُ يَسُوعُ"^٢. ويستأنف الكتاب

^١ - المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦: ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣.

^٢ - لجنة التعليم المسيحي في المهاجر: الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س.، ص ١٢١-١٢٧.

المقدس في موضوع الأعياد المسيحية، فيقول : وثمة عيدٌ لا يتعلق بالرب يسوع ولا بالسيدة العذراء فيه نتذكرُ حَدَثًا جرى منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة. إنه عيدُ رفع الصليب الكريم^١.

فهذا اعتراف مباشر من الكتاب المقدس بأنه لا علاقة للسيد المسيح بالصليب، مما يدل على الخلط والزيف الذي لحق بالديانة النصرانية حتى في أدق أعيادها وشعائرها وفروع عباداتها وعقائدها.

المبحث الثالث: المسيحية التبشيرية وفيه ثلاثة مطالب.

وستتناول هذا المبحث الجذور الفكرية عند المسيحيين، لا سيما من خلال كتبهم المقدسة لديهم.

المطلب الأول : معنى المسيحية التبشيرية: ينبغي أن يكشف البحث عن من هو المؤسس الحقيقي أو الفعلي للمسيحية المعروفة اليوم. تناول هذه النقطة الهامة أحد رجال الدين المسيحي هيم ماكبي فيقول: "المؤسس الفعلي للمسيحية المعروفة اليوم، إنه بولس الطرطوسي وليس عيسى عليه السلام، كما توهمنا الكنيسة الرسمية وتاريخها وأناجيلها التي حرّفتها وزيفتها مراراً وتكراراً لإخفاء الحقيقة، عيسى وحواريه براء من كلّ هذه المسيحية التي اخترعها "بولس" ولفق عقائدها من وثنيات العالم القديم وخرافات وأساطيره"^٢. فالتنصير إذاً هو عبارة عن حركة سياسية استعمارية، اتخذت من الدين ستاراً لها، ثم بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة لا سيما في دول العالم الثالث عامّةً وبين المسلمين خاصّةً، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب سيطرة ثقافية ودينية وسياسية، وذلك من خلال المدارس والمستشفيات ومؤسسات الإحسان

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢٤٢-٢٤٣، إنجيل لوقا، الإصحاح ١٨: ٢٨، ٣٠، ٣١.

^٢ - هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية فرنسا، ط ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٧.

المختلفة. لذا لا بدّ للبحث هنا من الإشارة إلى أبرز المعتقدات المسيحية والجذور الفكرية لديهم.

المطلب الثاني : المعتقدات والجذور الفكرية المسيحية :

إنّ من أشهر الأدلة على المعتقدات المسيحية والجذور الفكرية لديهم، هي شهادة العهد الجديد، الذي يقول فيه فرنسيس يونغ: "العهد الجديد هو أوّل وأكبر مُلتقى للشهادة، بمعنى أنّ مجموعة من الوثائق تشهد للنتائج المُنقّدة في حياة وموت وقيام يسوع. ولهذه الوثائق أهدافٌ مُتعدّدة؛ لأنها آتية من خلفيات مختلفة، ويتوزّع تاريخها على ثلاثة أرباع قرن تقريباً، وهي مكتوبةٌ بدياجةٍ أدبيةٍ مختلفة، وأساليب مختلفة في اللغة واللاهوت. ومع ذلك فكل صفحة فيها متأثرةٌ بحقيقة أنّ يسوع المسيح أصبح بالنسبة لكل مؤلّف من مؤلّفي الأناجيل البؤرة المركزيّة لحياته والإيمان بالإله. مثل هذا التصريح مع أنه تعميمٌ واسع، يحظى اليوم بصورة عامّة بتأييد الغالبية من دارسي العهد الجديد"^١.

والأمر الذي يجذب الانتباه بالإضافة إلى تنوع وتعدد الأناجيل، التناقض في الروايات التي تحدثت عن السيد المسيح عليه السلام، ويشير إلى هذا التنافر الغريب، كتاب أسطورة تجسد الإله حيث يستشهد بملاحظات لسلي هولدن أحد المنصفين من المسيحيين، إذ يقول: "ليس هناك دراسة واحدة لشخص المسيح في كتب العهد الجديد" الأناجيل الأربعة" بل هناك عدّة دراسات. وأصبح من المعلوم الآن لكلّ الناس تقريباً أنّ النظر في كتابات العهد الجديد من آية مسافة — أقرب من جبل بعيد — يُميّز مجموعةً مختلفةً من الصور عن المسيح"^٢. وهناك عدّة روايات متناقضة لكتبة الإنجيل، وذلك حول قيامة السيد المسيح عليه السلام على سبيل المثال: فهذا متى يصف قيامة المسيح بعنوان

١ - فرنسيس يونغ: أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، تعريب نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤١.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٠.

"يسوع يتراءى للرسلى"، "وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ إِذَا بِهِ يَقُومُ بَيْنَهُمَا وَيَقُولُ لَهُمَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمَا. فَأَخَذَهُمَا الْفَرْعُ وَالْخُوفُ وَظَنُوا أَنَّهُم يَرَوْنَ رُوحًا".^١

ولكل إنسان الحق في طرحه السؤال التالي، هل كان المسيح ظاهراً في صورة روح أو شبح، كما يزعم العهد الجديد؟ ويجب عن هذا السؤال نبيل الفضل، فيقول: "الجواب هو النفي طبعاً، فهو لا بدّ وقد ظهر لهم بصورته المعتادة، فلماذا إذاً الجزع والخوف والاعتقاد أنه روح أو شبح؟ لأنهم كانوا مُقْتَنِعِينَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ عَلَى الصليب والميّت لا يعود كما يكون، بل يعود كروح أو كملك كما أخبرهم سيدهم المسيح بذلك [كما يظنون] ولكن لو افترضنا أن المسيح قد أُنْهَاهُ كروح أو شبح على هيئة إنسان أو بشر، فإنّ الروح ليس لها لحم وعظام".^٢

وأما مرقس: فيتناول قيامة المسيح بصورة مغايرة لما كتبه لوقا، فيصف هذا الحدث وصفاً أسطورياً تحت عنوان "ترائي يسوع"، فيقول: "قَامَ يَسُوعُ فَجَرَ الْأَحَدِ، فَتَرَأَى أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، تِلْكَ الَّتِي أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينٍ. وَتَرَأَى آخَرَ الْأَمْرِ لِلْأَحَدِ عَشَرَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَوَيَّخَهُمْ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ وَقَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ شَاهَدُوهُ بَعْدَ مَا قَامَ".^٣

وهناك رواية ثالثة يسندها متى لقيامة المسيح، ويسوقها من وجهة نظر تختلف عن روايتي لوقا ومرقس، فتجده يقول بعنوان "ترائي يسوع لتلاميذه في الجليل": "وَأَمَّا التَّلَامِيذُ الْأَحَدُ عَشَرَ، فَذَهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي أَمَرَهُمْ يَسُوعُ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ سَحَدُوا لَهُ، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ ارْتَابُوا".^٤ هكذا يظهر المسيح لتلاميذه كما تروي الأناجيل المقدسة عند أتباعها من المسيحيين بعدّة أساليب مختلفة، ممّا يؤكد الضياع الفكري و العبث العقائدي الذي وقعت فيه الديانة المسيحية. ثمّ من التشويش الفكري والتشويه

١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، م، ص، ٣٤٥، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٤: ٣٦، ٣٧.

٢ - نبيل الفضل: هل بشر المسيح بمحمد؟، م، م، ص ٩٩.

٣ - الكتاب المقدس، "العهد الجديد" م، م، ص، ٢٣٠-٢٣١، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦: ٩، ١٤.

٤ - المرجع السابق، ص ١٦١، إنجيل متى، الإصحاح ٢٨: ١٦، ١٧.

العقدي الذي وقعت فيه المسيحية، ما جاء في كتاب "موجز تاريخ الأديان" الذي يؤيد النظرة الصائبة والقاتلة بحقيقة دخول الوثنية والبراهين الفلسفية من أوسع أبواب الديانة المسيحية، فيقول: "ثم إنَّ الحواري بولس دعا الوثنيين إلى المسيحية كما دعا الأمم الأخرى، وأصبحت المسيحية بذلك فرقة إغريقية من اليهودية، وتعود المسيحية فتأخذ لحسابها كل البراهين الفلسفية المألوفة على وجود الله، ولكنَّ الكنيسة توضع إلى جانب الله، ابنه يسوع. ويُتصوَّر عيسى بصورة يُجمَعُ فيها عددٌ من الأفكار ذات الأصول المختلفة، وهذا التصوَّر يعود للوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ولكنهم استمروا على معتقداتهم [الوثنية السابقة والذين اعتادوا فيها] على فكرة أن الآلهة تتزاوج مع بني البشر لكي تُنجبَ رجالاً عظاماً. وعيسى كائن إلهي ولِدَ من مريم ، ويضاف إلى هذه المفاهيم الأساسية فكرة "الكلمة" التي جاءت من فلاسفة رواقين ومن فيلسوف يهودي اسمه فيلون ومستعارة من هذه العقائد أو النظريات على يد القديس جوستين، وإلى جانب الأب والابن، نجد الروح القدس وعند إسرائيل تعني كلمة روح، نفس الإله الجبار ذي الوجه الإنساني.

أما المسيحيون الذين يملكون شيئاً من الثقافة الفلسفية، فإنَّ هذا اسم مضاف "لقب" للكلمة. وفي القرن الرابع فقط أصبح الروح القدس شخصاً متميّزاً، ومع ذلك متَّحدٌ في المادّة مع الابن، وهكذا فإنَّ الأب، والابن، وروح القدس ثلاثة في واحد، يتمتّعون معاً بصفة الخلود، ومتساوون فيما بينهم، وهذه هي عقيدة التثليث، والمسيحيون ذوو الأصل الوثني لا معنى عندهم لفكرة "الخلاص" ، فهم يرون أنَّ الخلاص خلاص روحيّ ، وفي مجمع ترانت"، صاغت الكنيسة عقيدة الخلاص بشكل نهائي: وعندها أنَّ يسوع المسيح صالحنا مع الله بدمه الذي سال على الصليب؛ وبهذه التضحية هدأ من غضب الله على الإنسان الخاطيء^١. فهذه أشكال مختلفة لعبادة المسيحيين وعقيدة التثليث لديهم، التي نشأت بعد السيد المسيح عليه السلام وأصبحت أقرب إلى الوثنية في مفهومها ومنطقاتها. وليس أدلَّ على ذلك من النظرة

^١ - فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، م.س، ص٢٤٦-٢٤٩.

الوثنية للتبشير المسيحي المعاصر، حيث تظهر بوضوح وعلى لسان القس صموئيل زويمر^١ في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م، فيقول لأتباعه المنصرّين: "...لكنّ مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية وفي البلاد الإسلامية، ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"^٢. وهناك أساليب متنوعة من التبشير تتمثّل في قطاعات حيويّة مثل: التطبيب والصحة، والتعليم والثقافة، ثم البناء والعمران، ومظاهر التدين...الخ.

المطلب الثالث : الوسائل والإمكانات التبشيريّة.

يظن بعض الناس من العوام أنّ المبشرين الغربيين يأتون إلى الشرق أو إلى البلاد الإسلامية بالذات من أجل نشر الدين المسيحي وأنه هدفهم الأسمى، والحق أنّ نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية، فقد تجد أشخاصاً قليلين يُموّلون حملات تبشيرية على الشرق، ثم أفراداً قليلين يأتون في هذه الحملات، لينشروا الدين حباً بنشر الدين واعتقاداً منهم أنهم يقومون بعمل سام، على أنّ الكثرة المطلقة من الذين يموّلون تلك الحملات ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذين يزعمون أنهم قد جاءوا لنشرة.

وأما أهم وسائل التبشير: فتكمن في التطبيب، التعليم، الأعمال التجارية، والفن والحروب. وذلك من خلال تقديم الخدمات الطبية، بهدف استغلال هذه المهمة في التنصير. ويقول بول هاريسون في كتابه التطبيب في بلاد العرب: لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى.

١ - زويمر "صموئيل" ١٨٦٧-١٩٥٢م: مستشرق أمريكي من أصل يهودي محرر مجلة "عالم الإسلام الأنكليزية، من كتبه

"يسوع في إحياء الغزالي". انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٢٨١.

٢ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: م.س، ص ١٦١ .

وأما التعليم: فقد كان المبشرون يضعون كل ثقلهم لاستغلال التعليم وتوجيهه، بما يخدم أهدافهم التنصيرية، فقاموا بإنشاء المدارس والكتليات والجامعات ورياض الأطفال، واستقبال الطلبة في جميع المراحل التعليمية، ووزعوا خلال مئة وخمسين "١٥٠" عاماً ما يزيد عن ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد، مترجمة إلى ألف ومائة وثلاثين لغة، عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها ما يقدر بسبعة آلاف مليون دولار^١.

وبالنسبة إلى النشاطات الاجتماعية، فتمثل بإيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث والاهتمام بدور الضيافة والملاجئ للكبار ودور لليتامى أو اللقطاء. وإنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير، والاعتناء بالأعمال الترفيهية وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال وإنشاء المكتبات التبشيرية واستغلال الصحافة بشكل واسع. هذا وعمل المبشرون على تشجيع الحروب والفتن وذلك لإضعاف الشعوب الإسلامية، وإذكاء نار العدواة والبغضاء، وإيقاظ روح القوميات الإقليمية الطائفية الضعيفة. أما الإمكانات التبشيرية: فهي هائلة وضخمة جداً وعلى سبيل المثال: مجموع الإرساليات الموجودة في ثمانية وثلاثين "٣٨" بلداً إفريقياً يبلغ مائة وإحدى وعشرين ألف إرسالية، وبعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والمرضات لعلاج المرضى في الغابات والأحراش.

لقد انتشر التنصير وامتد إلى كل دول العالم، بل ويتلقى الدعم الدولي الهائل من مختلف الكنائس والهيئات والجامعات والمؤسسات العالمية، ويلقى بثقله بشكل كثيف ويتمركز في اندونيسيا وماليزيا وبنجلادش والباكستان وفي عامة أفريقيا. ويشير كتاب "البعد الديني في السياسة الأمريكية" إلى انحراف الكنيسة الغربية عن أهدافها الدينية المزعومة، وأصبحت تكشف القناع الحقيقي عن أبعادها وأهدافها السياسية والاقتصادية والمصلحية، متظاهرة بقدسية الدين والعقيدة، فيقول: "وقد حرصت هذه الكنائس في السنوات الأخيرة على بذل مزيد من النشاط للانخراط في العمل السياسي، فأُسست

^١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، م٠م س ص ١٦٧.

مكاتب لها في العاصمة الأمريكية؛ لتكون قريباً من مراكز صنع القرار، وزوّدت هذه المكاتب بالمختصين الاقتصاديين والسياسيين ورجال العلاقات العامة^١. ويجدر بالباحث أن يقتطف بعض الملاحظات من مجمع الفاتيكان الثاني المنعقد ما بين عام ١٩٦٢—١٩٦٥م، وخاصة ما يتعلق بعقيدة التنصير والبت في مفهوم الله والإنسان المسيحي المعاصر، وإنشاء المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية أو ما يسمى "بالسينودس". وتوضح زينب عبد العزيز أهم مقررات هذا المجمع، فتقول: "فإنّ المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني كان أول مجمع في التاريخ يتّخذ خطأً هجومياً على كافّة المستويات، واتخاذ قرارات لا سابقة لها في التاريخ تلخص أهمها فيما يلي:

— فرض العقيدة الكاثوليكية على العالم أجمع.

— الإجهاز على النظام الشيوعي بزعم إلحاده، وإن كانت حقيقة الأمر لغير ذلك.

— تبرئة اليهود من دم المسيح رغم كل النصوص، ورغم كل أقوال المسيح التي تدّين ذلك [حسب آيات الكتاب المقدس "العهد الجديد"].

— الإجهاز على الإسلام والمسلمين تحت ستار إقرار مبدأ الحوار مع الديانات غير المسيحية. ويُعدُّ هذا المجمع نقطة الارتكاز التي انطلق منها البابا يوحنا بولس الثاني لتنفيذ قراراته بعد أن سادها التعقيم لفترة طويلة، إلا أنه أضحى يعلنها صراحةً وبلا مواربة، وإن كان اعتمد على اللعب بالألفاظ والتحايل في العبارات وانتحال مبدأ الكيل بمكيالين. [وفي مضمار تنصير العالم] قام البابا بإنشاء ما يسمى بالسينودس، أي المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية الذي تلخص مهمته في إعلام وإرشاد مقر العمليات العالمي الخاضع للبابا^٢. من خلال القرارات البابوية السابقة والتي تعتبر من الأركان الأساسية للمسيحية مثل العقيدة ونشأتها وتحريفها، لذا يتبين بوضوح أنّ المسيحية الحالية ليست قطعاً تلك التي نادى بها السيد المسيح عيسى عليه

^١ - يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٧٤.

^٢ - زينب عبد العزيز: تنصير العالم، م.س، ص ٧٥—٧٦.

السلام، وبدلالة ما قام به "بولس" من تحريف للمسيحية وإبعادها عن أصولها عبر المجمع وخطبه الرسولية، بحيث تحولت المسيحية من ديانة توحيدية إلى ديانة تعتمد على شخص محوري أساسي هو يسوع المسيح بعد مساواته بالله والروح القدس. ويشير القديس بولس في مقدمة رسالته الثانية إلى أهل كورنثس، ما يثبت تزويره وتحريفه الخطير للمسيحية الحقيقية، فيقول بعنوان سلام وشكر: "مِنْ بُولُسَ رَسُولِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ... إِلَى كَنِيسَةِ اللَّهِ فِي كُورِنْثُسَ، وَإِلَى جَمِيعِ الْقَدِّيسِينَ... عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ وَالسَّلَامُ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ أَبِيْنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. تَبَارَكَ اللَّهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".^١

بينما السيد المسيح عليه السلام ومن خلال أقواله ووصاياه وأقوال الحواريين الذين عاصروه من أتباعه، يفيد بأنه نبي من الأنبياء ورسول صاحب رسالة ومعجزة، وإنه كان يأمر قومه بالتقوى ويدعوهم إلى التوحيد بنوعيه وهذا ما يؤكد القرآن الكريم. حيث يقول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.^٢

ويشرح التفسير الواضح هذه الآية بقوله: "إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ حَثَّ قَوْمَهُ عَلَى التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ، خَتَمَ ذَلِكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالاعْتِرَافِ مِنْهُ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّبُّوبِيَّةِ، وَقَالَ هَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْقَوْلُ الْحَقُّ فِي مَرَمٍ وَابْنَهَا فَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَهُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ".^٣

يستنتج من البحث إذاً بأن الذي وضع ركائز المسيحية الحالية هو بولس الطرطوسي وليس سيدنا عيسى عليه السلام، كما أن الكنيسة هي التي تدخلت في شؤون الناس ومظاهر التدين والعقيدة لدى المسيحيين، وحملت على عاتقها عمليات التبشير ذات الأساليب والأهداف المتنوعة، مما جعل الحوار أمراً واقعاً بين أصحاب الديانات السماوية منذ بزوغ فجر الإسلام،

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٦٨٩، رسالة القديس بولس الثانية، الإصحاح ١ : ١، ٢، ٣.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ٥١.

^٣ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ١، ص ١٦٢.

كونه الدين الخاتم والرسالة العامة، وسيتابع البحث موضوع الحوار الإسلامي المسيحي ورسالة النصرانية الحديثة "السينودوس".

المبحث الرابع: رسالة النصرانية الحديثة "السينودس"^١ وفيه خمسة مطالب. إن أخطر نقطة تناولها مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني المنعقد ما بين ١٩٦٢-١٩٦٥م "هي الدستور العقائدي في الكنيسة، إذ أعلن بأنها شعب الله ونور الأمم، ونوّه بذلك ميشيل يتيم إذ يقول: "إنّ المجمع الفاتيكاني الثاني وحده بين المجمع السابقة له لم يُعقد ليُحرّم أو يُدين، بل كان للانفتاح والحوار"^٢. لذلك قام بإنشاء ما يسمى بالسينودس، "أي المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية الذي تلخّص مهمته في إعلام وإرشاد مقرّ العمليات العالمي الخاضع مباشرة للبابا، وأما عبارة تحديث الكنيسة التي ابتدعها المجمع، فتعني: إعادة صياغة العقيدة بكل ما بها من لا معقول، وتقديمها بعبارات ومفاهيم يقبلها العصر الحديث أو تتماشى مع عقليته، أي أنّ الكنيسة تناقض موقفها السابق من العصر الحديث وبدأت تحايل لتتماشى معه.

ومن أهم قراراته إنشاء "السينودس" أي مجلس الأساقفة الدائم من أجل إقامة الكنيسة العالمية، ومن مهامه أيضاً تنفيذ خطط التجديدات البعيدة المدى بالنسبة للمستقبل والتابعة للمؤسسة الكنسية، وهو بمثابة لجنة إدارة دولية لشؤون المجمع المسكوني بصفة عامة، والعمل على تنفيذ مخطط تنصير العالم بصفة خاصة، أي أنّ كلّ ما يُتخذ من خطوات [ينبغي أن] يتواءم من أجل تنفيذ مخطط تنصير العالم"^٣. وستسهم الدراسة في المطلب الأول من هذا المبحث في الكشف عن مفهوم "السينودس" والهدف العقائدي والتنصيري من وراء هذه اللقاءات.

^١ - سينودس: تعني أطلب مجمع، وتطلق على كل مجلس للأساقفة. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٥٢١، ٣٢٣.

^٢ - ميشيل يتيم: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، م.س، ص ٣٧٣-٣٧٨.

^٣ - زينب عبد العزيز: تنصير العالم، م.س، ص ٧٥-٧٦.

المطلب الأول : ماذا يقصد بالسينودس ؟

إن كلمة سينودس يونانية الأصل وتعني "السير معاً" أو "معاً على الطريق"، والسينودس أو مجمع الأساقفة، هو مؤسسة دائمة شكلها البابا بولس السادس عشر، في الخامس عشر من سبتمبر "أيلول" عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين للميلاد، وكان هذا المجمع استجابة لرغبات وطلبات الآباء الأساقفة، وقد صدر عن البابا بولس السادس عشر قرارٌ رسميٌّ، بتأسيس المجمع في يوم الخامس عشر من نوفمبر "تشرين الثاني" في عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين للميلاد. "والمجمع هو عبارة عن جمعية عمومية لأساقفة كاثوليك ومهمتهم مساعدة البابا في إدارة شئون الكنيسة العامة ويكون ذلك بتقديم المشورة له. وقد تضمنَ كتاب تنصير العالم مناقشةً واسعةً للخطاب الرسولي الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني، في شهر أكتوبر سنة ١٩٩٣م، لا سيما فيما يتعلق بالعقيدة والذي يتركز إجمالاً في النقاط التالية:

— الإصرار على عقيدة الإيمان وفرضها. فالمسيح هو الحقيقة وهو الطريق.

— الإصرار على أن المذهب الكاثوليكي هو الخط الوحيد السليم للعقيدة.

— عقيدة التثليث من الركائز الأساسية التي تقوم عليها المسيحية، ومما يلفت الانتباه بصفة خاصة أن المسيحيين لم يعرفوا عبارة التثليث قبل نهاية القرن الثاني، مما يؤكد أن الثالث الذي لم يرد إطلاقاً في الكتاب المقدس [قبل التحريف] عبارة عن رمز لعقيدة تم تركيبها على مرّ الأيام.

فالسينودس كما يعرفه بول بوبار: هو "مجمع راعوي"¹ الأساقفة، إذ يجتمع الممثلون الذين تنتخبهم الجمعيات الأسقفية والأعضاء الذين يعينهم البابا بصورة دورية وعادة كل ثلاث سنوات، وتأمين الاستمرارية بين هذه الجلسات بواسطة مجلس الأمانة العامة للسينودس"².

¹ - المجمع الراعوي: هي في الأصل رسائل رعائية موجهة إلى رعاية الكنائس، ومنها رعايا الملك: الخاضعون لأوامره ومنه رعية الأسقف ونحوه، وراعى الأمر: حفظه، انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م.س، ص ٢٦٨.

² - بول بوبار: الفاتيكان عاصمة الكتلثة في العالم، تعريب أنطوان الهاشم، بيروت، منشورات عويدات، المطبعة البوليسية، ط ١٩٩٦م، ص ١١٤.

وقد انعقد حتى الآن خمسة عشر مجمعاً، والمجمع من أجل لبنان كان السادس عشر، وقد وجه البابا يوحنا بولس الثاني الدعوة لانعقاد مجمع الأساقفة من أجل لبنان في الثاني عشر من شهر حزيران عام ألف وتسعمائة وإحدى وتسعين للميلاد. وشكل له لجنة تحضيرية صاغت وثيقة "الخطوط العريضة". ونوقشت طوال ثلاث أو أربع سنوات، وتم تعديلها بصدور "وثيقة العمل" التي كانت هي الأداة النظرية لمناقشات الجمعية، وحملت عنوان: المسيح رجاؤنا: بروحه نتجدد، ومعاً للمحبة نشهد. انعقد السينودس الخاص بلبنان في الفترة من السادس والعشرين من تشرين الثاني إلى الرابع عشر من كانون الأول لعام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين للميلاد. وقد صدر في ختام أعماله بيان سُمّي النداء الأخير. وبهذا أصبح مفهوم السينودس واضحاً، وينبغي أن يتناول البحث الحوار الإسلامي المسيحي؛ لإبراز أوجه وأسس التعايش والتقارب بينهما.

المطلب الثاني : تفعيل الحوار الإسلامي المسيحي.

الحوار هو جوهر الرسالات السماوية والفطرة الإنسانية، ويُعتَبَرُ طريق الرشد والرشاد في الدنيا والآخرة. وهناك من المفكرين المسيحيين الذين يرحبون بالحوار بغية الوصول إلى تحديد العلاقات بين العقل والإيمان، ومن الأمثلة على ذلك لويس غردية الذي يقول: "مرحباً بالحوار ليس بين علم الكلام وعلم اللاهوت وحسب، بل بين الأصول المتَلَقَاة بالوحي في المسيحية والإسلام، وبعد الاجتهاد في فهم العقائد وتنظيم بعضها مع بعض؛ لنصل جميعاً إلى تحديد علاقات العقل بالإيمان، وعلاقات الإيمان بمعلومه في قرائن جديدة وحدود واضحة، وأسس علمية وموضوعية في البحث المُقَارَن، تُملِيه رغبة ظاهرة صادقة في اللقاء والحوار"^١. ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم يشير إلى قانون المدافعة والحوار بين الشعوب والأمم، فيقول الله تعالى :

^١ - لويس غردية: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، تعريب صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٣، م٣، ص٤٤١.

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^١. ويفسر الإمام الزمخشري الآية فيقول: "ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكفهم فسادهم، لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمرها"^٢.

إن الحوار على هذا الأساس سَنَة إلهية كونية، فحوار التدافع والمدافعة والمجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة، من أجل الحرية والعدل والأمن والأيمان، فقد تمت خلال الأزمنة والأجيال التي التقى فيها الإسلام والمسيحية، وتفاعلا في مواجهة مشكلات الحياة تفاعلاً أكيداً، وتعاوناً في كثير من مناحي الحياة اليومية، ويتناول سعود المولى هذه المعاني والحوارات التي تجري بين المسلمين والمسيحيين في شيء من التوضيح فيقول: "... لقد اتخذ ذلك اللقاء أشكالاً عدة، من المنازلة والحرب إلى النقاش والمجادلة إلى التعايش والحوار بين الديانتين في مجتمع واحد، والتفاعل المستمر بينهما على صعيد الثقافة والحياة اليومية، وعلى مر العصور ترسخت قيم وممارسات، وصيغت أنظمة وقوانين ودساتير. وحكمة العلاقة هي: الحوار بين الطرفين بدءاً من صحيفة المدينة وانتهاء بنظام المَلِكِ العثماني، وعلى رغم تسليمنا بأن التاريخ حمل صفحات مشرقة ومجيدة من العلاقات الإسلامية المسيحية، فإن ذلك لا يعفي الكنيسة من المسؤولية. مسؤولية المواجهة الجريئة مع الذات والتاريخ، فكما كانت لدى الكنيسة شجاعة تبرئة اليهود من دم المسيح ... نطالبها بأن تكون لديها على الأقل شجاعة الاعتراف بأن حروب الفرنجة لم تكن حملات صليبية وبأن حروب الاستعمار والتجزئة والاحتلال، والقهر والإذلال، لم تكن حركات تبشير وتمدين. إن تلاقي الإسلام والمسيحية هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية، وإنقاذ الإنسان في عالم اليوم، وذلك من خلال الحوار والتعاون البناء، لاستنباط أشكال وصيغ جديدة في الإدارة والتنظيم السياسي والمجتمعي،

^١ - سورة البقرة الآية ٢٥١.

^٢ - محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م، س، ج، ١، ص ٢٩٦، بتصرف.

ووسائل جديدة في الثقافة والاقتصاد والإنتاج، تجعل الإنسان يحتفظ برقيه المادي، ويستعيد في الآن نفسه، ذاته، وإنسانيته الضائعة، إن المطلوب مشروع في عملية فتح روعي أخلاقي إيماني ... ويكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية الكبرى المشتركة ، منطلقاً للحوار نحو فتح روعي للحضارة وبعث جديد للإنسان. فالدين هو الأساس الصالح لبناء الحياة وإعمار الدنيا ... ومن هنا فإن الحوار يعمل على ترسيخ قيم الأديان ، وترك كل إنسان على دينه يعمل به وليعيش به ومن خلاله، وينبغي تصفية العقول والقلوب من الأحكام المسبقة والأفكار الخاطئة والسائدة بين ظهرائنا ... وهذا يعني أنه علينا أن نرسم توجهاً حوارياً هادفاً، يقوم على فكر هادئ، يدرس المشكلات والتصدي المشترك لما يصيب العلاقات^١. ومع أن صحبات الحوار للتعايش والتفاهم لا تزال مدوياً في الشرق والغرب، غير إن حملات التنصير، ما زالت تُدار على قدم وساق. ومما يدل على ذلك الألوان المتعددة التي تمارسها الكثير من الحملات التنصيرية الحديثة.

المطلب الثالث : بعض الحملات التنصيرية الحديثة: إن القارة الإفريقية
تواجه حملات تنصيرية كبيرة جداً، ويكمن نشاطها في أوساط حديثي العهد بالإسلام؛ نظراً للظروف الاقتصادية المتردية التي تعيشها معظم الدول الإفريقية، ويَجْمَلُ بالبحث أن يطرح هنا مقالاً صحافياً يبين النشاط التبشيري المسيحي، والذي يحمل في طياته نار العداوة والبغضاء للإسلام وأهله، فتقول صحيفة الاتحاد الإماراتية: "وفي الإطار ذاته أعدت إحدى المنظمات المسيحية العالمية، والتي تتخذ من العاصمة الكينية نيروبي، مركزاً لنشاطها مشروعاً يستهدف تنصير المسلمين في أفريقيا ، وتطلق هذه المنظمة على نفسها اسم "أفريقيا التحدي الدائم" وشعارها تقديم أكبر المساعدات لتنصير المسلمين في أفريقيا، ويضمن هذا المشروع الذي برز إلى حيز التنفيذ تيسير الإمكانيات المادية والمعنوية والثقافية للعاملين في مجال التنصير، خاصة الذين يدون رغبتهم

^١ - سعود المولى : الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة ، ص ١٧٨-١٧٩.

واستعدادهم لمواجهة المسلمين، والدخول معهم في المناقشة والحوار الخاص بمقارنة الأديان. وقد وردت تفاصيل هذا المشروع في منشور حصل عليه مراسل وكالة الأنباء الإسلامية، ثم وزعته هذه المنظمة على عدد كبير من أتباع الكنائس المختلفة والطلبة المسيحيين في المعاهد العليا ممن ترسم فيهم التمس والإخلاص لهذا المشروع التنصيري. وتتضمن خطة عمل هذه المنظمة على تخصيص وإعداد مجموعة من المثقفين والجامعيين؛ لدراسة اللغة العربية ولتتمكنوا من تدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس الحكومية بالطريقة التي تخدم أهداف التنصير في القارة الإفريقية، وقد رصدت هذه المنظمة التنصيرية إمكانات مادية؛ لتدريب رؤساء الكنائس والمدرسين والمنصرين عموماً على تنفيذ هذه الخطة بدقة^١.

وقد جاء في المنشور السابق أيضاً أن عدد المسلمين في أفريقيا يتجاوز مائة مليون مسلم، وبالرغم من أن هؤلاء المسلمين يعيشون بجوار عدد كبير من أتباع النصرانية إلا أنهم لأسباب مختلفة، يجهلون المسيحية ويشعرون بالنفور والإعراض عنها.

والسبب الرئيس كما ورد في هذا المنشور: "هو أننا لم نعرف حتى الآن كيفية الاتصال هؤلاء المسلمين، والتأثير عليهم واستمالتهم إلى المسيحية. وفي تحليلها لقوة تصدي المسلمين في القارة الإفريقية للغزو التنصيري ذكرت هذه المنظمة في منشورها إن زيادة حدة مقاومة المسلمين للمسيحية حتى في المناطق الريفية التي تعتبر هدفاً سهلاً لعمليات التنصير، تستدعي منا عملاً ذا أسلوب جديد متطور للتنصير الفردي والجماعي في أوساط المسلمين، ومن بين المساعدات الرئيسة التي تتعهد هذه المنظمة وتلتزم بتقديمها للعاملين في مجال التنصير، هي الكتب الدينية بمختلف اللغات السائدة في إفريقيا: الإنجليزية، السواحلية، العربية، الهوسا، والأشرطة الدينية المختلفة، وإعداد الدورات التدريبية والمخيمات؛ لتزويد المنصرين بالمهارات والكفاءات العالية ولتحقيق

^١ - مقال صحفي صادر عن صحيفة الاتحاد الإماراتية العدد ١١٩٩ يوم الجمعة ٤ ذو القعدة / ١٤١٩ هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٩٩ م .

أهداف التنصير، وتقديم الإمكانات المادية اللازمة للإسراع في تحقيق هذه الأهداف".^١

المطلب الرابع : تصور المبشرين.

وطريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية والعمل على إنذار المسلمين إلى النصرانية مباشرة. وإنما كانت طريقة تشويه الإسلام ومحاولة إضعاف قيمه، ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة فردية بعيداً عن المستوى الحضاري، في عصرنا الحاضر. ويبين محمد البهي النظرة البغيضة لبعض المبشرين الصليبيين الغربيين، قائلاً إن: فالمونيسيور كولي في كتابه البحث عن الدين الحق يصور الإسلام في القرن السابع الميلادي على النحو التالي: "برز في الشرق عدوٌ جديدٌ ذلك هو الإسلام الذي أُسسَ على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ... ولكن انظر! هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عام ٧٥٢ م، ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً من عام ١٠٩٩ إلى عام ١٢٥٤ م في سبيل الدين ... وهكذا تفهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى مافية من قوانين الأخلاق الساذجة".^٢ ويدون كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ملاحظاته على المبشر جون تكلي الذي يقول عن المسلمين: "يجب أن نستخدم كتابهم [أي القرآن الكريم] وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، ويجب أن يرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد ليس صحيحاً"^٣. وأما كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، فينقل عن المبشر الأمريكي هنري جيسب والذي بدوره يصف المسلمين بقوله: "

^١ - احمد محمد شنتور : حملات تنصيرية مكثفة ضد المسلمين في أفريقيا "مقال صحفي" صادر عن صحيفة الاتحاد الإماراتية العدد ١١٩٩ يوم الجمعة ٤ ذو القعدة ١٤١٩هـ - ١٩/ فبراير ١٩٩٩م.

^٢ - محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ط ٩، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

^٣ - مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، م.س ، ص ٤٠ .

المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ... إنهم لصوص وقتله ومتأخرون، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم، فأما المبشر أديسون فيصور الإسلام والرسول (ﷺ) فيقول: محمد لم يستطع فهم النصرانية ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة، بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب وهكذا الإسلام دين السيف وليس دين الإيمان، وهو دين مادي وليس ديناً روحياً؛ لأنه يسمح لأتباعه بالفجور والسلب والقتل !!! هذا ما يصور به التبشير الإسلام والمؤمنين به والتابعين لرسوله (ﷺ)، ولم يفت على المبشرين العمل في إضعاف وتوهين وحدة المسلمين، وذلك بإثارة النزعات العشوية، مثل الفرعونية في مصر، والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال إفريقيا وهكذا " وليس غريباً أن يكون ذلك الموقف العقدي السليبي من اليهود والمسيحيين، وكما ورد في كتبهم التي تناوها هذا البحث بشكل عام إلا المنصف منهم، لا سيما مظاهر التعنت والشطط والوثنية والتلثيث، والتي تم التنويه بها وإبرازها في مواطن الاستشهاد السابقة من خلال آيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وروي أن اليهود والنصارى قالوا: "يا محمد مهما فعلت لإرضائنا فلن نرضى حتى تتبع ملتنا، قالوا هذا ليبأس النبي من هدايتهم، فردَّ الله عليهم: إنَّ هدى الله ودينه الذي هو الإسلام هو الهدى وحده الواجب أتباعه، أما غيره فمبني على الهوى والشهوة، ولذلك حذر الله نبيه وكل فرد من أمته".^١ فيقول الله تعالى: ﴿وَكُنْ كَرُمَضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ بِلَهْمُ قُلٍ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيعَتَ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَكَاصِرٍ﴾^٢. ومن الجدير بالذكر ما تناوله الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن، من تصوير واقعي يمس صميم العقيدة، وذلك من ثنايا واقع حال اليهود والنصارى ومواقفهم الحسيّة من النّبي محمد (ﷺ)، ومن دينه خاصة والمسلمين عامة، فيقول في تفسير هذه الآية الكريمة: "يخاطب الله تعالى رسوله محمداً (ﷺ)، مبيناً طويّةً وثيئةً اليهود والنصارى

١ - محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث، م.س، ص ٤٢٦.

٢ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ١، ص ٦٧.

٣ - سورة البقرة الآية ١٢٠.

ومفصلاً ومستخدماً أسلوب النفي لما يستقبل من الزمان، بأنه سيظل اليهود والنصارى يحاربونك ويكيدون لك ولا يسالمونك ولا يرضون عنك، إلا أن تحيد عن هذا الأمر [وهو الإسلام] وإلا أن تترك هذا الحق...، إنها هي العقيدة. هذه هي حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت، ضد الجماعة المسلمة، إنها معركة العقيدة. فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرضونه، وما سواه فمرفوض ومردود، ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق على سبيل القصر والحصر [ينبغي أن يكون واضحاً في الأذهان؛ لأنه توجيه إلهي لا لبس فيه ولا غموض] وهو جليٌّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ليس بهدى، ﴿وَكَلَّا أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ بهذا التهديد المفرع وبهذا القطع الحازم... ولمن؟ لنبي الله ورسوله وحبيبه الكريم... إن أنت ملت عن الهدى، هدى الله الذي لا هدى سواه... فليس لك من دون الله وليٌّ ولا نصيرٌ ينصرك. وأما سبب انصراف اليهود والنصارى عن الهدى هي الأهواء التي تجعلهم يقفون منك هذا الموقف، وليس نقص الحجة وضعف الدليل^١. والهدي النبوي الشريف يلفت أنظار أهل الإسلام إلى عدم تصديق أهل الكتاب ولا تكذيبهم، إنما ينبغي تذكيرهم بوحداية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وإن هذا ما دعت إليه جميع الرسالات الإلهية الثابتة، حيث أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أكان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام؟ فقال رسول الله (ﷺ): (لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)^٢. ويفصلُ عبد العزيز آل الشيخ مسألة عدم تصديق وتكذيب أهل الكتاب تفصيلاً علمياً جديراً بالاهتمام، فتجده يقول في كتابه منحة القريب المحيِّب في الردِّ على عبّاد

^١ - سيد قطب في ظلال القرآن، مج ١، م ٥٠، ص ١٠٧ - ١٠٨.

^٢ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، م.س، مج ٧، باب قول النبي (ﷺ) "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، ص ١٦٠.

الصليب: "والمقصود من هذا كله أن كتب اليهود والنصارى وما عندهم من العلم قد اختلط منه الحق بالباطل والصدق بالكذب، فلا نقبل منه إلا ما وافق الحق الذي بأيدينا عَمَّنْ شهدت بصدقه المعجزات والأدلة القاطعات، فما وافقه فهو الحق وما خالفه فهو الباطل، وما أخبروا به مما لم يُشهد له بصدق ولا كذب فهذا لا يُقدَّم على تكذيبه لأنه قد يكون مُحَقَّقاً ولا على تصديقه فاعله أن يكون باطلاً، ولكن يُؤمَّنُ به إيماناً مُحَمَّلاً مُعَلَّقاً على شرطٍ وهو أن يكون مُنَزَّلاً لا مُبَدَّلاً".^١

المطلب الخامس : توجيه التبشير والمبشرين: إن الإسلام منذ الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية في آسيا وأفريقيا، من منتصف القرن التاسع عشر حتى اللحظة القائمة، يواجه صليبية هذا الاستعمار جنباً إلى جنب، مع مواجهة سلطانه السياسي والاقتصادي. ويوسّع القول في ذلك، كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي فيقول: "وهذه الصليبية ليست المسيحية السمحة وإنما هي روح الانتقام، تلك الروح التي بعثت فيما مضى على الحروب الدامية في القرون الميلادية الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر محاولة الاستيلاء على بيت المقدس، ثم اتجه المبشرون محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، حتى يشبوا مُسْتَعْرَبِينَ في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تُخَفَّ في نفوسهم موازين القيم الإسلامية".^٢ فتكون الكنيسة بما اصطنعته من رجال الدين ومن سلطة روحية لها، قد عزلت الدِّينَ عن المجتمع. ولكن الله تعالى يُحدِّد الدِّينَ الذي يرتضيه من العباد، وهو الإسلام الذي يعني: الانقياد لله تعالى والاستسلام له بالطاعة، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيَا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ

^١ - عبد العزيز احمد ناصر آل معمر :منحة القريب المحيى في الرد على عباد الصليب، دارتقيف للنشر والتأليف، الطائف، ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٧٤ - ٧٥ .

^٢ - محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث ، م ٢٠٠٠ ، ص ٣٩٩ .

سَرِيحُ الْحِسَابِ^١. ويوضِّح الإمام الطبري المنهج القويم الذي ينبغي أن يدين الناس به، ألا وهو الإسلام، فيقول في تفسيره: "قال قتادة: الإسلام [هو] شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله، ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به، وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال، التي كثر بها اختلافهم حتى استحلت بها بعضهم دماء بعض إلا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مُبْطَلُونَ، وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعدياً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والمُلْك والسلطان. ومن يجحد حجج الله وأعلامه التي نصبها ذكرى لمن عَقَلَ وأدلة لمن اعتبر وتذكر، فإنَّ الله مُحْصِي عليه أعماله التي كان يعملها في الدنيا فمُجَازِيه بها في الآخرة، فإنه جلَّ ثَنَاؤُهُ سريع الإحصاء والحساب"^٢.

^١ - سورة آل عمران، الآية ١٩ .

^٢ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س ، مج ٣، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الفصل الخامس

المشترك من العقائد بين اليهود والنصارى

وفيه مبحث واحد :

المبحث الأول: الإيمان والتوحيد عند أهل الكتاب " اليهود والنصارى "

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: الألوهية وفيه فرعان.

الفرع الأول: الإيمان بالله عند اليهود " اليهود والألوهية عموماً ".

الفرع الثاني: الإيمان بالله عند النصارى وعناصره:

١ — التثليث.

٢ — تجسّد الابن.

٣ — الإله الآب والابن.

الفصل الخامس المشترك من العقائد بين اليهود والنصارى

المبحث الأول: الإيمان والتوحيد عند أهل الكتاب "اليهود والنصارى"

المطلب الأول: الألوهية وفيه فرعان.

فطراز الله تعالى الخلق لعبادته وطاعته والإخلاص له، فتوحيد الألوهية والإقرار بالرُّبُوبِيَّة هما الغاية المقصودة للعباد؛ لأنَّ عقيدة التوحيد البعيدة عن الأوهام والتحريف والخرافات هي رسالة الرسل جميعاً ودعوة الكتب السماوية قاطبة، فالأديان السماوية في الأصل كلها دينٌ واحدٌ هو الإسلام، متفقة في القواعد والأصول الإيمانية، من توحيد الله ونفي الشريك له، وتزيهه سبحانه عن النقائص المتضمنة لنفي الصاحبة والولد.

وبذلك يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُ اللَّهِ يَجْتَنِي إِلَهُهُم مِّنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّهِمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقُضِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤٠﴾.

ويذكر الإمام الزمخشري أنَّ الرسائل السماوية تلتقي في أصل الدين، وأنها تخرج من مشكاة واحدة، وتدعو إلى التوحيد الذي لا لبس فيه ولا غموض، فيقول: "[إنَّ الله تعالى شرع وسنَّ وأوضح، ما أوصى به نوحاً والأنبياء أولي العزم وأصحاب الشرائع القديمة] أن يقيموا دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلماً، ولم يردَّ الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب

١ - سورة الشورى، الآيتان ١٣-١٤.

أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة، [ولقد] عظم وشقَّ على المشركين إقامة دين الله والتوحيد^١.

ويلفت محمد محمود حجازي النظر إلى الذين ينتفعون برسالات الأنبياء، فيقول: "وأنت يا محمد ثق بأنَّ الله يجتبي إليه وإلى دينه من يشاء من خلقه الذين يعلم فيهم الصلاحية والخضوع للحقِّ وقبوله، ويهدي إليه من يميل إليه وينيب ويُقبل على طاعته ويثوبُ إلى رُشدِه"^٢.

قال محمد علي الصابوني: "خصَّ [الله تعالى هؤلاء الأنبياء بالذكر]؛ لأنهم أكابر الأنبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع المعظمة، فتبين أنَّ شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة، في أصول المعتقدات وأصول الأحكام"^٣. وما تفرق أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم، إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج والبراهين من الأنبياء المرسلين لهم، ويؤكد ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء "أولادُ علات"^٤ وليس بيني وبينه نبيٌّ).^٥ ويعني الحديث الشريف بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله. وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي؛ ليعلم من يطيع ممن يعصي، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَخُذْهُ بِثَبَاتٍ لِّلَّهِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْهَوَاةِ هَذِهِ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنَاجَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

^١ - محمود عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م، س، ج ٤، ص ٢١٥.

^٢ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م، س، مج ٣، ص ١٦١.

^٣ - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القلم، بيروت، ط ١٤٠٦، هـ ١٩٨٦ م ص ١٣٥.

^٤ - أولاد علات : أبناء أمهات شقن من رجل واحد.

^٥ - رواه الإمام البخاري في باب رقم " ٤٢ " من كتاب أحاديث الأنبياء تحت رقم الحديث " ٣١٨٦ " ، ورواه الإمام مسلم في باب رقم " ٤٤ " من كتاب الفضائل، ورقم الحديث " ٤٣٦٠ " ، كما رواه أبو داود في كتاب السنة برقم الحديث " ٤٠٥٥ " ، ورواه الإمام أحمد في مسنده تحت أرقام الحديث " ٧٩٠٠ ، ٩٥٩٥ ، ٩٥٩٦ ، ٩٨٦٨ " في كتاب باقي مسند المكثرين.

وَكُنْ تَلِيكُكُمْ فِي مَا أَنَاكُمْ فَاسْتَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾

ويبين عبد العزيز آل معمر في شرحه للآية الكريمة، أن النصارى قد ابتدعوا ضلالاً في تعاليم دينهم، وغالوا في عقيدة عيسى عليه السلام إلى درجة الشرك بالله، فيقول: "المقصود أن شريعة محمد (ﷺ)، موافقة لدين المسيح في التوحيد وأصول الديانات، لكنها مخالفة لما ابتدعه ضلال النصارى واخترعوه من قبل أنفسهم وبدّلوا به دين المسيح من الغلو في المخلوق حتى أنزلوه منزلة الخالق، وادّعوا أنه الله وأنه ابن الله. تعالى الله وتقدّس وتنزّه عن قولهم علواً كبيراً" ٢.

وكذلك ما حدث من تحريف وتبديل وتزوير للتوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام. فقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى اليهود كما أرسل غيره من الأنبياء، بدعوة التوحيد وعبادة الإله الواحد ونبذ ما دونه من الشركاء، فيصوّر القرآن بدء الوحي إلى موسى برسالته إذ ناداه ربّه بالوادي المقدّس، ويدعوه إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، فيقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي بِأَمْرٍ يُوسَىٰ بِأَنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ عَنْكَ إِلَهَكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا أَخَشَرُ نَكِّ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى، فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ ٣.

ويسرد الكتاب المقدّس في بعض الإصحاحات تجلّيات الرّبّ لموسى في جبل سيناء، وبعضها على مرأى ومسمع من بني إسرائيل، وما ألقي إليه الرّبّ من وصايا وتشريعات دينيّة وتعبديّة وخلقيّة ومدنيّة وأسرّيّة ومن جملتها التوحيد المطلق وعبادة الله وحده، ويشير عبد الراضي محمد في كتابه التطرف اليهودي، بأن الله تعالى حذّر موسى عليه السلام من عبادة الأوثان وأعطاه بعض الوصايا الهامّة، فيقول: "والحذر الباتّ لعبادة أي شيء غير [الله] بأي

١ - سورة المائدة، الآية ٤٨ .

٢ - عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر آل معمر :منحة القريب المحيّب في الرد على عباد الصليب ، ص ٤٨ .

٣ - سورة طه ، الآيات ١١-١٦ .

شكل، وعدم السجود لأي صورة مُصَوَّرة أو منحوتة، وعدم الحلف بالله باطلاً، وتحريم العمل في السبت، وتكريم الوالدين، والنهي عن السرقة والقتل والزنا وشهادة الزور^١.

ومن الأدلة على التوحيد في دعوة موسى عليه السلام ما جاء في سفر الخروج، إذ يقول: "ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعِبَادَةِ. لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثِلاً مَنَحُوتاً وَلَا صُورَةً... لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ. لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ... لَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ قَرِينِكَ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا شَيْئاً مِمَّا لِقَرِينِكَ"^٢.

ويستطيع المرء أن يجزم من خلال نص هذه الوصايا، إلى أن عقيدة التوحيد التي حملها موسى عليه السلام إلى اليهود عقيدة خالصة مُبرَّأة من أيِّ وهم بالخضوع لكائنات أُخرى، سواء في مجال الاعتقاد أو العبادة، فهو توحيد واضح في الربوبية والألوهية.

وأما بالنسبة للمسيحية في موضوع نظرهم الشركية للإله فإنك تجد جون هيك يصرِّح قائلاً: "في يسوع المسيح أرى بعضاً من الله، ويُعلِّق "فرنسيس يونغ" على ذلك المفهوم، فيقول: اعتراف من هذا النوع هو من قلب الإيمان المسيحي، إنه يُلَخِّصُ الفكرَ المُشْتَرَكَ لِلْمُخْلِصِينَ ومع ذلك فالحقيقة أن المسيحيين المؤمنين عانوا وفهموا هذا الاعتراف بطُرُقٍ عدَّة.

فالادِّعاءات الخاصَّة أنَّ هناك طريقة واحدة لفهم الخلاص عن طريق المسيح، لم تكن جزءاً من القوانين الكنسية المقدسة، لا في الاعتقاد ولا في التعريف مع أنَّها غالباً ما سبَّبت تعصباً بين المسيحيين، وبالمقابل تعذَّرَ الادِّعاءُ الخاصُّ بأنَّ الطريقةَ الوحيدة لفهم طبيعة يسوع هي بمعنى التَّجَسُّدِ الإلهي الفريد. وهذا ما جعل الشَّهادةَ الحيَّةَ والإيمانَ الحيَّ يبدوان كحقيقة علمية غير

^١ - عبد الراضي محمد: التطرف اليهودي، تاريخه، أسبابه علاماته، م.س، ص ١٥.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١١٩-١٢٠، سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦

مُحْتَمَلَةٌ، وشجّع ظهور مواقف متعصّبة^١. وعموماً فإن موضوع الألوهية عند اليهود والنصارى قد أفرد إليه البحث فرعين هما:

الفرع الأول : الإيمان بالله عند اليهود " اليهود والألوهية عموماً".

يحكي الكتاب المقدس العهد القديم أن موسى عليه السلام، لما عاد من مناجاته لربه قصّ على اليهود جميع كلام الربّ، وجميع الأحكام التي أمروا بتنفيذها والسير على هداها، فأجابوه بصوت واحد: "وَقَالُوا كُلُّ الْأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفَعَلُ. فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَنَى مَذْبَحاً وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثَّيْرَانِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ. فَقَالُوا كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفَعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ، وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ هُوَ ذَا دَمِ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ"^٢.

اعتقد اليهود إذاً بوجود الله ووحدانيته، وأنه خلق السموات والأرض وهو إله العالمين، إلا أن هذه العقيدة التي نادى بها جميع أنبياء بني اسرائيل، لم يستطع اليهود أن يحتفظوا بها ويستقروا عليها طيلة حياتهم، بل كان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد، وتقرر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم السامري، وكيف خلّع بنو اسرائيل ملابسهم وأخذوا يرقصون غراً أمام هذا الرب، واقتتلوا فيم بينهم حتى مات منهم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن، "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اذْهَبْ اَنْزِلْ. لِأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ... صَنَعُوا لَهُمْ عَجْلاً مَسْبُوكاً وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ... فَاَنْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ... وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعَجَلَ وَالرَّقْصَ... وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ"^٣. كما عبد اليهود تمثال يهوه، وتمثال بعل إله الكنعانيين، وقد أشار القرآن الكريم إلى سيطرة

^١ - جون هيك: أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، تعريب نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٤١-٤٢.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص١٢٥، سفر الخروج، الإصحاح ٢٤: ٣، ٤، ٥، ٧، ٨.

^٣ - المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١، سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ٢٨، ١٩، ١٥، ٨، ٧.

عبادة الأوثان على نفوس اليهود، وتحكمها في عقولهم وميولهم، فيقول الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَمْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْبِبُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ^١ . ويستمد الإمام ابن كثير في تفسيره معاني هامة، فيقول:

"يخبر الله تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه، فلما مروا على قوم يعبدون الأصنام على صور البقر" ^٢ . طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة، وهذا الطلب منهم دليل على أن تقديس الأصنام وعبادة غير الله كانت متأصلة في نفوسهم وفيهم حينئذ لها. ويشير محمد محمود حجازي: إلى عمق عقيدة الشرك عند اليهود، فيقول: "أنعم الله على بني إسرائيل نعماً لا تُحصى، حيث نجّاهم من فرعون وملئه، وأهلك عدوهم وأورثهم ديارهم وأموالهم وجاز بهم البحر آمين، وأغرق فرعون وقومه ومع هذا لم يُقابلوا النعم بما يجب من الشكر والطاعة بل قابلوها بالكفر والعصيان وهكذا كان اليهود قديماً وحديثاً. ولقد ردّ موسى على من طلب منه هذا الطلب بقوله إنكم قوم تجهلون ما يجب لله سبحانه وتعالى من صفات التقديس والكمال، وتجهلون حقيقة التوحيد الخاصّ له سبحانه وانه ليس بحاجة إلى شفيع أو واسطة، بل هو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وتجهلون حقيقة الرسالة بطلبكم مني هذا الطلب" ^٣ .

إذاً لم تكن الألوهية عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل، طالما كانت الأساليب المادية والتطلع إلى النفعيّة أكثر ما يشغلهم، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين إلهاً لهم، وهذا دليل على رمز المادة التي تحكمّت في الفكر اليهودي على مرّ التاريخ. "ومن يقرأ رواية طوبى للخائفين، للكاتبة اليهودية يائيل ديان، ابنة القائد الصهيوني العسكري موسى ديان، يجد أحد أبطالها إيفري

^١ - سورة الاعراف، الآية ١٣٨ - ١٤١ .

^٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، س، ج ٢، ص ٢٣٣ .

^٣ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م، س، مج ١، ص ١٩ .

ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحوّل اهتمامه إلى إله جديد، إلى تراب فلسطين، ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية : عندما عاد الصبي من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه في وجهه، قائلاً: أنت الآن إسرائيلي، وليس مجرد يهودي، إني تركت في روسيا كل شيء، ملابسي ومتاعي وأقاربي وإلهي، وعثرت هنا لي على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ألا تحس بذلك، وأخذ إيفري حفنةً من تراب الأرض وسكبها في كفّ ابنه وقال له : امسك هذا التراب، اقبض عليه تحسّسه تذوّقه هذا هو ربّك الوحيد" ^١.

وهناك تصورات دينيّة وعقائدية لدى اليهود، تمسّ الذات الإلهية بما لا يليق ومن أمثلة ذلك ما يوضّحه صابر طعيمه في كتابه التاريخ اليهودي العام، فيقول: "يرى اليهود انه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ... كما يرون أنّ الله يلهو — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً — مع الحوت ... كما أنّ الله عندهم يندم على ترك اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيُسمَعُ دَوِيَّهُمَا من بدء العالم إلى أقصاه. والله عند اليهود بحسب ما جاء في التلمود ليس معصوماً من الطيش، إلا أنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش، ويرون أنّ الله كما انه مصدر الخير فهو مصدر الشر، وأنه قد أعطى الإنسان طبيعةً رديئةً وسنّ له شريعةً لولاها لما كان يخطئ، وأجبر اليهود على قبولها، وهكذا شوّة اليهود قضية الإيمان بالله، فالله عندهم ليس رب العالمين، بل يهوه رب إسرائيل فقط" ^٢.

واليهود يصفون الله بأنّه رجل اجتماعي يتزوج وينجب، ومن ثمّ فإنّ له أبناء وأحفاد، وفي هذا يقول سفر التكوين: "وَحَدَّثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا... وَكَذَلِكَ لَهُمْ

^١ - أحمد شلي: مقارنة الأديان " اليهودية"، م.س، ص ١٩٢-١٩٣ .

^٢ - صابر طعيمه: التاريخ اليهودي العام، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م .

أَوْلَادًا. هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَايِرَةُ... فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ،
وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ^١.

هكذا يصور اليهود الربّ بأنه يندم وليس معصوماً من الخطأ، لذا فإن عبد الرزاق محمد أسود يصف أفكار اليهود عن الله تعالى، فيقول: "وما من شك أن فكرة اليهود عن الله سبحانه وتعالى، لم تتخذ شكلها الواضح المتكامل إلا على يد النبي موسى عليه السلام الذي أخرجهم من مصر، وانزل الله تعالى عليه شريعة الأحكام الأولية والمدنية والجنائية؛ ليسلمها إلى اليهود"^٢. ولكنّ اليهود حرّفوا تعاليم دينهم ووصفوا الله تعالى بما لا يليق بجلاله، وكما جاء في الكتاب المقدس: "فخاصم اليهود بعضهم بعضاً وقالوا: كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لناكله؟ فقال لهم يسوع: مَنْ أَكَلَ جَسَدِي وشربَ دمي، فله الحياة الأبدية وأنا أقيمُهُ في اليوم الأخير، وكما أن الآب الحيّ أرسلني وأناي أحيي بالآب، فكذلك الذي يأكلني سيحيي بي"^٣.

الفرع الثاني : الإيمان بالله عند النصارى وعناصره.

تنحصر عقيدة النصرانية أو المسيحية عند أتباعها في العناصر التالية والتي بدونها لا يكون الشخص المسيحيّ مسيحياً. وهذه العناصر هي:
أولاً : التثليث، ألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس .
ثانياً : تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر؛ ليُصَلَّبَ تكفيراً للخطيئة التي ارتكبتها آدم أبو البشر .

ثالثاً : الإله الآب والابن: فالمسيحيون يعتقدون أن الإله الآب ، ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم، فالإله الابن حين ظهر بمظهر الإنسان، كان أقرب لفهم الإنسان . ويقرر الكاتب المسيحي الفريد أي أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر التالية:

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م، ص ١٠، سفر التكوين، الإصحاح ٦: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

^٢ - عبد الرزاق محمد أسود : المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، مج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، ص ٣٨٧، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦: ٥٢، ٥٧، ٥٤.

١: قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢: الله هو أبو البشر وهو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً

٣: الكمال التام لله والحب الشامل .

ويسرد جون هيك في كتابه تجسّد الإله في السيد المسيح وصفاً للإيمان المسيحي، فيقول: "توصّف المسيحية غالباً بأنها إيمان تجسّدي، ويمكن فهم الجملة هذه بمعنى ضيق أو فضفاض، فالمعنى الفضفاض يُشخصُ المسيحية كدين يتصل الإنسان فيه بالله عن طريق العالم المادي بدل الهروب منه. أما المعنى الضيق: فيشكّل تشخيصاً للمسيحية كإيمان مرتكز على مُعتقد يؤكّد تجسّد الله في الفرد المُعيّن " يسوع النَّاصري... وهناك أساس متين في نظره للدعوة إلى ترك الادّعاء بالتّجسّد وألوهية المسيح".^١

ولما فسدت حياة بني إسرائيل، أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام إليهم؛ ليهديهم إلى صراط الله المستقيم ، فعقيدة النصارى الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وحملوا دعوته هي: الإيمان بالله الواحد القهار، ثم مرور الزمن تناول أتباعه الإنجيل بالتحريف والزيادة، حتى أصبح أربعة أناجيل يناقض بعضها البعض الآخر . وصارت الكنيسة هي المهيمنة المتسلطة، ويشير إلى ذلك راشد عبد الله الفرحان، فيقول : " إن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً، وقُتل بيد اليهود ودفن ثم خرج من قبره، وصعد إلى السماء، ويعتقدون أن المسيح له شخصيتان: اللاهوت والناسوت: أي إلهية وإنسانية. ولكن شاول اليهودي الذي سمي فيما بعد بولس، استعار من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض، عن طريق الكلمة وابن الإله أو الروح القدس"^٢ . ويقول أتباع المسيح من بعده أن عيسى عليه السلام، خرج من القبر — حسب زعمهم — واجتمع مع تلاميذه وأوصاهم ببعض الوصايا، كما ورد في إنجيل متى: "وَفِي الْغَدِ بَعْدَ الاسْتَعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ إِلَى بِيلاطُسَ قَائِلِينَ. يَا سَيِّدُ قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ إِنِّي بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. وَأَمَّا الْآحَدَ عَشَرَ تَلْمِيزاً... فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً. دَفِّعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي

١ - جون هيك: أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، م، س، ص ٢٧.

٢ - راشد عبد الله الفرحان : الأديان المعاصرة ، م، س، ص ١٢-١٣ .

السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ. فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُمْ بِهِ"^١. وبعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ أمضاها يسوع في القبرِ — كما يزعم أتباعه — بعدَ صلبه، قامَ في الفصحِ ومكثَ أربعينَ يوماً مع تلاميذهِ خاصةً، ثم ارتفعَ للسَّمَاءِ أمامَهُمْ، بعدَ أن أوصاهم بالجدِّ في نشرِ دعوته، باسمِ الأبِ والابنِ والروحِ القدسِ وهي التي تسمى الأقانيمِ الثلاث، ولكن الإيمان بهذا الثالث خلقَ لهم مشكلةً، تلك هي محاولة التوفيق بين الوجدانية التي هي سمة الأديان السماوية، والتي قالت بها التوراة بصراحة، وبين القول بعبادة الثالث. وحاولوا التوفيق بين الوجدانية والتثليث، ولكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به وصرحوا بعدم اقتناعهم أحياناً، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس، أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب والله الابن والله الروح القدس. أما موقف المسلمين من عيسى عليه السلام فهو موقف تكريم واعتدال. فلا يرضون له الدنيَّة، كما رماه اليهود بها ولا يعتقدون بأنه إنسان مقرب من الله تعالى، جاء ليخلص البشر من الخطايا وليهديهم إلى طريق الله المستقيم، ولا يرضى لنفسه الصلب والتعذيب والإهانة وإزهاق الروح، ولا يقولون في عيسى إلا ما قاله الله تعالى ورسوله محمد (ﷺ) فيه فيقول الله تعالى: ﴿إِنْ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^٢. أي أن عيسى عليه السلام بشر مرسل من الله تعالى كسائر الأنبياء والرسل. والإيمان والتصديق به وبرسالته واحترامه واجب على الجميع. ويقول الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَى يَوْمِكَوْنٍ﴾^٣. وقد بين الإمام القرطبي في تفسيره حقيقة سيدنا عيسى عليه السلام، وأنه على ضوء الآية الكريمة بشر ورسول كسائر الرسل، فيقول: "ما المسيح إلا بشر وإن ظهرت على يديه

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥٤ — ٥٥، إنجيل متى، الإصحاح ٢٧: ٦٢ —

٦٣، والإصحاح ٢٨: ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ٥٩.

^٣ - سورة المائدة الآية ٧٥.

الآيات فإتّما جاء بها كما جاءت بها الرسل؛ فإن كان إلهاً فليكن كل رسول إلهاً، فهذا ردُّ لقولهم واحتجاج عليهم، ثم بالغ في الحجة فقال: ﴿وَأَمُّهُ صِدْقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَانِ الطَّعَامِ﴾. أي أنّه مولود مربوب، ومن ولدته النساء وكان يأكل الطعام مخلوقٌ مُحَدَّثٌ كسائر المخلوقين، ولم يدفع هذا [الأمر واحد من أتباع عيسى عليه السلام]. والسؤال المطروح هو متى يصلح المربوب لأن يكون ربّاً؟ وقولهم: كان يأكل بناسوته لا بلاهوته فهذا منهم مُصَيِّرٌ إلى الاختلاط، ولا يُتَصَوَّرُ اختلاط إله بغير إله، ولو جاز اختلاط القدم بالحدث لجاز أن يصير القدم محدثاً، ولو صَحَّ هذا في حقِّ عيسى لصَحَّ في حقِّ غيره حتى يقال: اللاهوتُ مخالطٌ لكلِّ مُحَدَّث. وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿كَأَنَّا بِكُلَانِ الطَّعَامِ﴾. إنه كناية عن الغائط والبول وفي هذا دليل على أنّهما بشران، وإتّما قيل لأُمِّ عيسى صِدِّيقَةٌ وذلك لكثرة تصديقها بآيات ربّها وتصديقها ولدها فيما أخبرها به^١. وحقيقة الأمر أنّ اليهودية والمسيحية في واقعهما المعاصر ليستا بدين سماويّ، نظراً لما لحق بهما من تحريف وتبديل، وبعد عن التوحيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ بَشَرِكُمْ إِنَّ اللَّهَ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢. وأما نبيل الفضل في كتابه: هل بشرَّ المسيح بمحمد؟ فيقول: "دين المسيح ليس المسيحية ولكنه دين التوحيد، وفي الواقع أنّ اليهودية ليست ديناً بحدّ ذاتها، وإتّما هي أمست تسمية مجازية كما حدث للمسيحية [سواء بسواء]، فدين اليهود هو دين موسى عليه السلام، وموسى لم يقل في يوم من الأيام إنّهُ يهودي الديانة؛ لأنّ اليهودية هي نَسَبٌ عِرْقِيٌّ يَمْتُّ بأصله إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وهنا بداية الأخطاء في الديانتين، فالمسمّيات خطأ. والمؤسف أنّ من أطلق هذه التسميات الخاطئة لم يكونوا أصحاب الديانات نفسها، بل أعداؤهم ومن هم على غير دينهم، ولقد تقبّلها

١ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، مج ٣، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢ - سورة المائدة، الآيتان ٧٢ - ٧٣.

اليهود واتباع المسيح من يهود، وتبثوها كمسميات رسمية لدياناتهم، هذه كانت البداية في استخدام الخطأ في المسميات ولم تكن النهاية^١. إن الكتاب المقدس — عند اليهود والنصارى — بعهديه القديم والجديد، يقول: إن الله واحد لا سواه، ويُقرُّ السيد المسيح بهذا حيث بين أنه جاء ليكمل الناموس، عندما سأله أتباعه من تلاميذه عن أول الوصايا العشر: "وَدَنَا إِلَيْهِ أَحَدُ الْكِتَابَةِ وَكَانَ قَدْ سَمِعَهُمْ يُجَادِلُونَهُ، فَسَأَلَهُ: مَا الْوَصِيَّةُ الْأُولَى فِي الْوَصَايَا كُلِّهَا؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا هُوَ الرَّبُّ الْأَحَدُ. فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ ذَهْنِكَ وَكُلِّ قُوَّتِكَ"^٢. ويستخدم المسيح والكتاب المقدس كلمة أب أو ابن من باب المجاز، لا من باب الحقيقة الجسدية والدليل على ذلك ما ورد في كلام يسوع نفسه الآتي: "وَلَا تَدْعُوا أَحَدًا أَبًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ لَكُمْ أَبًا وَاحِدًا هُوَ الْآبُ السَّمَاوِيُّ"^٣. ويقول يسوع أيضاً لمريم المجدلية كما ورد في العهد الجديد: " لَا تُمَسْكِينِي، إِنِّي لَمْ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى أَبِي، بَلْ أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي، فَقُولِي لَهُمْ إِنِّي صَاعِدٌ إِلَى أَبِي وَأَيُّكُمْ، وَإِلَهِي وَإِلَهَكُمْ"^٤. أليس هذا دليلاً على أن كلمة أبي وإخوتي، إنما هي مجاز تماماً كما يدعو المسيح تلاميذه "بإخوتي"، علماً أن تلاميذ المسيح ليسوا بإخوته، ما عدا يعقوب أخاه لأُمّه كما تقول الكنيسة المسيحية، فالمسيح يدعوهم بإخوته. ويقول لهم أبي وأيُّكم ويقول لا أب لكم إلا الله، فهذا وذاك من قبيل المجاز ليس إلا. مع الأخذ بعين الاعتبار ما لحق بالكتاب المقدس من التحريف والوثنية، والذي تم إثباته في موضع سابق من هذا البحث. علماً أن التوحيد بقي في النصرانية هو أساس العقيدة إلى أواخر القرن الثاني الميلادي، حيث أضيفت كلمة الآب، وقد احتجَّ عدد من زعماء الكنيسة على ذلك بشدة... وكذلك عارضوا التزعة التي تميل إلى تأليه عيسى عليه السلام، وركزوا كثيراً على وحدانية الله، وقد بدأت عقيدة التثليث تتركز بقوة بعد

^١ - نبيل الفضل: هل بشرَّ المسيح بمحمد؟، م.س، ص ١١٠-١١١.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢١٤، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٢: ٣٠، ٢٩.

^٣ - الكتاب المقدس، العهد الجديد، م.س، ص ١٣٤، إنجيل متى، الإصحاح ٢٣: ٩.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.سن، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢٠: ١٧.

انعقاد مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م، وكان سبب انعقاده هو الاختلافات العميقة التي وقعت بين الطوائف المسيحية حول شخص السيد المسيح، وهل هو رسول نبي من عند الله فقط؟ أو هل يملك منزلة أعلى من الرسالة فهو بمنزلة الابن، وإن لم يكن ابناً حقيقياً؟ أو هل هو حقيقة ابن الله؟ ومنهم من كان يقول بالوهية المسيح، وهي مقولة بولس الرسول، ومقولة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين عقدوا المجمع آنذاك. ثم برز دور الإمبراطور الروماني قسطنطين، الذي اعتقد في صحة الرأي الذي ذهب إليه بولس الرسول، والقائل بالوهية المسيح، مما أدخل على العقيدة المسيحية الكثير من التغيير والتبديل. ومن أمثلة ذلك الغلو الذي وقع فيه يهود حيث قذفوا مريم وأتهموها بالزنا. ثم صدرت عن المجمع القرارات الخطيرة التالية: ١: الكنيسة الرسولية تحرم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله بتاتاً. ٢: طرد كل من يخرج على هذه العقيدة. إن مما يؤخذ على هذه المجمع بأنه أباح للمؤمنين أن يطردوا كل من يخالف ما اعتقدوه، وبدون الرجوع إلى نصوص أناجيلهم المختلفة أصلاً، فكأنما أباحوا لأنفسهم التحليل والتحریم، كما وأتهم أخذوا برأي الإمبراطور قسطنطين مع ملاحظة أنه لم يكن قسيساً، ولا قديساً، بل ولا مسيحياً، فما زال حتى انعقاد المجمع محايداً يعطف فقط على المسيحيين. هذا وانهقد مجمع نيقية الثاني عام ٧٥٤م، بأمر من الإمبراطور قسطنطين الخامس وقرر هذا المجمع ما يلي: ١: تحریم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة. ٢: تحریم طلب الشفاعة من مريم العذراء. وقامت الإمبراطورة إيريني الرومانية بعقد مؤتمر نيقية الثالث عام ٧٨٧م، للنظر في قرارات الإمبراطور قسطنطين، واجتمع لهذا المجمع ثلاثمائة وسبعة وسبعون أسقفاً، وصدرت عنهم القرارات التالية: ١: تقديس صور المسيح والقديسين. ٢: وضع صور المسيح والقديسين في الكنائس، والأبنية، والبيوت، والطرق؛ لأن النظر إلى ربنا يسوع المسيح ووالدته والقديسين، يشعرنا بالميل إلى التفكير بهم. ومن الغلو الذي وقع فيه النصاري هو ادعاؤهم بأن عيسى رباً، وهذا ما حذر منه القرآن: قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَكَمَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةٌ أُلْقِيََتْ إِلَى مَرْيَمَ وَمَرْحَمَةٌ مِّنْهُ

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انَّهُمْ خَيْرٌ لِّكُم بِنَاءً إِنَّهُم بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَإِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^١.

المطلب الثاني: اليوم الآخر "البعث والجزاء عند يهود والمسيحيين"

الفرع الأول : اليوم الآخر "البعث والعقاب لدى يهود".

يذهب كثير من الباحثين إلى أن التوراة خالية من الإشارة إلى البعث والجزاء والحساب، هذا وقد ورد في الكتاب المقدس ما يوحي بذلك، وكما جاء في سفر أيوب، إذ يقول: "أَلَيْسَ جِهَادٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ وَكَأَيَّامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ. كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ وَكَمَا يَتَرَجَّى الْأَجِيرُ أَجْرَهُ... لَبَسَ لَحْمِي الدُّوْدَ مَعَ مَدَرِ الثَّرَابِ. جِلْدِي كَرِشَ وَسَاخٍ. أَيَّامِي... وَتَنْتَهِي بَغَيْرِ رَجَاءٍ"^٢.

ويشير فرج الله عبد الباري عطا الله إلى مفهوم الغيبات عند اليهود، فتجده يصف ذلك قائلاً: "إن يهود لم يفكروا في الغيبات إلا بعد أن تعرضوا للسي البابلي ثم التشتت في الأرض على أيدي الرومان .. فيقول إن التفكير في الغيبات كان يتخذ اتجاهين محددين هما : نهاية العالم ، والخلاص على يد المسيح المنتظر"^٣.

ولكن شارل جيفير: يبين أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو النصارى. فاليهود يسخرون من الآخرة ويرون أنها بعيدة جداً، ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبري "أحرنت هياميم" والتي معناها آخر الأيام أو الآخرة .

ويؤكد هذه الحقيقة بعض آيات سفر أيوب والتي يبين فيها مصير المرء بعد الموت، بأنه لا يرجع ثانية البتة ولا يحيا إلى الأبد، فيقول فيها: "أَذْكُرُ أَنَّ

^١ - سورة النساء، الآية ١٧١.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م، ص، ص ٧٩٩، سفر أيوب، الإصحاح ١٠، ٢، ٦٧: ٦٠.

^٣ - فرج الله عبد الباري عطا الله : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٥٤ .

حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ وَعَيْنِي لَا تَعُودُ تَرَى خَيْرًا، لَّا تَرَانِي عَيْنٌ نَاطِرِي. عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَنَا. السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ. هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَوَايَةِ لَا يَصْعَدُ. لَّا يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَعْرِفُهُ مَكَانُهُ بَعْدُ... فَأَخْتَارَتُ نَفْسِي الْخَنَقَ الْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هَذِهِ. قَدْ ذُبْتُ. لَّا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا. كُفَّ عَنِّي لِأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ... لِأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ تَطْلُبْنِي فَلَا أَكُونُ"^١. أما أسفار موسى الخمسة وكذلك أسفار الأنبياء، لا تعطينا تحديداً دقيقاً لليوم الآخر عند اليهود، ولكننا نجد أن مفكري اليهود وعلماءهم يصرحون بالإيمان في البعث والآخرة إذ يقول سعديا الفيومي: "إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أُمِتْنَا مُجْمَعَةً عليه"^٢. فهذا النص وكما يزعم سعديا الفيومي يبين أن البعث يجمع عليه يهود، ولكن يخرق هذا الادعاء، أن هناك فرقا يهودية تنكر البعث ولا تؤمن به، ومن هذه الفرق الصدوقيون، فمن الشواهد على ذلك النص التالي الذي ورد في العهد القديم، على لسان أيوب — كما يزعمون — فيقول: "أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً. أَتُرْكُ. كُفَّ عَنِّي فَأَتَبَلَّجُ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودُ. إِلَى أَرْضِ الظِّلْمَةِ وَظِلِّ الْمَوْتِ"^٣. والذي يهمنا من نص سعديا الفيومي، أن هناك تحديداً للآخرة عند يهود — على اختلاف بينهم في ذلك كما يوضحه البحث — ويكون بيعث الأحياء من الموت للحزاء. ومن الأدلة على ذلك ما ورد في سفر حزقيال الذي يذكر ما يلي: "أَيُّهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ. هَآنَذَا أَذْخُلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ وَأَضْعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ"^٤. فهذا دليل يشير إلى تصديق بعض الفرق اليهودية بالبعث الروحي والجسدي معاً في الآخرة، وأن الثواب والعقاب يقعان على الجسد والروح، أي أنهما

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٧٩٩-٨٠٠، سفر أيوب، الإصحاح ٧:

٢١، ١٧، ١٦، ١٥، ١٠، ٩، ٨، ٧.

^٢ - سعديا الفيومي: الأمانات والاعتقادات، لندن، ١٨٨٢ م، ص ٢١١.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٨٠٢، سفر أيوب، الإصحاح ١٠: ٢١، ٢٠.

^٤ - المرجع السابق، ص ١٢٣٦، سفر حزقيال، الإصحاح ٣٧: ٤، ٥، ٦، ٧.

فاعل واحد للحسنات والسيئات. وتعتقد بعض الفرق اليهودية أن بعث الأموات يحصل على مرتين:

الأولى : في زمن المسيح المنتظر عندهم، وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه المعجزة للمسيح والكرامة لأولئك الصالحين .

الثانية : يبعث الموتى في القيامة العامة لكافة الناس صالحين وطالحين، للجزاء بالثواب الأبدى على الطاعة، وبالعقاب على المعصية.

لقد كانت الديانة اليهودية إذاً تقر بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار، وكانت تؤمن بالحياة الآخرة، وعندهم علم بذلك والدليل هو ما ذكره القرآن الكريم عن مؤمن من آل فرعون كان معاصراً لهم، ويذكرهم باليوم الآخر، فيقول محمد محمود حجازي في تفسيره الواضح على لسان مؤمن آل فرعون: "يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ زائلٌ وعَرَضٌ حائلٌ، فلا تكن هي السبب في كفركم وغييكم، واعلموا أن الآخرة هي دار القرار والبقاء والخلود، فاعملوا لها واسعوا في نعيمها، ولا تُغرِّتْكم الدنيا الفانية فالآخرة خير وأبقى، يا قوم من عمل سيئةً فلا يُجْزَى إلا مثلها عدلاً من الله، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة التي عرضها كعرض السماوات والأرض، يُرزقون فيها رزقاً رَغداً بغير حساب أضعافاً مضاعفةً، فضلاً من الله ورحمة".^١ ويقول الله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.^٢ وأما الحديث الشريف الذي ترويه عائشة رضي الله عنها، فيوضح تماماً أن يهود كانوا يعلمون باليوم الآخر، وذلك كما يلي:

بعد بعثة رسول الله (ﷺ)، روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، قَالَتْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعَمْ "أَطْبَ نَفْسًا" أَنْ أَصَدَّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ (ﷺ): (صَدَقَتَا

^١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م، س، مج ٣، ص ١١٤.

^٢ - سورة غافر الآية ٣٩ - ٤٠ .

إِنَّهُمْ يُعَذِّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ^١. فاليهود يصدّقون باليوم الآخر، ولكن الغرور والاستعلاء قد تمكّنا في عقيدتهم بحيث ادعوا أن الجنة خاصة بهم وحكر عليهم. وتؤكد يسر مبيض هذه الحقيقة، فتقول: "ويعتقد اليهود انه لا يدخل الجنة إلا هم، أما الجحيم فهو مأوى الكفار من غيرهم"^٢. والقرآن الكريم يشير إلى اعتقادهم هذا ويطله، فيقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَكَانَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَكَانَ هُمْ يَخْزَوْنَ﴾^٣. ويقول الإمام ابن كثير: "يبين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى، أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على ملتها. وقال أبو العالية: أمانى تمنوها على الله بغير حق. وقال قتادة: هاتوا بينتكم أو حجتكم فيما تدّعون، ولكن من أخلص العمل لله وحده لا شريك له ضمن الله تعالى له تحصيل الأجر، قال سعيد بن جبير: ولا يخاف يعني في الآخرة ولا يحزن للموت"^٤.

الفرع الثاني : النظرة للآخرة "البعث والعقاب لدى المسيحيين":

من خلال آيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، يلّمح الباحث إشارات واضحة تدل على نظرة أهل الكتاب لما يحدث في الكون قبل اليوم الآخر، ولكنك تجد اختلافات بينة في إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء. علما بأن السيد المسيح قد تطرّق لموضوع النفس بعد الموت، ويشير إلى ذلك ميشيل يتييم فيقول: "وقد أوضح السيد المسيح في تعاليمه مصير النفس الخالدة بعد الموت، فمصيرها النعيم الأبدي في السماء مع الله والملائكة والقديسين، أو العذاب الدائم في جهنم مع إبليس، وكانت هذه الحقيقة غامضة عند اليهود،

^١ - محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري : صحيح مسلم ،باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، رقم الحديث ٤١١/١ .

^٢ - يسر محمد سعيد مبيض : اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٥٢ بتصرف .

^٣ - سورة البقرة، الآيتان ١١١ - ١١٢ .

^٤ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م، س، ص ١٥١ .

ثم إنَّه حرَّر الدِّيانة الجديدة من القيود والتقاليد الخارجية، وجعلها ديانة روحية، هَتَمَتْ قبل كلِّ شيءٍ بإيمان القلب واستقامة الضمير والثقة التامة بالله تعالى^١.

ويسمى علماء اللاهوت النصارى اليوم الآخر "استنحاتو لجيا"^٢، وهي كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناها الكلام في الآخرة أي الأمور المختصة بمستقبل النفس، ونهاية العالم ومجيء المسيح ونصيب الأبرار وقصاص الأشرار. وينبغي التأكيد على أن الرسل الكرام، يسرون في موكب واحد ويتلقون من آله واحد هو الله سبحانه وتعالى، وبالتالي يدعون إلى عقيدة واحدة، وأحد أركانها الأساسية الإيمان بيوم الميعاد أو اليوم الآخر. "فكانت دعوة سيدنا عيسى عليه السلام تحت على الإيمان بالحياة الآخرة، ولكن الأيدي الآثمة والعقول الخبيثة أبت إلا أن تحرِّف الإنجيل، ولذا فعقيدة اليوم الآخر أصابها التشويه؛ لتتناسب مع تحريف عقيدة التوحيد، فجعلوا الحساب من مهام ابن الإله الذي اخترعوه وألقوا إليه مهمة الإله الأب"^٣.

وورد في الكتاب المقدس "العهد القديم" ما يبين أن قيامة الناس في اليوم الآخر لا تتم إلا بقيامة يسوع المسيح كما يعتقدون، فيقول: "لا يَفْتَحِرْ بَشَرٌ أَمَامَ اللَّهِ. وَبِفَضْلِهِ أَنتُمْ قَائِمُونَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حَكْمَةً مِنْ لَدُنْ اللَّهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً لِكَيْتَمَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ: مَنْ افْتَحَرَ فَلْيَفْتَحِرْ بِالرَّبِّ"^٤. فهذا دليل أيضاً على أن القيامة لم تقم قبل أن يعود المسيح كما يزعم بولس. ويذكر العهد الجديد الحشر كما ورد في إنجيل متى: "وإذا جاء ابنُ الإنسانِ في مَجْدِهِ، تُواكِبُهُ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ، يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِ مَجْدِهِ وَتُحْشَرُ

^١ - ميشيل يتييم: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، م.س، ص ٧.

^٢ - استنحاتو لجيا: معناها لغة: الكلام في الآخرة، يونانية الأصل، وللملحأ أي الملاذ والمعقل والحسن. انظر، المنجد في اللغة والعلوم، م.س، ص ٧١٣.

^٣ - يُسر محمد سعيد مبيض: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م.س، ص ٦٢ - ٨٣.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م.س، ص ٦٣٧-٦٣٩، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس، الإصحاح ١٣: ٣١، ٣٠، ٢٩.

إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ، فَيَفْصِلُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، كَمَا يَفْصِلُ الرَّاعِي الْخِرَافَ عَنْ الْجَدَاءِ"^١. ويعتقد النصارى في الحساب والجزاء لكل البشر، ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان- دين - دينونه ما نصه: "تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أفعالهم"^٢. وهذه الدينونة عامة وشاملة"^٣. وحكم هذه الدينونة نهائي لا يقبل النقض ولا الاستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أجماد ملكوت المسيح وأفراحها، ويذهب الأشرار في الظلمة الخارجية واليأس الأبدي، ويعتقدون أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء، وهو المَعِينُ مِنْ اللَّهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وقد ذكر ذلك تحت عنوان عظة بطرس في بيت قرنيوس، فشرع بُطْرُسُ يَقُولُ: "فِي شَأْنِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ مَسَحَهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُدْرَةِ... وَقَدْ أَوْصَانَا أَنْ نُبَشِّرَ الشَّعْبَ وَنَشْهَدَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. وَلَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنَّ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا"^٤.

وهكذا أخرج بطرس سيدنا عيسى عليه السلام من كونه بشراً ورسولاً إلى أنه هو المَعِينُ مِنْ اللَّهِ لحساب الأحياء والأموات من الناس ، على ما يقتربون من خطايا وذنوب.

ويشير الشهرستاني إلى الذين يتهمون السيد المسيح بأنه الديان، فيقول: "وإن القول بأن المسيح هو الديان، قال به البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية. محضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً"^٥.

^١ - المرجع السابق، ص ١٤٥، إنجيل متى، الإصحاح ٢٥: ٣٣، ٣٢، ٣١.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٤٤، إنجيل متى، الإصحاح ٢٥: ٣١، ٣٢، ٢٦، ٦٤.

^٣ - المرجع السابق، ص ١٤٥، إنجيل متى، الإصحاح ٢٩: ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٨: ٢٥.

^٤ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥٠٣، إنجيل أعمال الرسل، الإصحاح ٤٣: ٤٢، ٣٨، ٣٤، ١٠.

^٥ - محمد عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، م.س، ص ٥٢.

مما تقدم يتبين أن عقيدة اليوم الآخر هي ركن من أركان النصرانية، كما هي ركن من أركان الإسلام، ويبدو أن الخلاف بينهما يتحدد فيما يلي:

١- إن الذين دونوا الإنجيل منحوا سيدنا عيسى عليه السلام، سلطة محاسبة الناس يوم القيامة بدلاً من الله، لأن الله يزعمهم لا يليق به أن يحاسب الناس .

٢- إن النصوص التي وردت في الإنجيل عن اليوم الآخر محدودة العدد وغير مفصلة. بينما لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم عن التذكير باليوم الآخر، والتعرض لمشاهدته بتفصيل يرغب المؤمنين بالجنة، ويرهبُ العاصين من عذاب النار.

٣- إن عقيدة اليوم الآخر لا تختلف عند جميع الأنبياء والمرسلين وهي عند المسيحيين قبل تحريف الأناجيل .

المطلب الثالث: العبادة عند أهل الكتاب " اليهود والنصارى "

الفرع الأول : مفهوم رجال الدين عند يهود.

إن مرتبة رجال الدين عند يهود، تأتي بعد الأنبياء ويطلقون عليهم لفظ الكهنة، ولا بد أن ينحدروا من سبط معين من أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام.

والكهنة أو رجال الدين عند يهود، يعتبرون أنفسهم الوسيلة بين البشر وبين الله، بل وينسبون العجز إلى الربّ — حسب زعمهم — وكأنه واحد من الناس العاديين. فقد جاء في العهد القديم: "فَجَاءَ الرَّبُّ وَوَقَفَ وَدَعَا كَالْمَرَّاتِ الْأُولِ صَمُوئِيلُ صَمُوئِيلُ. فَقَالَ صَمُوئِيلُ تَكَلَّمْ لَأَنَّ عَبْدَكَ سامِعٌ".^١

فهذا مؤشر واضح على اتهام يهود لربهم بأنه لا يعلم الغيب والشهادة، وهذا يؤدي بدوره إلى عُقْم عقيدتهم وسماجة أفكارهم. ولهم أيضاً مجلس يضم كبار الكهنة ويسمى المجمع ووظيفته إدارة شؤون يهود، ويعتقدون أن هذا

^١ - الكتاب المقدس " العهد القديم "، م.س، ص ٤٣٠، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٣: ١٠

المجمع هو امتداد لمجلس السبعين رجلاً الذين أختارهم سيدنا موسى عليه السلام؛ ليقدموا التوبة لله سبحانه وتعالى عن المذنبين من بني إسرائيل، الذين عبدوا العجل بعد خروجهم من مصر. وسلطان هذا المجمع الأدبي يمتد إلى حيث يقيم اليهود، وقضى هذا المجمع بإنكار نبوة سيدنا عيسى عليه السلام.

وامتد سلطان رجال الدين عند يهود إلى المسائل السياسية علاوة على المسائل الدينية، وبعد بناء الهيكل ووضع التابوت فيه، أصبح للكهنة معبد واحد يضم مجموعة واحدة منهم، وهكذا وضع الكهنة أنفسهم واسطة بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرايين إلا إذا باركها الكاهن، وكان مفتاح الجنة بين يديه، وجاء في سفر العدد ما يشير إلى ذلك: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً قَدْ مَسَّ سَبْطُ لاوِي وَأَوْقَفَهُمْ قَدَامَ هَارُونَ الْكَاهِنِ وَلِيُخَذِّمُوهُ... وَتُوكَّلَ هَارُونَ وَبَنِيهِ فَيُخَرَّسُونَ كَهَنُوتَهُمْ وَالْأَجَنِبِيُّ الَّذِي يَقْتَرِبُ يُقَتَّلُ".^١

ويُطلق أيضاً على رجال الدين عند يهود: الأُجبار والحاخامات والكهنة. ويعتقدون بأنهم معصومون من الخطأ الذي يقع فيه الناس العاديون.

ويؤيد ادعاء يهود بعصمة رجال الدين عندهم، ما ذهب إليه راشد عبد الله فرحان، إذ يقول: "ويعتقد الفرّيسيون بأن للحاخامات سلطة عليا، ويرون أن الحاخامات معصومون عن الخطأ ومن قولهم في ذلك: ويلزم المؤمن أن يعتبر الحاخامات كالشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي".^٢

ويصف عبد الراضي محمد عقيدة يهود من خلال كتبهم المقدسة لديهم، فيقول: "والتلمود بعامّة يُعدُّ أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات؛ لإقامة مجتمع عالمي صهيوني يسيطر على كل دول العالم بكل الوسائل الممكنة من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب، كما ويستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى؛ لأن يهود هم الشعب الذي اختاره الله دون بقية الشعوب، فإن أرواح يهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده".^٣ فهذه دعوة يهودية عنصرية

^١ - المرجع السابق، ص ٣١١، سفر العدد، الإصحاح ٣: ١٠، ٥.

^٢ - راشد عبد الله فرحان: الأديان المعاصرة، م.س، ص ٤٥.

^٣ - عبد الراضي محمد: التطرف اليهودي تاريخه، أسبابه، علاماته، م.س، ص ٥٧.

تدل على تمكّن الشرك في نفوسهم، فلا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له.

الفرع الثاني : مفهوم رجال الدين عند النصارى: إن الكتاب المقدس عند النصارى، يهتم برفع منزلة رجال الدين اهتماماً كبيراً، فقد ورد في شرعهم ما يلي: "إن العهد الجديد يُطلق اسم الكتبة على أولئك المثقفين الذين يفسّرون التوراة، وكان لهم زمن يسوع سلطة كبيرة عند الشعب، ولا سيما عند الطبقات الوسطى، كانوا يعملون عملَ مُعلّمي اللاهوت والفقهاء في المجتمع. وكان كبار عظماء الكهنة يُختارون من بين القضاة المحليين، وكان ذلك المنصب يُكلّف كثيراً من المال، ولكنه كان يضمن لصاحبه نفوذاً سياسياً حقيقياً لشدة التشابك بين الدين والإدارة. وقد سببت تلك الحالة للمسيحيين الأولين مشكلةً عسيرة: كيف يمكنهم أن يظلّوا مواطنين صالحين من غير أن يقبلوا أن يُساقوا إلى عبادة الأمبرطور، [لا سيما أن الناس] قبل العهد المسيحي بقليل، ينظرون إلى الأباطرة نظرهم إلى كائنات إلهية، أبناء الله، بل آلهة، وقد أثرت فيه تأثيراً كبيراً. تلك بعض أهم صفات العالم الذي كان للمسيحيين الأولين أن يعيشوا فيه، والشهادة التي يعلنونها في إيمانهم هي أنّ المسيح هو وحده الربّ وليس الأمبرطور، فله تجب الطاعة ولو تعرّضوا لأن يُخالفوا مخالفة صريحة الدّين الذي يسود الحياة كلها في بيئتهم. فلا يمكن المرء أن يعبد الربّ إلّا في حياة منذورة له، وهو يسير سيرة مستوحاة كلها من الحبّ، والمسيح شاهد لذلك الحبّ وفيه عربون الحياة الأبدية".^١

ويعتقد النصارى أن الاتصال بالله عز وجل، لا بدّ أن يتمّ عن طريق رجال الدين عندهم، ولهذا فقد جعلوا للبابا سلطات على جميع النصارى وسلطاناً فوق سلطان الملوك، وكان المسيح كما يعتقدون قد أقام بطرس الرسول خليفة له؛ ليرأس الحواريين ويدير شؤونهم، وقد أنشأ بطرس هذا كنيسة روما. والبابا هو خليفة بطرس في رئاسة الكنيسة، فهو بذلك خليفة للسيد المسيح عليه

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.م، ص ٣١-٣٣.

السلام وله سلطاته ومكانته، وقد باشر رجال الدين هذه السلطات بتوسع كبير حتى إنهم أخذوا يبيعون صكوك الغفران، ويصدرون قرارات الحرمان حتى على الملوك والعظماء. وأصبحت الكنيسة هي التي تفهم الكتاب المقدس ولا معقب لما تقوله، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالرضا والقبول.

ويشير محمد أبو زهرة إلى مكانة الكنيسة المقدسة عند أتباعها، وما يعلنه البابا من فرمانات معصومة من الخطأ فيقول: "وعلى النصراني إذا لم يستغفر عقله قولاً أو رأياً للكنيسة أو مبدأً دينياً أعلنته الكنيسة، أن يروّضَ عقله على قبوله، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول أو رأي أو مبدأ البابا^١. وإن رجال الدين في المسيحية منقطعون للكنيسة، ثم يلبسون زيّاً مُميّزاً ولهم تقاليد دينية موروثة، وهم يتدرّجون في مسميات كهنوتية، وكل منهم يدعى برينس أي قسيساً أو رجل دين، وكبيرهم يسمى أسقفاً أو مطراناً، ثم يبلغ بعد ذلك مرتبة عالية هي مرتبة بطريك وهم رؤساء الأساقفة في المدن الرئيسية ويسمى واحدهم كردينالا. وقبل القرن الحادي عشر حمل من بين الأساقفة رئيس كنيسة روما لقب بابا ثم لما قوي سلطانه أصبح رئيساً لجميع الكنائس. واعتبر نفسه حاكماً لجميع النصراني في كل البقاع وله السيادة العليا في القضاء والإدارة، وأنه المشرّع والمفسر النهائي للكتاب المقدس، وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء. وجمعت الكنيسة الضرائب وسيطرت على ما أمكنها السيطرة عليه، وأصبحت تمثل الترف والغنى بما جمعت من مال، حتى تم الانفصال بين الكنيسة الشرقية والغربية، ثم تلاه انفصال بين البروتستانت عن الكاثوليك. ومما تجدر الإشارة إليه بأن كتاب حياة يسوع انتقد المسيحية المعاصرة، بل وأراد أحد رجالها ويدعى هيجل^٢ أن يكون قسيساً لكي يعيد الديانة المسيحية إلى مبدأها الأصلي، فيقول: "أراد هيجل أن يكون قسيساً، وكان هدفه ذا طبيعة عملية تماماً،

^١ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، م، ص ١٦٨.

^٢ - هيجل "فردريش": فيلسوف ألماني ١٧٧٠-١٨٣١م، ولد في شتوتغارد، قال إن الكائن والفكر شيء واحد هو الفكرة، والفكرة تتطور على مراحل: الإثبات ثم النقص ثم الخلاصة، له المنطق الكبير ومبادئ فلسفة الحق. انظر، المنجد في اللغة والأعلام، م، ص ٦٠٦.

ويفكر في تأسيس ديانة شعبية تقوم مقام المسيحية الوضعية التي يعتقد أنها دين سلطة وعقيدة، وأنها يجب أن تعود إلى مبدأها الأصلي، أي المبدأ الخُلقي^١. لقد أصبح الأمر واضحاً تماماً بأن مفهوم الربّ عند يهود والنصارى ابتعد عن مفهوم التوحيد، وبناءً على ذلك فقد تغيرت نظرهم إلى رجال الدين، فقالوا ما يسمى بالقداسة. وأما البابا فهو مالك مفتاح الرحمة وباب السماء كما ثبت على ألسنة الباحثين المنصفين عندهم، وهذا ما جعل المفكر هيجل يعتقد بأن المسيحية المعاصرة وضعية وسلطوية، لذا فهو ينادي بتأسيس ديانة مسيحية شعبية تقوم على المبادئ الخلقية. ويتابع البحث في الكشف عن مفهوم الصلاة والصوم عند اليهود والمسيحيين. وأتبعاً موسميّتان حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية.

الفرع الثالث : الصلاة والصوم في اليهودية.

إنّ مفهوم الإله والعبادة عند يهود وكما نوّه البحث عن ذلك في موقع سابق لغريب جداً، ويشير صموئيل في سفره المقدس إلى هذه الغرابة فيقول: "وَنَاحَ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَرَأَى الرَّبُّ. وَكَلَّمَ صَمُوئِيلَ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِنْ كُنْتُمْ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ رَاجِعِينَ إِلَى الرَّبِّ فَانْزِعُوا الْآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ وَالْعَشْتَارُوتَ مِنْ وَسْطِكُمْ وَأَعْبُدُوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ"^٢. أما طقوس الصلاة لدى يهود فقد وصفها كتاب الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه بقوله: "لم تكن الصلاة محدودة وإجبارية عند اليهود، بل هي حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية. ولكن بعد تخريب الهيكل وسبي يهود إلى بابل، بطلَ تقديم القرابين ووضعت الصلاة بدلاً منها، والصلاة عند اليهود على نوعين:

١- صلاة فردية أو شخصية : وهي صلاة ارتجالية، يقوم بها الفرد حسب ظروفه واحتياجاته الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواسم والمواعيد.

^١ - هيجل: حياة يسوع، ترجمة جورج يعقوب، دار التنوير، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م، ص١٢٣.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم" ١م، ص٤٣٥-٤٣٦، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٧: ٣، ٤.

٢- صلاة مشتركة أو عمومية : وهي التي تؤدي باشتراك مجموعة من الأشخاص علناً، وفي أمكنة مخصصة لها ومواعيد معلومة، وحسب طقوس وقوانين مقررة^١. وكانت الصلاة مركبة في الغالب من النثر ثم النظم وتتلّى بطريقة الغناء، وبالتدريج صارت تستعمل الآلات الموسيقية، وينفخون في البوق ويكون في تضرعاتهم واعترافهم. وفي أيام الصيف كان يهود يلبسون الخشن من الملابس في صلاتهم ، ويزدرون التراب على رؤوسهم ويمزقون الثياب ويخلقون شعورهم، ويحرصون على وضع الأيدي على الصدور مع حني الرؤوس قليلاً، ويتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، وكان عزرا يوصي بغسل الجسم قبل الصلاة. والصلاة الواجبة على اليهودي في اليوم هي ثلاث صلوات:

١- صلاة الفجر: وتسمى صلاة السحر، ووقتها منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود إلى ارتفاع عمود النهار .

٢- صلاة نصف النهار أو القيلولة: ووقتها من انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب .

٣- صلاة المساء أو صلاة الغروب: ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل بكامله. وللصلاة عند يهود طقوس وهي كما يصفها عبد الرزاق محمد أسود، فيقول: "إنها تبدأ الصلاة في غسل اليدين فقط، ثم يوضع شال صغير على المنكبين أو الكتفين. وأما في صلاة الجماعة في المعبد فيستعمل شال كبير، ويجب أن لا تلمسه النساء ويلبسه اليهودي منذ أن يبلغ سن التكليف وهي ثلاث عشرة سنة، ويبقى عنده حتى وفاته ويكفن به عادة"^٢.

وأما الصوم في الطقوس الدينية اليهودية فيعتبر مظهراً من مظاهر الخشوع والخضوع للإله ويشمل:

١- صوم تموز : ومقداره يوم واحد ويقع في الثامن عشر من تموز العبري، وهم يعتبرون هذا الصوم حداداً على حوادث مختلفة من أهمها:

١ - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، م، ص، ص ١٤٢-١٤٣.

٢ - عبد الرزاق محمد أسود : المدخل إلى دراسة الديانات والمذاهب، م، ص، ص ١٨١ .

تخطيط ألواح التوراة، وإبطال القربان اليومي صباحاً ومساءً وإحراق التوراة في
أورشليم وذكرى هجوم تيتوس الروماني على أورشليم عام ٧٠ م .
٢- صوم آب: ويقع في اليوم التاسع من شهر آب، وهو يوم ذكرى
سقوط أورشليم في يد تيتوس، وتخریب الهيكل الذي كان أقيم بعد العودة من
السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد .

الفرع الرابع : الصلاة والصوم في النصرانية:

يهتم المسيحيون بالصلاة أكثر من اهتمامهم بالصوم ، وليس للصلاة
ترتيب خاص إنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان، ويرى كثير من
النصارى أن الانتظام في الصوم والصلاة توجيه اختياري وليس إجبارياً،
وتحديدهما غير متفق عليه . والصلاة عند المسيحيين سبع صلوات في اليوم
والليلة وهي : صلاة البكور، وصلاة الساعة الثالثة والسادسة، والتاسعة
والحادية عشر، وغاية ما يلزم أن تحويه الصلاة أن تكون على نسق الصلاة
الربانية التي قدمها المسيح عليه السلام حسب اعتقادهم وهي كما جاءت في
الكتاب المقدس: "وَكَانَ يُصَلِّي فِي بَعْضِ الْأَمَاكِن، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ أَحَدُ
تَلَامِيذِهِ: يَا رَبُّ عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يوحَنَّا تَلَامِيذُهُ. فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا
صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَيُّهَا الْآبُ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، أُرْزُقْنَا خُبْزَنَا كَفَافَ
يَوْمِنَا، وَأَعْفِنَا مِنْ خَطَايَانَا، فَإِنَّا نُعْفِي نَحْنُ أَيْضاً كُلَّ مَنْ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَا تُعَرِّضْنَا
لِلتَّجَرِبَةِ"^١. وتسمى هذه الصلاة عند المسيحيين بالصلاة الربية، ولكنها في
إنجيل متى مختلفة اختلافاً نوعياً من حيث مقدارها الكمي ونوعها اللفظي، فهي
كما يلي: "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيُقَدَّسَ اسْمُكَ،
لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِيَكُنْ مَا تَشَاءُ فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ، أُرْزُقْنَا الْيَوْمَ خُبْزَ
يَوْمِنَا خُبْزَنَا، وَأَعْفِنَا مِمَّا عَلَيْنَا، فَقَدْ أَعْفَيْنَا نَحْنُ أَيْضاً مَنْ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَا تُعَرِّضْنَا
لِلتَّجَرِبَةِ، بَلْ نَحْنَا مِنَ الشَّرِيرِ، فَإِنْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلًّا تِهِم يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢٩٠، إنجيل لوقا، الإصحاح ١١: ٤، ٣، ٢، ١.

السَّمَاوِيَّ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ لَا يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ زَلَّاتِكُمْ^١. فهذا الاختلاف بين جليّ بين الإنجيليين على كُنه الصلاة، ولكن الكتاب المقدس يرجّح رواية متى. وعلى العموم فإن الصلاة عند النصارى لها شرطان أساسيان هما:

الشرط الأول: أن تقدم الصلاة باسم المسيح جاء في إنجيل يوحنا بعنوان رجوع يسوع: "وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ. إِنْ سَأَلْتُمْ الْآبَ شَيْئاً بِاسْمِي أُعْطَاكُمْ إِيَّاهُ. حَتَّى الْآنَ لَمْ تَسْأَلُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اسْأَلُوا تَنَالُوا فَيَكُونَ فَرَحُكُمْ تَاماً"^٢.

الشرط الثاني: أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بما عندهم من طقوس عقائدية، وأن ما يطلبونه في صلواتهم سوف ينالونه. لذا ورد في الكتاب المقدس وفي إنجيل مرقس بالذات وتحت عنوان التينة اليابسة ما نصه: "وَلِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ، آمِنُوا بِأَنَّهُ قَدْ نَلْتُمُوهُ، يَكُنْ لَكُمْ وَإِذَا قُمْتُمْ لِلصَّلَاةِ، وَكَانَ لَكُمْ شَيْءٌ عَلَى أَحَدٍ فَاغْفِرُوا لَهُ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ زَلَّاتِكُمْ"^٣.

ويعلق أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي على صلاة المسيحيين، بأنهم لا يتطهرون مما يخرج من السيلين، فيقول: "ومما أحدثوه بعد المسيح عليه السلام — في الصلاة — أن النصارى يبول ويتغوط، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاته. ولا يوجد في شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى في مناجاته والوقوف بين يديه، بل الشرائع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدي الله تعالى إلا على أكمل أحواله"^٤. وتتبع الكنيسة نظاماً معيناً في صلواتها كما تقول لجنة التعليم المسيحي في المهجر: "فأول صلاة يومية هي الغروب أو صلاة المساء التي تبدأ بقصة خلق العالم. والغروب: هو الخدمة المسائية التي يقيمها المسيحيون عند ما ينهون يومهم ويدؤون يوماً جديداً، إنها خدمة مهمة؛ لأننا

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٦٦-٦٧، إنجيل متى، الإصحاح ٦: ٩٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩.

^٢ - المرجع السابق، ص ٤٣٣-٤٣٤، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٦: ٢٤، ٢٣.

^٣ - المرجع السابق، ص ٢١٠-٢١١، إنجيل مرقس، الإصحاح ١١: ٢٥، ٢٤.

^٤ - أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى ٦٨٤هـ: "الأجوبة الفاجرة على الأسئلة الفاجرة، تحقيق بكرى زكي عوض، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٣٣٢.

فيها نُقَرُّ أَنْ نَهَارَنَا يَخْصُّ اللَّهَ وَبِهَا نَقْدُمُ لِلَّهِ كُلَّ مَا عَمَلْنَاهُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ، وَنَسْأَلُ أَنْ يُبَارِكَهُ لِأَنَّنا نَرِيدُ أَنْ يَكُونَ نَهَارُنَا لِلرَّبِّ، وَيتبع الغروبَ صلاةَ النومِ. أما عند منتصف الليل فتتلى صلاةٌ خاصَّةٌ تُذَكِّرُ بَقِيَامَةِ الرَّبِّ. وعند شروق الشمس تُتلى الصلاة الصباحيَّة التي تُهَيِّئُنَا لِحِجْيَةِ الرَّبِّ ، أما خدمة اليوم الرئيسيَّة فهي القُدَّاسُ الإلهي الذي نُشَارِكُ فِيهِ عِشَاءَ الرَّبِّ، وتوافق صلاة الساعة التاسعة موت السيد على الصليب، وبتوالي القرون وتقلُّب الظروف، كان لا بُدَّ من تَغْيِيرِ هَذِهِ الخِدْمَةِ وتبديلها قليلاً، حتى إنَّ بعضاً منها جُمِعَتْ إلى خِدْمَةٍ واحدة^١.

والصوم عند المسيحيين يعني: الامتناع عن الطَّعام من الصباح حتى منتصف النهار ثم يتناولون طعاماً خالياً من الدسم. ويشمل الصوم عندهم كما أورده عبد الرزاق محمد أسود في كتابه المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب بالتفصيل التالي:

١- صوم يوم الأربعاء : وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى عليه السلام .

٢- صوم يوم الجمعة: وهو الذي صلب فيه عيسى كما يزعمون .

٣- صوم يوم الميلاد: وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد

٤- الصوم المقدس : وعدد أيامه خمسة وخمسون يوماً، وهي الأيام الأربعون التي صامها السيد المسيح عليه السلام مضافاً إليها أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعين المقدس، ثم أسبوع بعده وينتهي بأحد القيامة ، ويمنع في هذا الصوم أكل الحيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله، ويقتصر الصائم على أكل البقول، ولا يعقد في أثناءه سر الزواج .

٥- صيام الرسل : وتراوح مدته ما بين خمسة عشر يوماً إلى تسعة وأربعين يوماً.

٦- صوم العذراء: ومدته خمسة عشر يوماً^٢: ويشرح الكتاب المقدس

بعض الصفات التي ينبغي أن يقوم بها الصائم في الشرع المسيحي، فيقول إنجيل متى في بعض آياته بعنوان الصوم: " وَإِذَا صُمَّمْتُمْ فَلَا تُعَبِّسُوا كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ

١ - الكتاب المقدس في الكنيسة، م.س، ص ١٩-٢٣.

٢- عبد الرزاق محمد أسود: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، م.س، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

يُكَلِّحُونَ وُجُوهَهُمْ، لِيُظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ صَائِمُونَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا صُمْتَ، فَادْهِنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لَا يَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّكَ صَائِمٌ، بَلْ لِأَيْنِكَ الَّذِي فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ".^١

ويتضح مما سبق بحثه أن كلاً من الديانتين اليهودية والنصرانية ، قد دخلت إليهما الأفكار الوثنية والأهواء الشخصية، وليس أدل على ذلك من التناقضات التي ظهرت في كلمات الصلوات بين الأنجيل، بل تعدى الأمر ذلك إلى الاختلافات الجذرية في المسألة الواحدة. ولكي تكتمل حلقات التعريف بالعقيدة والطقوس الدينية لدى يهود والنصارى، فإنه ينبغي أن يتناول البحث الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والإرث عند يهود والنصارى، ومن ثم المفهوم الإسلامي لهذه القضايا.

المطلب الرابع: الأحوال الشخصية "الزواج، الطلاق، الإرث" عند اليهود والمسيحيين

الفرع الأول : الزواج وتعدد الزوجات لدى اليهودية: لقد تناول فيلسيان شالي في كتابه موجز تاريخ الأديان، بعض الشعائر الدينية عند اليهود، فيقول: "ويقوم اليهود داخل الشعوب التي يعيشون في أراضي اليوم بعدد من الشعائر، وهذا صحيح بالنسبة للرجال، أما النساء فإنه لا قيمة لهنّ بالنسبة إلى الدين. وتشتمل الطقوس الدينية على ختان الذكر بعد ثمانية أيام من ولادته، فإذا بلغ الثالثة عشرة، أُخضع للتكريس ثم يكون الزواج الذي يُحتفل به في الكنيس، مع فرض حجاب الصلاة "التالث Taleth"، وتقام صلاة وتُغنى أغان بالعبريّة"^٢. والزواج فرض لازم على كل إسرائيلي، والسن المفروضة لصحة الزواج هي الثالثة عشر للرجل والثانية عشرة للمرأة، ومن بلغ العشرين ولم يتزوج استحق عندهم اللعنة. ويقول فؤاد عبد المنعم في ترجمته

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٦٧، إنجيل متى، الإصحاح ٦: ١٨، ١٧، ١٦.

^٢ - فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، م.س، ص ١٨٥.

لمواد التشريع المدني والجناي في الفقه اليهودي في المادة ٣٩٣ : "إن كل يهودي يجب عليه أن يتزوج، وإن الذين يقون عزاباً يتسببون في أن يتخلى الله عن شعبه إسرائيل" ^١. ولكن قاعدة فرض الزواج ليست عامة عند جميع الفرق اليهودية، فإنك تجد الحسدين مثلاً يختلفون عن غيرهم من اليهود، إذ إنهم يدعون إلى التبتل وعدم الزواج بتاتاً. وكما يقول علي عبد الواحد وافي: "ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة [فرقة الحسدين] فيما يتعلق بالعبادات، فإنها تُحرِّم الأضحية والقرابين مع أنها كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات، ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الأسرة، أنها تُحرِّم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء" ^٢. وكانت النظرة للزوجة سابقاً عند يهود قائمة جداً، بحيث لا يجوز لها البيع والشراء وأن جميع ما تملك لزوجها، ويُنَوَّه بهذه المعاني كتاب الأديان المعاصرة، فيقول: "ولا تعد المرأة زوجة شرعاً عند يهود بلا تقديس، وهو يسبق كتابة عقد الزواج الرسمي والصلاة الدينية بمحضرة عشرة رجال على الأقل، والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون، لا يجوز لها البيع والشراء إلا بإذن زوجها، وإن جميع ما تملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج، وتطالب به بعد موته أو عند الطلاق منه" ^٣. ويحرم يهود الزواج بين يهود وغيرهم، ويسمون غير يهود في كتبهم كفاراً، ويستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون والوثنيون. ويعتقدون بأن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرين، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المردولة، يعتبرون أبناء زنا حسب المادة ٣٩٦ من التشريع المدني والجناي في الفقه اليهودي. ولا يتعفف يهودي من الزواج بين بنت أخيه وأخته، ويشير حسن ظاظا إلى هذا الأمر، فيقول: "ويجوز للإسرائيلي الزواج بين بنت أخيه أو بنت أخته، ولكن العكس محرم، فلا تتزوج المرأة بابن أخيها أو ابن أختها، وحرم

^١ - فؤاد عبد المنعم : أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والاسلام ، م٠س، ص ٩٢.

^٢ - علي عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، لا،ت، ص ٩٨-١٠٠.

^٣ - راشد عبد الله الفرحان : الأديان المعاصرة ، م٠س، ص ٦١ ، بتصرف.

كثير من أحبارهم الزواج بينت الأخ^١. وانتشر تعدد الزوجات في الشرع اليهودي إلى حدٍ واسعٍ.

تعدد الزوجات عند يهود: لقد كان مبدأ تعدد الزوجات شائعاً كثيراً لدى بني إسرائيل على الدوام، وهو جائز في شرعهم، ولم يرد بتحريمه نفي واحد لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود، وليس في الدين اليهودي حد أقصى للزوجات، فقد كان مباحاً لليهودي أن يأخذ من النساء ما طاب له بلا قيد أو شرط. ويشير العهد القديم إلى زواج سليمان، فيقول: "وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحَثِّيَّاتٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ السَّيِّدَاتِ وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ فَأَمَّا كَتِ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ"^٢.

ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام الفقيه المفسر "جرشوم بين يهوذا"^٣، فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود؛ بسبب ما كانت تلاقيه الجاليات اليهودية في أوروبا، من احتقار واضطهاد بسبب تعدد الزوجات، وورد في القانون العبري المادة ٣٩٥ ما يلي: "تعدد الزوجات وإن كان جائزاً شرعاً إلا أن الراب جرسون حرمة لضيق أسباب المعيشة هذه الأيام والتي أصبح فيها أمر القيام بلوازم المرأة الواحدة غير هيِّن، ولا يخلو من صعوبة، ومن خالف أمر الراب جرسون هذا استحق عقاب الحرمان الكبير حتماً"^٤.

^١ - حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، م ٠ س، ص ١٩٢ .

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٥٥٣، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١١: ١، ٢، ٣، ٤.

^٣ - جرشوم بن يهوذا : حاخام وفقيه ومفسر في الدين اليهودي ولد في مدينة متس بإقليم اللورين شمال شرق فرنسا سنة ٩٦٠م والمتوفى في مدينة مانيس بألمانيا سنة ١٠٤٠ م. أنظر، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٢٠، ١٩٦٠م، ص ١٦٨.

^٤ - فؤاد عبد المنعم : أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام ، م ٠ س، ص ٩٣ - ٩٤ ، بتصرف .

الفرع الثاني : الزواج وتعدد الزوجات لدى المسيحية: لقد تناول بولس — الذي تنسب إليه المسيحية المعاصرة — الزواج والبتولية، ولكنه لم يبحث في هاتين المسألتين بحثاً مُفصّلاً، بل اكتفى بالردّ على بعض الأسئلة التي وردت في رسالة مسيحيي كورنتس، ويُسطّر الكتاب المقدس ملاحظة هامة، هي: "فأجاب [يعني بولس] عنها واحداً فواحداً [يقصد الأسئلة] ولذا ترى في كلامه تكراراً وما يبدو من التناقض. وإلى القارئ أهم ما قاله:

أ — يجب على كل امرئ أن يبقى في الحالة التي هو عليه لما دُعِيَ إلى الإيمان.

ب — البتولية في حدّ ذاتها أفضل من الزواج وأكثر فائدة من جهة الخير الروحاني للإنسان.

ج — الزواج أفضل لمن لا يقوى على قمع جماح الشهوة، لأنه يُمكنه من تحصين نفسه وصونها من الخطيئة^١. فإنك إذا تجدد بولس يفضل الرهبة والابتعاد عن الزواج، إلا إذا خاف الرجل على نفسه من الوقوع بالزنا حسب زعمه، ومن تعاليمه بأنّه لا سلطة لأحد الزوجين على جسمه. ثم يجيب على أسئلة أهل كورنتس تحت عنوان فتاوى في بعض المشاكل، فيقول: "وأما ما كُتِبَتم به إليّ، فيَحْسُنُ بِالرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ الْمَرْأَةَ، وَلَكِنْ، لَتَحْتَبِ الزَّوْنِ، فَلْيَكُنْ لِكُلِّ رَجُلٍ امْرَأَتُهُ وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ زَوْجُهَا، وَلْيَقْضِ الزَّوْجُ امْرَأَتَهُ حَقَّهَا، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا. لَا سُلْطَةُ لِلْمَرْأَةِ عَلَى جَسَدِهَا فَإِنَّمَا السُّلْطَةُ لَزَوْجِهَا، وَكَذَلِكَ الزَّوْجُ لَا سُلْطَةَ لَهُ عَلَى جَسَدِهَا فَإِنَّمَا السُّلْطَةُ لَامْرَأَتِهِ. وَأَقُولُ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِجَازَةِ، لَا مِنْ بَابِ الْأَمْرِ، فَإِنِّي أَوْدُّ لَوْ كَانَ جَمِيعُ النَّاسِ مِثْلِي"^٢.

ومن رسالة بولس هذه يتأكد للباحث بأن الأصل عند المسيحيين أن يترهب الناس رجالاً ونساءً فلا يتزوجون، ولما كان ذلك غير ممكن أبيع الزواج استثناء خوف الزنا. وقد تناول هذه النقطة عبد الناصر توفيق العطار

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، ص ٦٤٩.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، ص ٦٤٩، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس، الإصحاح ٧: ١٠، ٢، ٣، ٤، ٧.

بشيء من التوضيح، فيقول: "وأجمعت الطوائف المسيحية على أن يقتصر الزواج على واحدة، ولا بد من اتحاد الدين والمذهب، فلا يتم الزواج بين الطوائف المختلفة. وأكثرهم تشدداً هذا الأمر الأرثوذكس وخالفهم المذهب الكاثوليكي أو الكنيسة الكاثوليكية في روما"^١. وهناك حالات تستطيع الكنيسة الكاثوليكية أن تُبطلَ فيها الزواج، ويشير إليها راشد عبد الله فرحان فيقول: "فلم تبطل [الكنيسة] الزواج إلا عند اختلاف الدين فقط، وهي وإن كانت تحرم ذلك دينياً إلا إنها تبيحه قانوناً، وأما تحريم تعدد الزوجات عند المسيحيين كان بالنسبة لآباء الكنيسة فحسب، ولم يحرم على غيرهم من المسيحيين إلا في وقت لاحق"^٢. فالمسيحية قبل التحريف لم تحرم تعدد الزوجات، ويستطيع المرء أن يستنتج من خلال هذا البحث أن منع التعدد هو أمر مبتدع ومبدأ مخترع. هذا وقد تحدث العهد القديم عن الخطيئة وخروج آدم عليه السلام من الجنة، وأن سبب تلك الخطيئة هي المرأة فإنها في نظر المسيحيين سبب جميع الشرور والآثام، ويكفي حسب زعمهم أنها سبب أول خطيئة يقع فيها الجنس البشري؛ ولهذا كانت رسائل بولس^٣. مزهدة في الاقتران بالمرأة، مفضلة العزوبة على الزواج.

ومن الأمثلة الدالة على ما ذهب إليه بولس رسالته إلى أهل كورنثس والتي بعنوان الزواج والبتولية، فيقول: "وأقول لغير المتزوجين والأرامل إنَّهُ يَحْسُنُ بِهِمْ أَنْ يَظَلُّوا مِثْلِي. فَإِذَا لَمْ يُطِيقُوا الْعَفَافَ فَلْيَتَزَوَّجُوا، فَالزَّوْاجُ خَيْرٌ مِنَ التَّحَرُّقِ. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَأَوْصِيهِمْ، وَلَسْتُ أَنَا الْمُوصِي، بَلِ الرَّبُّ، بِأَنْ لَا تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا، — وَإِنْ فَارَقَتْهُ فَلْتَبْقَ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ أَوْ فَلْتَصْلَحْ زَوْجَهَا —

^١ - عبد الناصر توفيق العطار : أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود من المعربين، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ١٠٢ .

^٢ - راشد عبد الله الفرحان : الأديان المعاصرة ، ٢٠٠٤ م، ص ٦٣ .

^٣ - من الملاحظ ان بولس قد أدخل على المسيحية كثيراً من العقائد التي لا تمت إلى المسيحية الحقيقية بأي صلة ومن بين تلك العقائد : التقليل من شأن المرأة والقول بألوهية المسيح وصلبه أنظر العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل كورنثس، ص ٦٥٠ .

وَبَالًا يَتَخَلَّى الزَّوْجُ عَنْ امْرَأَتِهِ^١. وآيات بولس هذه فيها اعتداء سافر على حرية المرأة، وأدت أيضاً إلى انتشار الرهينة بين صفوف المسيحيين، وشيوع نظرة الاحتقار والازدراء، بالإضافة للاستغلال البشع لحقوق المرأة، ويعلق محمود عبد السميع شعلان على ما آل إليه أمر المرأة المسيحية من سوء؛ "مما كان له أكبر الأثر بعد ذلك في ظهور الرهبانية، والترعة المحتقرة للمرأة، وعلو أصوات [القائلين] أن المرأة ما هي إلا رجس وشيطان يسير بين الناس، وبدأ يشتد الجدال حول إنسانيتها، وهل لها روح مثل الرجال أم لا"^٢. ومن الأشياء التي يؤكد عليها العهد الجديد، هو ما يسمى بالأخلاق البيتية، فتجده ينظم العلاقات بين الزوجين رجالاً ونساءً، ويُقابل بولس بين الزواج واتحاد المسيح بالكنيسة، فشبه المسيح بالزوج لأنه رأسها يحبها حُبَّ لجسده، كما هي الحالة بين الزوجين، وتشبيه محبة الله لشعبه بمحبة الزوج لزوجته يرجع إلى أسفار العهد القديم، حيث ورد فيها النصُّ التالي: "أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ قَالَ الرَّبُّ لَهُ هُوشَعَ اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً زَنًى وَأَوْلَادَ زَنًى لِأَنَّ الْأَرْضَ زَنَتْ زَنًى تَارِكَةً الرَّبَّ. فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُمَرَ بَنَتْ دَبْلَايِمَ فَحَبَلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا، ثُمَّ حَبَلَتْ أَيْضاً وَوَلَدَتْ بَنَتاً... حَاكُمُوا أُمُكُمْ حَاكُمُوا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا لِكَيْ تَعَزَلَ زَنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفَسَفَهَا مِنْ بَيْنِ تَدْنِيهَا"^٣. ولكل إنسان الحقُّ في أن يتساءل: هل من العقل بشيء أن يأمر الربُّ عبده هوشع بأن يختار له زوجة زنى؟. مع العلم أن هوشع أو يوشع هو الذي اختاره موسى عليه السلام لقيادة بني إسرائيل، وذلك عند ما شعر بدنو أجله حسب رواية العهد القديم أو التوراة كما أشار البحث إلى ذلك في موضع سابق؛ وذلك

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٦٥٠، رسالة بولس إلى أهل كورنتس، الإصحاح ٧: ١١، ١٠، ٩، ٨.

^٢ - محمود عبد السميع شعلان : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ٤١٩.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ١٢٨٦، سفر هوشع الإصحاح ١: ٦، ٣، ٢، والإصحاح ٢: ٢.

لاتصافه بمقامات القيادة، والتي من أعظم مميزاتها العفة والشرف كما أن بعض اليهود يعدّون هوشع من أنبيائهم، ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى يختار الأنبياء ويصطفاهم من بين خلقه، ومن أبرز صفاتهم الطهارة من الفواحش ظاهرة وباطنة. وفي رسالة بولس لأهل أفسس، شرح واف لتلك العلاقة الزوجية، فيقول: "لِيَخْضَعَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ الْمَسِيحُ. آيَتِهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لَأَزْوَاجِكُنَّ خُضُوعَكُنَّ لِلرَّبِّ، لِأَنَّ الرَّجُلَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ وَهُوَ مُخَلَّصُهَا. وَكَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ فَتَخْضَعُ النِّسَاءُ لَأَزْوَاجِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحْبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ وَجَادَ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِهَا. مَنْ أَحَبَّ أَمْرَأَتَهُ أَحَبَّ نَفْسَهُ".

الفرع الثالث : الطلاق وأسبابه في الشرع اليهودي: لقد أباح سيدنا موسى عليه السلام الطلاق، بسبب قساوة قلوب اليهود كما جاء ذلك في إنجيل متى، إذ يقول: "وَلَمَّا أَتَمَّ يَسُوعُ هَذَا الْكَلَامَ، فَذَنَا إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ لِيُخْرِجُوهُ: أَيْحَلُّ لَأَحَدٍ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِأَيَّةِ عِلَّةٍ كَانَتْ؟ فَأَجَابَ: أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الْخَالِقَ مُنْذُ الْبَدَأِ جَعَلَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقَالَ: يَصِيرَانِ جَسَدًا وَاحِدًا ... فَمَا جَمَعَهُ اللَّهُ فَلَا يُفَرِّقُهُ الْإِنْسَانُ. فَقَالُوا لَهُ: فَلَمَازَا أَمَرَ مُوسَى أَنْ تُعْطَى كِتَابَ طَلَاقٍ وَتُسَرَّحَ؟ قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَجَلَ قَسَاوَةَ قُلُوبِكُمْ رَخَّصَ لَكُمْ مُوسَى فِي طَلَاقِ نِسَائِكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ مُنْذُ الْبَدَأِ هَكَذَا. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لِفَحْشَاءٍ، وَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا فَقَدْ زَنَى".^١ وبالرغم من أن التوراة أباحت الطلاق، إلا أن العهد القديم توجد به نصوص تنفر منه؛ لأنه ظلم وجور ويأباه الله عز وجل حسب ادعائهم، كما ورد في سفر الأمثال، فهو يبحث اليهودي أن يتزوج يهودية وألا يتصاهر مع الغرباء من الأمم الأخرى، فيقول: "أَشْرَبُ مِيَاهًا مِنْ جُبِّكَ وَمِيَاهًا جَارِيَةً مِنْ بَيْتِكَ. لَا تَفْضُ يَنَابِيعُكَ إِلَى

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم" م.س، ص ٧٩٥-٧٦٠، رسالة

بولس إلى أهل إفسس الإصحاح ٥: ٢٢، ٢١، ٣٢، ٢٨، ٢٥، ٢٤.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م.س، ص ١١٨، إنجيل متى، الإصحاح ١٩:

١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.

الخارج...لَتَكُنْ لَكَ وَحْدَكَ... وَأَفْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ... فَلَمْ تُفْتَنْ يَا بُنَيَّ بِأَجْنَبِيَّةٍ وَتَحْتَضِنُ غَرِيَّةً"^١. فيتبين للباحث أن العهد القديم يكره الطلاق مع إباحته له، وإن الشرع اليهودي أباح للرجل وحده حق الطلاق وليس للمرأة، إذ يقول محمود عبد السميع شعلان وكما جاء في مجموعة حاي بن شععون: "كان الطلاق عند اليهود حقاً طبيعياً للرجل، لا ينازعه فيه أحد ولا يشاركه فيه غيره، لأن الزواج قيد تكبل به المرأة لا يفكه سوى الرجل، وقبول المرأة الطلاق ليس شرطاً، ولا يُعْلَقُ الطلاق على دفع الرجل حقوق المرأة إذا كان مُعْسِراً. والمرض لا يمنع من الطلاق ما لم يكن مؤثراً على القوى العقلية ولو كان مرض الموت"^٢.

الفرع الرابع : الطلاق وأسبابه في الشرع المسيحي: لقد تطرف المسيحيون في بعض العصور في مسألة الطلاق تطرفاً شديداً، فمنعوه إلا لعلّة الزنا. أما الكاثوليك: فقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك فمنعوه منعاً باتاً حتى مع وجود علّة الزنا، "والحل الذي يلجأون إليه في هذه الحالة هو أن يفترق الزوجان جسدياً، ويعيش كل واحد منهما منفرداً عن الآخر، ويحرم على كل منهما أن يتزوج بغيره، ولكن تبقى سبل المصادقة والمعاشقة مفتوحة أمام كل منهما. وهي سبل الشيطان الرجيم"^٣. أمّا طائفة البروتستانت والأرثوذكس: فتبيحان الطلاق بسبب الزنا أو تغير الدين، ولكنهما تحرمان على الرجل والمرأة أن يتزوجا بعد ذلك .

ولقد أدركت بعض الدول المسيحية الأمر، فيسرت الحصول على الطلاق وشرعت القوانين في ذلك، وقد جعل القانون الفرنسي للطلاق أربعة أسباب: سببان رئيسان أساسيان، فإذا تحقق القاضي من وجودهما حكم بالطلاق، هما: الزنا والحكم بعقوبة جنائية تمسّ الجسم وتخل بالشرف

^١ - الكتاب المقدس " العهد الجديد"، م.س، ص ٤٢، سفر الأمثال، الإصحاح ٥: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠.

^٢ - محمود عبد السميع شعلان: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، م.س، ص ٤٧٠.

^٣ - الكتاب المقدس " العهد القديم"، م.س، ص ٩٤١، سفر الأمثال، الإصحاح ٥: ٣.

والاعتبار. أما السببان الآخران فهما جوازيان. وللقاضي سلطة تقديرية من حيث الحكم بالطلاق من عدمه، وهما القسوة وسوء المعاملة من ناحية والإهانة الجسمية من ناحية أخرى. ويكفى أن نعلم أنه ما إن أُقرَّ الطلاق في إيطاليا عام ١٩٧١ م. حتى تقدّم إلى المحاكم أكثر من مليون طلب طلاق.

أسباب الطلاق عند المسيحيين: لقد صدرت قوانين عدة عند المسيحيين تبين أسباب الطلاق، ولعل من أشهرها مجموعة قوانين عام ١٩٥٥ م في مصر: وهي المجموعة التي تقدم بها المجلس الملي لوزارة العدل، تمهيداً لإصدارها قانوناً تطبق نصوصه على الأقباط الأرثوذكس بعد صدور القانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بإلغاء المجالس المليّة، وقد حصرت هذه المجموعة أسباب التطلاق كما يلي:

- ١- يجوز لكل الزوجين أن يطلب الطلاق لعلّة الزّنا .
- ٢- ينفسخ الزواج إذا خرج أحد الزوجين عن الدين المسيحي .
- ٣- إذا غاب أحد الزوجين خمس سنوات متتالية بحيث لا تعلم حياته من وفاته ولا يعلم مقره وصدر حكم بإثبات غيبته، عندئذٍ يجوز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق.
- ٤- الحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال الشاقة أو الحبس لمدة سبع سنوات فأكثر.
- ٥- إذا أصيب أحد الزوجين بجنون مطبق، وقد مضى خمس سنوات على الجنون، وثبت أنه غير قابل للشفاء .
- ٦- إذا اعتدى أحد الزوجين على الآخر اعتداءً جسيماً يعرض صحته للخطر.

الفرع الخامس : مفهوم الميراث في الشرع اليهودي: سيطرت على اليهود عقدة الوثنية والعنصرية حتى إنهم اعتبروا أنفسهم الورث الشرعي للأُمميين حسب ادعاءهم الباطل، وتصرّح أسفارهم المقدسة بأن الشعوب الأخرى، سخرها الله تعالى غنيمة وإرثاً خالصاً لشعب الله المختار، كما جاء في سفر التثنية: "حِينَ تَقْتَرِبُ مِنْ مَدِينَةٍ لَكَ تُحَارِبُهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ. فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ

لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ... وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ... فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَغْدَاثِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جَدًّا"^١. وَأَوَّلُ مَنْ يَرِثُ الرَّجُلُ الْيَهُودِيَّ وَفَقَ تَعَالِيمُهُمْ وَلَدَهُ الذَّكَرَ فَإِذَا تَعَدَّدَ الذَّكَرُ، فَلِلْوَلَدِ الْبَكْرِ مِثْلُ حِظِّ اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْلُودُ مِنْ نِكَاحٍ صَحِيحٍ أَوْ غَيْرِ صَحِيحٍ.

أما بالنسبة للبنات: فمن تبلغ الثانية عشرة سنة من العمر فلها النفقة والتربية، وإذا لم يكن للبيت ولد ذكر انتقل الميراث إلى ابن ابنه، وإذا لم يكن له ابن ابن انتقل الميراث إلى البنت فأولادها وهكذا، ولا تترث المرأة زوجها وكل ما لها بعد موته موجِّلُ الصداق. وتجدر في سفر أيوب أن البنات يرثن مع وجود الأبناء الذكور، مما يدل على الاضطراب وعدم الثبات في عقيدتهم وسائر طقوسهم الدينية، ما ورد في سفر أيوب، إذ يقول: "وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَانِهِنَّ. وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبَعَانَ الْأَيَّامِ"^٢.

الفرع السادس : مفهوم الإرث في الشرع المسيحي : إن الأناجيل لم تهتم بتنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض ولا سيما في شؤون المعاملات إلا فيما يتصل بأمر الطلاق، ولهذا فإنه لا يوجد أي نص في الأناجيل ولا في الرسائل أو أعمال الرسل ما يشير إلى حكم من أحكام الميراث. ويؤكد هذا الأمر محمود عبد السميع شعلان، فيقول: "إن أحكام الميراث في المسيحية مستمدة من التشريعات اليهودية ومن القوانين الوضعية مثل: مجموعة القوانين المعروفة بقوانين الملوك وقرارات المجامع وقوانين البطارقة"^٣.

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٣١١، سفر التثنية، الإصحاح ٢٠:

١٥، ١٤، ١١، ١٠.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٨٢٣، سفر أيوب، الإصحاح ٤٢:

١٧، ١٦، ١٥.

^٣ - محمود عبد السميع شعلان : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ، م.س، ص ٧١٢

من شروط الميراث وأسبابه في المسيحية.

١- موت المورث حقيقةً أو حكماً بغيبته غيبة منقطعة .

٢- تحقق حياة الوارث بعد موت المورث أو إلحاقه بالأحياء تقديراً كالجنين بشرط أن يولد حياً.

أسباب الميراث في الشرع المسيحي.

هي الزوجية والقربة الطبيعية الشرعية، ويخرج بالقربة الطبيعية زوج الأم وزوجة الأب، وتخرج بالقربة الشرعية القربة الطبيعية غير الشرعية، كقربة الابن الذي جاء نتيجة علاقة غير مشروعة، أو نتيجة زواج باطل في المسيحية، كزواج أرملة الأخ، أو أخت الزوجة بعد وفاة أختها.

موانع الإرث عند المسيحيين.

هي القتل واختلاف الدين، فمن قتل مورثه عمداً أو اشتراك في تلك الجريمة مع غيره أو ساعد في وقوعها، فإنه يحرم من الإرث إذا ثبت عليه ذلك قضاءً، وكذلك لا يرث عندهم من اعتنق ديناً غير المسيحية، وظل على دينه الجديد حتى موت مورثه.

هكذا تناول هذا المبحث بعض المظاهر العقائدية وعبادي الصلاة والصيام ومن ثم بعض الأحوال الشخصية عند أهل الكتاب "يهود والنصارى"، مثل الزواج والطلاق والإرث والتي كشفت عن الموروث العنصري والوثني الذي سيطر على الجانب العقدي لديهم، بل ومعظم مناحي حياتهم. لذا فقد أخذت الموضوعات المتعلقة في أحكام الشريعة الإسلامية جانباً مهماً من هذه الدراسة، حيث كان الجانب المسيحي — ومن خلال الحوارات المتعددة — يلقي بعض الشبهات، لا سيما حول العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية في الإسلام، بما فيها الزواج والطلاق وأحوال الإرث؛ لذا فإنه لا بدّ من طرح الموقف الإسلامي من تلك العقائد والمظاهر التعبدية، والمشفوع بالأدلة مع شيءٍ من التركيز على دواعي الحوار الديني المعاصر.

الفصل السادس

موقف الإسلام من اليهودية والمسيحية

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: في مجال العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: في مجال بعض العبادات الإسلامية.

المبحث الثالث: في مجال الأحوال الشخصية من

النظرة الإسلامية.

المبحث الرابع: الحوار الديني المعاصر "بين الإسلام

واليهودية والمسيحية".

الفصل السادس: موقف الإسلام من اليهودية والمسيحية

المبحث الأول: في مجال العقيدة الإسلامية وفيه أربعة مطالب.

بعد أن ابتعد أهل الكتاب عن التعاليم السماوية التي جاء بها سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وهي مُصَحَّحَةٌ ومُكَمَّلَةٌ لما جاء به سيدنا موسى بن عمران عليه السلام، ومضت مدة زمنية، عبد فيها كثير من الناس الأصنام والأوثان،^١ وصاروا فيها أصحاب جاهلية لذا تجدر الإشارة هنا إلى ما شاع من اعتقاد عند المسيحيين ردحاً من الزمان.

فهذا مثلاً رينيه جيرارد ينتقد بعض آيات العهد القديم، لا سيما المزامير المتعلقة بوصف موت يسوع كما يعتقدون، فيقول: "عند ما نقوم بدراسة آلام يسوع، يلفت نظرنا الدور الكبير الذي تلعبه استشهادات العهد القديم وخاصة المزامير... لا بدّ من الاعتراف بأنّ الإنجيل يبرز بقوة بعض مقاطع المزامير، وبعض الجُمْل مّا ليس له أهمية تُذكر بحدّ ذاته.

ماذا نقول مثلاً عندما نرى يوحنا يربط الجملة التالية بالحكم على يسوع: "لَكِنْ اِكْمِلْ تَتَمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلا سَبَبٍ"^٢. لا شكّ أن هناك علاقة بين المزمور والأسلوب الذي استعمله إنجيل يوحنا في وصف موت يسوع. ولكنّ الجملة بحدّ ذاتها تظلّ مُبْتَذَلَةً"^٣.

أما وقد بلغت الجاهلية — آنذاك — أقصى خطرها على البشرية جمعاء. فكانت الأرض إذاً في أَمَسِّ الحاجة إلى تدخّل السماء، فأرسل الله تعالى نبيّه محمداً (ﷺ) برسالة التوحيد "الإسلام" ويشير إلى هذه المعاني راشد عبد الله الفرحان، فيقول: "ومن بين تلك الأمم [الذين عبدوا الأصنام بعض القبائل العربية]، التي تسكن الجزيرة العربية وعاصمتها حينئذٍ مكة المكرمة،

^١ - الأصنام والأوثان: اسمان مترادفان لما يعبد من دون الله، سواء كان حجراً أو شجراً أو إنساناً أو جناً أو غير ذلك. قيل الأصنام، هي مفرد الصنم وهي معرّب شَمَن وهو الوثن، أنظر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، م، س، ص ٣٧١.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد" م، س، ص ١٧٧، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥: ٢٥.

^٣ - رينيه جيرارد: كبش الفداء العنف والاضطهاد، ترجمة جهاد هواش وعبد الهادي عباس، مطبعة الشام، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٩٦—٩٧..

فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَهُ مُحَمَّدًا (ﷺ) لِلنَّاسِ كَافَةً بِشِيرًا وَنَذِيرًا، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ سُمُّوا الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ تَسْمِيَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى^١.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بِيَكُمُ إِِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^٢. إِنَّ اللَّهَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَيْضًا، وَرَضِيَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا. وَكَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مَعْنَاهَا السَّلَامُ وَالْأَمْنُ وَالْوَثَامُ وَالْأُخُوَّةُ، وَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْقُرْآنِ، وَفِي الْقُرْآنِ أَيْضًا يَبَيِّنُ فَضْلَكُمْ عَلَى الْأُمَمِ وَسَمَّاكُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ الْأَكْرَمِ؛ لِأَجْلِ الشَّهَادَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَلَمَّا خَصَّكُمْ بِهَذِهِ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تَرُدُّوا تَكْلِيفَهُ، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^٣. لِيَشْهَدَ عَلَيْكُمْ الرَّسُولُ بِتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ لَكُمْ، وَتَشْهَدُوا أَنْتُمْ عَلَى الْخَلَائِقِ أَنَّ رَسُلَهُمْ قَدْ بَلَّغْتَهُمْ، وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اخْتَارَكُمْ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْجَلِيلَةِ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ وَدَفْعِ الزَّكَاةِ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أَيِ اسْتَمْسَكُوا بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَثَقُوا وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى نِعْمَ النَّاصِرُ وَالْمَعِينُ.

المطلب الأول: توحيد الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْإِسْلَام: قَبْلَ تَوْضِيحِ مَعْنَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، يَنْبَغِي أَنْ نَتَذَكَّرَ عَصَبَ الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالَّتِي اخْتَلَطَتْ بِالْوَثْنِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِ فِي الْآلِهَةِ، وَكَمَا أَشَارَ الْبَحْثُ إِلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ سَابِقٍ، وَقَدْ فَصَّلَ أَحْمَدُ دِيدَاتِ النُّظَرِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ عَنِ اللَّهِ، يَقُولُ: "إِنَّ وَفَاةَ عَيْسَى [عَلَيْهِ السَّلَام] عَلَى الصَّلِيبِ هِيَ عَصَبُ كُلِّ الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ، إِنَّ كُلَّ النُّظَرِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ عَنِ اللَّهِ، وَ الْخَلِيقَةِ، وَالْخَطِيئَةِ، وَعَنِ الْمَوْتِ، تَسْتَمِدُّ مَحْوَرَهَا

^١ - راشد عبد الله الفرحان: الأديان المعاصرة، م١٠٠، ص٢٤.

^٢ - سورة الحج، الآية ٧٨.

^٣ - سورة الحج، الآية ٧٨.

من المسيح المصلوب. وكل النظريات المسيحية عن التاريخ و الكنيسة والإيمان والتطهر، وعن المستقبل وعن الأمل، إنما تنبع من المسيح المصلوب. ويعتقد المسيحيون أن المسيح عيسى هو الله مُجَسِّدًا على صورة الإنسان، وحسب التصور المسيحي فإن عيسى يجب أن يموت؛ لأن آلاف التضحيات لا يمكن أن تُخَلِّصَ الإنسان من آثامه، لكنَّ تضحية المسيح وحدها هي التي تُخَلِّصُ البشرية من خطاياها^١. ويمكن القول أنه أشيع بين المسيحيين أن انتفاء الصلب هو انتفاء للديانة المسيحية كما يزعمون، بل إن آلاف الطوائف المسيحية تتنافس في تخليص غير المسيحيين من نار جهنم، عندما يؤمنون بصلب المسيح. أمَّا المسلمون فيعتقدون بوجود الله تعالى الواحد الأحد، الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بغير عَمَدٍ، كما يؤمنون بجميع كتب الله المقدسة: التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتي لم يدخلها التحريف والزيادات، كما يؤمنون بجميع أنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله، ويعتقدون بأن النبي محمداً (ﷺ)، هو خاتم النبيين والمرسلين، ويصدقون بجميع أركان الإيمان، وهنا ينبغي توضيح معنى الربوبية. فقد قام زكريا المصري بتقديم تعريف لتوحيد الربوبية، فيقول هو: "الخلق والإيجاد من العدم والرزق والعطاء والعناية والرعاية، وتصريف الأمور بما يُحَقِّقُ الغاية العليا التي خُلِقَ من أجلها هذا الكون، وهو ظهور الكمال المطلق فيه"^٢. وفي مجال خلق السموات والأرض والحكمة من وراء ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^٣. أي خلقهما الله تعالى بالحق الثابت والحكمة الفائقة، لَا عَبَثًا وَلَا جَزَافًا؛ لأنه تَمَجِّدَ سبحانه وتعالى وتقدَّسَ عن الشريك والتَّظْهِير، فالله تعالى ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه. قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْعَدُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾^٤.

^١ - ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء م.س، ص ١٠.

^٢ - زكريا عبد الرزاق المصري: أهمية التوحيد وخطر الشرك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

^٣ - سورة النحل، الآية ٣.

^٤ - سورة الإسراء، الآيتان ٤٢ - ٤٣.

وفي هذا النص دليل على نفى الآلهة في الأرض — دون اله العرش — الذين يشاركون الربّ في ربوبيته، فالتوحيد هو مضمون الآية الكريمة. ويتعرّض عبد الرحمن حبنكة إلى قضية التوحيد، فيقول: "أنه لو كان مع الله آلهة تحكم وتتصرف، وتحيي وتميت، وترزق وتشفي، ومن أجل ذلك تستحق أن تُعبد — كما يقولون المشركون — للزم أن تتخذ هذه الآلهة سبيلاً لمناقشة ومنازعة ومقاتلة إله العرش — الذي يعترفون به ربّاً خالقاً، ولا ينكرون وجوده وقدرته، ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى؛ لأنّ الربوبية المتضمنة لكمال التصرف وكمال القدرة، لا تقبل الخضوع والاستسلام لربوبية فوقها، أما وأنها لم تتخذ هذا السبيل لإله العرش، ورضيت بضعفها وألوهيتها المزعومة في نطاق الأرض، فإنّ ضعفها هذا من أكبر الأدلة على أنّها مخلوقة كسائر المخلوقات، وقد انتحلت لها الإلهية انتحالاً باطلاً لا يصاحبه دليل تقبله العقول"^١. ويستنتج من هذا أنّ الله سبحانه وتعالى مترّة عن كل الشركاء وله وحده الربوبية والألوهية فتعالى الله عما يقوله المشركون علواً كبيراً.

وكون الله وحده هو الربّ الخالق المدبّر للأمر كلّ ولا شريك له في ربوبيته، فإنّه يستلزم عقلياً أن يكون هو وحده المعبود بحق ولا يصح أن يُعبد غيره، وكل عبادة لغيره شرك به.

وصفة الوحدانية هذه من صفات الله التي نادى بها جميع الأنبياء والمرسلين دون استثناء، وهي من الصفات التي تتقبلها بديهة العقل، عند من لفت إلى الحقيقة الربانية أدنى نظر. والعقيدة الإسلامية تؤمن إيماناً عميقاً راسخاً بأنّ الله وحده لا شريك له، بيده الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير. وحيث إنه سبحانه وتعالى واحد، وبيده النفع والضّر، فنحن لا نعبد غيره ولا نشرك بعبادته أحداً. وبذلك نستجمع في عقيدتنا مبدأ توحيد الربوبية لله تعالى وحده، فهو ربّ السموات والأرض، لم يُشاركه في خلقها وتربيتها ومدّها بالبقاء شريك. فالله تعالى واحد في ربوبيته، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

^١ - عبد الرحمن حسن الحبنكة: العقيدة الإسلامية وأسسها، ١٠م، ص ١٥٧.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية في الإسلام: الله سبحانه وتعالى واحد في ألوهيته؛ لأنَّ الألوهية مصدر بمعنى الأمر المطلق الذي لا يُردُّ بحال من الأحوال، وإنما يستوجب الطاعة المطلقة بلا تردُّد ولا تشكُّك ولا توقُّف، فالإله هو الذي يأمر ويُطاع، وينهى فيُستجاب لنهيه، فالألوهية هي الطاعة المطلقة، ولا ينبغي أن يكون هذا الحقُّ لغير الله تعالى؛ لأنَّ الله سبحانه هو وحده الذي خلق الإنسان وخلق الكون بأسره. قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١. فيها هم كفار قريش يعترفون ويقرُّون بأنَّ الله خالق السموات والأرض، ومن ثمَّ يعبدون معه شركاء من الأصنام مع اعترافهم أنَّها مُلكٌ له وحده وأنَّها مخلوقاته. فالحمد لله على ظهور الحجة وعلى أنَّ دلائل الإيمان ظاهرة للعيان، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يُفكِّرون بتدبُّر للأمر؛ فلذلك لا يعلمون أنَّ الله تعالى واحد في ألوهيته فلا يستحقُّ العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجُّه بخوف أو رجاء إلا إليه، فلا خشية إلا منه ولا ذلُّ إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه. "والبشر جميعاً سواء كانوا أنبياء وصدِّيقين أم ملوكاً وسلاطين — عبادُ الله، لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فمن آله واحداً منهم أو خضع له وحنى رأسه، فقد جاوزهُ به قدرُهُ، ونزل بقدرِ نفسه"^٢. لذا فقد كانت دعوة الإسلام للناس كافةً، ثم حاطبت أهل الكتاب "اليهود والنصارى" خاصة؛ لأنَّهم أصحاب رسالات سماوية في الأصل. فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ شَيْءٌ وَكَأَنَّا بَعْضُ مَا نَعْبُدُ أَمْ رَبَّابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^٣. هكذا أقام القرآن الكريم الحجة على اليهود والنصارى، وأبطل دعواهم في شأن العزيز وألوهية السيد المسيح عليه السلام، فدعا الفريقين اليهود والنصارى إلى التوحيد والافتداء بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ كانت ملته الحنيفية السمحة وهي ملة

^١ - سورة لقمان، الآية ٢٥.

^٢ - يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، بيروت، مؤسسة الرسالة، لا.ت، ص ٢٩

^٣ - سورة آل عمران، الآية ٦٤.

الإسلام، ولم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً كما زعم كلٌّ من الفريقين. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَكَا شُرَكَائِهِ شَيْئاً وَكَاتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^١. من الواضح إذاً أن الله تعالى يأمر نبيه محمداً (ﷺ) بمصارحة أهل الكتاب في شأن التوحيد، ويوضح لهم معنى الآية الكريمة والتي تناديهم قائلة: يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى كلمة عادلة مستقيمة، فيها إنصافٌ من بعضنا لبعض، وهي أن تُفردَ الله وحده بالعبادة، ولا نجعل له شريكاً، ولا يعبد بعضنا بعضاً، كما عبد اليهود والنصارى عُزيراً وعيسى، وأطاعوا الأحرار والرهبان فيما أحلوا لهم وحرّموا. وروي أن الآية لما نزلت، قال عديُّ بنُ حاتم: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله، فقال (ﷺ) (أَمَا كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ وَيُحَرِّمُونَ فَتَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِمْ؟) فقال: نعم. فقال النبي (ﷺ): (هُوَ ذَلِكَ)^٢.

فإن أعرضوا عن التوحيد، ورفضوا قبول تلك الدعوة العادلة. فقولوا أيها المسلمون الموحّدون: اشهدوا يا معشر أهل الكتاب بإسلامنا وتوحيدنا لله تعالى، وأنا مُقرُّون لله سبحانه وتعالى بالوحدانية، ومُخلصون له العبادة.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه (أن أحرار اليهود ونصارى نجران، اجتمعوا عند رسول الله (ﷺ)، فتنازعوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً)^٣. فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^٤.

ما كان إبراهيم على دين اليهودية، ولا على دين النصرانية، فإن اليهودية ملةٌ مُحَرَّفَةٌ عن شرع سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك النصرانية ملةٌ مُحَرَّفَةٌ عن شرع سيدنا عيسى عليه السلام، وأما إبراهيم عليه السلام فكان حنيفاً

^١ - سورة آل عمران، الآية ٦٤.

^٢ - محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الصحيح، حديث رقم " ٣٠٩٥ "، ج ٥، كتاب تفسير القرآن، الباب " ١٠ "، ص ٢٩٥-٢٦٠. ورواه الإمام أحمد بن حنبل تحت رقم " ٣١٨/١ - ٣٥

^٣ - أخرج ابن اسحاق وابن جرير، تحت رقم الحديث ١١ / ٢٥١.

^٤ - سورة آل عمران، الآية ٦٧.

مسلمًا. أي مائلاً عن الأديان كلها إلا الدينَ القِيمَ، وهو دين التوحيد، الإسلام، ولم يكن مشركاً. وفيه تعريض بأنهم مشركون بقولهم: عزيزٌ بن الله والمسيح بن الله، وردُّ على دعوى المشركين أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام. وجاء الردُّ القاطع على ادعاء اليهود والنصارى، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^١.

يبين الله تعالى على ضوء الآية الكريمة أن أحقَّ الناس بالانتساب إلى إبراهيم عليه السلام هم أتباعه الذين سلكوا طريقه ومنهجه في عصره وبعده أيضاً. ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ أي محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي المؤمنون من أمة سيدنا محمد (ﷺ). فهم الجديرون بأن يقولوا نحن على دينه، لا أنتم ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي حافظهم وناصرهم.

ولما كان الشرك في العبادة يستلزم في مضمونه عدم توحيد الربوبية، اقتضت الحكمة تصحيح عقيدة المشركين، والرجوع بهم إلى الأدلة التي تثبت وجود الله تعالى وتفرده بالربوبية؛ لتكون هذه العقيدة هي الأساس لتصحيح الفقرة الثانية من العقيدة الإسلامية، وهي فقرة توحيد الألوهية، أي أفراد الله الخالق وحده بالعبادة، وإثبات أن أية عبادة لغيره شركٌ به جلَّ جلاله، وكفرٌ بحقِّ إفراده بالعبودية الذي يستلزم التشكُّك في تفرده بالربوبية وخصائصها في الخلق والرزق، والحياة والموت والنفع والضُرُّ.

المطلب الثالث: مظاهر الإيمان بالله تعالى في الإسلام: بعد أن تناول البحث مظاهر العقيدة والإيمان عند اليهود والنصارى، قبل وبعد تحريفهم لرسالاتهم. كان لزاماً أن يتناول مفهوم الإيمان بالله تعالى في الشرع الإسلامي؛ لكي يستقيم الأمر وفقاً لفطرة التوحيد العادلة التي فطر الله تعالى عليها عباده، ولأن الإيمان بالله تعالى هو القاعدة الفكرية التي بُنِيَ عليها جميع الأفكار عن الحياة، وأن جميع الأعمال الصالحة، ينبغي أن توافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد (ﷺ)، اقتداءً بالحديث النبوي الشريف التالي: فعن

^١ - سورة آل عمران، الآية ٦٨.

مالك أنه بلغه أن رسول الله (ﷺ) قال: (تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتُم بهما: كتاب الله وسنة نبيه)^١.

ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَمَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٢.

فإن الله تعالى يُكرم عباده الصالحين في الدنيا والآخرة، بأن وعدهم حياةً طيبةً متمثلةً بالقناعة والرزق الحلال، والتوفيق لصالح الأعمال. قال الحسن البصري: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة؛ لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وسعادة بلا شقاوة. ويبين يوسف القرضاوي السبب الحقيقي الذي يوصل المرء إلى هناءة الحياة، فيقول: "إنَّ أول أسباب السكينة لدى المؤمن، أنه قد هُديَ إلى فطرته التي فطره الله عليها"^٣. فالله تعالى خلق الخلائق وجعلهم مستعدين بفطرتهم وطبيعتهم السوية إلى التوحيد، فلو ترك الإنسان شأنه لما اختار غير الإسلام ديناً لأنه دينُ الفطرة والاستقامة، فهو دين جاء يُخاطب العقل، ويسير مع حاجات النفوس السليمة في جميع أحكامه وضوابطه. ومن الأدلة على التوافق مع الفطرة الأصيلة، قوله تعالى:

﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مَنِيبِينَ إِلَيْهِ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا كُفُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^٤.

إن الله تعالى يحث على الإخلاص لدينه، والإقبال على الإسلام بهمة ونشاط، فهذا الدين الحق الذي أمر الله تعالى عباده بالاستقامة عليه، هو خلقه الله التي خلق الناس عليها، وهو فطرت التوحيد كما ورد في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ): (كلُّ مولود يُولدُ على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تُنتج البهيمة هل ترى

^١ - الإمام مالك بن أنس: الموطأ، بيروت، دار النفائس، تحت رقم الحديث "١٦١٩"، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، ورواه أبو داود، وابن ماجه، في كتاب المناسك، برقم "٥٦ ٨٤".

^٢ - سورة التحل، الآية ٩٧.

^٣ - يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، م، س، ص ٩٦.

^٤ - سورة الروم، الآية ٣٠ - ٣٢.

فِيهَا جَذَعَاءٌ^١. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي لا تغيير لتلك النظرة السليمة، من جهته سبحانه وتعالى. قال ابن الجوزي: لفظه لفظ النفي ومعناه النهي، [أي] لا تبدّلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرهم التي فطرهم الله عليها، ذلك هو الدّين المستقيم، ولكن كثيراً من الناس يجهلون هذه الحقيقة فلا يعلمون أنّ لهم خالقاً معبوداً، وأن مصيرهم إليه فيحاسبهم على ما اقترفوا في حياتهم الدنيوية ثم يجازيهم عليها، ولهذا الأسباب مجتمعة فإنّ الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب ويزن أعماله قبل أن توزن عليه.

المطلب الرابع: اليوم الآخر والثواب والعقاب في الإسلام: إن

المسلمين الذين يؤمنون بوجود الله تعالى، ويدركونه بالعقل والنقل من آياته ومخلوقاته في الكون والإنسان والحياة، حرّياً بهم أن يُصدّقوا باليوم الآخر والحساب والجزاء؛ لأن ذلك من البينات والحجج الدامغة، وهي التي يلفت الله تعالى إليها أصحاب الأبصار والبصائر، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذِرُكُمْ الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ^٢﴾.

فالإيمان بالله يوجب الإيمان بالرسول الذين أرسلوا هداية البشر ومؤيدين بالمعجزات الدالة على رسالة كل منهم، فموسى وعيسى وغيرهما من أنبياء الله عليهم السلام، جاءوا بمعجزات ماديّة لعالم زمانهم ثم جاء النبي محمد (ﷺ) بعدهم خاتماً للأنبياء والمرسلين ورسولاً للعالم أجمع، لأنه جاء بمعجزة دائمة لكل البشر وعلى مر العصور وهي القرآن الكريم والذي يقول الله تعالى فيه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ^٣﴾. ويؤكد محمد علي الصابوني في تفسيره على الغاية السامية التي خُلِقَ النَّاسُ من أجلها، فيقول: "أظننتم أيها الناس، أنّما خلقناكم

^١ - رواه البخاري في صحيحه تحت رقم الحديث "٨٠-٩٣"، وفي باب القدر تحت رقم "٣"، ورواه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث "٢٢-٢٥"، ورواه الإمام مالك في الموطأ، في باب الجنائز تحت رقم الحديث "٥٢٥". وكذلك رواه أبو داود والترمذي بالفاظ وأسانيد متعددة.

^٢ - سورة الأنعام، الآيتان ١٠٣-١٠٤.

^٣ - سورة المؤمنون، الآيتان ١١٥-١١٦.

باطلاً وهماً بلا ثواب ولا عقاب كما خُلِقَت البهائم، وأنه لا رجوع لكم إلى الله تعالى للجزاء؟. لا، ليس الأمر كما تظنون، وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة ثم الرجوع إلى دار الجزاء^١. ومن لطف الله تعالى بعباده أنه جعل التكليف الشرعي لكل نفس، توافرت لديها شروط التكليف محدوداً بحدود استطاعتها ومنحصرأ في طاقتها، فعلى مقدار الهبة الإلهية للفرد تكون درجة التكليف والمسؤولية، ولذلك تتفاوت درجات مسؤوليات الأفراد بحسب هبات الله تعالى لهم، وبهذا يتحقق كمال العدل الرباني، ويرشدنا الله تعالى إلى هذه الحقيقة، بقوله سبحانه:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا فِي سَيِّئَاتِنَا أَوْ آخِذْنَا بِرَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^٢.

ومن عدل الله تعالى فإنه لم يكلف أحداً فوق طاقته، بل جميع التكليف الشرعية بمقدور الإنسان المؤمن أن يقوم فيها عزيمة أو رخصة، لذا فكل نفس لها جزاء ما قدمت من خير وجزاء ما اقترفت من شر. فالؤمن الذي يُدرك الغاية من وجوده، فهو يعيش بين الخوف والرجاء ويرنو إلى عفو ربه ورحمته الواسعة، ولسان حاله ومقاله هو الاهتداء بقوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^٣.

إن المؤمنين يدعون الله تعالى صباح مساء قائلين: يا ربنا أَمْحِ عَنَّا ذُنُوبَنَا وَاسْتَرْ سَيِّئَاتِنَا، فلا تفضحنا يوم الحشر الأكبر وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء. أما عن البعث فقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم، بأن للعالم الحاضر نهاية هي يوم القيامة، وأن لهذا اليوم علامات تظهر قبله ومن علاماته الكبرى ظهور المسيح الدجال، وهو رجل ظالم شيطان يغوي الناس ويضلهم. ثم يبعث الله تعالى عيسى بن مريم من جديد، فيكسر الصليب ويريق الخمر ويقتل المسيح الدجال ويحكم بشريعة الإسلام ويدعو لتوحيد الله كما دعت جميع

^١ - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٣٢٢.

^٢ - سورة البقرة الآية ٢٨٦.

^٣ - سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

الأنبياء، فلا يبقى نصراني على وجه الأرض إلا آمن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً. والموت حق على كل إنسان وسيُبعث يوم الحشر وهو يوم الحساب والجزاء، فيسأل عما فعل في الدنيا، إن كان خيراً دخل الجنة وإن كان شراً دخل النار، ويعتقد المسلمون أن الله يغفر الذنوب جميعاً ماعدا الشرك به والدليل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صَلَاةً بَعِيدًا ﴾^١.

وأن كل من دخل النار غير مشرك بالله، فينال جزاءه على ما ارتكب من الذنوب في الدنيا ثم يخرج منها إلى الجنة والنعيم. وأن في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كتب لهم دخولها.

المبحث الثاني: في مجال بعض العبادات الإسلامية وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : مفهوم رجال الدين لدى المسلمين.

ليس في الإسلام رجال دين بالمعنى الذي يفهمه الغربيون أو غيرهم من الملل الشرقية، وإنما هم علماء .

والتفاوت بينهم بمقدار ما يحمل كل واحد منهم من العلم والفقه والزهد والورع. والدين الإسلامي ليس فيه رهبانية ولا كهنوتية، بل إن الإسلام يعتبر كل مسلم هو مسؤول عن أمور دينه مسئولية ذاتية، ويترتب عليه في حمل دعوة التوحيد والتبشير لها بقدر ما تعلم ودرس.

وإذا حضرت الصلاة مثلاً، يصلي المسلمون في أي مكان طاهر حتى ولو كان كنيسة، ويتقدمهم أي واحد من الحاضرين وليس بالضرورة أن يكون إمام المسجد الراتب أعلم من في المسجد، بل قد تجد كبار العلماء يُصلُّون خلف المؤذن أحياناً في غيبة الإمام، وربما يكون الإمام رجلاً عادياً يعرف قراءة القرآن وشيئاً من الفقه والحديث.

^١ - سورة النساء، الآية ١١٦.

فلا مفهوم في الإسلام لفصل الدين عن الدولة إطلاقاً ، ولا الروح عن المادة والحياة أبداً . كما أنه لا توجد وساطة في الإسلام بين الله وبين الخلق ، فالمسلمون متساوون أمام الله تعالى ، وكل واحد فيهم يدعو ربه متضرعاً خاشعاً طالباً منه الرحمة والمغفرة . ويشهد بذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِينَ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^١ .

ويفسر محمد محمد محمود حجازي الآية الكريمة ، فيقول : " وإذا سألك يا محمد عبادي عني ، فإني قريب منهم أعلم أعمالهم ، وأرقب أحوالهم ، أُجيبُ دعوة مَنْ دعاني مُخلصاً لي قد شَفَعَ دُعَاةُ بالعمل الخالص لوجه الله . وإذا كان الأمرُ كذلك فليُلبّوا دعوتي لهم بالإيمان بي ، أُجيبُ دعوتهم وأجازيهم على ذلك أحسن الجزاء لعلهم بهذا يهتدون إلى الخير النافع لهم"^٢ . وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهم شهداء على الناس عند الله تعالى ، يبلغون رسالات ربه . وأنه سبحانه جعل أمة الإسلام أمةً وسطيةً واعتدال فلا إفراط ولا تفريط ، وعليه فهم أهل التكليف والدعوة إلى التوحيد ، ويشير الله تعالى إلى ذلك ، فيقول سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِلَّةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَتَعْلَمَنَّ مَنِ بَعَثَ الرَّسُولَ مَعَن يَتَغَلَّبُ عَلَى عَقِبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ . ويقول الإمام الزمخشري في ضوء هذه الآية : " روي أن الأئم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء ، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم ، فيؤتى بأمة محمد (ﷺ) فيشهدون ، فتقول الأمم : من أين عرفتم ؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق علي لسان نبيه الصادق ، فيؤتى بمحمد (ﷺ) فيسأل عن حال أئمة ، فيزكهم ويشهد بعدالته"^٤ . وجاء في الحديث الشريف ما يؤكد القول الذي ذهب إليه

^١ - سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

^٢ - محمد محمود حجازي : التفسير الواضح ، م . س ، مج ١ ، ص ١٠٢ .

^٣ - سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

^٤ - محمود بن عمر الزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، م . س ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

الزخشرى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ):
 (يُدْعَى نُوحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟
 فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ
 يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ
 عَلَيْكُمْ شَهِيداً)¹. فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
 لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾². فالحكم في الإسلام إذا
 لله ولرسوله، وما العلماء إلا شارحون ومفسرون ومجتهدون فيما لا نص فيه،
 وهو على عكس ما في المسيحية من إصدار الآراء والقرارات عن الكنيسة،
 باعتبار أن البابا ومن ينوب عنه لهم العصمة من دون الناس، فهم ثواب الله
 في الأرض وعندهم يصدر التشريع الإلهي. وهذا هو سبب الخلاف الكبير
 عندهم والفجوة التي تزداد على مر العصور بينهم وبين المفكرين من عقلاء
 الناس.

المطلب الثاني: تعريف الصلاة والصوم في الإسلام: الصلاة من أجل

العبادات في الإسلام بعد الشهادتين، إذا عرفنا أن العبادة معناها الطاعة وعلى
 البشر أن يطيعوا خالقهم وأن يعبدوه كما أراد سبحانه. فالصلاة مثلاً هي
 فريضة الله تعالى على كل مؤمن، إذ أمر سبحانه وتعالى بأدائها في أكثر من
 موضع في القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا
 وَرُكُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
 مَوْفُورًا﴾³. ويشير الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن إلى أهمية عبادة
 الصلاة، فيقول: "ذهب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور به إنما هو إثر
 صلاة الخوف؛ أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالقلب واللسان على أي
 حال كنتم، وأدعوا ذكره بالتكبير والتهليل والدعاء بالتصر لا سيما في حال
 القتال، وإذا صليتم في دار الحرب فصلوا على الدواب أو قياماً أو قعوداً أو

¹ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، مج ١٠، ص ٢٩-٣٠. رواه الإمام البخاري في صحيحه، تحت رقم الحديث "٤٤٨٧" في باب "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا".

² - سورة البقرة، الآية ١٤٣.

³ - سورة النساء، الآية ١٠٣.

على جنوبكم إن لم تستطيعوا القيام إذا كان خوفاً أو مرضاً، وإذا أمتُّم [سكنت نفوسكم من الخوف] فأتوها [أي الصلاة] بأركانها وبكمال هيئتها في السفر وبكمال عددها في الحضر [مفروضة عليكم بوقتها]^١. وجعلها رسول الله (ﷺ)، القاعدة الثانية من قواعد الإسلام الخمس، فعن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: (بُني الإسلام على خمسة، على أن يُوحَّدَ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج). فقال رجل: الحج وصيام رمضان، قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله (ﷺ). "ومن الحكمة في شرعية الصلاة أنها تُطهِّرُ النفس وتزكِّيها وتؤهِّلُ العبد لمناجاة الله تعالى في الدنيا ومجاورته في الدار الآخرة، كما أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر"^٢. يقول الله تعالى: ﴿ ائْتِ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۚ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۚ وَخُنْ لَهُ مَسْلُونٌ ۖ ۝٤٠ ۚ وَيَفْسُرُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حَجَازِي ۖ هَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمَةِ، فيقول: "الصلاة الحقيقية التامة الأركان، المستوفية الشروط بأركانها وسننها وآدابها الصادرة من قلب بريء خالص، سليم من الرياء والتفاق، مملوء بالخوف من الله والرجاء في عفوه. هذه هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقال الحسن وقتادة: "من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه"^٣. فالصلاة هي الصلة التي تربط العبد بربه جل في علاه.

وخلاصة القول فإن الله تعالى يدعونا إلى البحث في واجب المسلمين نحو دعوتهم ونشر دينهم، ثم كيف يكون موقفهم أمام معارضيهم من أهل الكتاب. فينبغي أن تكون دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وأهل الكتاب منهم المعتدلون في آرائهم ومعتقداتهم، البعيدون عن الشرك والتثليث، وهؤلاء

^١ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، م.س، مج ٣، ص ٣١٨-٣١٩.

^٢ - رواه الإمام محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، في صحيحه، تحت رقم الحديث "١٩-٢٢"، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم "٥٠"، مج ١، ص ٤٥.

^٣ - أبوبكر الجزائري: منهاج المسلم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م. ص ١٥٨.

^٤ - سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

^٥ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، ص ٧١.

يؤمنون بالله وبنبيهم وكتابهم وباليوم الآخر فليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يؤمنوا بمحمد (ﷺ) مع عيسى وموسى عليهما السلام. فهم بعد توفيق الله لهم وشرح صدورهم للإسلام لا يحتاجون إلا إلى نقاش بسيط وجدال بالتي هي أحسن. ومن أهل الكتاب أناس آخرون خلطوا بين التوحيد والتثليث، وحرّفوا كتبهم السماوية ونسبوا لله تعالى الولد أو الشريك، ومع أن هؤلاء قد ضلّوا السبيل إلا إن الإسلام يأمر بدعوتهم بالتي هي أحسن؛ لأن الإسلام يحترم حرية العقيدة. أمّا إذا سلك أهل الكتاب طريق العنف والقوة ومنعوا دعاة الله من تبليغ رسالته إلى الناس، ولم يسلكوا في ردّ الإسلام سبيل الحجّة والبرهان، فعندئذ لن يقف الإسلام موقف المتفرّج ممن يهدم بيته ويصدّد دعوته بالشّدّة والبطش، بل يقابل الاعتداء بمثله ويمنع الظلم والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين.

أما الصوم لغة: فهو الإمساك. وشرعاً: الإمساكُ بنية التّعبد عن الأكل والشرب وعَشَيانِ النساءِ وسائر المفطّرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وفرض الله عزّ وجلّ على أمة محمد (ﷺ) الصيام كما فرضه على الأمم التي سبقتها، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^١.

فالصيام من العبادات التي فرضت على أصحاب الشرائع السماوية التي كانت قبل الإسلام، ولعلّ الحكمة من ذلك هي التربية على التقوى وخشية الله ومراقبته في السرّ والعلانية، ويعلّق السيد قطب على هذه الآية، فيقول: "إنّه سبحانه يعلم أن التكليف أمرٌ تحتاجُ النَّفْسُ البشريّةُ فيه إلى عونٍ ودفعٍ واستجاشة؛ لتنهض به وتستجيب له مهما يكن فيه من حكمة ونفع، ومن ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين، المُذَكِّرُ لهم بحقيقتهم الأصلية، ثم يقرّر لهم - بعد ندائهم ذلك النداء - أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كل دين. وإنّ الغاية الأولى هي إعدادُ قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله ولقد كان من الطبيعي، أن يُفرضَ الصومُ على الأمة، التي فرض عليها الجهاد في سبيل الله، لتقرير منهجه في الأرض، وللقيام به على البشرية، وللشهادة على الناس، فالصوم هو مجال

^١ - سورة البقرة، الآية ١٨٣.

تقرير الإرادة العازمة الحازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه، اتصال طاعة وانقياد، كما انه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها إثارة لما عند الله من الرضى والمتاع".^١

المطلب الثالث: مجال الدعوة الإسلامية.

الدعوة في الإسلام عامة؛ وذلك لأن رسالة الإسلام جاءت لجميع الناس. وقد أرسل الله تعالى سيدنا محمداً (ﷺ) للناس كافة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢. ويذكر التفسير الواضح مبيناً حقيقة دعوة الرسول محمد (ﷺ)، وأنها للناس كافة. "وأما أنت يا محمد فما أرسلناك إلا كافة للناس تمنعهم من الكفر والفسوق والعصيان، وتدعوهم جميعاً إلى الإسلام، ولا عليك شيء بعد هذا أبداً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا"^٣.

ربى الرسول (ﷺ) أصحابه إذاً على هدى دعوة الإسلام، وما يدعو له القرآن الكريم. ويبين لهم أن مجتمع المسلمين المؤمنين بالله، لا يصح أن يتعامل الناس فيه بالكذب، سواء بينهم في معاملتهم مع بعضهم أو مع غيرهم، وأن تكون المجادلة والمناقشة حول الدعوة الإسلامية بالحجج والبراهين الدأخضة والأدلة المقنعة ثم بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن بنا المسلم بنفسه عن الجهالة والعداوة والبغضاء أو الفحش في القول. وذلك تمثيلاً مع قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٤. ويشرح ابن كثير هذه الآية الكريمة، فيقول: "يقول تعالى آمراً محمداً (ﷺ) أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة.

قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة، أي بما [فيهما] من الزواجر، ذكرهم بما ليحذروا بأس الله تعالى، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، فأمر [الله تعالى نبيه]

^١ - السيد قطب: في ظلال القرآن، مج ١، ص ١٦٨.

^٢ - سورة سبأ، الآية ٢٨.

^٣ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م، س، مج ٣، ص ٤٩.

^٤ - سورة النحل، الآية ١٢٥.

بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون، [وأنه سبحانه] قد عَلِمَ الشَّقِيَّ منهم والسَّعِيدَ وكذلك عنده وفرغ منه، فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضلَّ منهم حسرات، فإنه ليس عليك هداهم إنَّما أنت نذير، عليك البلاغ وعلينا الحساب^١.

فهذا انتقاءٌ عفيفٌ الكلمات جميل القول في دعوة الناس ولا سيما المعارضين منهم، فكان ذلك قاعدة من قواعد الإسلام العظيمة التي سار عليها المسلمون في التعامل مع الكفار، والتسامح مع المخالفين لدين الإسلام. وبالرغم من نسخ رسالة الإسلام لما سبقها من الديانات والشرائع، وأنَّ نبيَّ الإسلام (ﷺ)، هو خاتم الأنبياء والمرسلين. هذا وقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين، وأنَّ ما جاءوا به في كتبهم هو الحقُّ من عند الله، وبالرغم من ذلك فقد رَتَّبَ الإسلامُ أحكاماً للتعامل مع مَنْ أَصْرَّ أن يبقى على دينه، فلا يجوز إكراهه على التخلي عن عقيدته والدخول في الإسلام، بل يجب أن يكون ذلك عن إقناع، والدليل قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٢. اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية الكريمة فقال بعضهم: "نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار أو في رجل منهم، كان لهم أولاد قد هودَّوهم أو نصرَّوهم، فلمَّا جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام"^٣. فتجاوز الإسلام أمر عدم الإكراه في الدخول بدين التوحيد، إلى تلك الوصية الذهبية التي يوصينا بها القرآن في معاملة الوثنية التي هي أبعد الديانات عن الإسلام. فيقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٤. إنَّ محاسن الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام حتى مع المشركين، ضمنَّ التاريخ أن يجد لها نظيراً أو مثيلاً، فالإسلام يقول: "وإن استجارك أحد من المشركين وطلب جوارك وحمایتك،

١ - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، م، س، ج ٢، ص ٥٦١.

٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

٣ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م، س، مج ٣، ص ٩-١٠.

٤ - سورة التوبة، الآية ٦.

فأقبل جواره حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويفهم معانيه، ويقف على أسراره العالية فإن الإنسان إذا خرج من بيثة العناد والضلال قد ينشرح صدره للإسلام. ثم أبلغه مأمنه وأوصله للدار التي يأمن فيها إن أسلم أو لم يسلم، وهذا من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الرسول الأعظم^١. فالإسلام حريص على كل قلب بشري أن يهتدي، وأن المشركين الذين يطلبون الحوار والأمان في دار الإسلام يجب أن يُعطوا ذلك، لعل قلوبهم تتلقى فتستجيب لدعوة الله عز وجل وحتى إذا لم تستجب فقد أوجب الله تعالى لهم على أهل دار الإسلام أن يحرسوهم بعد إخراجهم، حتى يصلوا إلى بلد يأمنون به على أنفسهم. "إن هذا الدين إعلامٌ لمن لا يعلمون وإجارة لمن يستجيرون حتى من أعدائه الذين شهروا السيف وحاربوه وعاندوه ... ولكنه إنما يجاهد بالسيف ليُحطَّم القوى المادية التي تحول بين الأفراد وسماع كلام الله ، فالإسلام منهج الهداية لا منهج الإبادة ، وفي الأرض اليوم أنظمة ومناهج وأوضاع من صنع العبيد؛ لا يأمن فيها من يُخالفها من البشر على نفسه ولا على ماله ، ولا على عرضه، ولا على حُرمة واحدة من حُرُمات الإنسان"^٢. وتنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، بالعدل والقسط في المعاملة وتطبيقاً لقاعدة المساواة في الحقوق والواجبات، وهي لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن قبيل سماحة الإسلام وعدالة الإيمان ما يؤكد عليه راشد عبد الله الفرحان من الأعمال والوظائف التي مارسها أهل الكتاب في ظلال الدولة الإسلامية، فيقول: "فقد شَغَلَ كثيرٌ من أهل الكتاب بعض الوظائف الهامة في الدولة، لقد كان والي الصعيد في ولاية عبد العزيز بن مروان سنة ٦٥ - ٨٦ هـ قبظياً اسمه بطرس، وقد كان حاكم مربوط قبظياً اسمه تادفاتس ولم ينته القرن الثالث الهجري، إلا وقد أسلم أكثر أقباط مصر طوعيةً واختياراً، لا قهراً وإجبارةً، فكان المجتمع المصري مجتمعاً إسلامياً في جملته"^٣.

^١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ١، ص ٢٨.

^٢ - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ٣، م.س، ص ١٦٠٢ - ١٦٠٣.

^٣ - راشد عبد الله الفرحان: الأديان المعاصرة، م.س، ص ٤٣.

المبحث الثالث: في مجال الأحوال الشخصية من النظرة الإسلامية وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الزواج وتعدد الزوجات في الإسلام.

النكاح لغة: الضَّمُّ والجمع. ويعني: "الوطء والعقد له، ويقال: رجلٌ نَكَحَ، ونُكِّحَهُ"^١ وشرعاً: "عقد يتضمن إباحة وطاء بلفظ انكاح أو تزويج والعرب تستعمله بمعنى العقد والوطء جميعاً"^٢.

وسنّ الإسلام الزواج لبناء الأسرة المسلمة، وجعله أساساً للنسل والمودة وحفظ النسب ثم الاستعانة على المصالح المشتركة. والحديث الشريف يشير إلى قداسة العلاقة بين الرجل والمرأة، وأنها تقوم على الكفاءة وحسن الاختيار.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): (تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، فَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ)^٣.

وعن علقمة رضي الله عنه قال: قال لنا النبي (ﷺ):

(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ)^٤.

وكان تعدد الزوجات معروفاً منذ العصور القديمة، فلما جاء الإسلام أقرّه وعدّل فيه؛ ليحمي طبيعة الإنسان التي تحتاج إلى هذا النوع من العلاقات حتى لا تنحرف وتميل عن الصواب، لكنه أحاط التعدد بضوابط تُحد من إساءة استغلاله وتجاوز حكمة مشروعيته.

١ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، م.س، ص ٣١٤.

٢ - شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج دراسة وتحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م، مج ٤، ص ٢٠٠.

٣ - محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الدار السلفية، الكويت، ط ١٣٩٩، ص ٥٦.

٤ - وأخرجه ابن ماجه، برقم الحديث "٦٠٧/١" والدار قطني، تحت رقم الحديث "٤١٦"، والحاكم برقم الحديث "١٦٣/٢".

٥ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، م.س، ج ١١، كتاب النكاح، الباب "٢"، رقم الحديث "٥٠٥٦"، ص ٣٤٤. وأخرجه البخاري تحت رقم الحديث "١١٢/٩" و أخرجه الإمام مسلم برقم الحديث "١٠١٨/٢" ورقم الحديث "١٤٠٠/١".

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرِمَاغَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَتِي أَلَّا تَكُولُوا﴾^١. ويشير الإمام الطبري في تفسيره إلى بعض حكم التعدد، فيقول: "كان الرجل من قريش قبل الإسلام يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل، فإذا صار مُعَدِّماً مَالٍ عَلَى مَالٍ يَتِيمَةٍ الَّذِي فِي حِجْرِهِ فَأَنْفَقَهُ أَوْ تَزَوَّجَ بِهِ فَتُهِيَ عَنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ لَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ خِفْتُمْ عَلَى أَمْوَالِ أَيْتَامِكُمْ أَنْ تَنْفَقُوهَا، فَلَا تَعْدِلُوا فِيهَا مِنْ أَجْلِ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهَا لِمَا يُلْزِمُكُمْ مِنْ مُؤْنِ نِسَائِكُمْ، فَلَا تُجَاوِزُوا فِيهَا تَنَكُّحُونَ مِنْ عَدَدِ النِّسَاءِ عَنْ أَرْبَعٍ، وَإِنْ خِفْتُمْ أَيْضاً مِنَ الْأَرْبَعِ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي أَمْوَالِهِمْ فَاقْتَصِرُوا عَلَى الْوَاحِدَةِ أَوْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"^٢.

فالتعدد الذي أباحه الإسلام تقضي به طبيعة الذكر والأنثى، وتعزُّزُه سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، ويتحقق به العلاج الحكيم لكثير من المشكلات الأسرية بأسلوب إنساني كريم، يحفظ على الزوج عِفَّتَهُ وَحِصَانَتَهُ وَعَلَى الزَّوْجَةِ أَمْنَهَا وَكَرَامَتَهَا، ويحمي الأسرة من التَّمَرُّقِ وَالْإِهْيَارِ. وفي هذا المجال ينوِّه الحديث الشريف بالزواج ويحث عليه، ومن الأدلة على ذلك: روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن عبد البر عن عكَافِ بْنِ وَدَاعَةَ: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ لَهُ: (أَلَيْكَ زَوْجَةٌ يَا عَكَافُ؟) قَالَ: لَا. قَالَ وَلَا جَارِيَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَأَنْتَ صَحِيحٌ مُوسِرٌ. قَالَ: نَعَمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ.

إِنْ كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِ النَّصَارَى فَالْحَقْ بِهِمْ وَإِنْ كُنْتَ مَثًّا فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ، فَإِنْ مِنْ سُنَنَّا النِّكَاحَ: شِرَارُكُمْ غُرَابُكُمْ، وَإِنْ أَرَذَلْ مَوْتَاكُمْ غُرَابُكُمْ^٣. ومن جهة النساء: فَإِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُنَّ يُحْبِذْنَ التَّعَدُّدَ عَلَى الْعَزْوِيَّةِ، فَالْعُنُوسَةُ لِلنِّسَاءِ فِي غَيْرِ مَصْلُحَةٍ لِمَجْتَمَعٍ، وَالْمَرْأَةُ فِي الْإِسْلَامِ لَا تَتَزَوَّجُ حَسَبَ الشَّرْعِ إِلَّا بِرِضَاهَا. وماذا تفعل النساء في مجتمع، يكثر فيه عددُهنَّ على عددِ

^١ - سورة النساء، الآية ٣.

^٢ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م، س، مج ٣، ص ١٥٦.

^٣ - أحمد بن حنبل: المسند الصحيح، دار صادر، بيروت، لا، ت، ج ٥، ص ١١٣-١١٤. رقم الحديث "٢٠٤٧٧"، باب كتاب مسند الأنصار.

الرجال كالبلدان الفقيرة والمناطق التي تُبلى بالحروب وهلاك الرجال والشباب؟ أفليس من الأجدى أن يتزوج الرجل أكثر من واحدة؟ وفي ذلك خير للمجتمع من أن تنتشر فيه الرذيلة واتخاذ الخلية.

المطلب الثاني: الطلاق وأسبابه في الشرع الإسلامي.

الطلاق لغة: حَلُّ القيد والإطلاق. ويقال: "طَلَقْتُ من زوجها طلاقاً: بانت فهي طالق، وطالقة، وجمعها طوالق، فهو مطلق ومطلقاً" وشرعاً: حَلُّ عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه. ويقول الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَكَتَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسَرَّحَ بِإِحْسَانٍ وَكَانَ إِحْلُ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آسَبُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَحَافَا أَلَّا يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيقَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوا مَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١. ويروي الإمام القرطبي سبب نزول هذه الآية الكريمة فيقول: "ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة؛ وكان هذا في أول الإسلام برهة من الزمن، إذ يُطَلِّقُ الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبي (ﷺ): لا آويك ولا أدعك تحلين. قالت: وكيف؟ قال: أُطَلِّقُكِ فإذا دنا مضى عِدَّتِكَ راجعتك. فشكت المرأة ذلك إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ)، فأنزل الله تعالى هذه الآية بياناً لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تحديد مهر وولي، ونُسِخَ ما كانوا عليه. قال ابن عباس: المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق، أي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة، وإما تركها غير مظلومة شيئاً من حقها، وإما أمسكها محسناً عشرتها"^٢. ثم يوضح السيد قطب بعض شروط استئناف الحياة الزوجية بعد وقوع الطلاق، فيقول: "الطلاق الذي يجوز بعده استئناف الحياة مرتان، فإذا تجاوزها المتجاوز لم يكن للعودة من سبيل، إلا بشرط تنص عليه الآية الكريمة التالية بالسياق وهو أن تنكح زوجاً غيره، ثم يطلقها الزوج الآخر

^١ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط. م. س، ص ١١٦٧.

^٢ - سورة البقرة، ٢٢٩.

^٣ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م. س، مج ٢، ص ١١٥-١١٦.

طلاقاً طبيعياً لسبب من الأسباب، ولا يراجعها فتبين منه، وعندئذ فقط يجوز لزوجها الأول أن ينكحها من جديد، إذا ارتضته زوجاً من جديد^١.

ولما كان الطلاق مظهراً لحدود نعمة الزواج التي جعلها الله آية من آياته، فقد منعه الدين إلا في حالة الضرورة القصوى؛ لأنه قد تختلف طباع الزوجين اختلافاً يتعذر معه حسن العشرة، ويصير به البيت جحيماً لا يطاق، وقد يُخدع أحد الزوجين في صاحبه، ويكتشف من حقيقة أمره ما لم يكن يتوقعه ولا يستطيع احتمالَه، فيحتدم الخلاف بين الزوجين ويكتوي الأبناء بناره، وقد تُدس بسببه العلاقة الزوجية حين يشتط أحد الزوجين في عداوته وينحرف في سلوكه، ومن ثم تُعم البلوى وينتشر الانحلال وتنتهك الأعراض والأنساب وذلك واقع في المجتمعات التي لا تستظل بمظلة الإسلام ولا تسمح بالطلاق، ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى بالطلاق في حالة الضرورة، وجعلته علاجاً لما يتهدد الأسرة من أخطار، وقبل وقوع الطلاق بين الزوجين، شرع الإسلام التحكيم، باختيار حكيم من أهلها وحكيم من أهله لكي يحاول الإصلاح بينهما، وذلك حرصاً على بقاء الرابطة الزوجية، حتى إذا تعذر الصلح وتعسر الوفاق قضى الحكمان أو القاضي التفريق بينهما، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَنْتَفِرَا مِنْ اللَّهِ كُلًّا مَنْ سَعَى وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^٢. ويقول الإمام الزمخشري في تفسيره: "وإن يتفرقا، بمعنى أن يفارق كل واحد منهما صاحبه، يرزقه زوجاً خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه"^٣.

المطلب الثالث: مفهوم الإرث في الإسلام.

من أثار أحكام الإرث في الإسلام توثيق الروابط بين أفراد الأسرة الواحدة، وعلاج الفساد في المجتمع وذلك لأن توزيع الميراث بين أفراد الأسرة — وإن تفاوتت فيه الأنصبة — يقوي إخلاص القلوب بعضها لبعض، ويوثق

^١ - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ١، ص ٢٤٧.

^٢ - سورة النساء، الآية ١٣٠.

^٣ - محمود بن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م، س، ج ١، ص ٥٧٣.

العلاقات بينها، ويؤكد حرص كل فرد على خير الآخر؛ لأن ما بيد كل منهم يعود أخيراً إلى الجميع عن طريق الميراث، وهذا يحقق التكافل بين أفراد الأسرة الواحدة باعتبارها الخلية الأولى للمجتمع.

وأما علاج الفساد في المجتمع؛ فلأن الميراث من أكبر العوامل التي تقضي على المذاهب الاقتصادية المتطرفة، التي تنشأ حين تتجمع الأموال في يد طائفة محدّدة، فيعري هذا بالطغيان المالي وما يحجره من استغلال اجتماعي وتحكم طائفي، ومن ثم تنشأ الفوارق الطبقيّة وتمتد الخلافات بين أفراد المجتمع، ولذلك أخذت الشريعة الإسلامية بمبدأ الميراث للأقرب فالأقرب، وأقرب الناس إلى الإنسان هم فروعه ثم أصوله فسائر عصبته، أي من يمت إليه بجهة الأخوة والعُومة، فرتبت استحقاق الميراث على أساس هذا المبدأ والدليل على ذلك قول الله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَدٌ فَإِنْ لَا يَكُنْ لَهُ وَكَدٌ وَوَرَثَهُ أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثَّلَاثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِصَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا ۝١﴾

وقد جعل التشريع الإسلامي نصيب الرجل في الميراث ضعف نصيب المرأة؛ لأن نفقات المرأة ونفقات الأولاد وتكاليف الزواج يتحملها الرجل، ولا تُكَلِّفُ المرأة بشيء منها، فكان من العدل أن يُضاعَفَ نصيب الرجل، وما يُعطى للمرأة من نصيب لوحظ فيه أنها قد تفقد مصدر الإنفاق عليها، فتجد فيه ما تنفق منه.

المبحث الرابع: الحوار الديني المعاصر بين "الإسلام واليهودية

والمسيحية" وفيه ستة مطالب

بدأ الرسول محمد (ﷺ) دعوته الإيمانية بتوحيد الله تعالى، ونبد عبادة ما سواه، فمنذ اللحظة الأولى لانطلاق الدعوة الإسلامية، بدأت عملية الاحتكاك

^١ - سورة النساء، الآية ١١.

بين الإسلام من جهة والمبادئ الأخرى من جهة أخرى. وكان الوثنيون من مشركي قريش، وأهل الكتاب "يهود ونصارى" أبرز الذين كانوا في المواجهة، ونجم عن ذلك الحوار والمناظرة^١ أحياناً، والمجادلة والمناقشة^٢ أحياناً أخرى. وطالب القرآن الكريم أتباعه من المؤمنين أن يعرضوا حقائق دينهم وعقيدتهم على جميع الناس — وذلك لعموم رسالة التوحيد — بإسلوب الحكمة والموعظة الحسنة. قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٣.

فالحوار تعبير عن قيمة عظيمة بل هو القيمة الكبرى في التكوين الأساسي للإنسان بغض النظر عن بيئته أو لونه وجنسه، لا سيما أن الناس جميعاً فطروا على التوحيد، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاقِفُوا الصَّلَاةَ وَكُلُوا مِنْ الشَّرَائِعِ﴾ يقول محمد محمود حجازي في التفسير الواضح: "إذا ظهر الحق ودلائله وبطل الشرك وأوهامه، فأقم وجهك للدين حنيفاً على معنى قوم وجهك، وعدل نفسك واتجه بذاتك كلها إلى الدين الحق الذي ظهرت آياته، حالة كونك مائلاً عن كل ما عداه، فإن من اهتم بشيء عقد عزمه عليه، وسدد وجهه إليه، وقوم ذاته نحوه، لا يميل عنه يميناً ولا يسرة، وهذا أمر للنبي (ﷺ) وكذلك لأُمَّته، أي الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها. والفطرة هي ﴿وَكُلُوا مِنْ الشَّرَائِعِ﴾"^٤.

^١ - الحوار والمناظرة: الحوار حواراً وحوراً: هو المجاورة والرجوع عن الشيء وإلى الشيء. والحوار والمحاورة اصطلاحاً: هو محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد. والمناظرة: التواضع في الأمر، وهي نوع من أنواع الحوار. انظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ٤، ص ٢١٧-٢١٨ و ج ٥، ص ٢١٩.

^٢ - المجادلة والمناقشة: جادله مجادلةً وجدالاً: خاصمه مُخاصمةً، والجدل والجدال: يعني شدة الخصومة، والتمسك بالرأي والتعصب له. وقيل المجادلة بمعنى المناظرة والمخاصمة. والمناقشة: ناقشته مناقشةً ونقاشاً: استقصاه، والمناقشة هي: الاستقصاء في الحساب حتى لا يُترك منه شيء. انظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ١١، ص ١٠٤ أو ج ٦، ص ٣٥٨.

^٣ - سورة النحل، الآية ١٢٥.

^٤ - سورة الروم، الآيتان ٣٠-٣١.

الخلقة والطبيعة التي خلق الله الناس عليها، وقيل في تفسيرها إنها الإسلام أو الدين الحق^١. فالتوجيه الإلهي الكريم يقول: أقيموا وجوهكم أيها الناس على الدين الحق، حال كونكم منيبين إلى ربكم أي راجعين إليه بالتوبة وإخلاص العمل وراقبوه وخافوه في أقوالكم وأفعالكم، وأقيموا الصلاة على الوجه الذي يرضي الله تعالى ربكم ولا تكونوا ممن أشرك بالله وعبد غيره. فالدين إذا هو الحوار. ويقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٢. ويفسر الإمام القرطبي سبب نزول هذه الآية فيقول: "نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزل فيهم، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدِ الْكُفَّارَ وَالنَّافِقِينَ﴾^٣. وإن الآية ليست بمنسوخة"^٤. لا إجمار إذا ولا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام، فقد بان ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال، وأعطى الناس حرية الاختيار، ولا بد من الحوار والإقناع بالتي هي أحسن، فالحوار يؤيده الدين بل ويحث عليه كما يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَغْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَغْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٥. من المؤكد إذا أن الله تعالى، أمر نبيه محمداً (ﷺ) وأتباعه من أمة الإسلام، بدعوة الناس إلى دين الله وشريعته القدسية بالأسلوب الحكيم، واللطف واللين وليس بالزجر والتأنيب والشدة والقسوة، وينبغي محاورهم بما يؤثر فيهم؛ بعبية إقناعهم لا إكراههم. وأن يجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن من طرق المناظرة والمجادلة بالحجج والبراهين والأدلة

^١ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س مج ٣، ص ٢٧-٢٨.

^٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٦ - ٢٥٧.

^٣ - سورة التوبة، الآية ٧٣.

^٤ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، مج ٢، ص ٢٥٥.

^٥ - سورة النحل، الآية ١٢٥.

المقنعة، وكل هذا وذاك بالرَّفْقِ واللِّين. وإنَّ اللهَ أَعْلَمُ بِحَالِ الصَّالِينَ وَالْمُهْتَدِينَ. فمن أَرَادَ الإيمانَ يوفقه الله تعالى ويلطِّفُ به حتى يُخرجه من الكفر إلى الإيمان والذي يُصمِّمُ على الكفر فأمره على عكس ذلك. ويؤيد هذه النظرة في قبول الناس بما هم عليه ثم محاورتهم ودعوتهم إلى التوحيد، قوله تعالى: ﴿ وَكُوشَاءَ مُرَبِّكَ لَاَمَنَ مِن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَنِيحًا أَفَأَنْتَ تُكْسِرُ الْكَاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْبِئِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ ١. يقول الله تعالى: ﴿ وَكُوشَاءَ مُرَبِّكَ ۚ وَالْخُطَابُ الإلهي موجَّهٌ إلى النَّبيِّ (ﷺ)، أي ولو شاء الله يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جنتهم به فأمنوا كلُّهم، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى، ولهذا قال: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْسِرُ الْكَاسَ ۚ أَي تُلْزِمُهُمْ وتُلْجئُهُمْ ﴾ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ليس ذلك عليك ولا إليك. ﴿ وَمَا كَانَ لَنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۚ ١ والمقصود يأوي المرء إلى المجتمع الإيمانِي بسبب حجج الله وأدلتها الواضحة على أنه واحد لا شريك له، فكما أنَّ القرآن هو كتاب الله المقروء كذلك فإنَّ الكون هو كتاب الله المنظور، وأمَّا الرِّجْسُ وهو الخبال والضلال فهو من نصيب الذين يُعْطِلُونَ عقولهم وحواسهم، والله هو العادل في كل ذلك في هداية من اهتدى وإضلال من ضلَّوموضوع هذا المبحث يعني الحوار والمراجعة الكلامية بين طرفين ويتناول بعض المسيحيين موضوع التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين. بين الانتفاء وصعوبة الإمكان، فهذا البير منصور يقول: "إنَّ كُلَّ عَقِيْدَةٍ تَمَيِّزِيَّةٍ أَقْصَائِيَّةٍ، تَمَيِّزُ بَيْنَ الْمَوَاطِنِينَ عَلَى أُسَاسٍ دِينِيٍّ هِيَ ... عَقِيْدَةُ ذَاتٍ وَظَلِيْفَةٌ صَهْيُونِيَّةٌ بِالْغَايَةِ وَالنَتِيْجَةِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالنِّيَّةِ وَالْقَصْدِ آيَاً كَانَ سَنَدُهَا الْعَقَائِدِي... تراوح تجربة العيش المشترك بين المسيحيين والمسلمين في المجتمعات المختلطة دينياً بين الانتفاء وصعوبة الإمكان، على مدى الأرض العربية كلها ومدى دار الإسلام على وسعها، وعلى مدى التاريخ ماضياً وحاضراً، وتعيشها بقلقٍ وأملٍ أجيالٌ من المسيحيين

١ - سورة يونس، الآية ٩٩.

العرب"^١. وهذا الادعاء يقود الباحث إلى توضيح العلاقة بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين غيرهم من جهة أخرى، ثم اعتماد الحوار القائم على الدعوة إلى التوحيد الحقّ بالموعظة والإرشاد، من منطلق وحدة مصدر الدعوة لدى جميع الأنبياء والمرسلين وهو الله تعالى وحده لا شريك له. ومما يلفت النظر من الناحية العقديّة عند المسيحيين، مقررات مجلس حبري للحوار بين الأديان، حيث أنشأ هذا المجلس البابا بولس السادس في ١٩/٥/١٩٦٤م، بمناسبة عيد العنصرة: وهو ذكرى حلول روح القدس على تلاميذ السيد المسيح، ويأتي بعد خمسين يوماً من عيد الفصح، أي قيامة المسيح من الموت كما يعتقدون. ومن مهام هذا المجلس "تسهيل الاتصالات بالأشخاص والفئات غير المسيحية، وبالذين عندهم شعور ديني، ويسعى إلى أن يجري الحوار بطريقة لائقة، بمعرفة واحترام متبادل؛ لكي يرفع عبر عمل مشترك من مستوى كرامة الإنسان، وقيمه الروحية والأخلاقية"^٢. ونشطت الكنيسة الكاثوليكية بعد مجلس حبري للحوار، وأصدرت عدة عناوين ومفاهيم للحوار مثل: حوار ورسالة، حوار وأخبار، وخواطر وتوجيهات من أجل الحوار بين الأديان وبشارة الإنجيل. وكلها تهدف إلى إقامة الحوار بين أصحاب المعتقدات المختلفة.

المطلب الأول: الحوار أصل ومبدأ أو "الحاجة إلى الحوار":

إنّ علاقات المسلمين والمسيحيين تنطلق من العلاقات الدينيّة والمجتمعيّة والسياسيّة، ولكن المنطلق الأساس والأول الذي يرسمه القرآن الكريم، هو المنطلق الدينيّ القائم على القواعد التالية.

القاعدة الأولى: هي قاعدة الحرية في العقيدة لا إكراه في الدين، وهي مدعّمة بحكمين أساسيين، قوامهما إنّ الله يهدي من يشاء، وإنّ الحساب والمحاسبة والمحكمة إنّما هي لله وحده وبذلك يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

^١ - البير منصور: قدّر المسيحيين العرب وخيارهم، دار الجديد، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٩٢-١٢.

^٢ - بول بار: الفاتيكان وعاصمة الكتلّة في العالم، تعريب أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٩٢.

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^١. على ضوء الآية الكريمة، فإن المفاصلة بين الخلاق لله تعالى وحده، فهو يهدي من عباده الذي يريد؛ لأنه يستحق الهداية على حسب ما اطلع على نفسه وميَّله في الأزل بحيث لو تُرك وحده لاختار ما قدره الله له، فالذين آمنوا بالله وكتبه واليوم الآخر هم المسلمون الموحدون، والذين هادوا وهم أتباع موسى عليه السلام، ولو كانوا أتباعاً له حقيقة، ولم يُغيروا ويحرفوا التوراة لآمنوا كذلك بعيسى ومحمد (ﷺ)، والصابئون أي الخارجون عن حدود الدين العابدون الكواكب، والنصارى من أتباع عيسى بن مريم عبد الله ورسوله، ولو كانوا كذلك لآمنوا بمحمد خاتم الأنبياء والرسول فدينه ينسخ كل ما تقدمه؛ لأن في التوراة والإنجيل البشارة الصحيحة بالنبي محمد (ﷺ). "وأما المجوس عبَادُ النَّارِ القائلون بوجود إلهٍ للخير، وللعالم أصلان هما النور والظلام. هؤلاء جميعاً يفصلُ الله بينهم بحُكمه العدل ويقضي يوم القيامة، فلا يظلم نفساً شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل"^٢.

القاعدة الثانية: إن الدين شأن شخصي وخيار فردي. وهذا هو النداء المأمور به الرسول محمد (ﷺ) للناس جميعاً على اختلاف أشكالهم وأوطانهم وألوانهم، فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^٣. ويوضح هذه القاعدة الإمام ابن كثير، فيقول: "يقول الله تعالى أمراً رسوله (ﷺ)، أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مريّة فيه ولا شك، فمن اهتدى به وأتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضلّ فإنما يرجع وبال ذلك عليه، وما أنا موكلٌ بكم حتّى تكونوا مؤمنين وإنّما أنا نذير لكم، والهداية على الله تعالى"^٤.

القاعدة الثالثة: اعتماد الحوار والدعوة بالموعظة الحسنة والإرشاد الطيّب، من منطلق أن المسلمين يؤمنون بما أنزل إلى أهل الكتاب قبل

^١ - سورة الحج، الآية ١٧.

^٢ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ٢، ص ٤٩.

^٣ - سورة يونس، الآية ١٠٨.

^٤ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م.س، ج ٢ ص ٤١١.

التحريف، ولأنَّ إله أهل الكتاب الحقيقيين وإله المسلمين واحد، ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاطِلِ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَذَا وَاحِدٌ وَمَخْزُؤُهُ سُلُوبٌ﴾^١. ويستشهد الإمام الزمخشري بهذه الآية الكريمة على حسن الدعوة والحوار لأهل الكتاب من غير المسلمين، فيقول: "[تكون المجادلة] بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم، إلا الذين أفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق، فاستعملوا معهم الغلظة. وقيل: إلا الذين أَدْعُوا الولد والشريك لله تعالى وقالوا يد الله مغولة. وقيل: معناه ولا تجادلوا الدّاخلين في الدِّمَّة المؤدِّين للحزبة إلا بالتي هي أحسن. إلا الذين ظلموا فنبذوا الدِّمَّة ومنعوا الجزية، فإن أولئك ينبغي مُجادلتهم بالسيف"^٢. ويعترف البير منصور: بأنَّ القرآن يرسم قواعد اللقاء والوفاق وينادي بالحرية المنضبطة والمساواة، فيكون البير منصور بذلك مناقضاً لما ورد عنه في صعوبة العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، إلا إذا كان يقصد بذلك الخلل من الطرف المسيحي فحسب، أو في حالة عدم تطبيق الشرع الإسلامي الحنيف. فيقول: "إنَّ قواعد التعامل التي يرسمها القرآن في الشأن الديني، هي قواعد لقاء ووفاق، وقواعد تعامل شريف حُرٌّ. يحفظ الحرية ويصون المساواة ويؤكددهما. إنَّها قواعد تعامل حضارية تصلحُ مثلاً وقُدوة"^٣. ويستنتج الباحث أن الحوار في الإسلام مشروعٌ، بل هو صُلْبُ العقيدة الإسلامية. ومن أهم الأدلة على ذلك، لقاءات النبي محمد (ﷺ) مع المسيحيين، ثم لقاءات الصحابة رضوان الله عليهم في زمان النبي (ﷺ) مع المسيحيين أيضاً، سواء كانت عن طريق الرسائل المتبادلة، أو الأحاديث الشريفة التي تكلم بها النبي عليه الصلاة والسلام عن المسيح والمسيحية ودلالاتها. ومن أمثلة ذلك ما رواه الترمذي، أن عديَّ بن حاتم قدم على النبي (ﷺ)، وجلس بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه

١ - سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

٢ - محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م.س، ج٣، ص٤٥٧.

٢ - البير منصور: قدر المسيحيين العرب وخيارهم، م.س، ص ١٨-٢٠.

ثم قال: (ما يُفَرِّكُ^١ أن تقول لا إله إلا الله. فهل تعلم من إله سوى الله؟ قلت: لا. قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تَفَرُّ أن تقول: الله أكبر؟ وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصراني ضلال. قال: قلت: فإني جئت مسلماً، فرأيت وجهه تبسط فرحاً).^٢ وفي رواية أخرى: (ما يُفَرِّكُ عن الإسلام إلا أن يقال لا إله إلا الله). فكان إسلام عدي بن حاتم وقومه نتيجة طبيعية للحوار الذي جرى بينه وبين الرسول (ﷺ)، ولعل الحوار الأول هو ذلك الذي دار بين الله عز وجل وملائكته في شأن خلق آدم عليه السلام ... فجاءت المحاورة بصيغة قال ... وقالوا...^٣ ويقول الله تعالى: ﴿وَأَذَانُكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤. وبين الإمام الطبري ما جرى من حوار بين الله تعالى وملائكته في شأن استخلاف آدم عليه السلام في الأرض، فيقول: "إن الله جل ثناؤه قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً. فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس، إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله. [والقصد من هذا الطرح هو] المحاورة بين الملائكة وبين ربها، وكان الله قد برأ آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء وطهره من ذلك، وأنهم ولده الذين يفعلون ذلك"^٥. إن شرط الحوار إذاً هو الإسلام لرب العالمين، والانقياد لأوامره طاعة وعبادة ومنهاج حياة، ومن مستلزماته الإيمان

^١ يُفَرِّكُ: ما يحملك على الفرار. ويُفَرِّكُ: أي ما يحملك على الفرار إلا التوحيد. انظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ٥، ص ٥١.

^٢ - رواه الترمذي في سننه تحت رقم ٢٠٣/٥.

^٣ - سعود المول: الحوار الإسلامي المسيحي "ضرورة المغامرة"، م.س، ص ٣٣.

^٤ - سورة البقرة، الآية ٣٠.

^٥ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، م.س، مج ١، ص ١٥٧-١٥٨.

والعملُ الصالحُ والتَّواصِي بالحقِّ والصَّبْر. الحوارُ إذاً هو جوهرُ ولبُّ الرسائل السماوية والفقرة الإنسانية، وهو طريق الرشَد والرشاد في الدنيا والآخرة... ذلك بأنَّ اللهَ ربَّ العالمينَ غنيٌّ عن الناس، ولو شاء ما خلقهم أصلاً، ولو شاء لجعلهم أمةً واحدةً... ولكنَّ حكمةَ الله في الخلق وفي اختلاف الناس نعمةً ورحمةً ولطفٌ إلهيٌّ وسُنَّةٌ لا تبدلُ لها. إنها سُنَّةُ التَّدافُع، أي الحوارُ الدائمُ والتي هي أحسنُ بالكلمة الطيبة... بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^١. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^٢. إنَّ ما تشير إليه الآية الكريمة لموضوع هام يحتاج إليه الدعاة في كل وقت وحين وخاصة هذه الأيام، وذلك لتثبيت قلوب الوعاظ والمريين في مقابلة السوء والإعراض بالتي هي أحسن، وآتة لا بدَّ أن يصادفهم ما يؤلمهم، فينبغي أن تدفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن منها، كدفع الغضب بالصبر، ودفع الجهل بالحلم، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت مع عدوك ذلك فاجأكَ في الحضرة انقلابُهُ وصيرورته مُشابهاً في الحجة للصَّدِّيق الذي لم تسبق منه عداوة، لذلك فقد عالج الإسلام جميع مشكلات العالم السياسي والاقتصادي والديني والاجتماعية، وقتَ أن كانَ الحكم لشريعة الله في دولة الإسلام وعلى أساس وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، وكان حوار المشاركة يعني التضامن في السَّراء والضَّرَّاء، ويقوم على دعامتين أساسيتين: هما الحقُّ والعدل، ثم مقابلة الإساءة بالرفق والحسنى ولكن من مصدر العزَّة الإيمانيَّة في جميع مظاهرها، وليس من منطلق التردّي والانهزامية والضعف وقبول الأمر الواقع على مرارته. وأما بالنسبة لأتباع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فإن الباحث يجد التعصُّب الشديد والاتهام الخطير للذات الإلهية، وتبرئة الشيطان من الخطيئة الأصلية، ومن الأدلة على ذلك، ما يقوله ميخائيل باكونين: "أعود إلى أسطورة الخطيئة الأصلية، فقد شهد الإله أنَّ الشيطان على صواب، وأعترفُ بأنَّ الشيطان لم يخدع آدم وحواء [والقول لميخائيل] لما وعدهما بالمعرفة والحرية جزاءً للتَّمرُّد الذي حثَّهما عليه، لأنهما ما إنَّ أَكَلَا من الشَّجرة

^١ - سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي "ضرورة المغامرة"، ص ٣٤، ص ٣٤.

^٢ - سورة فصلت، الآية ٣٤.

المُحَرَّمَةُ حَتَّى قَالَ إِلَهُهُ فِي نَفْسِهِ^١. وكما ورد في سفر التكوين أيضاً: "وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُ هُوَ ذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ وَاحِداً مَعَنَا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ... وَلِهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" إِنْ مِثْلَ هَذِهِ الْاِعْتِقَادَاتِ النَّاتِيَةِ لَا سِيَّمَا فِي الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، نَحْتَاجُ إِلَى حِوَارٍ وَمُحَاوَرَةٍ لَتَحْلِيَةِ الْأَمْرِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ وَظَائِفِ الدَّعْوَةِ فِي الْإِسْلَامِ. وَهَنَّاكَ خِلَافٌ شَدِيدٌ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ لَدَى رِجَالِ الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ لَا سِيَّمَا فِي الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيُلَخِّصُ هَذَا التَّعَارُضُ وَالْمُخَالَفَاتِ يَان دُوبِرَاتشِينسكي فَيَقُولُ: "وَضَعِ الْبَطْرِيَرِكُ سَرْجِيُوسُ صِيغَةً جَدِيدَةً: نَصَّتْ [هَذِهِ] الصِّيغَةُ الْجَدِيدَةُ عَلَى وَجُودِ طَبِيعَتَيْنِ إِلَهِيَّةٍ وَبَشَرِيَّةٍ فِي شَخْصِ يَسُوعَ، وَلَكِنْ بَعْدَ اتِّحَادِهِمَا أَسْفَرْنَا عَنْ وَجُودِ إِرَادَةٍ وَاحِدَةٍ وَفِعْلٍ وَاحِدٍ، وَأَضْحَى سِيرُوسُ بَطْرِيَرِكُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مِنْ أَنْشِطِ الدُّعَاةِ لَصِّيغَةٍ وَاحِدَةٍ الْإِرَادَةِ، وَلَكِنَّ الرَّاهِبَ الْفِلَسْطِينِيَّ سَفْرُونِيُوسَ بَعْدَ إِطْلَاعِهِ عَلَى الصِّيغَةِ الْجَدِيدَةِ اعْتَبَرَهَا هَرْطَقَةً"^٢. وَمَعَ هَذَا التَّبَايُنِ الْوَاضِحِ وَالِاخْتِلَافَاتِ الْجَذَرِيَّةِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْفُسَهُمْ عَقَائِدِيًّا وَتَشْرِيعِيًّا، إِلَّا أَنَّ الْحَوَارِ كَانَ مَوْجُوداً بَيْنَ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ عَلَى مَدَى الْأَزْمَنَةِ وَالْأَيَّامِ.

المطلب الثاني: أ - بداية الحوار الإسلامي المسيحي وأشكاله: توطئة:

كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الدِّسْتُورَ الْأَسَاسِي الَّذِي وَصَفَ الْمَسِيحِيَّةَ وَنَبِيِّهَا وَأَتْبَاعَهَا الْمَخْلُصِينَ، كَمَا وَانْتَقَدَ الصُّورَ السَّلْبِيَّةَ لِلْمَسِيحِيَّةِ الْمَحْرَفَةِ وَالْمَشْوَهَةِ بَعْدَ السَّيِّدِ

^١ - ميخائيل باكونين: الإله والدولة، تعريب جلال المخ، دار المعرفة للطباعة والنشر، تونس، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٧.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٧، سفر التكوين، الإصحاح ٣: ٢٢، ٢٣، ٢٤.

^٣ - يان دوبراتشينسكي: أصداء الزمان الكنيسة وكفاحها من أجل الوجود، ترجمة كيرو الحدو، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١٧٧-١٧٨.

والهرطقة: معناها خطيئة، والإنسان الذي ينفصل عن الإيمان بمحض إرادته يمكن أن يكون مُهرطقاً، أي صاحب عقيدة خاطئة. انظر، يان دوبراتشينسكي في كتاب أصداء الزمن ص ١٧٩.

المسيح عليه السلام، ورسم بوضوح كامل للمسلمين نوع العلاقة مع المسيحيين والمسيحية على حد سواء، وجاء دور السنة النبوية في تأكيد نهج القرآن في تلك العلاقات، وخاصةً فيما يتعلق بموضوع الحوار بين الطرفين المسلمين والمسيحيين. إن الحوار الإسلامي المسيحي من أكثر ما سجله تاريخ المناقشة والجدال العقدي؛ لأنه نشأ نتيجة الاحتكاك المباشر بين المسلمين والمسيحيين، فكان الحوار ممارسة يومية، يتعايش معها المسلمون والمسيحيون سواء بسواء، فمثلاً "الحوار الذي جرى بين الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين عجوز مسيحية، هو نموذج بين وواضح للممارسات الحوارية اليومية، إذ قال عمر رضي الله عنه للعجوز: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق، فقالت بعد أن كشفت عن رأسها ذي الشيب: أنا عجوز كبيرة، والموت إلي أقرب! فقال عمر: اللهم اشهد".^١ وتلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، الله ولي الذين آمنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ وَهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".^٢ وأما الهدف من الحوار في الإسلام هو القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، والذود عن أحكام الشريعة، وحماية العقيدة الإسلامية، خاصة عند ما يتعرض لها أحد بالسوء أو المهاجمة، أو لبيان عوار المعتقدات الأخرى كالمسيحية أو اليهودية وغيرهما. والحوار المعاصر ينبغي أن يندرج ضمن إطار أوسع؛ لأنه جزء من حوار الحضارات في عالم اليوم، ومن الذين تناولوا موضوع الحوار بين المسلمين والمسيحيين، محمد أركون والذي يفصله هذا البحث من وجهة نظر النصوص القرآنية، فهو يؤكد على تجاوز المباحكات الجدلية العقيمة القديمة والتي من شأنها أن تباعد بين الفريقين، وتؤدي حتماً إلى القطيعة والخصومات الفاشلة، والأصل حرية العقيدة مع ضرورة التعاون والتضامن، من منطلقات التسامح الديني الحقيقي، فيقول:

^١ - بسام داود عجك: الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، ط ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٦٨-١٦٩.

^٢ - سورة البقرة، الآيتان ٢٥٦-٢٥٧.

"هناك خطآن للالتقاء بين المسلمين والمسيحيين، الخط التقليدي المتمثل بالدخول في مناقشات وجدالات عقيمة لا نهاية لها، وأضرب على ذلك مثلاً: مشاكل المقارنة الخاصة باللاهوت في كلا الطرفين. وقد أثبتت التجربة ألف مرة أنه لا يمكن أن نجد منفذاً أو حلاً بهذه الطريقة. إنهم يتحدثون عن الحوار المسيحي — الإسلامي... ولا أعتقد أنه سيؤدي إلى تسفيه الإيمان في عمقه الأساسي كإيمان، ولكنه سيتيح للأديان أن تُعبرَ عن نفسها بلغة قادرة على أن تجعلنا نتجاوز تلك المماحكة الجدلية العتيقة التي تُقسّمنا وتفصل بيننا. أما الخط الثاني الذي ينبغي أن نشقّه اليوم ونهتدي به: هو ضرورة التضامن، أي تحمّل مسؤولية كل تراثنا الديني والثقافي بشكل متضامن"^١. هذا وقد تزايد الاهتمام بالحوار في أيامنا هذه، فكان لزاماً أن يتناول البحث أشكال الحوار ومجالاته ومسقبله.

ب — أشكال الحوار بين الإسلام والمسيحية: بين يدي الحوار: إن الإسلام ودعوة السيد المسيح عليه السلام في أصلها، يرفعان أساساً معاً شعارات تدور حول تقدم الإنسان، وخلاصه في عالم الغيب وعالم الشهادة في الدنيا وفي الآخرة، ومن ثم فهما يبتغيان أهدافاً هي في النهاية واحدة، ولكن وسيلة كل واحد منهما إلى بلوغ هذه الأهداف تختلف عن وسيلة الآخر، ومن هنا فإن الحوار لم ينقطع بين الرسالتين منذ ظهور الإسلام. فالقرآن الكريم يشير إلى هذه القضية، ويؤكد صراحة بدعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^٢. ويفسر الإمام التيسابوري العلاقة والحوار بين المسلمين وأهل الكتاب على ضوء الآية الكريمة، بأنها علاقة عدل وتوحيد لله تعالى، والابتعاد عن جميع ألوان الشرك، فيقول: "يخاطب الله جلّ ثناؤه النبي (ﷺ): قل يا محمد لأهل الكتاب وهم

^١ - محمد أركون: العلمنة والدّين، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، لندن، ط١، ١٩٩٠م، ص ٥٣ — ٥٥.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ٦٤.

أهل التوراة والإنجيل: تعالوا هلموا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، يعني كلمة عدل وهي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كلّ معبود سواه، فلا نُشرك به شيئاً ولا يدينُ بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمرَ به من معاصي الله، ويعظّمهُ بالسجود له كما يسجد لرّبّه، فإن أعرضوا عمّا دعوتهم إليه من الكلمة السّواء التي أمرتكم بدعائهم إليها فلم يجيبوك، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك، اشهدوا بأننا مسلمون^١. أي منقادون لله تعالى توحيداً وعبادةً وسلوك حياة. ومما هو جدير بالذكر بأنّ الإسلام بدأ الحوار أصلاً وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الدين الإسلامي أنزله الله تعالى بعد النصرانية، وكان الحوار في اتجاهين: **الاتجاه الأول**: يتمثل في الحوار الإسلامي المسيحي والذي بدأ منذ بزوغ فجر الإسلام، واستمر إلى عصرنا الحاضر، وهو في الحقيقة سبيل مهم من سبل الدعوة إلى الله تعالى، وتنفيذ لأوامر الله سبحانه وتعالى، لتقريب العقول والقلوب إلى الإسلام والمسلمين، وإقامة الحجّة على الناس من غير المسلمين، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾^٢. كيف تكون الأمة الإسلامية أمة رسالة ودعوة وشاهدة على الناس؟ لا تكون الأمة الإسلامية كذلك إلا إذا قامت بحوار ومناقشة غيرها من الأمم، من أصحاب الأهواء وأهل البدع والأفكار العقدية الدخيلة على الفطرة الإيمانية. ولكي يعترفوا بالإسلام وبالرسول محمد (ﷺ)، وأن يعتنقوا دين التوحيد ويؤمنوا بالله تعالى ربّاً؛ لأن الإسلام يمثل الكلمة الأخيرة والكاملة في التاريخ الديني للإنسانية، وأسمى دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^٣. يرى الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: "إنّ الدّين في هذه الآية [يعني] الطّاعة والملة، والإسلام بمعنى الإيمان والطّاعات، والأصل في مُسمى الإيمان التّغايّر، وقد يكون بمعنى المُرادفة. فيُسمّى كلُّ واحدٍ منهما باسم الآخر؛ كما في حديث

١ - حسن بن محمد بن حسين النيسابوري: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، مج ٣، ج ٤، ص ٢١٣.

٢ - سورة البقرة، الآية ١٤٣.

٣ - سورة آل عمران، الآية ١٩.

وفد عبد قيس وآته أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال: (هَلْ تَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ)¹. ويبين الله تعالى أن الاختلاف الذي وقع فيه أهل الكتاب لا سيما في العقيدة، فإنه يعود سببه إلى الظلم والتعدي على سلطان الله تعالى، فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنَاتٍ﴾². ويشير الإمام القرطبي إلى تعدي أهل الكتاب واختلافهم في أمور عقيدتهم، فيقول: "المراد بهذه الآية النصارى، وهو توبيخ لنصارى نجران. وقال الربيع بن أنس: المراد بها اليهود. ولفظ الذين أوتوا الكتاب يعم اليهود والنصارى. لقد أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على علم منهم بالحقائق، وهي صفة وثبوت محمد (ﷺ) في كتبهم. وسبب اختلافهم كما يقوله ابن عمر: أنه كان بغيا وطلباً للدنيا. وقيل: أي وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل في أمر عيسى وفرقوا فيه القول إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله إله واحد، وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله"³.

الاتجاه الثاني: ويتمثل في دعوة المسيحية إذا رفضت الإيمان بالإسلام وبرسوله (ﷺ) إلى التعايش معه بعد الاعتراف به؛ لأنه لا يمكن التعايش مع الرفض والإنكار المطلق. ولكن هذا الحوار باتجاهيه لم ينجح ولم تستجب المسيحية كنظام ثقافي ومؤسسة عقديه للاتجاه الأول في الحوار، كما أنها لم تستجب كسلطة سياسية للاتجاه الثاني. فالحوار الإسلامي المسيحي وسيلة هامة نحو الصورة المشوهة للإسلام، والتي رسمتها الكنيسة في العالم الغربي، فقد بثت الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين، عبر قرون طويلة، وألقت بكثير من العيوب والنقائص على الشريعة الإسلامية والعقيدة الإيمانية التوحيدية، من

¹ - رواه البخاري في أخبار الآحاد، تحت رقم الحديث " ٧٢٦٦ "، باب وصاة النبي (ﷺ) وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم، رقم الباب " ٥ " باختلاف يسير باللفظ. ورواه الترمذي في الإيمان رقم الحديث " ٢٦١١ "، باب ما جاء في - = إضافة الفرائض إلى الإيمان برقم الحديث " ٥ ". ورواه الإمام مسلم في الإيمان تحت رقم الحديث " ١٧ "، باب الإيمان بالله تعالى ورسوله (ﷺ)، برقم الحديث " ٦ ".

² - سورة آل عمران، الآية ١٩.

³ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، مج ٢، ص ٤٢-٤٣.

خلال الكتب والدراسات الاستشراقية. ويعتبر الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مؤثرة لتقوية الكتب المدرسية التي تُدرّس للأجيال الصاعدة في الدول الغربية المسيحية، لغربلتها من كلّ الشوائب والتشويهات والأفكار الخاطئة التي ألحقت بالإسلام^١. ولم ينتبهوا إلى أن الإسلام هو الدين الشامل والكامل، الذي نظّم العلاقة بين الإنسان و نفسه وغيره من طرف، وبين خالقه من طرف آخر. لذا فقد ظهرت ثلاثة أشكال في الحوار بين المسيحية والإسلام نظراً للخلاف والتباين العقدي، وهي كما يلي:

١- حوار السلاح والحرب: وقد بدأ هذا الحوار، منذ استشهد "رسول"^٢ رسول الله (ﷺ)، والذي بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى حاكم بصرى في سوريا، حيث فتكت به حامية بيزنطية. ولا بد من الإشارة هنا إلى بعض قرارات الجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الذي دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون، حيث صدر عن الجمع بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٦٥م، بيان يتعلق بالمسلمين والعلاقة معهم، وكان مما ورد فيه: "وإن كانت نشبت منازعات وعداءات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين، على مدى الأجيال، فإنّ الجمع المقدّس يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي، و يعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم المتبادل بينهم، ويتعاونوا على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الأدبية والحرية للناس أجمعين"^٣. ومن الملاحظ أن هذا البيان قد أشار إلى المسلمين وكيفية العلاقة بهم، وأن تكون بالحوار والتفاهم ونبذ الاقتتال والمنازعات، ولكنه لم يشير إلى الدين الإسلامي، ولا إلى شخصية الرسول الكريم سيدنا محمد (ﷺ)، وبناءً على قرارات الجمع المسكوني الثاني، فقد أنشئت لجنة خاصة باسم: أمانة سر اللجنة الدائمة للعلاقات مع المسلمين.

^١ - انظر، مجلة رسالة الجهاد، التعايش بين الأديان، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، ليبيا، العدد ١٩٩٥، ٩٥٥م، ص ١٥.

^٢ - كعب بن عمير الأزدي رضي الله عنه، بعثه رسول الله (ﷺ)، على رأس أربعة عشر رجلاً للدعوة للإسلام في جهات بلاد الشام الجنوبية، فاعتدى عليهم الغساسنة، وقتلوا أفراد السرية جميعاً، بعد معركة حامية وقعت بين الطرفين. انظر، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٩هـ، ص ٣٣٢.

^٣ - نصري سلهب: لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٤٣.

٢- حوار اللاهوت وعلم الكلام: وقد بدأ هذا في اللاهوت المسيحي بهجوم على النبي (ﷺ) والدين الإسلامي، وأهون ما يقال فيه أنه كان بعيداً تماماً عن العلم والموضوعية وآداب الحوار، ومن الأدلة على ما ذكر ما جاء في إنجيل متى بعنوان التلاميذ يُضطهدون، فيقول: "هأنذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب: فكونوا كالحيات حاذقين وكالحمم ساذجين. اخذوا الناس، فسيسلمونكم إلى المجالس^١ ويلدنونكم في مجامعهم، ويغضضكم جميع الناس من أجل اسمي"^٢. ولا يظن أحد — لديه أدنى دراية برسالة الإسلام وعلوم القرآن — أن عيسى عليه السلام ممكن أن يخطر بباله زرع الحقد والكراهية في نفوس تلاميذه، فضلاً عن أن يكون قد يقوله أصلاً، إلا إن هذا الموقف اللاهوتي قد أخلى مكانه في السنين الأخيرة لنظرة متفهمة. وقام الباحث اللاهوتي "لويس كاردت" عام ١٩٦٦م، بوضع بيان صادر عن المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، وقد تضمن ما يلي: أ: دعوة طرفي الحوار المسلمين والمسيحيين إلى الصبر والأناة، ويجب أن يتوضح للمسلمين أن المسيحي عندما يقوم بالحوار، إنما يقوم به لشعوره بالواجب تجاه دينه، وتجاه الناس، وليبين لهم أنه يؤمن بالتوحيد الحقيقي، ويجب على المسيحي أن يعرض إيمانه بشكل يفهمه المسلم، وخاصة تلك المفاهيم الإيمانية التي يوجد مثلها في الإسلام، مثل: الثقة بالله تعالى، والصبر على المصائب والشدائد، والتخلق بالأخلاق الحميدة كالصدق.

ب: يجب التحوار حول مفهوم عظمة وسمو الله تعالى، والعلاقة بين الله والإنسان، وبين الله والعالم. وهل الإنسان مسير أم مخير؟.

ت: التحوار حول قضية الإيمان بوجود الله تعالى، وأنه الخالق لكل شيء، وأن الإنسان مسؤول عن هذا الإيمان أمام الله تعالى.

ث: التحوار حول المفاهيم والقيم الفلسفية الأخلاقية عند المسلمين، كالعدالة والتوبة وقيمتهما، والذنب الكبير والصغير، وأن النجاة ليست في هذه الدنيا فقط، وقضية الفضائل والنقائص. ٣- حوار التفاعل والتعايش: وهذا

^١ - المجالس: المحاكم الدينية عند اليهود، انظر، الكتاب المقدس "العهد الجديد" ص ٨٢.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م. س، ص ٨٢، إنجيل متى، الإصحاح ١٠: ١٦، ١٧، ٢٢.

الشكل من الحوار، كان وحيد الجانب مدة طويلة من الزمن، فحيث كان الإسلام ذا سلطان ونفوذ، كان يعيش النصارى وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى عيشةً مستقرةً، ولم يتح للمسلمين أن يمارسوا في الماضي حياةً آمنةً مستقرةً حيث كان للمسيحية سلطان. وقد كان الشكل الأول للحوار، حوار الحرب ويستهدف التغيير من الخارج، ووسيلته إلى ذلك الإخضاع بالقوة لسلطة سياسية تمثل الدين الآخر. أما الشكل الثاني من أشكال الحوار، هو حوار اللاهوت وعلم الكلام، ووسيلته الإقناع العقلي وكان يستهدف لدى كل واحدة من الديانتين تغيير الديانة الأخرى من الداخل وذلك لتحقيق مكسبين: أحدهما: تعزيز مركز كل واحدة من الديانتين أمام أتباعها، وتوفير القناعات الكافية لديهم بأن عقيدتهم تمثل الحق المطلق. ثانيهما: اجتذاب أتباع الدين الآخر، وحملهم بالإقناع العقلي على اعتناق الدين الجديد، والتخلي عن صيغة إيمانهم القديمة. وأما الشكل الثالث من أشكال الحوار، حوار التعايش فقد تمثل هذا الاتجاه في أمرين هما:

الاتجاه الأول: تصريحات فردية: وهي عبارة عن آراء من قبل بعض الشخصيات المسيحية، سياسية أو كهنوتية، ودعت إلى تحقيق التعايش المشترك، القائم على الاحترام المتبادل، ومواجهة الأخطار التي تحيق بالبشرية، والوقوف على وجه الإلحاد في العالم، والدعوة إلى محاربة الفساد.

الاتجاه الثاني: موقف الكنيسة المسيحية من الحوار مع المسلمين، حيث وضعت الكنيسة للمسيحيين الأسس والقواعد والأهداف لأي حوار مع المسلمين، وتمثلت في قرارات وتوصيات وبيانات، صدرت عن الفاتيكان، الذي يترعّم الكنائس الكاثوليكية في العالم، وبيانات مجلس الكنائس العالمي، الذي يشرف على الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية، غير التابعة لسلطة البابا في الفاتيكان. لقد وجد على أرض الإسلام التعايش بين أهل الذمة والمسلمين، حيث عاش المسيحيون وأثروا في المجتمع الإسلامي وتأثروا به، فكان يتعايش المسلم والذمي في عصر تطبيق الإسلام، عيش تعاون وأمن وأمان وحرية عقدية، وقد كان هذا اللون من الحوار في الماضي وحيد الجانب، فلم يكن ثمة مسلمون يعيشون بحرية وأمان ويتمتعون بهوية دينية وثقافية مميزة

داخل العالم المسيحي. أما الآن فيوجد ذلك على نطاق واسع، وإن كان هذا اللون من الحوار لا يزال يعاني من بعض المصاعب في بعض المجتمعات. ومن التصريحات الجريئة والحديثة على وجوب الحوار اللاهوتي ما يتحدث عنه طريف الخالدي، إذ يقول: "وبما أننا من مسيحيين ومسلمين نواجه أيضاً تحديات لاهوتية غريبة صادرة عن القارات الثلاث، فالغريزة والعقل معاً يشيران إلى ضرورة التعاضد بين اللاهوتين العربيين المسيحي والإسلامي، والوقوف جنباً إلى جنب على أرض الله الواسعة وعلى أرضهما المقدسة بالذات... أما فيما يختص بتعميق المعرفة بين اللاهوتين، فلأني أرى أن نقطة البداية هي في المقارنة الشاملة والمستمرة بين الإنجيل والقرآن، فالإنجيل في رأبي سيرة شخص يمشي بمفرده على مسرح موحش، أما القرآن فإنه يعج بالحياة".^١ والسؤال الذي ينبغي أن يطرح في هذا المجال هو، ما الإنجيل الذي ينبغي مقارنته بالقرآن؟ علماً بأنه قد تعددت الأناجيل واختلفت وجرى عليها التحريف والتزييف، كما أثبت هذا البحث في فصول سابقة، بالإضافة إلى أن الله تعالى تعهد بحفظ القرآن الكريم من أن تناله الأيدي الآثمة من تحريف أو تزييف أو تبديل أو نحو ذلك، ولم يتعهد سبحانه بحفظ الكتب السماوية الأخرى؛ لأنه الرسالة الخاتمة من لدن حكيم خبير. فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنْزُ نَرْثَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^٢. ويعلق جورج كنعان تعليقاً راقياً على المزاعم العقائدية لدى الفكر اليهودي، ومن ثم يتناول عقلية الشعوب المسيحية التي تهلل وتروّج للمزاعم اليهودية من خلال كتبهم المقدسة والمزورة، فيقول: "والحقيقة أن للمفاهيم الدينية قوة تُتيح لها أن تأسرَ ألباب الأفراد والشعوب. وليس من السهل تغيير المفاهيم الدينية المتواترة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام، ولذلك فإن العودة إلى الفكر اليهودي الديني ضرورية؛ لتفهّم عقلية اليهود وعقلية الشعوب المسيحية التي تهلل لادعاءاتهم وتروّج لمزاعمهم. وقد نضطر إلى إصدار الأحكام، والأحكام الجارفة أحياناً على عقليات الشعوب

^١ - طريف الخالدي: اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، ص ١٤٤.

^٢ - سورة الحجر، الآية ٩.

والاجتمعات المسيحية التي لا تزال تعتبر القصص التي رواها الأخبار اليهود والمفاهيم التي علّموها أو دوّنوها كتابها المقدس. وعلى عقلية الشعوب التي تَمَحَّصُها الاحترام أو التقديس^١ فهذا رأي شديد وقول رشيد من أحد المنصفين والمفكرين اللامعين من النصارى، ثم يتابع البحث في عرض بعض آراء أهل الكتاب عن الإسلام.

المطلب الثالث: رأي اليهود والنصارى في الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام والردّ الإسلامي: لم يعترف اليهود والنصارى عموماً بالإسلام ولا برسوله الخاتم للإنسانية جمعاء، ولا بما تضمنه الإسلام من تشريعات صالحة لكل زمان ومكان. ويذكر أبو العباس القرافي مدى الزلل والخلل اللذين لحقا بالتوراة، ثم إنَّ يهود عمدوا إلى تحريف النصوص التوراتية التي تُبشِّرُ بالنبي محمد (ﷺ)، فيقول: "والتوراة التي بيد اليهود الآن لم تنقل نقلاً متواتراً، لذا فما سلمت من الخطأ والزلل، علماً أن أول تدوين للتوراة كان على يد عزرا الورّاق، وكان ذلك قبل بعثة السيد المسيح عليه السلام بقراءة خمسمائة وخمس وأربعين سنة وبعد فتنتهم مع ملك بابل نبوخذ نصر الكلداني الذي حارب بني إسرائيل وهزمهم وساق أعيانهم ووجهاءهم أسرى إلى بابل، واعتقاد اليهود بانتهاء مُلْكِهِمْ وظهور نبي آخر الزمان من بني إسماعيل، فحرّفوا التوراة بنصوصها الواضحة والمبشرة بسيدنا محمد (ﷺ)، إلى نصوص محتملة المعنيين لتدل على ظهور نبي من آل إسرائيل، وزادوا من التشريعات المناسبة لجنسهم"^٢. وكذلك تجد في الكتاب المقدس العهد الجديد عنواناً يقول "تحذير من الأنبياء الكذّابين"، ويا للأسف فإنَّ كثيراً من رهبان المسيحيين في كل زمان يردّدون ما سبق أن ذكره الأوائل منهم، بأن عيسى عليه السلام يقول: "يَاكُمْ وَالْأَنْبِيَاءَ الْكَذَّابِينَ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ فِي لِبَاسِ الْخِرَافِ، وَهُمْ فِي بَاطِنِهِمْ ذُنُوبٌ خَاطِئَةٌ. مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. أَيْحَتَى مِنْ

^١ - جورجى كنعان: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، م.س، ج ١، ص ١٢.

^٢ - أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ: "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، م.س، ص ٤١٧-٤٦٦.

الشُّوكْ عَنَبٌ أَوْ مِنَ الْعَلَيْتِي تَيْنَ" ^١. والحقيقة حاشا لعيسى عليه السلام أن يقول مثل هذه الفرية؛ لأنَّ المقصود من تحذيرهم من الأنبياء الكذابين بأنهم يُعَرِّضُونَ بالنبي محمد (ﷺ). ويصف أبو عبيدة الخزرجي ما يرمي إليه إنجيل متى السابق، ويعتقده كثير من المسيحيين، فيقول: "وقد رأينا نفاذ قوله هذا فيمن ادعى النبوة فأظهر سمة الحملان ثم عَمَلَ عَمَلَ الذئاب، فأمر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس عامة والتحريض على قتل من خالفه، والأمر بالقصاص والانتقام، ثم أمر بالإكثار من النساء ورخصَ في طلاقهن، وأحلَّ تزويج المطلقات الفاحرات ثم رَدَّهنَّ إلى الأزواج الأولين بعد طلاق ثانٍ وأحلَّ ذلك لهن من الرجل الثاني إلى الأول. ثم ما وصفَ به الله - عزَّ وجلَّ - من الجور والقساوة والظلم إذ زعمَ أنه يهدي بعضاً ويضل بعضاً" ^٢. فهذا الاعتقاد الخاطئ الذي وقع فيه الكتاب المقدس المحرَّف في وصفه للرسول محمد (ﷺ) ولشريعته الغراء، يتعارض تماماً مع التشبيه النبيل الذي ورد في التوراة والإنجيل، وكما نوه عن ذلك القرآن وتعرَّض له البحث في موقع سابق، ومما يوجب الردَّ الإسلامي والمزود بالأدلة المقنعة على تلك الافتراءات.

الرد الإسلامي: ما تقدم من قول اليهود والنصارى في تشويه الشرائع الإسلامية إفك وضلال؛ لأنَّ الله تعالى بعث رسول الإنسانية محمداً (ﷺ) بصالح الأخلاق، وقد أمرَ بالألفة والاجتماع والتَّحَابُّ في الله والمواخاة بذاته والتعاون على البرِّ والتقوى ونهى عن التباغض والتدابير والتخاذل. ووصفه الله عز وجل في كتبه وعلى لسان رسله. فقال في محكم وحيه الكريم: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^٣. يقول محمد محمود حجازي في التفسير الواضح: "نعم كان النبي محمد (ﷺ) حريصاً على إيمان النَّاس جميعاً خاصةً العرب، لأنَّ إيمان العرب

^١ - الكتاب المقدس العهد الجديد، م.س، ص ٧١، إنجيل متى، الإصحاح ٧:

١٥، ١٦

^٢ - أبو عبيدة الخزرجي: المتوفى سنة "٥٨٢هـ" - بين المسيحية والإسلام، تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبه، القاهرة، ط ٢، لا.ت، ص ٦٨.

^٣ - سورة التوبة: الآية ١٢٨.

مدعاة لإيمان غيرهم"¹. ولم يقل سبحانه جاءكم رسول منكم ولكن قال "من أنفسكم" وهي أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهم به، فهو بضعة من أنفسهم يتصل بهم صلة النفس بالنفس وهذا أمر عميق الإحساس. فلا يُلقى بهم في الهاوي والمهالك إنما يحرص عليهم؛ ليكون لهم شرف حمل الدعوة وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. وكذلك كانت أحوال صحابة رسول الله (ﷺ) وصفاتهم الحميدة. وهي كما وردت في التوراة والإنجيل ودونت فيهما قبل أن يبعث (ﷺ)، فيقول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ كَرَاهُهُ الرُّكُمَا سُجْدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَمْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُ فِي الثُّمَرَةِ وَمِثْلُهُ فِي الْإِنجِيلِ كَزَيْتُونٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّيْرَاعَ لِيَغْنِظَ بِهِ الْكُفَّارَ وَكَذَلِكَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ². فالإمام الزمخشري يقول [بأنه]: "مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم يَنْبُتُونَ نباتَ الزَّرع، يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر. وعن عكرمة يقول: أخرج شطأه يعني بأبي بكر، فأزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه يعني علي. وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبي (ﷺ) قام وحده، ثم قواه الله بمن آمن معه"³. فالصحابة رضوان الله عليهم أبرار أختار يلتفون حول الرسول (ﷺ) ويفقدونه بأموالهم وأرواحهم، وليسوا كما يقول أصحاب الإنجيل عن أصحاب سيدنا عيسى عليه السلام، أنه لما قبضت اليهود عليه فروا عنه وأنكروه، وحلفوا أنهم لم يعرفوه فأسلموه وتركوه. والعجب كل العجب من النصارى الذين يذمون شريعة الإسلام، ويكذبونها من حيث إنها تضمنت القصاص. ويؤمنون بشريعة سيدنا موسى عليه السلام وقد صرحت بالقصاص أيضاً. ولم يفطنوا إلى أن مقصود الشريعة الإسلامية هو حفظ أصول المصالح والضرورات الخمس وهي: الدم، الأموال، الأنساب، العقول، الدين. وأما

¹ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، ج ٢، ص ٣٠.

² - سورة الفتح، الآية ٢٩.

³ - محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م.س، ج ٤، ص ٣٤٨.

الدماء فحفظها بأن شرع الإسلام، قَتَلَ من يقتل نفساً عمداً، ومن جَرَحَ يُجرح ومن فقاً عين إنسان فقتت عينه وهكذا...، فإذا علم القاتل أنه سيفعلُ به مثل ما يفعلُ من اعتداء على غيره، لا شكَّ أنه سيبتعد عن القتل فتَحَفَظ حياةُ الناس وتُصان الدِّماءُ، ويقول الله تعالى في هذه المعاني: ﴿وَكُفُّ فِي الْفِصَاصِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^١. ويلفت ابن كثير أنظار أصحاب العقول النيرة إلى الحكمة الرائعة من مشروعية القصاص، فيقول: "وفي شرع القصاص وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المَهْج وصونها؛ لأنه إذا عَلِمَ الْقَاتِلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَى عن صنيعه، فكان في ذلك حياة للنفس، وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز، لعلكم يا أولي العقول والأفهام والنُّهى تترجون وتتركون محارم الله ومآثمه، والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات"^٢. ثم سَوَّى القرآن الكريم في القصاص بين الكبير والصغير والشريف والمشروف؛ إشعاراً بأن مزايا الدنيا لا قيمة لها عند الله تعالى، بل تزيد من تكاليف أربابها أمام الله عز وجل يوم القيامة. وأما الأموال: فقد صاها الإسلام على مُلاكها بأن شرع قطع يد السارق للنَّصاب وقتل المحارب، وغَرَمَ مِثْلَ الْمُتْلَفِ أو المَغْصُوبِ مِثْلًا لَهُ، فإذا علم السَّارِقُ والمُحَارِبُ أَنَّهُمَا يُعَاقَبَانِ بما يُنَاسِبُ جنائيهما ارتدعا وحَفَظَتِ الأموال. وأما العقول: فحَرَّمَ الإسلام استعمال ما يؤدي إلى تلفها أو ذهابها كالخمر مثلاً؛ وذلك لأن العقل هو مناط التكليف وهو الذي به يُعَرَفُ اللهُ تعالى، وهو الذي تنتظم به مصالح الدنيا والدين، فإذا أذهب الإنسان بالخمَر وما في معناه من المسكرات فقد تعرَّضَ لإسقاط التكليف، وربما يؤدي به للكفر بالله تعالى، بل وسيقوده لكل المفاصد ولأجل هذا قال عليه الصلاة والسلام: (الْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ وَأُمُّ الْخَبَائِثِ وَالْكَبَائِرِ)^٣. وأما حفظ الأنساب وصيانة اختلاط المياه في الأرحام: فشرع الإسلام النكاح وحرَّم السفاح؛ لينتسب كل ولد لوالده، ثم من أجل مقاصد أساسية كالتعارف والتآلف بين

^١ - سورة البقرة، الآية ١٧٩.

^٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م، س، ج ١، ص ٢٠٤.

^٣ - رواه النسائي في سننه، تحت رقم الحديث "٣١٤، ٣١٧"، ج ٨، ورواه الدارقطني، في سننه ج ٤، تحت رقم الحديث "٢٤٧".

الناس، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَمَّاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^١. فالقرآن جعل التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس، وفي هذا المعنى يقول محمد محمود حجازي يقول الله تعالى: يا أيها الناس إِنَّا خلقناكم من تراب وماء من ذكر وأنثى، فالأصل واحد والخالق واحد، فقيم تتفاضلون؟ وبأي شيء تفتخرون؟ وهذا أدعى للتعارف والتآلف بين الناس، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، والتقوى أمر عامٌ جماعها الخوف من الله والعمل على ما يُرضيه، وهي أساس كل فضل والله سبحانه هو العليم بها والخبير بعباده، وسيُجازي كلاً على عمله الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم^٢. ولو لم يكن ذلك كذلك لارتفع التعارف وعزَّ التعاون والحوار والتشاور، وانهارت الحياة الهائلة التي يرنو لها الإنسان السَّويُّ. وأما المحافظة على الدِّين وصيانه: فإنَّ الإسلام لم يُكرِه أحداً على الدخول فيه، وحرَّم الفسوق والعصيان، ثم جعل الإيمان بالله رأس الخيرات. وبهذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُبْعِدُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^٣. يقول الإمام الزمخشري إِنَّ اللَّهَ تعالى خلق الجنَّ والإنس لأجل العبادة، أرادهم الله تعالى أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها؛ لأنَّه خلقهم ممكنين، فاختر بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القسر والإجاء لوجدت من جميعهم، وأنه سبحانه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء^٤. ومن الأدلة على صلاح العقيدة والشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، ما يشير إليه مورييس بوكاي فهو يقول: "فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحية، في حين أنَّ الإسلام لديه القرآن الكريم الذي هو وحيٌّ مُنزَّلٌ وثابتٌ معاً، وأنَّ القرآن لا يحتوي على آية مقولةٍ قابلةٍ للنقد من وجهة نظر العلم الحديث"^٥.

^١ - سورة الحجرات، الآية ١٣.

^٢ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، مج ٣، ص ٦٥-٦٦.

^٣ - سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٨.

^٤ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، م.س، ج ٤، ص ٤٠٦.

^٥ - مورييس بوكاي: دراسات في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٠-١٣.

المطلب الرابع: صور من التبشير والحوار في القرن العشرين: تمت منذ

مطلع القرن العشرين لقاءات وحوارات إسلامية ومسيحية، على جميع المستويات والأصعدة، وتنوعت الموضوعات المطروحة على بساط البحث، فكان منها الحوار الإسلامي المسيحي الفردي بين المتخصصين والعلماء، وعقد المؤتمرات والندوات والملتقيات، والرسائل المتبادلة بين علماء من المسلمين ورجال الدين من المسيحيين. والذي تركّز عليه هذه الدراسة هنا هو الجانب العقدي، والمتمثل في قانون الإيمان المسيحي: إذ يعتقد المسيحيون بفرقهم الموجودة اليوم وهي الكاثوليكية، الأرثوذكسية، والبروتستانتية، فهم يؤمنون بما يسمى "قانون الإيمان المسيحي" الذي صدر عن مجمع نيقية عام ٣٢٥م، مع الإضافات التي أدخلت عليه في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وأيضاً بعض الزيادات التي ألحقت بالقانون في مجمع القسطنطينية عام ٤٣١م. وينص قانون الإيمان المسيحي على ما يلي: "نؤمن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وما يُرى وما لا يُرى، نؤمن بربٍّ واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنّس، وصُلبَ عنا، على عهد بيلاطس النبطي، وتألّم، وقُبِرَ، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً: يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء. نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المحي، المنبثق من الآب، نسج له، ونمجّده مع الآب، والابن، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي، آمين"^١. ويستطيع المرء أن يلخص عقيدة المسيحيين حسب قانونهم الإيماني بالنقاط التالية:

^١ - محمد مجد مرجان: الله واحد أم ثالث، دار النهضة العربية، العين، الإمارات العربية المتحدة، لا.ت، ص ٢٥.

١: يعتقد المسيحيون بوجود إله مثلث، أو ثالث، فهم يؤمنون بالمسيح ابناً لله تعالى بالمعنى الحقيقي، لأنه ولد من الآب، لا بل هو إله حقيقي، وكذلك إنسان حقيقي لأنه ولد من مريم العذراء، وللمسيح طبيعتان متميزتان: الطبيعة الإلهية، والطبيعة البشرية، أو بتعبير آخر: إنه إله كامل، وإنسان كامل، معاً. على اختلاف في طبيعة المسيحيين الفرق المسيحية كما سبق توضيحه في هذا البحث. علماً أن المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول، عرض المسيحية بأنها ديانة توحيدية، وذلك بين عامي ١٨٦٩ - ١٨٦٩م، إنه تناقض عقدي مسيحي غريب.

٢: برزت عقيدة المسيحيين في التجسد، والخطيئة الأصلية، والصلب، والفداء، بناءً على العبارات التي وردت في قانون الإيمان المسيحي السابق.

٣: عقيدة المسيحيين في تأليه مريم العذراء، فقد جاء في تصريح للكنيسة الكاثوليكية: "كما أن المسيح لم يبق بشراً، كذلك مريم أمّه لم تبق من النساء، بل انقلبت إلى وِئُوسَة، أي: إلهة".^١

٤: عقيدة المسيحيين في غفران الكنيسة للخطايا والذنوب: يعتقدون بأن الاعتراف بالذنوب أمام القسيس ومن يعلوه من أصحاب الرُتب الكنسية في الدنيا، هو أول سبيل للمغفرة؛ لأنهم هم وحدهم يملكون قبول التوبة، والعفو عن الإنسان إذا اعترف بها. هذا هو المحمل العقدي العام الذي يعتنقه المسيحيون في أنحاء الدنيا، مع وجود اختلافات جوهرية بين الفرق المسيحية في بعض النقاط، وقد تركزت غالبية الحوارات الإسلامية المسيحية على مناقشة هذه الأفكار، والرد عليها من قبل المسلمين. ولقد تجدد الحوار في العالم العربي في السنوات الماضية بسبب ما أصاب العلاقات الإسلامية المسيحية من اضطراب وتشويش ومن تصوير لها بصورة العداء والسلبية، فتحول الحوار إلى همٍّ إسلاميٍّ أصيل أو إلى عنوان وقضية في المشروع الإسلامي المعاصر، في هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين، ولعلَّ السبب في ريبة المسلمين من عنوان الحوار، هو تصاعد الحركة التبشيرية العالمية المتصاعدة منذ منتصف القرن التاسع عشر والتي تحوّلت إلى معطًى سياسيٍّ ثقافيٍّ اجتماعيٍّ، يخترقُ البنية

١ - محمد الصادقي: عقائدنا، دار العالم الإسلامي، بيروت، ط ١٩٧٢، ١م، ص ١٠٠.

المجتمعية العربية الإسلامية خلال النصف الأول من القرن العشرين، ثم الصراع الذي دار بين الشرق والغرب بين الاشتراكية والرأسمالية، وهو الصراع الذي حكم اللوحة العالمية طوال النصف الثاني من القرن العشرين قبل أن ينحسر في العقد الأخير منه. فإن الحركة التبشيرية العالمية أو الوحدة في العمل التبشيري، شكّلت الولادة الحقيقية للعمل المسكوني وللحركة المسكونية^١. وفي ذاكرة المسلمين والمسيحيين في الشرق صوراً أليمة ومريرة عن المواجهة مع الحركات التبشيرية الرعّناء... وهذه الأسباب اعتبرت الناس دعوات الحوار ستاراً لتمويه وإخفاء مقاصد الهيمنة العقدية للمسيحية. وكان الاهتمام التبشيري البروتستانتي بضرورة تشكيل وحدة في العمل التبشيري، قد برز منذ مطلع القرن التاسع عشر، فدعا المبشر وليام كاري في رسالة من كالكوفا في الهند إلى جمعيته في لندن إلى عقد مؤتمرات مسيحية جامعة، لتوحيد العمل في البلدان غير المسيحية، وفعلاً أنعقد أول مؤتمر في كاب تاون في بريطانيا عام ١٨١٠ م، واستمرّ ينعقد كل عشر سنوات مرةً. ولكنه كان مؤتمراً خاصاً بجماعة تبشيرية معينة ولم يكن مسكونياً، أي عالمياً. ثم ولد المجلس التبشيري العالمي أو مجلس الإرساليات الدولي عام ١٩٢١ م. حيث وجهت جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية دعوة إلى علماء المسلمين، لحضور مؤتمر يعقد في بحدون في لبنان عنوانه: النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدّينين لتبيان عقم الفلسفة المادية الفانية، وكان ذلك في عام ١٩٥٤ م، ثم أثارت الدعوة جدلاً كبيراً في الأوساط الإسلامية، وبشكل عام فإن الحوارات الأمريكية لم تفلح في إثارة حوار فعلي وصريح، وكان من الطبيعي جداً أن يحمل العرب والمسلمون مواقف الريبة والحذر حيال مشاريع الحوار القادمة من الغرب، ومن الطبيعي أيضاً أن يتعثر الحوار إلى يومنا هذا. إن محور هذه الدراسة من وراء الحوارات والمؤتمرات واللقاءات بين المسلمين والمسيحيين، هو ما تمت الإشارة إليه آنفاً، وهو الجانب العقدي عند

^١ - مسكونية: لفظة تدل على الأرض المسكونة، وهي في القرنين الرابع والخامس للميلاد، ومساحة الامبراطورية اليونانية والرومانية. وعلى مستوى الكنيسة، تدل صفة "مسكوني" على لقاءات الأساقفة "بجامع" للبحث في المسائل المختصة بالكنيسة. ومنذ مطلع القرن العشرين، استعمل لفظ مسكونية لجمع شمل المسيحيين في كنيسة واحدة.

المسيحيين ، ويتلخص في الثالث، والبنوة لله، وقضية التجسد والصلب والفداء، وسيتم الرد على هذه العقيدة بشكل مجمل، وهو كالتالي:

١— إن عقيدة التثليث، والبنوة لله، غير ممكنة بدهاءةً وعقلاً؛ "لأن العقيدة القائلة بالوهية الآب والابن والروح القدس، تقوم على مغالطات كثيرة، منها: مساواة الجزء للكل، بالإضافة إلى منافاتها لطائفة من البدهيات العقلية، وفق ما يلي: أ: ليس من المستطاع أن يكون ثمَّ كائنان غير محدودين في آن واحد، فإن كان الأقوم، أي الشخص الأول في الثالث — كما يدعي المسيحيون — هو الإله المطلق غير المحدود، فلاَّه لا يمكن أن يكون الأقوم الثاني كذلك، وإلَّا لكان ثمَّ إلهان مطلقان، غير محدودين ، وهذا أمر محال عقلاً. وأما القول باتحاد الأقومين الأول والثاني، فهو أمر ينفي الألوهية عن كليهما؛ لأنَّ هذا الاتحاد بينهما يغير الحالة التي كان عليها كل منهما من قبل، فيصبح أكثر مما كان أو أقل، وهذا ينفي عنه عدم المحدودية، إما في حالته الأولى، وإما في حالته الثانية، ومن ثمَّ يبطل أن يكون إلهاً.

ب: لا يتأتى أن يشغل كائنان اثنان حيَّزَ واحد منهما، بل لا بدَّ أن يتراجع أحدهما ليفسح المجال للآخر، بيد أنه لن يجد حيَّزاً يتراجع إليه ما لم ينقطع عن أن يكون حالاً في كل مكان ، أي ما لم يكفَّ عن أن يكون إلهاً.

ت: لا يتسنى للشئ الصغير أن يحتوي الشئ الكبير، فيوضع لتران من الماء — مثلاً — في وعاء يتسع للتر واحد فقط، ولهذا ليس من المتيسر أن يحتوي الجسد المحدود روحاً غير محدودة ، وهذا محال عقلاً^١.

٢— عقيدة التثليث دخلت المسيحية بعد عام ٣٢٥ م ، بعد مجمع نيقية، فإنه من خلال قانون الإيمان المسيحي الصادر عن هذا المجمع ، يمكن القول: " إنه من خلال هذه الوثيقة التاريخية التي يعترف بها كل المسيحيين في العالم، يتبين أنه لم يكن هناك شئ اسمه التثليث في العقيدة المسيحية، وبعد مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م، دخلت فكرة التثليث في قضية الإيمان بالله تعالى عند المسيحيين، وأصبحت معتقداً معترفاً به. وكذلك وحتى ذلك التاريخ لم يكن

^١ - عصام الدين حفي ناصف: المسيح في مفهوم معاصر، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م، ص ١١.

هناك شيء يتعلق بتأليه العذراء، أو عبادة المسيح، كذات إلهية مستقلة، يمكن التوجه إليها بالصلاة والعبادة، ولم تكن أيضاً هناك دعوة إلى عبادة ثلاثة آلهة في إله واحد، ولم تكن أيضاً هناك دعوة إلى التبشير بهذا الثلاث "١". وتشبه الصورة التي رسمها صانعوا المسيحية بعد المسيح عن حياة المسيح عليه السلام، تشبه صور كثير من الآلهة الأبناء عند الوثنيين اليونان والرومان وغيرهم. ويقول الإمام الشهيد حسن البنا منوهاً بصورة من صور الحوار الإسلامي المسيحي في القرن العشرين، وذلك من خلال رسالة له بعنوان، مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي: "إن الأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن، تعلم تمام العلم كيف تجدد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليمه... إن التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً مسلمين وغير مسلمين، يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف، ومن الجميل حقاً أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرّون هذه المعاني في كل المناسبات، ويعتبرون الإسلام معنى من معاني قوميتهم، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم" ٢. ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَعَبَرَدِينِ اللَّهُ يُعْثِرُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ، قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ٣. يقول الإمام القرطبي في تفسيره: "أن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي (ﷺ) فقالوا: أينما أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي (ﷺ) (كلا الفريقين برئ من دينه). فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك؛ فتزل قوله تعالى: ﴿ أَفَعَبَرَدِينِ اللَّهُ يُعْثِرُ ﴾ وله انقاد واستسلم كل [المخلوقين] طائعين ومكرهين، قال قتادة: أسلم المؤمن طوعاً والكافر عند موته

١ - انظر، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، (الخرطوم ١٩٨٠م)، نشر ارناسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٢٠٨.

٢ - حسن البنا : مجموعة الرسائل، دار القلم، رسالة المؤتمر الخامس، بيروت، ١٣٥٧هـ، ص ٢٣٦.

٣ - سورة آل عمران ، الآيات ٨٣ — ٨٤.

٤ - كعب بن الأشرف: من زعماء اليهود وكان يعيش في زمان رسول الله (ﷺ).

٥ - أخرجه محمد بن إسحاق ومحمد بن جرير، تحت رقم الحديث ٢٥١/١١.

كرهاً ولا ينفعه ذلك"^١ وجاء في تفسير ابن كثير: "فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل، لا يكفرون بشيء من ذلك، بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله"^٢. ومن صور الحوار المعاصرة والحديثة ما يجري الآن بين البابا واليهود من علاقة مُرتَبكة، بالرغم من طلب الصفح والتعاطف مع المحرقة، وترصد صحيفة الخليج الإماراتية ذلك الحوار، فتقول: دأب رأس الكنيسة يوحنا بولس الثاني، وهو أول بابا تطأ قدماه أرض كنيس يهودي منذ زمن القديس بطرس، على إجراء حوار شاق مع الديانة اليهودية خلال توليه سدة البابوية، نجم عنه الاعتراف بالذنوب وطلب الصفح عن الأخطاء التي ارتكبت حيال شعب إسرائيل. واعتبر اليهود الوثيقة التي نشرها البابا في ١٦ آذار/ مارس عام ١٩٩٧م، بعنوان تأملات في المحرقة أنها مهمة لكنها ليست كافية. ويأمل اليهود في أن يُقدّم البابا على خطوة أخرى خلال زيارته موقع نصب المحرقة "ياد فاشيم" في القدس المحتلة أثناء جولته المقبلة في الأراضي المقدسة"^٣. هذا وقد حقق البابا نفسه بولس الثاني ما ترنو إليه أعين اليهود عندما قام بزيارة لحائط المبكى في ٢٧ مارس عام ٢٠٠٠، وجاء بصحيفة الخليج الإماراتية ما يلي: "البابا تمشى أمام المسجد الأقصى ولم يدخل إليه، وطلب المغفرة لمعاناة اليهود عند حائط المبكى، حيث تقدّم بمفرده باتجاه الحائط وأدى صلاة قبل أن يضع ورقة في إحدى فتحاته، ومن ثم وضع يده اليمنى المرتعشة على الحائط قبل أن يرسم شارة الصليب باتجاه الرسالة الصغيرة التي وضعها. وذكر مراسل وكالة الصحافة الفرنسية الذي استطاع قراءة رسالة البابا المكتوبة بالإنجليزية، أن البابا طلب من الرب المغفرة لمعاناة اليهود عبر التاريخ، وحملت الرسالة ختم الفاتيكان في أعلى الورقة ووقعت باسم "يوهannis باولوس الثاني" وختاماً للزيارة أقام البابا قداساً في كنيسة القيامة التي يوجد في داخلها درج يؤدي إلى الجلجلة حيث صُلب المسيح [كما يزعمون]. وقد حضر القداس الأخير للبابا في رحلة الحج التي

١ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م.س، مج ٢، ص ١٢٠.

٢ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، م.س، ج ١، ص ٣٦٢.

٣ - مقال صحفي بعنوان "البابا واليهود"، صادر عن صحيفة الخليج الإماراتية، العدد رقم ٧٦٠٧، يوم الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ١٧ مارس ٢٠٠٠م.

يقوم بها إلى الأراضي المقدسة عددٌ من المسيحيين ورجال الكنيسة. وقبل بدء القدّاس انحنى البابا الذي يبلغ من العمر ٧٩ سنةً ببطء؛ ليقبّل الحجر الذي تقول الأناجيل إنّه جرى عليه غسلُ جسّد المسيح قبل دَفْنِهِ. وكان رجال دين من مختلف الكنائس التي تتقاسم أهمّ موقعٍ مسيحيٍّ في القدس في استقبال البابا عند وصوله^١. ويستطيع المرء أن يدرك من زيارة البابا هذه بأن الكنيسة غدت تُوظّفُ سياسياً تماماً. وأين الكنيسة اليوم من تعاليم السيد المسيح وكما تقول الأناجيل من لطمك على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر، ومن استخدمك ميلاً فامش معه ميلين، هل الكنيسة تطبّق هذه التعاليم الآن؟ ثم أين دور الكنيسة الإيماني اليوم من عقيدتهم التي تقول بصلب اليهود للسيد المسيح، وطلب البابا بولس الثاني من الرّبّ المغفرة لليهود بسبب معاناتهم عبر التاريخ؟ إنه التناقض الغريب الذي لا مبرّر له.

المطلب الخامس: المؤتمر الديني الإسلامي اليهودي المسيحي: بعد هذه الجولة من الحوار بأشكاله المختلفة، والوقوف على أنواع من صور التبشير المتعددة قديماً وحديثاً، بات من المؤكد ضرورة الحضور الإسلامي لكل المؤتمرات الدينيّة على اختلاف معتقداتها، شريطة عدم التصادم مع الأحكام الشرعية لا سيما في حالتي السلم والحرب أو عند العدوان والاحتلال للديار الإسلامية، ثمّ بغية توصيل الطرح القاطع المقنع والمستند على الدليل الشرعي والعلمي، وأن يتصدر للحوار أهل الحل والعقد في الأمة الإسلامية، ويشير السيد محمد الشاهد إلى هذه المهمات، فيقول: "إن المتابع للجهود التي تبذل في أوروبا في الوقت الحاضر لتوحيد صفوف المسيحيين جميعاً، بل وتوحيد صفوف المسيحيين واليهود، يدرك مدى ضرورة الحضور الإسلامي في مثل هذه الندوات بل ويتعدى ذلك إلى ضرورة الدعوة إلى مثل هذه الندوات والإشراف على تنظيمها، حتى لا نترك الميدان خالياً تماماً للآخرين، يفعلون فيه

^١ - مقال صحفي بعنوان "البابا تمشّي أمام المسجد الأقصى ولم يدخل إليه" صادر عن صحيفة الخليج الإماراتية، العدد رقم "٧٦١٧" يوم الاثنين ٢١ ذي الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧ مارس ٢٠٠٠م.

ما يشاءون حسب خططهم التي يحكيوها والتي كثيراً ما تكون ضد الإسلام والمسلمين، على أن يكون الحضور الإسلامي مسبقاً بتحضير وترتيب واختيار، ممن هم أهل للمناقشة العلمية الهادئة المبنية على علم واسع بالعقيدة الإسلامية، والصادرة عن ثقة تامة ولا يشوبها شك في صحة الحل الإسلامي وحده، ويفضل من يجيد لغة القوم، ويعرف أساليبهم ومنهجهم في الحوار وما يركزون عليه من حجج، وحضور الرد القاطع المقنع على كل دعوة وشبهة متحلياً بأداب المناقشة في الإسلام. إن من أهم الأسباب التي أدت إلى سيطرة الصهيونية العالمية على الإعلام الغربي، هو إحجام المسلمين عن الاشتراك في مثل هذه الندوات وغياهم شبه التام في الإعلام العالمي بمختلف وسائله، ولأنه مما يروّج له الإعلام الصهيوني أنه لو كان عند المسلمين ردٌّ على ما يقال عن الإسلام، فلماذا يهربون ويفضون الاشتراك في الندوات العامة التي تقام لهذا الغرض؟ لذا فإن الاكتفاء بالرد عليهم في بلادنا وبلغتنا وبأسلوبنا الذي لا يصل إليهم لا يُفهم إلا في مجتمعاتنا، ولا يفيد في الدعوة إلى الإسلام في الغرب مطلقاً إن أسوأ ما نفعله تجاه ديننا هو أن يكون تخوفنا من الحوار سبباً في اتهام الإسلام بالقصور وعدم الصلاحية، وفتح باب التهجم عليه وإثارة الشبهات الباطلة حوله^١. ومن أفضل ما يدل على وجوب الحضور الإسلامي للمؤتمرات الدينية العالمية بغض النظر عن عقائدها، بقصد التنوير الديني الحقيقي وبهدف تبيان عقيدة التوحيد الصافية، وتعرية الوثنية والتثليث اللذان يسيطران على عقيدة اليهود والمسيحيين اليوم، ومن الشواهد على ذلك، خطبة "المطران رعد" راعي أبرشية صيدا للروم الكاثوليك بمناسبة المهرجان اليهودي، وهذا النص من خطبته: "بسم الله الواحد: الآب — الخالق والابن — الكلمة والروح القدس. يا أخوة الإيمان بالله الحق، أبناء الوطن، سلام لكم من الله الآب. وبركة المخلص يسوع المسيح، تغمركم وتُبْعِدُ عنكم شرور الأشرار وضلال

^١ - السيد محمد الشاهد: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م. ص ٨، بتصرف.

الضَّالِّينَ"^١. ويعلّق إلياس عبّود على ذلك، فيقول: "فهاهم كتّاهم وكهنتهم [يعني اليهود] يتفاخرون بأنّ اليهودي لا يتبدل، بل يتلوّن ولا يخرج من جلده، على حدّ تعبير اليهوديّ الأمريكيّ بيرنز صاحب كتاب باباوات من الحيّ اليهوديّ، الذي يحتوي على أقذع أنواع الشتائم والتحقير للمسيح والمسيحيين مدى العصور. فلو جاء المُخلّصُ إلى العالمِ مرّةً أُخرى اليومَ في عهد شارون وبيغن وشامير لصلبوه مرّةً أُخرى، بمعاونة الطّواغيت من الوثنيين المُقنَّعين بأقنعة مسيحيّة"^٢. ومن أهمّ الصعوبات التي تقف في إجراء الحوار بين المسلمين والنصارى، عقيدة التثليث وعقيدة الحلول، حيث إن النقاش احتد حول هاتين العقيدتين في القرن العاشر الميلادي، ولم تكن حجج النصارى كافية لإقناع أحد بصحتها، وقد نتج عن ذلك دخول بعض النصارى في الإسلام، مثل أحد النصارى والذي سمى نفسه حسن أيوب، وقد كتب هذا المسلم الجديد كتاباً شرح فيه أسباب دخوله الإسلام، وأهمها عدم اقتناعه بعقيدة التثليث والحلول. ويصرّح الله تعالى بكفر الذين يقولون بألوهيّة المسيح عيسى بن مريم، أو يدينون بعقيدة التثليث، فيقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَكُمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَفَرُوا مِنْهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٣. ويؤكد الإمام الزمخشري في معرض تفسيره على وحدانيّة الله تعالى، وإنّ عيسى عليه السلام عبدٌ لله، فيقول: "لم يفرّق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم [أي بينه وبين قومه من جهة والناس أجمعين من جهة أخرى] في أنّه عبدٌ لله مثلهم وليس ربّاً، وهذا احتجاج على النصارى الذين أشركوا بالله في عبادته، أو فيما هو مُختصّ به من صفاته أو أفعاله، وما إلّه قطّ في الوجود إلا إلّه موصوف بالوحدانيّة لا ثاني

^١ - إلياس عبّود: عن مهرجان الغيظ اليهودي في جزين، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٧. بسبب حضور المطران رعد راعي أبرشية صيدا للروم الكاثوليك للمهرجان اليهودي وخطبته الاسخريوطية فيه.

^٢ - المرجع السابق، ص ١٥.

^٣ - سورة المائدة، الآيتان ٧٢ - ٧٣.

له، وهو الله وحده لا شريك له. وفي قوله: ﴿لَيَمْسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾^١ للبيان، فإن قلت: فهلا قيل: "ليمسّهم عذاب أليم". قلت: في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر، وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر. والمعنى: ليمسّ الذين كفروا من النصارى خاصةً شديد الألم من العذاب. ويجوز أن تكون [منهم] للتبويض، على معنى: ليمسّ الذين بقوا على الكفر منهم، لأنّ كثيراً منهم تابوا من النصرانية، والله يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم^١.

المطلب السادس: مستقبل الحوار بين الأديان: وفي الختام فإنّ المرء يتساءل ما الهدف المنتظر من الحوار بين الأديان؟ وهل هو حوار بين العقائد السماوية المختلفة لا سيما بعد التحريف الذي جرى للتوراة والإنجيل؟ أم أنه حوار بين أتباع كل ديانة بهدف توسيع الحوار بين الناس وإزالة ما يمكن أن ينشأ من سوء فهم؟ ولعلّ الندوة التي عُقدت في القاهرة — وتدعو إلى حوار الأديان — تُجيب عن هذه التساؤلات، حيث يتناول علاء العربي الندوة في مقال له نشرته صحيفة الاتحاد الإماراتية في تاريخ ٢٤ مارس/ ٢٠٠٠م، فيقول فيه: "وإذا كانت الأديان السماوية الثلاثة — اليهودية والمسيحية والإسلام — تدعو إلى السلام فمن أين تأتي الحروب والعنف التي يلصقها البعض بالدين وهو منها براء؟ وبدأت الندوة بالهجوم على "علي السمان" نائب رئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر الشريف، واتهامه بجرّ شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي للقاء حاخام إسرائيل، تحت ستار حوار الأديان بينما كان وراء الأمر شبهة سياسية. وفجّر المناقشة فرج صابر نائب رئيس دار الوثائق القومية الذي أكّد أنّ فكرة الحوار بين الأديان بالشكل المطروح تهدف لإذابة الأديان الثلاثة — الإسلام والمسيحية واليهودية — في بوتقة واحدة ممّا يخفي هويّة كل دين، رغم أنّ الأديان السماوية لها مبادئ واحدة والخلاف في العقائد والطقوس، وهو ما لا يحتاج لحوار، خاصة وأنّ صورة الحوار المطروحة تشير

^١ - محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م.س، ج١، بتصرف. ص ٦٦٣-٦٦٤.

لوجود خفايا سياسية بعيدة عن المفهوم المُعلن للأديان. ونفى السمان وجود هدف سياسي وراء فكرة حوار الأديان، وإن الاتفاقية التي تم إبرامها مع الفاتيكان في هذا الشأن تنصُّ على أنَّه لا حوار في العقيدة، وإنَّما الحوار يُعدُّ فرصة جيدة للأزهر الشريف للمساهمة في تحسين صورة الإسلام لدى الغرب... لكن مسألة العبث بكيان الأديان لم يكن وارداً في حوارنا على الإطلاق. [وأردف السمان قائلاً] بأنَّ هناك حوارات عديدة تتمُّ حالياً في العالم تُظهر صورة الإسلام في شكلٍ عصريٍّ، وقد دار حوار بين الشيخ فاضل البدري في بريطانيا والأمير تشارلز وليَّ عهد بريطانيا، الذي عندما عرف صورة الإسلام السَّمحة دعا إلى عدم الخلط بين صورة الإسلام وممارسات بعض المسلمين. وكذلك كان هناك حوار بين الشيخ محمود عزب وهو رجل علم يدرِّس العلوم الشرقية والمستشرق جاك بيرك والذي ترجم معاني القرآن وكان بها أخطاء فادحة. وكان من نتيجة هذا الحوار أن اعترف بيرك بأخطائه ونشرها في الصحافة الفرنسية ليعلم الجميع بها. وعلق فؤاد اسكندر وزير الهجرة والتعاون الدَّولي المصري الأسبق قائلاً: إنَّ الحوار القائم بين الأديان يصب في بوتقة الحوار حول أخلاقيات التعامل في الأديان. وقد أعدَّت وزارة التعليم المصرية كتاباً حول هذا المضمون يسمى كتاب "الأخلاق" يشمل الأخلاقيات الدِّينية في كلِّ من الإسلام والمسيحية وسوف يوزَّع على الطلاب في المدارس المختلفة خلال العام الدراسي القادم، وهو كتاب لا علاقة له بالكتب الدِّينية^١. من الملاحظ أن جميع أطراف الحوار يناون بأنفسهم عن موضوع العقيدة ويركزون على التعايش والتعاون والأخلاقيات. والأصل قيام هذا الحوار على غرار ما قام به المصطفى محمد (ﷺ) عندما بعث رسلاً إلى القيادات القائمة في وقته عليه السلام، يدعوهم إلى الإسلام فكان حوار مع المبعوثين حول طبيعة الدين الكامل والخاتم للأديان التي سبقتهم. ويقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ

^١ - علاء العربي: مقال صحفي بعنوان "الحوار بين الأديان"، صادر عن صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد رقم "٧٦١٤" يوم الجمعة بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٤ مارس ٢٠٠٠م. ص ١٠.

الْإِسْلَامَ دِينًا»^١. فالدين الذي يرتضيه الله تعالى لعباده من باب أولى أن يرتضيه المخلوقون ويتبعون به ربهم وفق منهاجه، وليس تبعاً للأهواء والشهوات. واستقبل الرسول (ﷺ) الوفود التي قدمت إلى المدينة المنورة، ودارت بينهم حوارات قوية ومُحاجة كان من نتائجها اقتناع الوفود وإسلام بعض أعضائها وبقاء البعض الآخر على دينهم بعد أن تبين لهم الحق وقامت عليهم الحجة. وليس من المتوقع أن يتوقف التصادم؛ لأن ذلك من طبيعة البشر والشواهد القرآنية التي توحى بذلك يراها الناس عملياً ومنها قوله تعالى: ﴿وَكُنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ شِعَ مَلِكُهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آيَاتِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^٢. وأما لفظة لن فإنها تفيد النفي لما يستقبل من الزمان، ومن المعلوم أن بعض أهل الكتاب دخلوا في الإسلام دين التوحيد طواعية عن اقتناع، والقليل لا يقاس عليه كما هو معلوم عند الأصوليين، هذا من جهة ومن جهة أخرى بعد دخولهم تحت لواء عقيدة الإسلام، أصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. ولكن الغالبية العظمى من أهل الكتاب وقفوا مواقف عدائية لعقيدة التوحيد التي يتهرَّب من مناقشتها المتحاورون اليوم. ومن أشهر الأدلة على العداء السافر للإسلام والمسلمين، هو التناقضات العقدية التي وقع فيها المسيحيون في قرارات بعض مجامعهم، ومن أهم المجامع التي لها خطر كبير في حياة المسيحية كعقيدة ونظام ودين وخلق هي كما يلي:

- ١: مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥م: تقرر فيه أن المسيح إله فقط.
- ٢: المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١م: تقرر فيه أن الروح القدس إله.
- ٣: مجمع أفسس عام ٤٣١م: تقرر فيه أن للمسيح طبيعتين : إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية.

٤: مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م: تقرر أن الطبيعتين للمسيح منفصلتان: إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية يلتقي بهما المسيح مع الله ومع الناس. ونظراً لذلك ظلَّ المسيحيون ينادون بالحوار البعيد عن مناقشة عقيدة التوحيد والتي هي جوهر إسلام الوجه لله تعالى وحده. وبقي الأمر كذلك حتى عقد

^١ - سورة المائدة، الآية ٣.

^٢ - سورة البقرة، الآية ١٢٠.

الجمع الفاتيكاني الثاني، والذي يقول عنه ميشيل يتييم ما يلي: "وكان البعض من المسيحيين قد ظنّ أنّ عهد المجامع قد ولى في الكنيسة الكاثوليكية بعد تحديد عصمة البابا الفردية في الجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٧٠م، حتى فاجأ البابا يوحنا الثالث والعشرون العالم بإعلانه عن رغبته في عقد مجمع مسكوني وذلك في ختام أسبوع الصلاة لوحدة المسيحيين في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٥٩م. وإنّ الجمع الفاتيكاني الثاني وحده بين المجامع السابقة له لم يُعقد ليُحرّم أو يدين، بل كان للانفتاح والحوار، حوار مع الفكر المعاصر، حوار مع العالم، حوار مع سائر المسيحيين، حوار مع سائر الديانات، حوار مع كل البشر حتى غير المؤمنين، بغية تحقيق رسالة الكنيسة في العالم، وهي خدمة الإنسان وتوطيد ملكوت الله، ومات البابا يوحنا الثالث والعشرون عام ١٩٦٣م، وتابع انعقاد الجمع المسكوني بعده البابا بولس السادس^١. فلا ينبغي أن يكون الحوار قناعاً ظاهره التدين، ويختفي وراءه النظام الديني الواحد المتمثل بالمسيحية الكاثوليكية بكل ما بها من تزوير ومغالطات، وبدلاً من التلاعب بالألفاظ والنداء بالابتعاد عن مناقشة العقيدة في الحوار بين الأديان، فإنّه ليس المطلوب من أحد أن يبدّل دينه، وإنّما لا بدّ من الاعتراف بالحقائق والتي بسطها البحث عندما تناول عقيدة أهل الكتاب، وأثبت بالأدلة على الوثنية والتحريف والتبديل الذي لحق الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ولكن المطلوب الآن هو تحجيم هذا التصادم بحيث يكون نوعاً من الاختلاف المستمر الذي يُعترف به، ولا يمنع من التعايش واستمرار الحوار رغبة في الوصول إلى نتائج علمية موضوعية. وإذا نظر المرء إلى البيانات التوحيدية الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام نظرة موضوعية حقيقية؛ لأمكنه أن يستنتج بأنّ اليهودية المتزلة على موسى عليه السلام هي ديانة توحيد وتشريع، والدليل على ذلك ما ورد في الكتاب المقدس بعنوان الوصايا العشر، إذ يقول: "وَتَكَلَّمَ اللَّهُ بِهَذَا الْكَلَامَ كُلَّهُ. قَائِلاً: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ... لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى تُجَاهِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ مَنَحُوتاً وَلَا صُورَةً شَيْء... لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدَهَا، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ. أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَمَكَ، لَا تَقْتُلْ، لَا تَزْنِ، لَا تَسْرِقْ، لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِينِكَ شَهَادَةً زُورٍ، لَا تَشْتَهَ يَتَّ قَرِينِكَ وَلَا

^١ - ميشيل يتييم: تاريخ الكنيسة الشرقية، م.س، ص ٣٧٣-٣٧٨.

خَادِمُهُ وَلَا خَادِمَتُهُ وَلَا ثُورُهُ وَلَا حِمَارُهُ وَلَا شَيْئاً مِمَّا لِقَرِيبِكَ"^١. إنَّ هذه الوصايا قد اشتملت على التوحيد والتشريع والأخلاق، فهي توصي بأنه لا إله إلا الله، وبتحريم الصور والتمائيل إن كانت للعبادة والشرك بالله، وجاءت بثلة من الأخلاقيات الدالة على القناعة ونبذ الطمع والحسد والجشع. ولكن حينما انحرف أتباع هذه الوصايا من يهود، أرسل الله تعالى عيسى المسيح عليه السلام مُكَمَّلًا وغير ناقض للناموس أو للأنبياء، والشاهد في هذا ما جاء في العهد الجديد بعنوان يسوع والشريعة، فيقول: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَبْطَلِ الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ: مَا جِئْتُ لِأَبْطَلِ، بَلْ لِأُكْمِلَ"^٢. فالملاحظ إذاً أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ يَرِيدُ أَنْ يَبْلُغَ دَعْوَةَ رَبِّهِ إِلَى تَمَامِهَا وَكَمَالِهَا، فيعيد إلى الشريعة معناها الحقيقي لكي تستعيد بساطتها الأصلية. وما أن رفع الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام إليه، "حتى بدأ تحريف الرسالة على أيدي بولس الرسول، فما إن بدأ التحريف آنذاك حتى دَبَّتِ الخلافات بين الحواريين في مجمع القدس وخاصة بين بولس وبطرس، وكيف ألُهما تبادلاً السَّبِّ والاهْتِمَامُ بِاللُّؤْمِ وَسُوءِ النَّيَّةِ... وخرج بولس من هذه المعارك بأن فرض وجهة نظره وقام بتغيير العقيدة... بل هناك من يطرح فكرة أَنَّهُ اعتنق المسيحية ليحرفها بعيداً عن مسارها... وما يعيننا في هذه النقطة بالذات هو الغاؤه الناموس أو التوراة بما في ذلك الوصايا، واستبداله المعمودية بالختان، بانياً تبشيريه على الإيمان بيسوع وبعثه لأنَّ اليهودية قد انتهت. أي أَنَّهُ بنى تبشيريه على الإيمان بالبعث الذي اعتبره النسق الجديد، وليس على رسالة يسوع. وبذلك أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الوحيدة بين الديانات التوحيدية الثلاث التي تقوم على شخص محوريٍّ هو يسوع وليس على التوحيد بالله"^٣.

ورسالة بولس إلى أهل غلاطية يتجلى فيها بوضوح التلاعب بالألفاظ والتحايل، بأن حوّل عملية الصلب — التي تمثل قمة الإهانة عند اليهود أو هي الفضيحة الكبرى — إلى مفهوم جديد يمثل الفداء، فيقول بعنوان البرّ بالإيمان:

^١ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص، ١٨٦ — ١٨٨، سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١.

^٢ - المرجع السابق "العهد الجديد"، ص ٤٧، إنجيل متى، الإصحاح ٥: ١٧.

^٣ - زينب عبد العزيز: م.س، ص ٦٣.

"يا أهل غلاطية، مَنْ الَّذِي فَتَنَكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ عُرِضْتُمْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ صُورَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْمَصْلُوبِ؟ أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ مِنْكُمْ أَمْرًا وَاحِدًا: أَمِنْ الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ نَلْتَمِ الرُّوحَ، أَمْ لَأَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بَشَارَةَ الْإِيمَانِ؟ أَبَلَّغْتُ بِكُمْ الْغَبَاوَةَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟ أَفَيَنْتَهِي بِكُمْ الْأَمْرُ إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ؟"^١

فها هو بولس يتهم أهل غلاطية بالغباء لالتزامهم واهتمامهم بأمر الجسد ويقصد به الختان، وأنه لا بدّ من اكتفائهم بالإيمان. ويشير أيضاً إلى صلب السيد المسيح وإلى موقف الذين يُظَلُّونَهُ بِأَدْعَائِهِمْ نِيلَ الْبِرِّ بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ، بِأَدْعَائِهِمْ أَنْ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ بِهَا يُحَرِّمُونَ الْخِلَاصَ. وَسَيُثَبِّتُ الرُّسُولُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَوْقِفِ لَا سَنَدَ لَهُ إِلَّا مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَهْلِ غَلَاطِيَةِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَنْتَرُوا بِخَيْرِهِمْ [التي وردت في الفقرات من ١-٥ في رسالة بولس سابقاً].

وأما من وجهة نظر الشريعة اليهودية، فقد كان من شأنها أَنْ تُفْهِمَ الْمُتَهَوِّدِينَ أَنَّ الْخِلَاصَ لَا يَعُودُ إِلَّا إِلَى الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ وَأَنَّهُ مَعْرُوضٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. وَحِينَئِذٍ انْحَرَفَ أَتْبَاعُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَنْ رِسَالَتِهِمْ وَغَيَّرُوا أَصُولَ دِينِهِمْ، جَاءَ الْإِسْلَامُ مُتَضَمِّناً التَّوْحِيدَ وَالتَّشْرِيعَ، وَمُعْتَرِفاً بِمَا سَبَقَهُ مِنْ صَحِيحِ الْعَقَائِدِ، وَكَاشِفاً لِمَا بَهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَزَيْفٍ، لِذَلِكَ أَتَى مُتَضَمِّناً وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَحْفَظَهُ، فَهُوَ الدِّينَانَةُ التَّوْحِيدِيَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَكْفُلُ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِ قَرَأَتِهَا، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا كُنْزُ نَزَارِكَا الذِّكْرِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٢. وَفِي خَتَامِ مُسْتَقْبَلِ الْخَوَارِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ، فَإِنَّ الْمُتَتَبِعَ لِمَوْضُوعَاتِ الْخَوَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَدْيَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يَجِدُهُ يَحْمِلُ جَانِبَيْنِ هَامَيْنِ خِلَالِ عَمَلِيَّةِ الْخَوَارِ هُمَا: الْجَانِبُ الْأَوَّلُ: إظهار محاسن الإسلام، وأنَّ أركانَه قائِمةٌ على أسسٍ نَقْلِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَمَبَادِئُ عَقْلِيَّةٍ رَاضِيَةٍ، فَهُوَ دِينُ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، الَّذِي يَجِبُ عَنِ التَّسَاوُلَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْخَوَاطِرِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ، وَفِي تَعَالِيهِ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الجانب الثاني: رَدُّ الشَّبَهَاتِ الَّتِي أَثَارَهَا الْمَسِيحِيُّونَ خِلَالِ الْخَوَارِ، وَالْمَنَافِعَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقُرْآنَهُ، وَعَقِيدَتَهُ، وَشَرِيعَتَهُ، وَنَبِيِّهِ (ﷺ). وَمِنْ مَوْضُوعَاتِ الْخَوَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ الَّذِي تَنَاوَلَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ، مَا يَتَعَلَّقُ

١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد": م.س، ص ٥٧٥ - ٥٧٦، رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٣: ١، ٢، ٣، ٤.

٢ - سورة الحجر، الآية ٩.

بالقرآن الكريم، واليوم الآخر والبعث، ورسالة سيدنا محمد (ﷺ)، وبعض الموضوعات المتعلقة بأحكام الشريعة الإسلامية: كعبادتي الصلاة والصيام، وبعض الأحوال الشخصية والمعاملات مثل: الزواج، الطلاق، والإرث. ومجمل القول في مجال الحوار، فإن هذه الرسالة تكشف أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للرسول محمد (ﷺ)، ولعل أعظم تحدٍّ يتحدّى به القرآن الكريم كل من يحاول أن يطعن فيه وفي صحّة نزوله من عند الله تعالى، وأنه ليس بكلام بشر قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَكَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^١. فقد قرر الله تعالى على ضوء هذه الآية، أنه هو وحده الذي أنزل على رسوله — محمد (ﷺ) القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، لذا يجب اتباعه والالتزام به، فهذا رد على كل ذي تحرّصات بكل منهجية واضحة. كما أن القرآن الكريم اعتبر إيمان أهل الكتاب بالإسلام هو الهداية الحقيقية، وما سواه ليس بهداية مطلقاً، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَانظُرُوا أَصَحَّ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ وَتُتَوَاتَرُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾^٢. فالناس سواسية من حيث بشريتهم، ولكنهم يتمايزون بدينهم وعقيدتهم، وتقواهم واستقامتهم، وعملهم الصالح، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^٣.

وقد ميّز الإسلام بين الذين اتبعوا رسالته، وساروا وفق تعليماته، وهدى نبيه، وبين أولئك الذين رفضوا رسالته القائمة على الإيمان والعلم ومحاسن الأخلاق، وذلك بغض النظر عن اللون أو الجنس أو اللغة أو الإقليم، يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾^٤.

فالناس بناء على الآيتين السابقتين واحد من اثنين، إما مؤمن برسالة الإسلام، فهو المسلم، وإما جاحد بها، فهو غير مسلم، وإن المستقبل للإسلام بإذن الله تعالى.

^١ - سورة النساء، الآية ٨٢.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ٢٠.

^٣ - سورة الحجرات، الآية ١٣.

^٤ - سورة محمد، الآيتان ١-٢.

الخاتمة

بعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه يختم هذا البحث والذي يشير في ثنايا سطوره، إلى أن كل مولود يولد على الفطرة السليمة التي لو تركت وسجيتها لتوصلت إلى الإيمان بالله تعالى ، والإقرار له وحده بالكمال المطلق. وترجع أصالة هذه الفطرة الإيمانية إلى ميثاق الفطرة الذي أخذ على بني أبي البشر يوم أن كانوا في صُلب أبيهم آدم عليه السلام، حيث أشهدهم الله تعالى على ربوبيته ووحدانيته، فأقروا بها وشهدوا لها، ويشير الله سبحانه وتعالى إلى ذلك، فيقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝﴾^١. وفي الحقيقة أن الفطرة تظل على نقائها وصفائها، ما لم تحجبها عن الحق حُجب الكبر والاستعلاء أو تعترض إحساسها الأصيل عوائق مصطنعة، فينطمس الحق أمامها. فالتدين طبيعة فطرية بشرية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾^٢. فما النور الذي تحمد شعلته، وتنطمس جذوته من فطرة الكافر— نظراً لإغراءات وتأثيرات طواغيت الإنس والجنّ وحديث النفس الأمارة بالسوء — إلا نور الإيمان الفطري. ومن أخطر العوائق التي ينحرف بها إحساس الإيمان الفطري، هو ما يحذر منها الرسول (ﷺ)، فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ في الحديث القدسي:

فيقول الله تعالى: (إِنِّي خَلَقْتُ عَبَادِي حُنَفَاءَ، فَجَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ)^٣. وهذا ما طرأ على عقيدة أهل الكتاب "اليهود والنصارى"، مما جعلهم يقعون في الشرك والكفر، فتدنست فطرتهم بتأثير البيئة الوثنية المنحرفة التي تلوي زمام الفطرة عن التوحيد. ويشير الرسول (ﷺ) إلى هذه المعاني في الحديث الشريف، فعن أبي

^١ - سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

^٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

^٣ - رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب "الجنة وصفة نعيمها وأهلها" تحت رقم الحديث "٥١٠٩"، ورواه الإمام أحمد في مسنده، تحت رقم الحديث "١٦٨٣٧".

هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ): (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَذْعًا؟)^١.

وما ينبغي الإشارة إليه في هذه الدراسة، هو فساد العقيدة عند يهود من واقع كتابهم المقدس "العهد القديم أو التوراة"، وكما جاء في سفر التكوين، إذ يقول: "لَا تَكُنْ لَكَ آلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثَالًا مَنَحُوتًا وَلَا صُورَةً..."^٢. ومن جهة أخرى فإن يهود عاشوا عبر القرون حياة القهر والاضطهاد، مما ساعد على تقبلهم للأفكار الوثنية واستغراقهم الكامل في عقائدها. ويدل على ذلك انقسام التوراة الآن إلى ثلاثة أقسام هي: التوراة العبرية، السامرية، واليونانية. واليهود في أشد الاختلاف حول صحة هذه النسخ الثلاث، وكل فريق منهم يدعي أن التوراة التي معه هي وحدها التي نزلت على موسى عليه السلام، وما عداها مزورة ونُسبت إلى موسى كذباً. إضافة إلى أن التوراة التي ظهرت بعد قصة فتح التابوت تبعد عن توراة موسى عليه السلام حوالي ثلاثمائة وخمسين عاماً تقريباً.

أما التوراة التي صدق بها القرآن الكريم، فهي تتضمن الصحف والألواح التي جاءت بالتوحيد والحق في العقيدة، والعدالة بالأحكام والدعوة إلى محاسن الأخلاق والآداب، شأنها بذلك شأن هدايات السماء، إذ يقول الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^٣.

ويشهد سفر نحميا على سلوك يهود المنحرف والمتناقض تجاه ربهم، فيقول بعنوان رتبة تكفير: "ثُمَّ عَصَوْكَ وَتَمَرَّدُوا عَلَيْكَ وَنَبَذُوا شَرِيعَتَكَ وَرَأَوْهُمْ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ... وَلَكِنَّكَ لَكثْرَةَ مَرَامِحِكَ لَمْ تُبْذِهِمْ لِأَنَّكَ إِلَهٌ حَنَّوْنَ رَحِيمٌ"^٤.
أما الاتجاه العقائدي السائد في الكيان اليهودي اليوم، فهو اتجاه فرض الدولة للدين؛ وذلك لوجود حاخامية رسمية ومجالس دين رسمية أيضاً. ويمكن

١ - رواه الإمام البخاري في صحيحه، في باب القدر، تحت رقم الحديث "١٢٩٦"، ورواه الإمام أحمد برقم "٦٨٨٤"، "٧٣٨٧". ورواه داود برقم "٤٠٩١"، "٤٠٩٣".

٢ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٣٩، سفر التكوين، الإصحاح ٢٥: ٢٤، ٢٥.

٣ - سورة آل عمران، الآية ٣.

٤ - الكتاب المقدس "العهد القديم"، م.س، ص ٨٦٦، سفر نحميا، الإصحاح ٩: ٣١، ٢٩، ٢٦.

القول أن دافيد بن جوريون كان أول من قام بتحديد العلاقة بين الدين والدولة في الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م، مع العلم بأنه اتخذ التعاليم الدينية وسيلة وليست غاية. ويدلل على ذلك صلاح الزور، فيقول: "لقد كان ابن جوريون ذا وعي علماني واضح، فالدين بالنسبة له حاجة رمزية وليس ضرورياً".^١ وقد سئل ابن جوريون مرة عما إذا كان يؤمن بالله، فأجاب: السؤال هو من الله؟ إن معظم اليهود يتصورونه رجلاً عجوزاً ذا لحية طويلة، يجلس على مقعد وثير... بيد أنني أؤمن بوجود قوى مادية فحسب".^٢

وأما بالنسبة للنصارى فهم أتباع عيسى عليه السلام، وهو المبعوث حقاً بعد موسى عليه السلام، وقد بدأ التنصير مع ظهور النصرانية حيث كان مطلباً جاء به الإنجيل لنشر دين التوحيد، ولكن النصرانية تلوثت أيضاً بالوثنية، إذ قام شاؤول أو بولس — الذي كان يهودياً فتنصر — بنشر النصرانية حسب أهوائه. "فأركان المسيحية الجديدة وعقائدها وصلواتها وسائر شعائرها الدينية، تأثرت أو تحدرت من الوثنية، مثل الفارسية والهندية وغيرها، مما أعطى هذه الديانة بُعداً وثنيّاً، وخرج بها عن أصولها التي جاء بها عيسى عليه السلام، ثم تبنتها الكنيسة فجعلتها رموزاً تأويلية مُلققة".^٣ كما أنه وقع جدال عنيف بين المسيحيين حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام، ولا يزال الجدال والمراء مستمرين بين الطوائف المسيحية إلى يومنا هذا، وكان الخلاف حول كون المسيح إنساناً أو إلهاً أو يجمع بين اللاهوتية والناسوتية.

ويصور القرآن الكريم الجدال العنيف الذي وقع فيه المسيحيون حول آدمية عيسى عليه السلام، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَكَأَ غُلَامٍ أَنَا فَتَعَالَى أَلَمُ الْغُيُوبِ﴾^٤.

ثم يسرد الكتاب المقدس "العهد الجديد أو الإنجيل" ما خاض به المسيحيون من تأليه السيد المسيح عليه السلام، حيث يقول إنجيل متى بعنوان

^١ - صلاح الزور: المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، م.س، ص ٤١٤.

^٢ - موشيه سميت: الصراع حول جعل قيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية، م.س، ص ٣.

^٣ - محمد طاهر التنير: الأصول الوثنية في النصرانية، م.س، ص ١٥٦.

^٤ - سورة المائدة، الآية ١١٦.

أسرار الله تُكشف للبسطاء:" في ذَلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ يَسُوعُ فَقَالَ: أَحْمَدُكَ يَا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"^١.

وفي مجال التزوير الديني الذي وقعت فيه المسيحية: فقد قدّم مؤلفو سلسلة من أجل الحقيقة شهادات ثمينة، قدّمها نخبة من ألمع مفكري الغرب، بالرغم من أنّهم ينتمون إلى مذاهب فكرية شتى، إلا أنّهم يتناولون المسيحية من منطلقات علمية متنوعة، ثم يخلّصون إلى نتيجة واحدة هي: "أنّ المسيحية التي يؤمن بها مسيحيو اليوم ديانة مختلفة عمّا جاء به السيد المسيح عليه السلام"^٢.

وأما الكتاب المقدس المعتمد عند المسيحيين اليوم، فإنّه يعترف بأنّ عيسى بن الله، فيقول إنجيل مرقس: "أبدأُ إنجيلَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بْنِ اللَّهِ..."^٣. بينما الإنجيل الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، كلّهُ حَكْمٌ وأمثالٌ ووصايا وهداية للناس، ويدعو إلى عقيدة التوحيد، ويخبرنا الله تعالى بذلك حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَابَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَرَبِّي وَمَرْبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^٤.

إنّ ممّا يسترعي الانتباه هو حدوث الانشقاق الداخلي في الوحدة المسيحية منذ القرن السادس الميلادي، بسبب اختلافهم في التعبيرات اللاهوتية، والتجاء الجانب القويّ إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهاد والتعذيب والتنكيل والحرق والإفناء يسلطها على الجانب الضعيف. وتصورّت الكنيسة الشرقية بأنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة، بينما ادّعت الكنيسة الغربية بأنّ للمسيح طبيعتين ومشيتين، وما فتأت هذه الأسباب منفردة أو مجتمعة تُشكّل قَمّة الانقسامات والخلافات بين أتباع الكنيستين. ومن الطقوس الدينية الهامة عند المسيحيين على مرّ أزمانهم المتأخّرة، ما يسمى بالعشاء الربّاني ويرمز عندهم إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحواريه ليلة صلبه.

١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٨٨، إنجيل متى، الإصحاح ١١: ٢٥.

٢ - أندريه نايتون وآخرون: الأصول الوثنية للمسيحية، م.س، ص ٥.

٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٥٦، إنجيل مرقس، الإصحاح ١: ١.

٤ - سورة الزخرف، الآيتان ٦٣ — ٦٤.

ويعتقدون أن من يأكل الخبز ويشرب الخمر يوم عيد الفصح، فإن الخبز يتحول إلى لحم عيسى وتتحول الخمرة إلى دمه. ومن هنا جاءت شعيرة الاستحالة إلى الديانة المسيحية واعتبروا هذه العادة عبادة وعقيدة، ويؤكد ذلك ما يقوله متى في إنجيله: "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز... وقال خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي".^١ فأي عاقل يصدق هذه المواقف العدوانية تجاه عيسى عليه السلام.

بدأت رسالة الإسلام إذاً والإنسانية في اضطراب وتفكك وانحلال عقائدي وسياسي واجتماعي، فأنقذتها هذه الرسالة رداً من الزمن؛ لأن الإسلام دين لا تعقيد فيه ولا تكلف، بل ويتفق مع الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى عباده عليها. كما أنه اعترف عدد كبير من الباحثين المنصفين بأن الإسلام هو نظام شامل للحياة، حيث أصدرت مجلة الحقيقة المسيحية الأمريكية مقالاً جاء فيه: إن الإسلام أصبح قوة فعالة في العالم، وهو ينتشر انتشاراً سريعاً حتى أصبح هناك فرد مسلم من بين كل خمسة أشخاص من سكان العالم. وتقول المجلة أيضاً: إنه قد حان الوقت لغير المسلمين في جميع أنحاء العالم، أن يطرحوا جانباً الخرافات والأفكار الخاطئة التي حملوها سابقاً عن الدين الإسلامي الذي لم يعد مجرد مبادئ وأفكار وعقائد روحية فحسب، بل غدا بالإضافة إلى ذلك قوة سياسية وثقافية واجتماعية لها وزنها الذي لا يمكن غض النظر عنها في تسير أمور العالم حاضراً ومستقبلاً. وأضافت المجلة أن الإسلام بالنسبة لمعتنقيه في جميع أنحاء العالم، إنما هو نظام حياة يومية كاملة لا تتجزأ، بينما نرى المسيحيين لا يعرفون الطريق إلى كنائسهم للتعبّد فيها إلا أيام الأحد ولفترة زمنية وجيزة. فإن الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين الذين هم على اتصال روحي دائم بالخالق الأعلى يومياً من خلال أداء فرائض الصلوات الخمس اليومية، وصلاة الجمعة التي تعتبر مؤتمراً أسبوعياً لمسلمي العالم يجتمعون فيه للصلاة، وتبادل الآراء حول ما يهمهم في حياتهم اليومية من قريب أو بعيد. ويقارن محمد فؤاد الهاشمي بين الإسلام وبين ما سبقه من الأديان، فيقول: "تحوّلت إلى البحث في الدين الإسلامي، ولكن كان قصدي من البحث في الإسلام استخراج العيوب وتلمس الأخطاء، والوقوف على

^١ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٤٩، إنجيل متى، الإصحاح ٢٦: ٢٦، ٢٧.

المتناقضات التي أوحى بها إليّ أساتذتي وأهلي، ولكن لم أكد أطرق الباب وأمسك بأول الخيط حتى دخلت باب المقارنة بين ذلك الدين وما سبقه من أديان، ولم أخرج من تلك المقارنة إلا وقد استولى عليّ سحر الحقيقة الناصعة، والمبادئ الوضّاءة والتعاليم الصريحة التي لا اعوجاج فيها ولا التواء، ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأحبار، وجدت لكل سؤال جواباً، ووجدت فصل الخطاب فيما لم يستطعه دين سابق، أو مبدأ من المبادئ الفلسفية أو منحدر من الأديان السماوية، وقولي منحدرًا يرجع إلى أنّ رجال الدين خرجوا بالأديان السماوية عمّا جاءت من أجله، لقد وجدت أنّ ما زعموه في الإسلام عيوباً هو في الحقيقة مزايا، وما ظنّوه متناقضات هي حكمٌ فصّلت لأولي الألباب^١. وفي نهاية المطاف فإنّ البحث تعرض إلى نقطة الحوار مع أهل الكتاب، من منطلق أنّ الله تعالى يحث المسلمين بأن يحسنوا معاملة أهل الذمة خاصة وغير المسلمين عامّة. طالما أنّهم لم يمنعوا المسلمين من نشر دعوتهم، ولم يبادروا بالعدوان على الإسلام وأهله ودياره، ويقول الله تعالى في ذلك ميّناً وموضّحاً: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

وقد نوّه البحث أيضاً بأهمية الحوار الديني المعاصر الذي ينبغي أن يقوم على أسلوب الإقناع واللفظ واللين، وليس بالزجر والتأنيب أو الشدّة والقسوة، بل يجب مقارعة الحجّة بالحجّة القائمة على الدليل العقليّ والنقليّ. والله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَكَانَ فِي صَبْرِكُمْ بُرْهَانٌ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

فشروط الحوار إذا هو الإسلام لربّ العالمين، ومن مستلزماته الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحقّ والصبر. وبما إنّ الإسلام قد عالج جميع مشكلات العالم الدنيّة والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، يوم أن كان

^١ - محمد فؤاد الهاشمي: كفة الميزان، م.س، ص ٤٤.

^٢ - سورة المتحنة، الآية ٨.

^٣ - سورة النحل، الآيات ١٢٥-١٢٨.

الحكم لشرعية الله وعلى أساس وحدانية الله عقيدة وقصدًا، حيث كان حوار المناقشة والمشاركة يعني التضامن في السَّراء والضَّراء، ويقوم على دعامتين أساسيتين هما: الحقُّ والعدل. ومقابلة الإساءة بالرفق والحسنى، — ولكن من مصدر العزة الإيمانية في جميع مظاهرها معنى ومبنى — فالمستقبل للإسلام الذي هو الحياة وينعم في تطبيقه الأحياء، ويشهد بذلك قوله تعالى:

﴿ أَفْقَسِرَ دِينَ اللَّهِ يَتَعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ، قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْيَهُودُ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَفَرِّقَنَّ بَيْنَ أَتَمِّهِمْ وَمَخْزَلُهُمْ مُسْلِمُونَ ۝ ١ ۝﴾.

وفيما يلي خلاصة لأهم نتائج البحث:

١- لقد وضَّح القرآن الكريم أن الرسالة التي جاء بها الأنبياء إلى بني إسرائيل، كانت قائمة على توحيد الله سبحانه وتعالى وتربيته عمَّا لا يليق بجلاله. وهذا شأن جميع الرسالات، من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى نبينا وسيدنا محمد (ﷺ).

٢- أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ)، مصداقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وأمره بأن يحكم بين أهل الكتاب بما أنزل فيه من الحق؛ لأنه هو الحكم النهائي والفيصل القاطع في عقائدهم، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَخُذْ مِنْهُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَسْخِمْ أَمْوَالَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ ٢ ۝﴾.

٣- من الخطأ أن نطلق على اليهودية والمسيحية الحاليتين أنهما ديانتان سماويتان؛ لأنهما غير مطابقتين للتوحيد الذي جاء به سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام.

٤- من خلال استقرار البحث لتاريخ يهود، تبين أنهم عاشوا أغلب فترات حياتهم في تفكُّك شامل. وأن الفترة التي توحدوا فيها كانت في زمن سيدنا داود وسليمان عليهما السلام، ثم عادوا بعد ذلك إلى حياة الانقسام

١ - سورة آل عمران، آيات ٨٣-٨٤.

٢ - سورة المائدة، الآية ٤٨.

والستطاحن والانشقاق، مما أثر سلباً على تشتت عقيدتهم وتشرذمهم إلى فرق مختلفة.

٥ - إن اليهود قد اختلطوا بغيرهم من الشعوب الوثنية مثل: الآشوريين، الآراميين، الكنعانيين، الفرس، وقدامى المصريين من الفراعنة وتزاوجوا معهم، وعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم. وهذا يدل على رسوخ الوثنية في نفوسهم وفساد فطرتهم وعمق عقيدة الأصنام في قلوبهم.

٦ - إن اليهود والنصارى قد فقدوا التوراة والإنجيل المترلين على سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام. وحينما عثروا على أجزاء منهما قاموا بإخفاء بعضها وحرقوا البعض الآخر. ويقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾^١.

٧ - إن عزرا الكاتب والذي قام بمساعدة بعض الكهنة بتأليف الأسفار الخمسة "التوراة"، ليست هي التوراة المترلة على سيدنا موسى عليه السلام .

٨ - إن اليهود كتبوا تاريخهم بأيديهم ، وخلعوا عليه صفة التقديس

٩ - إن اليهود والمسيحيين قد انحرفوا عن تزيه الذات الإلهية، واتجهوا إلى التشبيه والتجسيم والتثليث ، فصوروا الله تعالى في صورة حسية، ووصفوه بصفات بشرية لا تليق بذاته القدسية، ونسبوا إليه من الأقوال والأفعال ما لا يمكن النطق به، وقد عرض البحث تفصيلاً لذلك في هذه الرسالة من خلال نصوصهم وتصوراتهم.

١٠ - إن الله تعالى قد أعلن كفر اليهود والنصارى وشركهم في كثير من الآيات القرآنية، فيقول الله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

١١ - أنه عند ما فسدت حياة بني إسرائيل، أرسل الله تعالى لهم سيدنا عيسى عليه السلام؛ ليهديهم إلى صراط الله المستقيم وليتم رسالة سيدنا موسى عليه السلام.

١٢ - إن الذين دونوا الإنجيل منحوا سيدنا عيسى عليه السلام ، سلطة محاسبة الناس يوم القيامة بدلا من الله تعالى؛ لأن الله بزعمهم لا يليق به أن

^١ - سورة البقرة، الآية ٧٩.

يحاسب الناس كما ورد في أعمال الرسل: الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٣٤-٤٤.

١٣ - إن الصلاة عند المسيحيين لا بد أن تقدم باسم المسيح، كما جاء في إنجيل يوحنا: الإصحاح السادس عشر ، الفقرة ٢٣.

١٤ - ورد في المادة ٣٩٦ ثلاثمائة وست وتسعين من التشريع المدني والجنائي في الفقه اليهودي تحريم الزواج بين اليهود وغيرهم، ويسمون غير اليهود كفاراً ويستوي في ذلك لديهم المسلمون والمسيحيون والوثنيون.

١٥ - دعا الإسلام أهل الكتاب إلى التوحيد والاقتداء بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

١٦ - لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى الذي يفهمه الغربيون أو غيرهم من أصحاب الملل الأخرى، وبناء على ذلك فإنه يجب على كل مسلم أن يقوم بتبليغ دعوة الله تعالى بمقدار ما تعلم ودرس. ويقول الله تعالى: ﴿ مَا أَهَى الرَّسُولُ بِلَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١ ﴾.

١٧ - الحكم في الإسلام لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه (ﷺ)، وما العلماء إلا شارحون ومفسرون ومجتهدون فيما لا نص فيه. على عكس ما في المسيحية من إصدار القرارات والآراء عن الكنيسة، باعتبار أن البابا ومن ينوب عنه لهم العصمة من دون الناس، فهم نواب الله في الأرض وعنهم يصدر التشريع الإلهي كما يزعمون.

١٨ - إن الإسلام حريص على كل قلب بشري أن يهتدي إلى توحيد الله تعالى، توحيداً في ذاته وصفاته وأفعاله. وأن المشركين الذين يطلبون الجوار والأمان في دار الإسلام يجب أن يعطوا ذلك. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٢ ﴾.

١٩ - أنه قد شغل كثير من أهل الكتاب بعض الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية. "فقد كان والي الصعيد في ولاية عبدالعزيز بن مروان سنة ٦٥هـ - ٨٦هـ قبظياً اسمه بطرس، وقد كان حاكم مريوط قبظياً اسمه تادافانس" ٣.

١ - سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

٢ - سورة التوبة ، الآية ٦ .

٣ - راشد عبدالله الفرحان : الأديان المعاصرة ، م ٥٠ ، ص ٤٣ .

٢٠- قال موريس بوكاي: "إنّ الإسلام لديه القرآن الكريم الذي هو منزل وثابت معاً، وأن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث"^١

٢١- يقول السير توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام: "اكتنف الغموض الأساس الديني الذي يقوم عليه وجود اليعاقبة ... وأجهدهم الجدل العقيم، فتحول كثير منهم إلى دين جوهره واضح، بسيط الإيمان بوحدة الله ورسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام"^٢.

٢٢- إنّ الحوار هو جوهر ولب الرسائل السماوية، ولعلّ الحوار الأول هو ما دار بين الله عز وجل وملائكته في شأن خلق آدم عليه السلام .

٢٣- إنّ المجمع عند المسيحيين عبارة عن مؤتمر، يعقده الأساقفة للتداول في شؤون الكنيسة، ويسمى مسكونياً إذا دُعي إليه أساقفة العالم كله. وهو إقليمي أو وطني أو طائفي، إذا ضمّ فئة معينة، ويسمى في هذه الحال "سينودس". ويطلق أيضاً على كل مجلس للأساقفة.

٢٤- إنّ الخطاب الرّسولي الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني في شهر أكتوبر سنة ١٩٩٣م. تضمن الإصرار على أنّ المسيح هو الحقيقة وهو الطريق، وأنّ عقيدة التثليث هي من الركائز الأساسية التي تقوم عليها المسيحية.

٢٥- إنّ هناك قدراً مشتركاً من العقائد بين اليهود والنصارى يتمثل بتعدد الآلهة. وهذا دليل على أنّ فكرة الألوهية ليست عميقة الجذور في نفوسهم.

٢٦- إنّ اليهودية والمسيحية في واقعهما المعاصر ليستا بدين سماوي. ويثبت ذلك نبيل فضل، فيقول: "دين المسيح ليس المسيحية ولكنه دين التوحيد. وفي الواقع أيضاً أنّ اليهودية ليست ديناً بحدّ ذاتها، وإنّما أمست تسمية مجازيّة كما حدث للمسيحية. فدين اليهود هو دين موسى عليه

^١ - موريس بوكاي : دراسات في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، م . س ، ص ١٠-١٣

^٢ -راشد عبدالله الفرحان : الأديان المعاصرة ، م . س ، ص ٤٣

السلام، وموسى لم يقل في يوم من الأيام أنه يهودي الديانة؛ لأن اليهودية هي نسب عرقي يعود بأصله إلى يهوذا بن يعقوب^١.

٢٧- إن الكتاب المقدس — عند اليهود والنصارى — بعهديه القديم والجديد، يقول: "إن الله واحد لا إله سواه، ويقر السيد المسيح بهذا حيث بين أنه جاء ليكمل التاموس، فعندما أجاب تلاميذه عن أول الوصايا العشر، قال: "أَسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهُنَا هُوَ الرَّبُّ الْوَاحِدُ"^٢.

٢٨- إن الكنيسة في المفهوم المسيحي العام هي المسيح نفسه، إنها جسده ولحمه ودمه. استناداً لما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عندما تخاصم اليهود على أكل جسد المسيح كما يزعمون. "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ"^٣. فالمسيحيون حسب دعواهم أنهم جسد المسيح ودمه والذي في اعتقادهم أنه هو الله الحي. فأَي إيمان هذا، بل وأي توحيد؟! إنه الشرك بعينه.

٢٩- إن المسيحية جاءت لتمنع اليهودية عن جشعهم وارتباطهم اللصيق بالمادة. ولكن سرعان ما تحولت المسيحية ذاتها — بفعل رجال الكنيسة — إلى إيجاد الطبقات والتفريق بين شعب وآخر، وكذلك إلى عزل الكنيسة عن المجتمع وعزل الدين عن الحياة.

٣٠- إن الإقبال على الإسلام صراحة أو ضمناً في أيامنا هذه ليؤكد الاعتقاد باستمرارية انتشاره؛ لأن الإسلام بمبادئه وأنظمته وتشريعاته، جعل نسبة الجريمة في العالم الإسلامي أقل منها بكثير مما عليه الحال في العالم الغربي. وأخيراً وليس آخراً فقد تَمَّت هذه الرسالة، راجياً المولى عزّ وجلّ أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وهو وحده ولي ذلك والقادر عليه، والله الحمد والمنة من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وأصحابه أجمعين.

^١ - نبيل الفضل: هل بشر المسيح بمحمد؟، م.س، ص ١١٠ - ١١١.

^٢ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ٢١٤، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٢: ٢٩.

^٣ - الكتاب المقدس "العهد الجديد"، م.س، ص ١٥٧ - ١٥٨، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦: ٥٥.

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس " العهد القديم والجديد".

- ١- إبراهيم مذكور: المعجم الوجيز، المطابع الأميرية، القاهرة، ط ١، لا . ت.
- ٢- أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي " المتوفى سنة ٦٨٤هـ " : الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، تحقيق بكري زكي عوض، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٣- أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م.
- ٤- أبو عبيده الخزرجي " المتوفى سنة ٥٨٢هـ " : بين المسيحية والإسلام، تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، لا . ت.
- ٥- أحمد بن حنبل: المسند الصحيح، دار صادر، بيروت، لا . ت.
- ٦- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني " ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ " : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، دمشق، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م.
- ٧- أحمد حجازي السقا: الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، لا . ت.
- ٨- أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة علي الجوهري، مكتبة دار الفضيلة، دبي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م.
- ٩- أحمد سوسة: معضل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١ م.
- ١٠- أحمد شلبي: مقارنة الأديان " المسيحية "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٨ م.
- ١١- أحمد طاهر: الأنجيل دراسة مقارنة، دار المعارف، القاهرة، لا . ت.
- ١٢- أحمد قبيش: المعجم الفصيل، مطابع الجهاد، دمشق، ط ١، ١٩٨٥ م ١٣- إسرائيل شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م.
- ١٣- أسعد السحمراني: من اليهودية إلى الصهيونية، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م.
- ١٤- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي " المتوفى سنة ٧٧٤هـ " : تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

- ١٥- البير منصور: قدر المسيحيين العرب وخيارهم، دارالجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ١٦- الحسن البصري وآخرون: رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٧- السموأل بن يحيى المغربي: افحام اليهود، تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٨- السيد محمد الشاهد: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٩- ألفت عزيز: محمد والمسيح "دراسة مقارنة" ترجمة بسام مرتضى، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٢٠- إلياس عبود: عن مهرجان الغيظ اليهودي في جزين، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢١- اليكسندر بارا ديسيس: سيرة البابا يوحنا الثالث والعشرون، "حياته وأعماله"، ترجمة بسام سخيطة، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- ٢٢- أندريه نايتون وآخرون: الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، فرنسا، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٢٣- أنيس منصور: خنجر في قلب إسرائيل، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ٢٤- بول بار: الفاتيكان وعاصمة الكتلكة في العالم، تعريب أنطون.أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ٢٥- بول تيليش: زعزعة الأساسيات، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٦- توفيق سلطان اليزيكي: تاريخ أهل الذمة في العراق، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٧- توم سيجف: الإسرائيليون الأوائل، ترجمة خالد عابد وآخرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، ط١، ١٩٨٦م.
- ٢٨- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

- ٢٩- جودت السعد: أوام التاريخ اليهودي، الأهلية للمنشورات والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ٣٠- جورج إميل عبراني: البابوية والشرق الأوسط، ترجمة إلهام ميري حمارة، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٩٠م.
- ٣١- جورجي كنعان: الأصول المسيحية في نصف الكرة الغربي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣٢- جون هيك: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، تعريب نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٣٣- جي بيرجر: الصهيونية حركة عنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٣٤- جيمس بنتلي: اكتشاف الكتاب المقدس، ترجمة أسيا الطريحي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- ٣٥- حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٣٦- حسن البنا: مجموعة الرسائل، دار القلم، بيروت، ١٣٥٧هـ.
- ٣٧- حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٣٨- حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٣٩- حسن محمد بن حسين النيسابوري: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٩٨٠م.
- ٤٠- حسين بن مسعود البغوي" المتوفى سنة ٥١٦هـ": معالم التزويل، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٤١- حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م.
- ٤٢- حسين محمد بن المفضل" أبو القاسم" المشهور بالراغب الأصفهاني" المتوفى ٥٠٢هـ": الأعتقادات، تحقيق شمران العجلي، دار الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ٤٣- حمدي عبد العال: الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، والإسلام، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- ٤٤- ديفيد لاندو: الأصولية اليهودية، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٤٥- راشد عبد الله الفرحان: الأديان المعاصرة، لا.د، الكويت، ط ١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
- ٤٦- رشاد الشامي: جولة في الدين والتقاليد اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ٤٧- روت بلاو: يهود لا صهيانية، ترجمة حسن نسيبة، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.
- ٤٨- روجيه أرندليز: رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة وديع مبارك، منشورات عويدات، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
- ٤٩- روجيه جارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتامين وميشيل واكيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م.
- ٥٠- روجيه جارودي: قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، ترجمة إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٤م.
- ٥١- رينيه جيرارد: كبش الفداء العنف والاضطهاد، ترجمة جهاد هوش وعبد الهادي عباس، مطبعة الشام، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٥٢- زكريا عبد الرزاق المصري: أهمية التوحيد وخطر الشرك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٥٣- زينب عبد العزيز: تنصير العالم "مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني"، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٥٤- سامي أبو شقرا: موسوعة الأديان، دار الاختصاص للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٥٥- سعديا الفيومي: الأمانات والاعتقادات، لا.د، لندن، ١٩٨٨م.
- ٥٦- سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة، دار المنهل اللبناني، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٥٧- سعيد البيشاوي وآخرون: دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمان، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٥٨- سليمان مظهر: قصة العقائد بين السماء والأرض، لا.د، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ٥٩- سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.

- ٦٠- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٦١- شارل جيير: المسيحية نشأتها وتطورها، لا.د، بيروت، لا.ت.
- ٦٢- شمس الدين الذهبي: كتاب الكبائر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٦٣- شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دراسة وتحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٦٤- صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ٦٥- صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، دار الجليل، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- ٦٦- صلاح الزور: المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، الخليل، ١٩٩٠م.
- ٦٧- طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاه، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٦٨- طريف الخالدي: اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- ٦٩- عباس محمود العقاد: حقائق عن الإسلام وأباطيل خصومه، دار فضة مصر، القاهرة، لا.ت.
- ٧٠- عبد الراضي محمد: التطرف اليهودي، تاريخه، أسبابه، علاماته، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ٧١- عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي "٥٠٨ - ٥٩٦ هـ"، زاد المسير في علم التفسير" تفسير ابن الجوزي"، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٦٥م.
- ٧٢- عبد الرحمن تاج وآخرون: المعجم الكبير، مطبعة دار الكتب، لا.م، ١٩٧٠م.
- ٧٣- عبد الرحمن حسن جنبكه الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٧٤- عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام، لا.د، القاهرة، ١٩٩٢م.

- ٧٥- عبد الرزاق محمد أسود : المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٧٦- عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام، المؤسسة العربية الحديثة، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٧٦ م .
- ٧٧- عبد العزيز أحمد ناصر آل معمر : منحة القريب المحيب في الرد على عبّاد الصليب، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٧٨- عبد العظيم عبد القوي المنذري : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م
- ٧٩- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري" توفي ٤٦٥ هـ : " لطائف الإشارات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨١ م
- ٨٠- عبد الله بن عمر البضاوي وآخرون: كتاب مجموعة من التفاسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا . ت .
- ٨١- عبد الله عبد الدايم: إسرائيل وهويتها الممزقة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٨٢- عبد الناصر توفيق العطار: أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود المعربين، جمع البحوث الإسلامية، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- ٨٣- عبد الوهاب المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١ ، ١٩٧٥ م .
- ٨٤- عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٨٥- عصام الدين حفني ناصف: المسيح في مفهوم معاصر، دار الطليعة، بيروت، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- ٨٦- علي بن محمد بن إبراهيم النملة: التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٨٧- علي بن أحمد بن حزم" المعروف بابن حزم الأندلسي" : الأصول والفروع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ٨٨- علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي" الشهير بالخازن" المتوفى سنة ٧٢٥ هـ : " تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- ٨٩- علي بن محمد بن حبيب الماوردي "٣٦٤ - ٤٥٠ هـ: "النكت والعيون" المعروف بتفسير الماوردي"، راجعه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٩٠- علي عبد الواحد وا.ي: اليهودية واليهود، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، لا. ت.
- ٩١- عمر فروخ: الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، دار المعرفة، جدة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٩٢- غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ط١، ١٩٩٤ م.
- ٩٣- فتحي محمد الزغبي: تأثير اليهودية بالأديان الوثنية، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٩٤- فرج الله عبد الباري عطا الله: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٩٥- فرنسيس يونغ: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، تعريب نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٩٦- فكتور سحاب: من يحمي المسيحيين العرب، دار الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩١ م.
- ٩٧- فليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩١ م.
- ٩٨- فؤاد حسنين علي: اليهود واليهودية والمسيحية، معهد البحوث والدراسات العبرية، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ٩٩- فؤاد عبد المنعم: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، لا. ت.
- ١٠٠- فوزي محمد حميد: حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، منشورات دار الصفدي، دمشق، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١٠١- كاثلين. م. كنيون: الكتاب المقدس والاكتشافات الأثرية الحديثة، تعريب شوقي شعث وسليم زيد، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٠ م.
- ١٠٢- كمال أحمد عون: اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩ م.

- ١٠٣ - كمال الصليبي: خفايا الثورات وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن، ١٩٨٨ م.
- ١٠٤ - لويس غرديه: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، تعريب صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ م.
- ١٠٥ - ليلى حسن سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- ١٠٦ - مالك بن أنس: الموطأ، دار النفائس، بيروت، لا. ت.
- ١٠٧ - متولي يوسف شلبي: أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر، الكويت، ط٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ١٠٨ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٨١ م.
- ١٠٩ - محمد أحمد كنعان: فتح القدير "تهديب تفسير ابن كثير"، دار لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ١١٠ - محمد أحمد محمود حسن: اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة وإلى اليوم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ١١١ - محمد أركون: العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، لندن، ط١، ١٩٩٠ م.
- ١١٢ - محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار غرب للطباعة، القاهرة، ط٩، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ١١٣ - محمد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد نديم وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥ م.
- ١١٤ - محمد الصادقي: عقائدنا، دار العالم الإسلامي، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ١١٥ - محمد بحر عبد الحميد: اليهودية، مكتبة سعيد، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ١١٦ - محمد بن أبي بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ١١٧ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، راجعه محمد صدقي جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ١١٨ - محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ١١٩ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

- ١٢٠- محمد بن إسماعيل الصنعائي" المتوفى سنة ١١٨٢هـ": سبيل السلام، تحقيق عصام الصَّبَّاطِي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ١٢١- محمد بن الحسن الطوسي" ٣٨٥ - ٤٦٠هـ": التباين في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا. ت.
- ١٢٢- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.
- ١٢٣- محمد محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، المنصورة، لا. ت.
- ١٢٤- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: تنوير المقياس في تفسير ابن عباس، دار الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- ١٢٥- محمد بن يوسف بن علي" المعروف بأبي حيان الأندلسي ٦٥٤ - ٧٤٥ هـ": تفسير الماء في البحر المحيط، تقدم وضبط بوران وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٢٦- محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مطبعة الرشاد، الإسكندرية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ١٢٧- محمد جابر عبد العال الحيني: في العقائد والأديان الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١ م.
- ١٢٨- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ١٢٩- محمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م.
- ١٣٠- م. ريمجنسكي: أنبياء التوراة والنبوات التوراتية، ترجمة آخو يوسف، دار الينايع للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٣ م.
- ١٣١- محمد شلبي شتيوي : مقارنة الأديان"التوراة دراسة وتحليل"، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٦ م.
- ١٣٢- محمد طاهر التنير: الأصول الوثنية في النصرانية، تقدم وتعليق محمد بن إبراهيم الشَّيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- ١٣٣- محمد عبد الله الشرقاوي: الكثر المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٣٤- محمد عزت الطهطاوي: النصرانية و الإسلام، مكتبة النور للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، ط٧، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م.

- ١٣٥- محمد عطاء الرحيم: عيسى ييشّر بالإسلام، ترجمة وتعريب فهمي شمس، المكتبة العمومية، ط١، ١٩٩٠م.
- ١٣٦- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة "العهد القديم"، دار القلم، دمشق، ط١ ١٤٠١ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٣٧- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ١٣٨- محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، كتاب الشعب، القاهرة، ط١، ١٣٢٣ هـ.
- ١٣٩- محمد فؤاد الهاشمي: الأديان في كفة الميزان، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ١٤٠- محمد قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، مطابع سن برس، القاهرة، لا.ت.
- ١٤١- محمد مجد مرجان: الله واحد أم ثالث، دار النهضة العربية، العين، لا.ت.
- ١٤٢- محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، لا.د، الزقازيق، لا.ت.
- ١٤٣- محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ١٤٤- محمد وحيد خياطة: قراءات في التوراة، دار إطلال للنشر، دمشق، ط١، ١٩٧٨ م.
- ١٤٥- محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي "٤٦٧-٥٣٨ هـ": الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا.ت.
- ١٤٦- محمود عبد السميع شعلان: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١٤٧- مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ١٤٨- مرسيا إلياد: المقدس والديني، ترجمة نهاد خياطة، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٨٧ م.
- ١٤٩- مصطفى خالد و عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٦ م.
- ١٥٠- مصطفى محمود: التوراة، دار النهضة العربية، القاهرة، لا.ت.
- ١٥١- معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.

- ١٥٢- **موريس بوكاي** : دراسات في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ١٥٣- **موريس بوكاي**: كتب العالم المقدسة، مطبعة كمبردج، لندن، ١٩٥٣ م.
- ١٥٤- **موشيه سميت**: الصراع حول جعل القيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية، الجامعة العربية، القدس، ١٩٧٩ م.
- ١٥٥- **موشيه هورميتش**: الحاخام شاخ بيده المفتاح، مطبعة كيتز، لا.م، ١٩٨٩ م.
- ١٥٦- **موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر** "٤٦٥ - ٥٤٠ هـ": "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ١٥٧- **ميخائيل باكونين**: الإله والدولة، تعريب جلال المخ، دار المعرفة للطباعة والنشر، تونس، ط ١، ١٩٩٠ م.
- ١٥٨- **ميشيل يتي**: تاريخ الكنيسة الشرقية و أهم أحداث الكنيسة الغربية، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط ١٩٩٣، ٧ م.
- ١٥٩- **نبيل الفضل**: هل بشر المسيح بمحمد؟، رياض الريس للكتب و النشر، دمشق، ط ١٩٩٠، ١ م.
- ١٦٠- **نجيب ميخائيل إبراهيم**: مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ١٦١- **نصري سلهب**: لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠ م.
- ١٦٢- **هيجل** : حياة يسوع، ترجمة جورج يعقوب، دار التنوير، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.
- ١٦٣- **هيم ماكبي**: بولس وتحريف المسيحية، ترجمة سميرة عز الدين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، فرنسا، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ١٦٤- **يان دوبرا تيشينسكي**: أصدقاء الزمان "الكنيسة من أجل الوجود"، ترجمة كبرو لحدو، دار الحصاد للنشر و التوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٥ م.
- ١٦٥- **يسر محمد سعيد مبيض**: اليوم الآخر في الأديان السماوية و الديانات القديمة، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ١٦٦- **يوسف الحسن**: البعد الديني في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١٩٩٧، ٢ م.
- ١٦٧- **يوسف القرضاوي**: الإيمان و الحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لا. ت.

الدوريات " الصحف والمجلات والمنظرات".

- ١— أحمد شنتور: حملات تنصيرية مكثفة ضد المسلمين في أفريقيا، صحيفة الاتحاد اليومية الإماراتية، أبو ظبي، العدد رقم "١١٩٩" يوم الجمعة ٤ ذو القعدة ١٤١٩هـ / ١٩ فبراير ١٩٩٩م.
- ٢— أهارون ميجد: مقال صحفي، صحيفة دافار الإسرائيلية، تل أبيب، ١٠/٥/١٩٧٩م.
- ٣— جرشوم شوكن: نظرة جديدة على الصهيونية نجاح أم فشل؟ صحيفة هآرتس، القدس، ١/٩/١٩٨٠م.
- ٤— رستم أحمد: صراعات وانقسامات في صفوف يهود روسيا، صحيفة الاتحاد اليومية الإماراتية، أبو ظبي، العدد رقم "٨٩٠٧" يوم الأحد ٢٠ شعبان ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٥— رشاد عبد الله الشامي: سلسلة القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، تصدر شهرياً، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٦— عبد الوهاب المسيري: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، تصدر شهرياً، ديسمبر ١٩٨٢م.
- ٧— عبد الوهاب المسيري: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، تصدر شهرياً، ربيع الأول ١٤٠٣هـ / كانون الأول ١٩٨٢م.
- ٨— علاء العربي: الحوار بين الأديان، صحيفة الاتحاد اليومية الإماراتية، أبو ظبي، العدد رقم "٧٦١٤" يوم الجمعة ١٨ ذو الحجة ١٤٢٠هـ / ٢٤ مارس ٢٠٠٠م.
- ٩— مجلة رسالة الجهاد، التعايش بين الأديان، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، ليبيا، العدد ٩٥، ١٩٩٥م.
- ١٠— مقال صحفي: البابا تمسّى أمام المسجد الأقصى ولم يدخل إليه، صحيفة الخليج اليومية الإماراتية، الشارقة، العدد رقم "٧٦١٧" يوم الاثنين ٢١ ذي الحجة ١٤٢٠هـ / ٢٧ مارس ٢٠٠٠م.
- ١١— مقال صحفي: البابا واليهود، صحيفة الخليج اليومية الإماراتية، الشارقة، العدد رقم "٧٦٠٧" يوم الجمعة ١١ ذو الحجة ١٤٢٠هـ / ١٧ مارس ٢٠٠٠م.
- ١٢— مقال صحفي: صحيفة الاتحاد اليومية الإماراتية، أبو ظبي، العدد رقم "٨٩١٥"، ٢٤ شعبان ١٤٢٠هـ / ٢ ديسمبر ١٩٩٩م.
- ١٣— مقال صحفي: صحيفة الاتحاد اليومية الإماراتية، أبو ظبي، العدد رقم "١١٩٩" يوم الجمعة ٤ ذو القعدة ١٤١٩هـ / ١٩ فبراير ١٩٩٩م.
- ١٤— مقال صحفي: ماذا بعد مؤتمر الإعجاز الطبي، صحيفة الأهرام، القاهرة، ١/١٠/١٩٨٥م.
- ١٥— مناظرة بين الإسلام والنصرانية" الخرطوم ١٩٨٠م"، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، السعودية، ١٤٠٧هـ.
- ١٦— نفتالي كراوس: فقط الراي يستطيع، صحيفة معاريف الإسرائيلية، تل أبيب، ٤/١١/١٩٨٠م.

— فهرس شروح بعض الألفاظ. —

— أ —

١— آباء الكنيسة: هم كتاب مسيحيون قدماء امتازوا بجودة تعليمهم،
وقداسة حياتهم، وموافقتهم لتعاليم الكنيسة.

٢— أبرشية: هي المنطقة الخاضعة لسلطان مطران.

٣— اتحاد أقنومي: هو عبارة عن اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح في
أقنوم "أو شخص" واحد. ويعتقد المسيحيون: إنَّ المسيح ابن — الله تعالى — قد
تجسّد. يعنون بذلك أنَّ الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس قد صار جسداً لأجل
بني الإنسان، فاتخذ طبيعة البشر، أي أخذ جسداً حقيقياً يشبهنا في كل شيء، ما
عدا الخطيئة الأصلية، كما أنه أخذ نفساً عاقلة، ناطقةً كنفسنا. ويقصدون بذلك
أن الله تعالى قد قبل اتخاذ الحالة البشرية، ونزل إلى الأرض، والتقى الإنسان
مباشرة بهذه الصورة البشرية، وهو العمل السامي الذي كشف الله فيه عن ذاته
الحقيقية على الأرض، حيث اتحد اللاهوت — الألوهية — مع الناسوت —
الطبيعة البشرية—، دون أن يفقده ذلك شيئاً من جوهره، وكل ذلك أيضاً دون
أن يتحوّل اللاهوت إلى ناسوت، أو أن يتحول الناسوت إلى لاهوت، ودون أن
يمتزج أحدهما بالآخر. وهناك اختلاف في طبيعة المسيح بين الفرق المسيحية.
انظر، منير خوام، المسيح في الفكر الإسلام الحديث، م.س، ص ٣١٢، ٣١٧.

٤— أحد الشعانين: ويسمّى عيد الشعانين، والمشهور بالشعانين، وهو
عيد الأحد الذي قبل الفصح، والشعانين: كلمة عبرانية مأخوذة من " هو شيعه
نا " أي خلصنا.

٥— أحرنيث هياميم: آخر الأيام، الآخرة.

٦— أرثوذكس: كلمة يونانية أصل معناها: الرأي المستقيم، وهو اسم
لإحدى الطوائف المسيحية الكبرى القائمة، ويقولون إنَّ للمسيح طبيعة واحدة
ومشيئة واحدة، وكانوا يسمّون قديماً اليعاقبة، ومعتنق هذا المذهب يُدعى
أرثوذكسيّ.

٧— أرثوذكسيّة: كلمة يونانية معناها: استقامة الرأي، وهي تطلق على
الفكر اللاهوتي الموافق لتعليم الرّسل، وتستعمل في أيامنا هذه للدلالة على
الكنائس الشرقية غير المتحدة برومة. والأرثوذكسية (الكنيسة): هي الكنائس
الشرقية المنفصلة عن روما، وتأخذ بتعاليم الجامع المسكونية السبعة الأوائل، ولها

- عدّة كنائس مستقلة عن بعضها، أشهرها: الكنيسة القبطية بمصر، وكنيسة إنطاكية ببلاد الشام، والكنيسة الروسية.
- ٨ — إزائية: جدول يوضع فيه جنباً إلى جنب، ما ورد في أناجيل متى ومرقس ولوقا "ويوحنا في بعض الأحيان" من نصوص متشابهة للمقارنة بينها بمزيد من السهولة.
- ٩ — أستير: امرأة يهودية تزوّجها "أحشيروش الفارسي"، فنالت منه العفو لأبناء شعبها، وسفر أستير نسبة إليها، وهو من كتب العهد القديم.
- ١٠ — أسقف: لقب ديني لأحبار التّصاري، وهو فوق القسّيس ودون المطران. وأصل الكلمة يونانية تعني: المشرف، والأسقف هو الرأس الرّوحي في الجماعة المسيحية المحليّة التي تُعرف بالأبرشية.
- ١١ — استحقاقو لحيا: كلمتان يونانيتان تعنيان الكلام عن الآخرة.
- ١٢ — إصلاح: هي حركة التجديد الإنجيلي التي قامت في القرن السادس عشر لأسباب شتى، منها للوقوف في وجه تعاليم الكنيسة التي وقفت حجر عثرة أمام التقدم العلمي.
- ١٣ — أصول العقيدة المسيحية: هي عرض نظاميّ لحقائق الإيمان المسيحي.
- ١٤ — أفخار استيّا: كلمة يونانية الأصل تعني الشكر، وهي العمل الأساس في العبادة المسيحية، وفي الأفخار استيا يتذكّر المسيحيون عشاء يسوع الأخير، لا بل يُحيونه مجدداً .
- ١٥ — أقانيم: مفردهُ أَقْنُوم وأَقْنِيم: اللفظ يوناني الأصل ويعني الصفة أو الشخص، وفي اللاهوت المسيحي أحد الأقانيم الثلاثة: وهي الآب والابن والروح القدس. وعند أفلاطون أحد مبادئ العلم الثلاثة الأولى وهي الواحد، العقل، والنفس الكلّية. ويؤمن المسيحيون بأنّ في الله تعالى، الإله الأحد، ثلاثة أقانيم جوهرية أزلية، والأقنوم حالة في الوجود والعمل.
- ١٦ — الأبرشيّة والأبروشيّة: هي ما كان تحت ولاية أسقف من أماكن أو أشخاص، والكلمة أصلها يونانية.
- ١٧ — الاتحاد والتجسيد: الجسد: هو البدن، تقول منه تجسّد، كما تقول من الجسم تجسّم، وهذا ما شاع في عقيدة يهود الحرّفة الباطلة وهو أن الإله يتجسّد وكأنه واحد منهم ويتحدون معه. وأما مفهوم اتحاد عند المسيحيين فيعني: أن الله يتحد بالسيد المسيح. وهذا قول بهتان وزور. والتجسد: هو اعتقاد

المسيحيين بأن يسوع المسيح، هو ابن الإله الذي تجسّد وقدّم نفسه للموت على الصليب، افتداء لخطايا البشرية.

١٨ — الاستحالة: شعيرة من شعائر المسيحيين، واعتبرت عندهم عقيدة وعبادة، إذ يعتقدون بأن الخبز يتحول إلى لحم عيسى والخمرة تتحول إلى دمه، لذا فإنهم يأكلون يوم عيد الفصح الخبز ويشربون الخمر.

١٩ — الأسفار: مفردا السّفر وهو الكتاب، والأسفار: هي الكتب التاريخية عند يهود. والسّفر: هو الكتاب الكبير، وقيل هو جزء من التوراة، والجمع أسفار.

٢٠ — الإسلامي: نسبة إلى الدين الإسلامي. والإسلام لغة: مشتق من المصدر "السّلم"، وتحمل هذه الكلمة المعاني التالية:
١: الخلوص والتّعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة.

٢: الصلح والأمان.

٣: الطاعة والإذعان والاستسلام.

وتشتق كلمة الإسلام أيضاً من "السّلم، ومن السّلم وتعني: الاستسلام والانقياد والخضوع، والإباء وترك التمرّد". انظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ٦، ص ٣٤٢.

والإسلام اصطلاحاً: هو الامتثال والانقياد لما جاء به الرسول محمد (ﷺ)، مما علّم من الدين بالضرورة، أو قام عليه الدليل اليقيني، فهو الرسالة السماوية المشتملة على كل ما يتعلّق بنواحي الحياة الإنسانية: العقائدية والتشريعية والأخلاقيّة والتنظيمية، من أجل سعادة الإنسان في الدّنيا والآخرة.

٢١ — الآلهة: الأصنام سموها بذلك لاعتقادهم أنّ العبادة تُحقّق لها، وهو زعم باطل.

٢٢ — الإنجيل: جمع أناجيل وهو كتاب الله تعالى المتّزل على سيدنا عيسى عليه السلام. "والكلمة يونانية الأصل"، ويعتقد المسيحيون بأن الإنجيل هو ما كتبه — بإلهام من الله — كل من "متى، مرقس، لوقا، ويوحنا" عن حياة يسوع. وقيل هو كتاب عيسى عليه السلام، يُذكر ويؤثّر، فمن آث أراد الصحيفة ومن ذكر أراد الكتاب.

٢٣ — البابا: جمع بابوات والنسبة إليه بابويّ، وهو الحبر الأعظم رئيس البيعة المنظور، وخليفة القدّيس بطرس، وهي كلمة "يونانية" معناها الوالد في كلام الأولاد. والبابا الحالي يدعى يوهانيس بولوس الثاني.

٢٤ — البارقليط: لفظة يونانية، تطلق عند المسيحيين على الروح القدس، وهو الثالث من الثالوث الأقدس، ومعناها المستغاث به.

٢٥ — البداءة والرجعة: البدء هو أول كل شيء، يقال فلان يؤمن بالرجعة: أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت. استرجع عند المصيبة: أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون، فأنا مسترجع.

٢٦ — البروتستانت والبروتستانتى: وتعني المُحتجُّون، نسبةً للاحتجاجات التي قدمها مارتن لوثر. والبروتستانتى: هو التابع للمذهب المعروف بالبروتستانتية، وهي كلمة فرنسية الأصل. والبروتستانتية (الكنيسة): هي كنائس حركة الإصلاح، وتعتمد على الكتاب المقدس مباشرةً، والصلة بالمسيح، دون واسطة الكنيسة بروما وترى حرية تأويل النصوص المقدسة.

٢٧ — البشري: عند المسيحيين تعني هو المستعين بالنعمة والهادف إلى إزالة العقبات الصادرة عن ميولنا الشريرة، أو المعرضة للخطر والحائلة دون سيادة المحبة فينا والاتحاد بالله كما يزعمون.

٢٨ — البطرك والبطريق: البَطْرِكُ والبَطْرِيْكُ والبَطْرِيْكُ، جمع بَطَارِكَة وبَطَارِيْك وتعني: رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية. والبَطْرِيْق: بكسر الباء هو القائد من قواد الروم، وهو معرَّب والجمع البَطَارِقَة.

٢٩ — البعل وعشتاروت: إلهان عظيمان عند الكنعانيين، وقيل البعل: اسم صنم كان لقوم إلياس عليه السلام.

٣٠ — البعيم: التمثال من الخشب.

٣١ — البولسيون: هي رهبانية ملكية كاثوليكية، أسسها المطران جرمانوس مُعَقَّد في حريصا بלבنا عام ١٩٠٣م.

٣٢ — التابوت: كان يهود يحفظون فيه التَّوراة.

٣٣ — التلمود: كتاب التعاليم الشفوية عند يهود.

٣٤ — التهويد: المشي الرويد مثل الديب، وفي الحديث (أسرعوا المشي في الجنازة ولا تُهَوِّدوا كما تُهَوِّدُ اليهود والنصارى). والتهويد: تصير الإنسان يهودياً. وفي الحديث (فأبواه يهودانه).

٣٥ — التوراة: الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام. وتعني أيضاً النصوص الدينية عند يهود.

٣٦ — الحواريون: الصّفوة أو الخاصّة، وهم تلاميذ عيسى عليه السلام. والحواري: لغة تعني البياض، والحوراء تعني: البيضاء. والحواريون: الذين أخلصوا وثّقوا من كل عيب. والحوار اصطلاحاً: هو محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، ولكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب.

٣٧ — الدّخل: العيب والريّة، يقال: هذا الأمر فيه دَخَلٌ ودَغَلٌ. قال تعالى: ﴿ وَلا تَحْذَرُوا آيَاتِكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ﴾ . سورة النحل، الآية ٩٤ .

٣٨ — الدهرية: وهم الذين لا يعترفون بوجود مؤثر في العالم، فينكرون الإله الخالق، ويقولون أنه لا إله ولا صانع، وإنما وجدت هذه الأشياء دون خالق لها، وهم الملحدون في هذا العصر.

٣٩ — الرّوح: يذكر ويؤثّر وجمعها الأرواح. ويسمى القرآن وعيسى وجبريل عليهما السلام روحاً، والنسبة للجنّ والملائكة "رُوحانيّ" بضم الراء والجمع رُوحانيّون، وكذا كل شيء فيه رُوحٌ رُوحانيّ بالضم، ومكان رُوحانيّ بفتح الراء طيّب.

٤٠ — السّامرة: القسم الوسط من فلسطين، فتحها الآشوريون سنة ٧٢١ ق.م، وكان اليهود إذا أرادوا أن يشتموا أحداً يقولون له أنت سامريّ.

٤١ — السموأل بن يحيى: كان يهودياً مغربياً ويعرف باسم "شموئيل" بن يهوذا بن آبوان، وقد اهتدى إلى الإسلام، وأطلق على نفسه السموأل بن يحيى المغربي.

٤٢ — السيندوس: هو كل مجلس للأساقفة أو ضمّ فئة معينة منهم. وسيندوس بمعنى: أطلب مجمعا. وقيل هو المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالميّة والذي عقد ما بين ١٩٦٢ — ١٩٦٥ م. وكلمة سيندوس يونانية الأصل تعني: السير معاً. وهو الأداة الإدارية الحقيقية في الكنيسة؛ لذا فينعقد ثلاث مرات في السنة فهو كالبرلمان.

٤٣ — الصّابئة: في اللغة: صبا الرجل: إذا مال وزاغ. وسموا بالصابئة لأنهم مالوا عن سنن الحق، وزاغوا عن نهج الأنبياء ، وهم الذين يعتقدون في الكواكب، ويؤمنون بتأثير السيارات على الكون.

٤٤ — الصليب للنصارى: جمع صُلْبٌ وصلبان.

٤٥ — الصعود والتصعد: استحالة الجسم الجامد رأساً إلى بخار دون أن يجمع كما هو الحال في اليود والكافور. الصعود والعنصرة: تعني عند المسيحيين: حلول روح القدس على الرّسل.

٤٦ — العهد الجديد: هو الجزء الثاني من الكتاب المقدس عند المسيحيين، ويحكي كما يقولون قصة السيد المسيح، وينتهي بقصة انتشار الكنيسة.

٤٧ — العهد القديم: هو الجزء الأول من الكتاب المقدس عند يهود والمسيحيين، ويحتوي على تسعة وثلاثين سفرًا، ويحكي كما يدعون قصة الإله مع الإنسان منذ خلقه آدم حتى ما قبل مجيء السيد المسيح بأربعمائة عام.

٤٨ — الفصح: يقال لليهود والنصارى جاء فصحهم، أو عيدوا عيد الفصح. والفصح عند النصارى هو عيد تذكّار قيامة السيد المسيح من الموت، وفصح اليهود هو عيد تذكّار خروجهم من مصر، وهو تعريب "فَشَح" بالعبرانية، وتعني: عبور واجتياز ونجاة. والفصح بالكسر: فطر النصارى وهو عيد لهم، وأفصحوا: جاء فصحهم أي إذا أفطروا وأكلوا اللحم.

٤٩ — الكاثوليكية (الكنيسة): هي الكنيسة العامّة ومركزها روما، وجمهورها في أوروبا وأميركا اللاتينية عموماً، وهم يعتقدون كمعظم المسيحيين أن الإله الابن مساو في خصائص الإلهية للإله الآب، والروح القدس منبثق منهما، وأتباعها يسمّون الكاثوليك، وهي أكبر الطوائف المسيحية. وتسمى بالكنيسة الرومانيّة الغربيّة، وتعتبر نفسها الوريثة الوحيدة للرسالة المسيحيّة، ولها سلطة دينيّة ودنيويّة، وتتبع البابا في الفاتيكان بروما، وتعتقد بكنيسة واحدة، جامعة رسوليّة.

٥٠ — الكارز والكاروز: الواعظ والمناادي ببشارة الإنجيل. كَرَزَ وكَرَزًا: وعظ ونادى ببشارة الإنجيل، الكرازة: تعني الوعظ بالحقائق المسيحية. وكرازة المسيح: هي اقتراب ملكوت السموات وعودة المسيح ثانية إلى أورشليم. والكرازة: هي البشارة بالخير السّار.

٥١ — الكبوشيون: فرع من رهبان القديس فرنسيس الأسيزي وتأسس عام ١٥٢٨م، ومن مؤسّساتهم الخيرية صيدا، بيروت، مصر، حلب، بغداد، دمشق.

٥٢ — الكتبة: هم أحرار يهود في زمن المسيح، كانوا يعلمون شريعة موسى للناس. انظر، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢ : ٤.

- ٥٣ — الكنيسة الإنجيلية: كلمة إنجيلي تعني أن الإنجيل هو المرجع الوحيد للكنيسة الإنجيلية دون التقليد، وترفض التقليد والكهنوت.
- ٥٤ — الكنيسة القبطية (الأرثوذكسية): وهي الكنيسة المصرية، وكلمة قبطي تعني مصري، وكلمة أرثوذكسي: تعني مستقيم الرأي.
- ٥٥ — الكنيسة: هي كلمة من أصل يوناني تعني: دعوة الشعب للاجتماع معاً، وتطلق على كل الشعب المسيحي في العالم. يختلف طوائفه. والكنيسة (جبل): كتلة جبلية جرداء في لبنان يفصلها عن جبال الباروك ممر ظهر البيدر، وفيها مركز تزليج. ويقول جون لوك: الكنيسة: جماعة حرّة إرادية، ينضم إليها الناس؛ ليعبدوا الله على النحو الذي يعتقدون أنه يرضي الله ويحقق لهم نجاحهم.
- ٥٦ — المبكى: جدار هيكل أورشليم المزعم الذي يقف أمامه يهود ييكون خرابه كما يدّعون.
- ٥٧ — المجادلة والجدال تعني لغة: المناظرة والمخاصمة، وشدة التمسك بالرأي والتعصب.
- ٥٨ — المجمع اللبناني: مجمع للموارنة عقد في دير اللوزية عام ١٧٣٦م، على أيام البطريرك يوسف ضرغام الخازن وبحضرة يوسف سمعان السمعاني موفداً بابوياً، وفيه وضعت قوانين الطائفة الكنسية.
- ٥٩ — المجمع: هو عند المسيحيين مؤتمر يعقده الأساقفة للتداول في شؤون الكنيسة، ويسمى مسكونياً إذا دُعي إليه أساقفة العالم كله، وهو "إقليمي" أو "وطني" أو "طائفي" إذا ضمّ فئة مُعيّنة ويسمى في هذه الحال (سينودس)، ويطلق أيضاً على كل مجلس للأساقفة كسينودس الكنسية الأرثوذكسية الروسية، أو السينودس المقدس.
- ٦٠ — المجوس: وهم عبدة النيران، ويقولون بأنّ للعالم إلهين اثنين مدّ برين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والفساد والإصلاح، ويسمون أحدهما: التور، والثاني: الظلمة. انظر، أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنحل، م.س، ج٢، ص ٧٢.
- ٦١ — المذبح: هو مكان لإيقاد البخور.
- ٦٢ — المسياً أو المسيح بالعربية: وتعني الشخص المسحوح من الإله، أو المعين منه لإنقاذ شعبه وتخليصه من أعدائه.

٦٣ — المسيحية القديمة الخمسة: رومة، الإسكندرية، أنطاكية، أورشليم، والقسطنطينية، ويهدفون من ذلك أن هؤلاء الرؤساء سلطاناً على كنائس المناطق المجاورة.

٦٤ — المسيحي: نسبة إلى الديانة المسيحية. والمسيح لغة: اسم مشتق من المسح، وهو "إمرار اليد على الشيء السائل مثل: مسح الرأس من الماء، أو الجبين من العرق". انظر، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، م.س، ج ١٣، ص ٩٨. والمسيح لقب لسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وليس اسماً له ومعناه الصديق. انظر، محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، م.س، ج ٢، ص ٢٥٣. ويرجع لقب المسيح إلى أحد الطقوس في الشريعة اليهودية، وهو المسح بنوع معين من الدُّهن، بقصد التقديس والتكريس، والاختيار لوظيفة عظيمة، أو رسالة سامية. انظر، عصام الدين حفني ناصف: المسيح في مفهوم معاصر، م.س، ص ٢٢. ومن الأفضل إطلاق تسمية المسيحية على المسيحيين اليوم بدلاً عن كلمة النصراني، حتى يكون هناك فرق بين المسيحيين الذين حرّفوا ديانة المسيح، وبين النصرانية الحقيقية، التي هي ديانة المسيح عليه السلام وديانة أتباعه الصادقين. اسم حمله ثلاثة أخوة نساطرة، أقاموا في بغداد واشتهروا بالطب، ومنهم صاعد أبو الحسن ١١٩٥ م، وأبو الخير.

٦٥ — المسيحي الجرجاني: هو أبو سهل عيسى بن يحيى حكيم وطبيب شهير من أهل جرجان، وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب عام ١٠١٠ م.

٦٦ — المشركون: وهم الذين يقرّون بربوبية الله تعالى، ولكنهم يشركون معه غيره في العبادة، مثل عبدة الأوثان من العرب، وعبدة الشمس، وعبدة الملائكة.

٦٧ — المناظرة: هي نوع من أنواع الحوار. وناظرت فلاناً: أي صرت نظيراً له في المخاطبة، والتناظر: التفاوض في الأمر. المناقشة: هي الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيء.

٦٨ — الموارنة: طائفة كاثوليكية شرقية، نشأت في وادي العاصي حول القديس مارون وتلاميذه وذلك في أوائل القرن الخامس الميلادي، ثم نزحوا إلى لبنان واستوطنوه.

٦٩ — الناسوت: الطبيعة الإنسانية وهو الناس زيدٌ في آخره واوٌ وتاءٌ كملكوت، وهي في الأصل كلمة سريانية. والمارونية: تعني بالإيمان في وحدة اللاهوت وتثليث الأقانيم، وتجسّد الابن في جوهر الآب.

٧٠— النجاشي: يقال له مشكم بن أضحمة، ويعد من الصحابة — رضوان الله تعالى عليهم أجمعين — وتوفي في حياة الرسول (ﷺ)، وصلى عليه صلاة الغائب.

٧١— النساطرة: طائفة من المسيحيين ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية ما بين ٣٨٠ — ٤٥١ م، وأنكر في عام ٤٢٨ م على مريم لقب أم الله؛ نظراً لشيوع هذا اللقب آنذاك بين المسيحيين، وأتباعه يسمون النساطرة، وسكنوا الموصل وأرمينيا، ونشروا المسيحية في إيران والهند والصين

٧٢— النسر والناسور: اسم صنم من أصنام قوم سيدنا نوح عليه السلام.

٧٣— النصرانية: هي دين عيسى عليه السلام قبل التحريف، وأما المسيحية فهي مجموع التعاليم التي وضعها بولس عام ٦٧ م.

٧٤— إلهام: معتقد مسيحي يعني: عمل إلهي يحمل بعض المؤلفين على الكتابة، ويوجههم بلا خطأ في عملهم، لكي ينقلوا إلى البشر ما يريد الإله أن يعلمهم إياه.

٧٥— الهرطقة: عند النصارى تعني البدعة في الدين، والنسبة إليها هرطوقي، ويبنى منها فعلاً فيقال: هَرَطَقَهُ فَهَرَطَقَ وَتَهَرَطَقَ، أي صار هَرَطُوقِيًّا، وتعني عندهم الخطيئة أيضاً، والإنسان الذي ينفصل عن الإيمان عند النصارى يسمى مُهَرَطَقًا.

٧٦— اليسوعيون: رهبانية أسسها القديس إغناطيوس دي لويولا ١٥٤٠ م، تُعنى بالوعظ والتعليم وأعمال الرسالة، وديارهم في حلب، دمشق، صيدا، طرابلس لبنان، جامعة القديس يوسف في لبنان، ومدرسة القاهرة.

٧٧— اليعاقبة: هم السريان الأرثوذكس، وينسبون إلى يعقوب البرادعي، أسقف الرّها ما بين ٥٤١ — ٥٧٨.

٧٨— اليهودي والأيلوهي: هي عبارة عن نصوص في حقبة معينة لحياة يهود وتمثل تقاليدهم وشعورهم بالخطيئة والتّمرّد، ومنها التقليد الكهنوتي ويتضمّن لائحة المرسلين، وأما التقليد اليهودي والأيلوهي ونصوصهما فتشمل استطلاع كنعان عن يد كالب، ثم مرور المجموعة الكلية من فلسطين وبدون المرور عبر الأردن.

٧٩— إنشقاق: هو عبارة عن انقسام في الجماعة المسيحية، ولا علاقة له بالاختلاف.

٨٠— أهل الكتاب: للفقهاء في تعريفهم رآيان:

الأول: رأي فقهاء الحنفية: الكتابي عندهم هو كل من اعتقد ديناً سماوياً، وله كتاب منزل، مثل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وشيث، وزبور داوود، فلا يقتصر أهل الكتاب علي اليهود والنصارى فقط، بل يشمل غيرهم من أصحاب الكتب السماوية المنزلة.

الثاني: رأي فقهاء الشافعية والحنابلة: أهل الكتاب هم اليهود والنصارى دون غيرهم. وقد سماهم الفقهاء بأهل الذمة: أي أهل العهد والضمان والأمان والحرمة. وفي اصطلاح الفقهاء: أهل الذمة: هم المعاهدون من اليهود والنصارى، ومن في حكمهم ممن يقيم في دولة الإسلام، وسمّوا بذلك لأنّ لهم عهد الله، وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين، على أن يعيشوا في حماية المسلمين، وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين. انظر، عبد الله بن قدامة المقدسي: المغني، مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٩٨١م، ص ٥٣٥.

٨١— أيقونة: رسم للسيد المسيح أو لشخصيات مذكورة في الكتاب المقدس، أو لقديسين مسيحيين، وليست الأيقونات موضع عبادة كما يدعون، فتكريمها ما هو إلا تكريم الأشخاص الذين تمثلهم.

٨٢— إيل: رئيس آلهة أوغاريت ورمزه الثور. ويقال أنها عبرية الأصل وترمز إلى لفظ الجلالة "الله".

— ب —

٨٣— بابا: لقب بمعنى "أب" يطلق في الكنيسة الكاثوليكية على أسقف روما.

٨٤— بونابا: اسمه الأصلي يوسف، وكان يهودياً من قبرص. وبنابا معناها: ابن الرسول، أي ابن عيسى كما يعتقد المسيحيون، وكان مبشراً ناجحاً مرموقاً، وفي عام ١٤٩٢م حرّمت الكنيسة إنجيل بونابا.

٨٥— بومثسفا: كلمة عبرية تعني ابن الشريعة.

٨٦— بطرس: من تلاميذ عيسى عليه السلام كما يدعى المسيحيون، ويسمى أيضاً "بولس".

٨٧— بولس شمساطي: هو أسقف أنطاكية ما بين عام ٢٦٠—٢٧٢م، وقد أنكر ألوهية المسيح فردّل.

٨٨— بولس: اسم ستة بابوات. ومن أهمهم بولس السادس، الذي واصل الجمع الفاتيكاني الثاني، وزار الأرض المقدسة عام ١٩٦٤م، وأنحاء عديدة من العالم في محاولات لتوطيد العدالة والسلام.

٨٩— بولس: قديس أشهر بلقب رسول الأمم، وكان من أعنف مضطهدي المسيحية، ثم اهتدى على طريق دمشق، واندفع متفانياً بالتبشير بين مدن آسيا الصغرى واليونان، وكان اسمه "شاول" قبل دخوله المسيحية، قطع رأسه في روما عام ٦٧م، وله أربع عشرة رسالة موجهة إلى الكنائس المختلفة، أو إلى بعض تلاميذه.

٩٠— بيع وصلوات: تعني كنائس يهود ومواضع صلواتهم.

٩١— بيلاطس النبطي: حاكم اليهودية الروماني ما بين ٢٦—٣٦م، ويعتقد المسيحيون بأنه قد أسلم المسيح للموت وغسل يديه متبرئاً من دمه.

— ت —

٩٢— تأليه: يرى آباء الكنيسة اليونانية أن تأليه الطبيعة البشرية هو غاية التجسد.

٩٣— تجسد: تعني اتخاذ كلمة الإله الأزلية جسداً في الإنسان يسوع، وهو اعتقاد شائع عند المسيحيين الذين يؤلهون عيسى المسيح.

٩٤— تدبير إلهي: اعتقاد يقول بأنه لا يجري تاريخ البشرية وفقاً لدوافع قدر أعمى، بل هو نتيجة لإرادة الله تعالى.

٩٥— تفسير: تعني محاولة الفهم الدقيق للكتب المقدسة "العهد القديم والعهد الجديد" من خلال التحليل اللغوي.

٩٦— تكفير: يعتقد المسيحيون بأن مصالحة الإنسان مع الإله بواسطة موت يسوع على الصليب، هي بمثابة تكفير للخطايا، كما أنهم يؤمنون بأن يسوع هدم بموته جميع الحواجز التي أنشأها خطيئة البشر، وأسس عهداً أبدياً جديداً بين الإله والإنسان.

٩٧— توحيد: هو مذهب أو دين لا يسلم إلا بإله واحد، وله وحده يخضع كل شيء.

— ج —

٩٨— جسد المسيح: عبارة يقصد بها وحدة المسيح العضوية.

٩٩— جماعة الرسل: هم تلاميذ عيسى الإثنا عشر، وأولهم سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخوه، فيعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه، ففيلبس وبرثلماوس، فتوما ومتى العشار، فيعقوب بن حلفى وتداؤس. فسمعان الغيور ويهوذا الإسخريوطي ذاك الذي أسلمه، هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: "لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل

اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل."إنجيل متى: الإصحاح ١٠: ٢ ، ٣، ٤، ٥.

١٠٠ — **جهاد روحي**: عبارة تدل على الجهد البشري، المستعين بالنعمة، والهادف إلى إزالة العقبات الصادرة عن ميولنا الشريرة، أو المعرضة للخطر، والحائلة دون سيادة المحبة فينا والاتحاد بالإله كما يزعم الكتاب المقدس عند المسيحيين.

— ح —

١٠١ — **حَدَث**: تستعمل هذه الكلمة في علم اللاهوت، للدلالة على تدخل الإله في التاريخ ولا سيما بفصح المسيح، أي بموته وقيامته كما يعتقد بذلك المسيحيون.

— خ —

١٠٢ — **ختان**: هو قطع القلفة أي جلدة عضو التناسل للذكر، وفرضت شريعة موسى عليه السلام الختان على بني إسرائيل. فالختان علامة الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام وشعب موسى عليه السلام. وختن يوحنا المعمدان ويسوع في اليوم الثامن من مولدهما، وأن مسألة الختان أثارت جدلاً عنيفاً بين المسيحيين الذين أتوا من اليهودية والذين كانوا وثنيين فتعمّدوا. ولو فرض الرسل الإثنا عشر الختان على الناس لحال الأمر دون انتشار المسيحية؛ لأن الرومانيين كانوا يكرهون الختان ويسخرون بالمختونين، فضلاً عن أن الخلاص حسب عقيدة المسيحيين، لا يأتي من الختان بل من نعمة السيد المسيح.

١٠٣ — **خلاص**: الانتشال من الهلاك وإعادة السلامة، ويوم الخلاص تعني : الفوز بآخرة صالحة. والمُخلَّص: لقب السيد المسيح الفادي.

— ر —

١٠٤ — **رجال الدين عند يهود**: يطلقون عليهم لقب الكهنة، ويأتون بعد الأنبياء من حيث ترتيبهم ودرجتهم، كما يطلق عليهم الحاخامات والأحبار.

١٠٥ — **رُقَاد السيدة**: الرُقَاد بالضم تعني: النوم، ورُقَاداً: النوم أيضاً، الرُقُودُ: الدائم الرُقَاد، ويقال امرأة رَقُودُ الضُّحَى: أي مُتَنَعِّمة. والمراد برقاد السيدة هنا: هو عيد نوم العذراء أم السيد المسيح عليه السلام.

١٠٦ — **رسولية**: صفة الكنيسة في أيام الرُّسل، وهم تلاميذ يسوع أو السيد المسيح الأوائل، وهي التي صدرت عنها أسفار العهد الجديد، وتمتد من

سنة موت يسوع — كما يزعمون في عقيدتهم — نحو سنة ٣٠ م حتى حوالي العام ١٠٠ م.
١٠٧ — رَوْحَنَّة: هي جعلُ الشيء روحياً.

— ز —

١٠٨ — زويمر "صموئيل" ١٨٦٧—١٩٥٢م: هو مستشرق أمريكي من أصل يهودي، قام بتحرير مجلة عالم الإسلام الإنجليزية، ومن كتبه أيضاً "يسوع في إحياء الغزالي".

— س —

١٠٩ — سُرٌّ: من المعتقدات المسيحية ما يسمى بالإسرار، وهي عبارة عن علامات حسية وشعائر منظورة، تحقق أعمالاً غير منظورة، يقوم بها المسيح القائم من الأموات ضمن جماعة المتحدّين بالكنيسة.

— ش —

١١٠ — شاول: يهودي الأصل وأصبح يُدعى بولس بعد دخوله المسيحية.
١١١ — شريعة: هي التوراة في الكتاب المقدس عند يهود، أي ما تحويه أسفار العهد القديم الخمسة الأولى. وشريعة موسى أو ناموس موسى: أي الكلام الذي تلقاه موسى من الله وبلغه بني إسرائيل. الشريعة والأنبياء: كناية عن الكتاب المقدس في العهد القديم وهو يحتوي شريعة موسى وكلام الأنبياء، ويقال أيضاً الشريعة والأنبياء والمزامير. والشريعة: كناية عن الكتاب المقدس من باب تسمية الكل باسم الجزء، "الحق أقول لكم: لن يزول حرفٌ أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء، أو تزول السماء والأرض". إنجيل متى: الإصحاح ٥ : ١٦، ١٧.

— ص —

١١٢ — صدّوقيون: أغلب الظن أن اسمهم نسبة إلى "صادق" الذي جعله سليمان عظيم الكهنة في أورشليم، وعموماً فقد أنكروا وجود الملائكة والأرواح والقيامة، وسألوا يسوع عن القيامة فأفحمهم. حيث ورد في إنجيل متى ما يلي: "في ذلك اليوم دنا إليه بعضُ الصّدّوقيين، وهُم الذين يقولون بأنه لا قيامة وسألوه: ... فأجابهم يسوع: أنتم في ضلال لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قدرة الله". إنجيل متى، الإصحاح ٢٢: ٢٣، ٣٠.

— ط —

١١٣ — طقس: مصطلح للعبادة عند المسيحيين وهو عبارة عن مجمل الصبغ الليترجية الخاصة بكنيسة من الكنائس.

— ع —

١١٤ — عزرا: اسم عبراني معناه عون.

١١٥ — عشّار وعشارون: من كلمة "عشر": أي القطعة من الشيء إذا قسم عشرة أجزاء، والأصل فيها أن يهود كانوا يؤدّون عُشْرَ دخلهم للهيكَل المزعوم، وجاء في إنجيل لوقا: "فانتصبَ الفريسيُّ قائماً يُصَلِّي في نفسه: اللهم، شكراً لك لأنني لستُ كسائر النَّاسِ السَّرَّاقِينَ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ، ولا مثلاً هَذَا الْعَشَّارِ. إِنِّي أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ وَأُؤَدِّي عُشْرَ كُلِّ مَا أَقْتَنِي. أَمَّا الْعَشَّارُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ". إنجيل لوقا: الإصحاح ١٨ : ١١، ١٢، ١٣. والعشّار هو الذي يبيح، أي يأخذ الرسوم والضرائب، حيث كان رؤوساء يهود يؤدون مبلغاً من المال إلى السلطة الحاكمة ثم يأخذون الرسوم من الناس. وكثيراً ما قرئت كلمة عشّار بكلمة خاطئ أو ما يشبهها مثل: العشّارون والخاطفون، والوثني والعشّار، والعشّارون والبغايا. حيث ورد في إنجيل متى: "قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنَّ العشَّارينَ والبغايا يَتَقَدَّمُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. فَقَدْ جَاءَكُمْ يَوْحَنَّا سَالِكاً طَرِيقَ الْبَرِّ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَّارُونَ وَالْبَغَايَا فآمَنُوا بِهِ". إنجيل متى: الإصحاح ٢١: ٣٢، ٣١.

١١٦ — عمّانوثيل: ومعناها أن الله معنا وتعني عند المسيحيين أنه عيسى — عليه السلام —.

١١٧ — عيد الظهور الإلهي: الظهور: هو بُدُو الشيء الخفي. والظاهرُ خلافُ الباطن. ويعني عند المسيحيين: عيد التَّجَلِّي الإلهي. ويطلق أيضاً عليه عيد الغطاس.

١١٨ — عيد العنصرة: يقول المسيحيون: بأنه هو عيد تذكّار حلول الروح القدس على تلاميذ يسوع المسيح، ويقع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً. وأما عند يهود فيعني: عيد تذكّار نزول الشريعة في طور سيناء، واللفظة عبرانية وتعني: اجتماع أو محفل.

١١٩ — عيد الغطاس: ويسمى عند المسيحيين عيد الظهور الإلهي، ويعتبرونه أحد أنواع العَمَاد. والنوعان الباقيان هما: السَّكْبُ والرَّشُّ، والمَغْطَسُ: هو موضعُ الغَطْسِ، والمَغْطَسُ: جمع مغاطِس: وهو إناء كبير يُغَطَّسُ فيه. وغطَّسَهُ في الماء: أي غَمَسَهُ فيه.

١٢٠ — عيد اليوريم: من أعياد يهود، واليوريم: كلمة عبرانية: معناها البحثُ والحظُّ.

١٢١ — عقيدة: هي عبارة عن عنصر من عناصر الإيمان المسيحي، ويعتقدون بأن العقيدة هي ما أوحاه الإله وحدّته الكنيسة.

١٢٢ — عهد: هو عَقْدٌ حُرٌّ يُجرى بين طرفين، وبه يتعهد الواحد القيام ببعض الأمور لصالح الآخر. أمّا يهود: فيعتبرون العهد الذي جرى على جبل سيناء، بأنّه خلقُ علاقةٍ خاصةٍ بين الإله ويهود. وأمّا المسيحيون: فيؤمنون بأن يسوع أنشأ عهداً جديداً بين الإله والبشريّة جمعاء.

— ف —

١٢٣ — فاتيكان: هو مكان إقامة البابا أسقف روما، ومركز إدارته وهو في مدينة روما، ويُعرف أيضاً بالكُرسيّ الرسوليّ الرومانيّ.

١٢٤ — فريسيّون: يذلل أصل الكلمة بالأراميّة على الاعتزال والابتعاد عن الخاطئين، كان الفريسيّون يتبعون مذهباً يدعو إلى التشدّد والتصلّب في الحفاظ على شريعة موسى وسنّة الأقدمين في أمور الطهارة، ومراعاة السبت وأداء العُشر وهلمّ جراً. كانوا يؤمنون بالملائكة والأرواح والقيامة، فهم بذلك يُخالفون الصّدوقيين الذين كانوا ينكرون ذلك كلّهُ. وكان كثير من الكتبة، أي علماء الكتاب المقدّس ينتمون إليهم. أخذ عليهم يسوع رياءهم وكبرياءهم وتعلّقهم بالألفاظ دون المعاني، وقسوّتهم على الشعب، ووقع بينهم وبين يسوع جدال كثير في أمور السبت، وأنذرهم بالهلاك. ويذكر إنجيل متى ذلك، فيقول: " في ذلك الوقت مرّ يسوع في السبّت من بين الزُّروع، فجاع تلاميذه، فأخذوا يَقلعون السُنبلَ ويأكلون. فرأهم الفريسيّون فقالوا له: ها إنّ تلاميذك يفعلون ما لا يحلُّ فعله في السبّت. الويل لكم أيّها الكتبة والفريسيّون المُرأوون " إنجيل متى، الإصحاح ١٢: ١، ٢. والإصحاح ١٣: ٢٣. على أنّ يسوع صادق الصالحين منهم الذين حفظوا الشريعة حفظاً صادقاً من غير رياء وكبرياء، وذكر الإنجيل منهم سمعان الفريسي.

١٢٥ — فداء: اعتقاد شائع عند المسيحيين، بأن الإله جعل موت عيسى وقيامته، سبباً لخلاص وفداء البشريّة من خطيئة آدم عليه السلام كما يزعمون.

— ق —

١٢٦— قانون الكتب المقدسة: هي القائمة الرسمية بالأسفار التي يعترف بها المسيحيون جزءاً من الكتاب المقدس، ويكون السفر قانونياً لما تعتبره الكنائس المسيحية جزءاً أصيلاً صحيحاً من كتابها المقدس.

١٢٧— قدس الأقداس: هي عبارة عن حجرة بدون نوافذ، لا يدخلها إلا عظيم الكهنة مرة واحدة في السنة، وسميت كذلك لأنها تقع في مدينة القدس كما يدعي يهود.

— ك —

١٢٨— كاترينا: قديسة اشتهرت نحو عام ٣٠٧م، وهي نسبة إلى أعلى جبل في مصر، في شبه جزيرة سيناء ويرتفع نحو ٢٦٣٧ متراً، وقيل دير القديسة كاترينا في الإسكندرية.

١٢٩— كرّس أو "قدّس كائناً": معتقد مسيحي يعني "فصله عن شؤون الدنيا، وأدخله بكامله وللأبد في حياة الله، والتقديس هو من عمل الآب". يوحنا، الإصحاح ١٧: ١١.

١٣٠— كهنوتي: الكاهن هو من يدعي معرفة الأسرار وأحوال الغيب، وعند يهود وعبداء الأوثان هو الذي يقدم الذبائح والقرايين، وعند المسيحيين هو الذي يرتقي إلى درجة الكهنوت، وتجمع على كهنة وكهّان.

— ل —

١٣١— لاهوتي: هو العالم بالعقائد المتعلقة بالإله عند المسيحيين.

١٣٢— لاوي: قيل هو اسم علم يهودي، وورد ذلك في إنجيل لوقا، إذ يقول: "وخرج بعد ذلك، فأبصر عشراً اسمه لاوي". إنجيل لوقا، الإصحاح ٥: ٢٩. وقيل اسم جنس يدل على أناس كانوا يساعدون الكهنة، وجاء ذكر اللاويين في إنجيل يوحنا: "وهذه شهادة يوحنا، إذ أرسل إليه اليهود... بعض الكهنة واللاويين يسألونه". إنجيل يوحنا، الإصحاح ١: ١٩. وكان برنابا لاوياً، ومن سبطهم كان يُقام الكهنة.

— م —

١٣٣— مار مارون: نحو ٤١٠م، وهو راهب قديس تنسك في القورشيّة سورية الشمالية، ذاع صيته فأصبح منسكه مزاراً، وعيده في ٩ من شهر شباط/فبراير من كل سنة. وقيل مار مارون أصله من قبائل خولان في اليمن. ورجل ماروني: أي نسبة إلى مارون. وماروني: هر بين غويانا الفرنسية وسورينام، ويصب في المحيط الأطلسي.

١٣٤ — مارون "دير مار": أطلال دير في واد العاصي.

١٣٥ — متيّا: يعتبره المسيحيون من تلاميذ يسوع المسيح، حيث حلّ محلّ يهوذا الأسخريوطي.

١٣٦ — مجلس الكنائس العالمي: تكون هذا المجلس بشكل مستقلّ بين الجماعات البروتستانتية، في مطلع القرن العشرين، ويتكون من المجلس الدّولي للرسالات، والحركة المسيحية العمليّة، وحركة الإيمان والنظام، وكان عام ١٩١٠م أول انطلاقاته. وهي رابطة أخوية لكنائس تعترف بالرب يسوع إلهاً ومخلصاً، وتسعى في الاستجابة معاً لدعوتهما المشتركة لمجد الإله الأوحد، الآب والابن والروح القدس. وهناك قاعدة عامّة لإيمانية، وهي الحد الأدنى المطلوب في الأعضاء المنتسبين إلى المجلس، والذي يضمّ حالياً ٣٠٠ كنيسة، موزّعة على ١٠٥ أقطار، أي معظم الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسيّة، ويمثّل المجلس ٤٠٠ مليون مسيحي. علماً بأنّ الكنيسة الكاثوليكيّة ليست عضواً في المجلس، إنّما يتعاون لاهوتياً بشكل رسميٍّ مع لجنة الإيمان والنظام.

١٣٧ — مجمع: وهو عبارة عن اجتماع رسميٍّ لأساقفة وممثلي الكنائس، ويعقد لمناقشة مسائل تمثّلت إلى الإيمان والسلوك، والمجامع المسكونية هي لقاءات تضمّ أساقفة من العالم أجمع. أما المجامع المحليّة فهي التي تخصّ بلداً واحداً، وغالباً ما تعرف بالسيندوسات، وجميع المسيحيين يقبلون بالمجامع المسكونية السبعة الأولى، في حين يعتبر الكاثوليك دون سواهم، أنّ هناك أربعة عشر مجعاً لاحقاً لها صفة المسكونية.

١٣٨ — مرقّس أو "يوحنا القديس": أحد الإنجيليين الأربعة، ويُنسب إليه تأسيس كنيسة الإسكندرية، لازم بطرس في تبشيريه وكتب إنجيله حوالي ٦٤ م.

١٣٩ — مرقّس أوريليوس: إمبراطور وفيلسوف روماني ١٦١ — ١٨٠ م، حارب البرابرة واضطهد المسيحية، وله كتاب أفكار في اليونانية، يعرض فيه نظراته الخلقيّة الرواقية.

١٤٠ — مرقّس خزام ١٨٨٨ — ١٩٥٨ م: بطريرك الأقباط الكاثوليك عام ١٩٤٧ م.

١٤١ — مرقيون: نحو ١٦٠ م، وهو كاتب مسيحي، قام بنشر بدعة في روما، إذ قال بالتناقض بين إله العدل في العهد القديم، وإله المحبة في العهد الجديد.

١٤٢ — مسكونية: مصطلح يدل على الأرض المسكونة، وتشير إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ثم أصبحت تدل على جمع شمل المسيحيين في كنيسة واحدة منذ مطلع القرن العشرين.

١٤٣ — معوش "بولس" ١٨٩٤—١٩٧٥ م: ولد في جزين في لبنان، وهو بطريرك الموارنة في عام ١٩٥٥ م ثم كردينال عام ١٩٦٥ م.

١٤٤ — مكاريوس الأورشليمي: كان أسقفاً لأورشليم "القدس" ما بين عام ٣١٤—٣٣٣ م، وعهد إليه قسطنطين الإمبراطور الروماني بالإشراف على بناء كنيسة القيامة.

١٤٥ — مكاريوس الكبير: قدّيس تنسك في واد النطرون في فلسطين عام ٣٩٠ م، وقد نسبت إليه رسائل قيمة في الحياة الصوفية.

١٤٦ — ملكي صادق: اسم معناه ملك البر، وهو ملك شاليم أو أور شاليم "القدس".

— ن —

١٤٧ — نسطور ٣٨٠—٤٥١ م: ولد في قيصريّة سورية، وكان بطريرك القسطنطينية في سنة ٤٢٨ م، وقال بأقنومين في المسيح.

١٤٨ — نذور رهبانية: وتسمى نذور الفقر والطاعة والعفة، وهي التي يهب بها أحد المسيحيين، أمواله وشخصه ونشاطه للإله في جمعية رهبانية.

— ه —

١٤٩ — هار مجدون: هار كلمة عبرية معناها تل أو جبل، يقع على بعد ٢٠ ميلاً جنوب مدينة حيفا في فلسطين.

١٥٠ — هيرودس أغريبا: إمبراطور روماني ولد في السنة العاشرة بعد الميلاد، أراد أن يرضي يهود فاضطهد المسيحيين، ومات سنة ٣٣ م.

١٥١ — هيرودس الكبير: ولد سنة ٧٣ ق.م، ولقب بالكبير لكثرة ما أنشأ من البنين، واشتهر بالقساوة والخبث والمكر، حيث قتل عدّة أشخاص من أسرته، وحاول أن يخدع الجوس ليدلوه على الطفل يسوع ليقّته، ويقول إنجيل متى بأنه قتل أطفال بيت لحم: " فَلَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْجُوسَ سَخَرُوا مِنْهُ، اسْتَشَارَ غَضَبًا وَأَرْسَلَ فَقَتَلَ كُلَّ طِفْلِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَأَرْضِيهَا، مِنْ ابْنِ سِتِينَ فَمَا دُونَ ذَلِكَ". إنجيل متى الإصحاح ٢: ١٦. ومات سنة ٤ بعد الميلاد.

١٥٢ — هيرودس انطيباس: هو ابن هيرودس الكبير، ولد سنة ٢٢ ق.م، وأوصى أبوه بأن يخلفه ولكنه لم يحصل إلا على ولاية الجليل، وما بالقرب منها

فسمي أمير الرُّبْع، أي أمير ربع بلاد فلسطين. ويذكر لوقا ذلك، قائلاً: "وهيرودس أميرُ الرُّبْع على الجليل". إنجيل لوقا الإصحاح ٣: ١.

— و —

١٥٣ — وحي: يراد بهذا التعبير عند المسيحيين، هو عمل يكشف به الإله للبشرية تدبيره الخلاصي، ويعرفهم نفسه. والوحي: هو ما يوحيه الله تعالى لأنبيائه، والوحي: جبريل عليه السلام. والوحي لغة يعني: الإلهام والإيماء، وهو إعلام في خفاء.

١٥٤ — ودیعة الإيمان: اعتقاد عند المسيحيين، بأنّ ودیعة الإيمان هي الوحي الذي أودعه الإله كنيسة، ليبلغ إلى جميع الأجيال، وتجذ ذلك في التقليد بما فيه الكتاب المقدس.

— ي —

١٥٥ — يا هو: نحو ٧٤١ — ٨١٤ م: هو ملك من ملوك بني إسرائيل، وضع حدّاً لعبادة الأوثان، واغتصب الملك من يورام، ثم قضى على سلالة آحاب.

١٥٦ — يسرائيل: لفظة من معانيها عند يهود المتصارع مع الرّب، أو الذي يحارب الخالق من أجله. وإسرائيل: هو يعقوب عليه السلام.

١٥٧ — يسوع المسيح أو "يشوع": هو في معتقد المسيحيين الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكلمة الله المتجسّد في مريم العذراء لخلاص العالم، ولد في بيت لحم على أيام أغسطس قيصر ٤ ق.م، وعاش في الناصرة إلى سنّ الثلاثين، ومنها سُمّي الناصري، ثم أخذ يشرّ في ملكوت الله. أسّس الكنيسة وهي جماعة المسيحيين. وهو عيسى بن مريم عليه السلام، آخر أنبياء بني إسرائيل، ورد اسمه في القرآن الكريم بلفظ المسيح تارةً ولفظ عيسى بن مريم تارةً أخرى. ويسوع أو يشوع لغة تعني: المُخلّص.

١٥٨ — يشوع بن نون أو يوشع: وهو من سبط إفرائيم، كان خادماً لموسى عليه السلام وخليفته في بني إسرائيل، أدخل العبرانيين أرض كنعان، وقاد جيشهم في محاربة العماليقة، فاجتاز الأردن ودخل أريحا.

١٥٩ — يعقوب الأصغر: هو ابن حلفاء، أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر، وأول أسقف في أورشليم القدس، مات عام ٦٢ م.

١٦٠ — يعقوب الأكبر: هو ابن زبدي وأخو يوحنا الإنجيلي، أحد تلاميذ المسيح، مات في أورشليم القدس نحو ٤٤ م.

- ١٦١ — يعقوب البرادعي: كان أسقفاً للرّها ٥٤١ — ٥٧٨ م، وإليه يُنسب اليعاقبة، وهم السريان الأرثوذكس.
- ١٦٢ — يعقوب المُقَطَّع: جنديّ قديس فارسيّ، مات في عهد بهرام الخامس الفارسي نحو ٤٢٥ م.
- ١٦٣ — يعقوب التّصينيّ ٣٣٨ م: وهو أول أسقف على نصيبين، حضر مجمع نيقية في عام ٣٢٥ م، وكان معلماً للقديس إفرام وصديقه، مات في حصار شاهبور لنصيبين، وله مؤلفات في السريانية.
- ١٦٤ — يهود: سُمُّوا بذلك لانتسابهم إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب. والهُودُ لغة تعني: التوبة، وهادّ يهودٌ هوداً وتَهُودٌ: تاب ورجع إلى الحقّ. واليهودية كانت عقيدة وشرعية في زمن موسى عليه السلام، فهي ليست كإسرائيل نسبة، وليست كالعبرانية صفة لهيئة المعاش؛ لأنهم عبروا الفرات أو نهر الأردن — علي اختلاف بين الروائتين — طلباً للعيش والرزق، وليست كالصهيونية مشروعاً سياسياً، ولكنّ يهود يحاولون أن يستفيدوا من كل هذه الأشياء وغيرها في سبيل الوصول إلى مآربهم ومخططاتهم المشبوهة.
- ١٦٥ — يهوديت: هي امرأة يهودية أرملة، خلّصت أبناء جلدتها من اليفانا قائد الأشوريين، حيث انتهزت فرصة سُكره فقطعت رأسه، وبذلك كانت السبب في هزيمتهم، وسفر يهوديت نسبة لاسمها.
- ١٦٦ — يهوذا أو "تداوس الرسولي": يقال أنه أحد أنسباء يسوع المسيح، ومن تلاميذه الإثني عشر.
- ١٦٧ — يهوذا الأسخريوطي: أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر، باع معلّمه أي يسوع المسيح كما يزعمون بثلاثين من الفضة، فصار رمزاً للخيانة، ثم شنق نفسه يأساً، ويعرف عند العامّة "يوضاس".
- ١٦٨ — يهوه: اسم أطلق في التوراة على الإله، شهود يهوه: بدعة أسسها تشارلس روسل في الولايات المتحدة سنة ١٨٧٤ م، وهم ينكرون الثالث، ويجعلون من المسيح شاهداً ليهوه.
- ١٦٩ — يوحنا: اسم بابا، وحمل هذا الاسم ثمانية من الأباطرة البيزنطيين، يوحنا الترجمان، يوحنا الدمشقي، يوحنا الصليبي، يوحنا المعمدان: تعني يحيى المغسل وهو الذي عمّد السيد المسيح كما يقولون. يوحنا بولس: حمل هذا الاسم اثنان من البابوات: البابا الثالث والعشرون، والبابا بولس السادس.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة.
٨	خطوات البحث
١١	التمهيد
٣٥	الفصل الأول: اليهودية: النشأة والتكوين
٣٦	المبحث الأول: التعريف باليهودية وفيه خمسة مطالب:
٣٦	المطلب الأول: من هو اليهودي؟
٤١	المطلب الثاني: تحديد التسميات التالية: عبراني — إسرائيلي.
٤٦	المطلب الثالث: بداية إطلاق لقب يهودي.
٤٨	المطلب الرابع: اتصال اليهودية بالأديان الوثنية.
٥٠	المطلب الخامس: أصل التحريف وتطويره.
٥٢	المبحث الثاني: مصادر الفكر الديني لليهود وفيه مطلبان:
٥٢	المطلب الأول: التوراة.
٦٧	المطلب الثاني: الأسفار أو "العهد القديم"
٨٥	المبحث الثالث: بعض الفرق اليهودية وفيه ثلاثة مطالب
٨٦	المطلب الأول: عموم طوائف جمهور يهود
٨٦	المطلب الثاني: من التيارات أو الاتجاهات اليهودية الدينية
	الحديثة
٩١	المطلب الثالث: من الفرق اليهودية الدينية القديمة
١٠١	الفصل الثاني: أضواء على المعتقدات اليهودية
١٠٢	المبحث الأول: في الإيمان اليهودي
١٠٥	المطلب الأول: التوحيد.
١٠٩	المطلب الثاني: التعدد والتجسيم.
١١٣	المطلب الثالث: عبادة العجل.

١١٥	المطلب الرابع: الذبيح إسحاق.
١١٧	المطلب الخامس: التابوت والمذبح والهيكل.
١١٩	المطلب السادس: الكهنة والقرايين.
١٢٢	المطلب السابع: الغش.
١٢٣	المطلب الثامن: الإرث.
١٢٦	المبحث الثاني: اليهودية التبشيرية
١٢٦	المطلب الأول: معنى اليهودية التبشيرية.
١٢٧	المطلب الثاني: التلمود والتبشير باليهودية.
١٣٣	المطلب الثالث: ترديد الافتراءات.
١٣٤	المطلب الرابع: الرد القرآني.
١٣٧	المبحث الثالث: بعض الأعياد اليهودية
١٤٠	المطلب الأول: يوم السبت.
١٤١	المطلب الثاني: يوم التكفير أو الكفارة.
١٤١	المطلب الثالث: قدس الأقداس.
١٤٢	المطلب الرابع: عيد رأس السنة "روش هاشاناه".
١٤٣	المطلب الخامس: عيد يوم الغفران.
١٤٤	المطلب السادس: عيد الفصح أو الفسح بالعبرية "بيساح".
١٤٥	المبحث الرابع: العلاقة بين اليهودية والصهيونية
١٤٧	المطلب الأول: ما المراد بالديانة اليهودية ؟.
١٤٩	المطلب الثاني: ما المراد بالصهيونية ؟.
١٥٠	المطلب الثالث: ما الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟.
١٥٢	المطلب الرابع: أثر العقيدة اليهودية في الحركات الصهيونية.
١٥٥	الفصل الثالث: النصرانية من حيث النشأة والتكوين
١٥٦	المبحث الأول: تعريف النصرانية
١٥٧	المطلب الأول: مفهوم النصراني والتنصير.
١٦٣	المطلب الثاني: أصل التسميات التالية : النصراني — المسيحي.
١٦٩	المطلب الثالث: أصل التحريف وتطوره.

١٧٠	المطلب الرابع: اتصال المسيحية بالأديان الوثنية.
١٧٣	المبحث الثاني: الكتب المسيحية المقدسة
١٧٦	المطلب الأول: الإنجيل
١٨٦	المطلب الثاني: العهد الجديد
١٩٥	المبحث الثالث: من الفرق النصرانية المعاصرة "انشقاق الكنيسة"
١٩٦	المطلب الأول: الطوائف المسيحية
٢٠٢	المطلب الثاني: الموحدون
٢٠٣	المطلب الثالث: المارونية "الموارنة".
٢٠٧	الفصل ١ الرابع: أضواء على معتقدات النصارى.
٢٠٨	المبحث الأول: في الإيمان المسيحي "النصراني"
٢١١	المطلب الأول: الألوهية والتثليث.
٢١٣	المطلب الثاني: الصليب "صلب المسيح فداء عن الخليقة".
٢١٥	المطلب الثالث: تقديس الصليب أو "مقام الصليب في المسيحية"
٢١٦	المطلب الرابع: التعميد: وقته، نصوصه، طريقته
٢١٩	المطلب الخامس: العشاء الرباني.
٢٢٠	المطلب السادس: الاستحالة.
٢٢١	المبحث الثاني: الأعياد الدينية المسيحية
٢٢٤	المطلب الأول: عيد الفصح.
٢٢٦	المطلب الثاني: مدة كرازة المسيح.
٢٢٧	المطلب الثالث: عيد ميلاد المسيح.
٢٢٩	المطلب الرابع: قداسة الكنيسة.
٢٣١	المبحث الثالث: المسيحية التبشيرية
٢٣١	المطلب الأول: معنى المسيحية التبشيرية.
٢٣٢	المطلب الثاني: المعتقدات والجذور الفكرية المسيحية.
٢٣٥	المطلب الثالث: الوسائل والإمكانات التبشيرية.
٢٣٩	المبحث الرابع: رسالة النصرانية الحديثة "السينودس"
٢٤٠	المطلب الأول: ماذا يقصد بالسينودس؟.

الصفحة	الموضوع
٢٤١	المطلب الثاني: تفعيل الحوار الإسلامي المسيحي.
٢٤٣	المطلب الثالث: بعض الحملات التنصيرية الحديثة.
٢٤٥	المطلب الرابع: تصور المبشرين.
٢٤٨	المطلب الخامس: توجيه التبشير والمبشرين.
٢٥١	الفصل الخامس: المشترك من العقائد بين اليهود والنصارى
٢٥٢	المبحث الأول: الإيمان والتوحيد عند أهل الكتاب " اليهود والنصارى "
٢٥٢	المطلب الأول: الألوهية
٢٦٥	المطلب الثاني: اليوم الآخر "البعث والجزاء عند اليهود والمسيحيين"
٢٧١	المطلب الثالث: العبادة عند أهل الكتاب " اليهود والنصارى "
٢٨٠	المطلب الرابع: الأحوال الشخصية "الزواج ، الطلاق ، الإرث" عند اليهود والمسيحيين
٢٩١	الفصل السادس: موقف الإسلام من اليهودية والمسيحية
٢٩٢	المبحث الأول: في مجال العقيدة الإسلامية
٢٩٣	المطلب الأول: توحيد الربوبية في الإسلام.
٢٩٦	المطلب الثاني: توحيد الألوهية في الإسلام.
٢٩٨	المطلب الثالث: مظاهر الإيمان بالله تعالى في الإسلام.
٣٠٠	المطلب الرابع: اليوم الآخر والثواب والعقاب في الإسلام.
٣٠٢	المبحث الثاني: في مجالات بعض العبادات الإسلامية
٣٠٢	المطلب الأول: مفهوم رجال الدين لدى المسلمين.
٣٠٤	المطلب الثاني: تعريف الصلاة والصوم في الإسلام.
٣٠٧	المطلب الثالث: مجال الدعوة الإسلامية.
٣١٠	المبحث الثالث: في مجال الأحوال الشخصية من النظرة الإسلامية
٣١٠	المطلب الأول: الزواج وتعدد الزوجات في الإسلام.
٣١٢	المطلب الثاني: الطلاق وأسبابه في الشرع الإسلامي.
٣١٣	المطلب الثالث: مفهوم الإرث في الإسلام.

الصفحة	الموضوع
٣١٤	المبحث الرابع: الحوار الديني المعاصر "بين الإسلام واليهودية والمسيحية"
٣١٨	المطلب الأول: الحوار أصل ومبدأ "الحاجة إلى الحوار".
٣٢٣	المطلب الثاني: أ - بداية الحوار الإسلامي المسيحي وأشكاله
٣٣٢	المطلب الثالث: رأي اليهود والنصارى في الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام والرد الإسلامي.
٣٣٧	المطلب الرابع: صور من التبشير والحوار في القرن العشرين.
٣٤٣	المطلب الخامس: المؤتمر الديني الإسلامي اليهودي المسيحي.
٣٤٦	المطلب السادس: مستقبل الحوار بين الأديان.
٣٥٣	الخاتمة
٣٦٤	فهرس المراجع والمصادر
٣٧٦	فهرس شروح بعض الألفاظ
٣٩٦	فهرس الموضوعات

العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها

يتناول هذا الكتاب الهام الجوامع العقيدية بين اليهود والنصارى، من خلال نظرتهم للذات الإلهية، والأصول العقائدية كالإيمان بيوم البعث والجزاء والحساب والثواب والعقاب، ومفهوم الدعوة والتبشير من المنظور العقدي، والكشف عن نظرتهم للإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الرد الإسلامي على عقائدهم وأطروحاتهم من خلال مراجعهم المثبتة لديهم، وتصريحاتهم الدالة على أفكارهم، لا سيما بعض طقوسهم الدينية وأعيادهم ومظاهر عباداتهم.

كما يهدف للكشف عن فوائد عبادة الله وحده عبادة لا لبس فيها، ولا غموض، وأن تكون مباشرة دون وساطة أو زلفى، وهذا بدوره كفيلى في تحرير الفكر البشري من الخضوع أو الخنوع لغير الله سبحانه وتعالى، لأن العبودية والدينونة لله وحده شرف ورفعة بينما العبودية للعبيد أو الأشياء الأخرى ذلة ومهانة، وستان شتان بين الأمرين قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: **يَصْحَبِي اللَّيْلُ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ سُبْحَانَكَ** 31

اضافة الى ذلك يسعى الكتاب الى التعرف على عقيدة أهل الكتاب يهود ونصارى مع الإشارة إلى بعض العبادات لديهم كالصلاة والصيام، وإظهار أجزاء هامة من طقوسهم الدينية، وأحوالهم الشخصية لا سيما الزواج والطلاق والإرث، لأنها في الأصل عبادة لله تعالى، وصحتها دلالة على صحة العقيدة كما أن فسادها دلالة على فساد العقيدة، ثم بسط الموقف الإسلامي من هذه القضايا، لتكون المقارنة منصفة وعادلة، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والاستئارة ببعض القضايا الفقهية من كتب الفقه والسيرة النبوية الشريفة، ثم تدوين بعض النصوص من أسفارهم وكتبهم المعتمدة لديهم.